# جامع البيان
# عن تأويل آي القرآن

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

# تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفاسير

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء الثالث والعشرون

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

# ٣٦ ـ سورة يٰس مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم **﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾** يعني: من بعد مهلكه **﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ﴾**.

واختلف أهل التأويل في معنى الجند الذي أخبر الله أنه لم ينزل إلى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه فقال بعضهم: عُنِي بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك إليهم رسالة، ولا بعث إليهم نبياً.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ﴾** قال: رسالة.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حَكّام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم ابن أبي بَزَّة عن مجاهد، مثله.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَما أنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ وَما كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾** قال: فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله **﴿إنْ كانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فإذَا هُمْ خامدُونَ﴾**.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنوداً يقاتلهم بها، ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، أن عبد

الله بن مسعود، قال: غضب الله له، يعني لهذا المؤمن، لاستضعافهم إياه غضبةً لم تبق من القوم شيئاً، فعجّل لهم النقمة بما استحلوا منه، وقال: **﴿وَما أنْزَلْنا عَلى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّماءِ وَما كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾** يقول: ما كاثرناهم بالجموع: أي الأمر أيسر علينا من ذلك **﴿إنْ كانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فإذَا هُمْ خامِدُونَ﴾** فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم تبق منهم باقية.

وهذا القول الثاني أولى القولين بتأويل الآية، وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرُّسُل، فيكون وجهاً، وإن كان أيضاً من المفهوم بظاهر الآية بعيداً، وذلك أن الرسُل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مَهْلِك هذا المؤمن على قومه جنداً وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم.

وقوله: **﴿إنْ كانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فإذَا هُمْ خامِدُونَ﴾** يقول: ما كانت هَلَكتهم إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار **﴿إنْ كانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾** نصباً على التأويل الذي ذكرت، وأنّ في «كانت» مضمراً. وذُكر عن أبي جعفر المدني أنه قرأه: «إلاَّ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ» رفعاً على أنها مرفوعة بكان، ولا مضمر في كان.

والصواب من القراءة في ذلك عندي النصب لإجماع الحجة على ذلك، وعلى أن في «كانت» مضمراً.

وقوله: **﴿فإذَا هُمْ خامِدُونَ﴾** يقول: فإذا هم هالكون.

### القول في تأويل قوله تعالى:

**﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾.**

يقول تعالى ذكره: يا حسرةً من العباد على أنفسها وتندّماً وتلهفاً في استهزائهم برسل الله **﴿ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾** من الله **﴿إلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾**. وذُكر أن ذلك في بعض القراءات: «يا حَسْرَةَ العِبادِ عَلى أنْفُسِها». وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿يا حَسْرَةً عَلى العِبادِ﴾**: أي يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضَيَّعت من أمر الله، وفرّطت في جنب الله. قال: وفي بعض القراءات: «يا حَسْرَةَ العِبادِ عَلى أنْفُسِها».

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**يا حَسْرَةً عَلى العِبادِ**﴾ قال: كان حسرةً عليهم استهزاؤهم بالرسل.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يا حَسْرَةً عَلى العِبادِ**﴾ يقول: يا ويلاً للعباد. وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك: يا لها حسرةً على العباد.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا، وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية ﴿**أنَّهُمْ إلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ**﴾ يقول: ألم يَرَوا أنهم إليهم لا يرجعون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ألَمْ يَرَوْا كَمْ أهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونَ أنَّهُمْ إلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ**﴾ قال: عاد وثمود، وقرون بين ذلك كثير.

و«كم» من قوله: ﴿**كَمْ أهْلَكْنَا**﴾ في موضع نصب إن شئت بوقوع يروا عليها. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «ألَمْ يَرَوْا مَنْ أهْلَكْنا» وإن شئت بوقوع أهلكنا عليها وأما «أنهم»، فإن الألف منها فتحت بوقوع يروا عليها. وذُكر عن بعضهم أنه كسر الألف منها على وجه الاستئناف بها، وترك إعمال «يروا» فيها.

وقوله: ﴿**وإنْ كُلٌّ لـمَّا جَميعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: وإن كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة ﴿**وَإنْ كُلٌّ لـمَّا جَميعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ**﴾ أي هم يوم القيامة.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «وَإنْ كُلٌّ لَـمَا» بالتخفيف توجيهاً منهم إلى أن ذلك «ما» أدخلت عليها اللام التي تدخل جواباً لإنْ وأن معنى الكلام: وإن كلّ لجميع لدينا محضرون. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: ﴿**لَـمَّا**﴾ بتشديد الميم. ولتشديدهم ذلك عندنا وجهان: أحدهما: أن يكون الكلام عندهم كان مراداً به: وإن كلّ لمما جميع، ثم حذفت إحدى الميمات لما كثرت، كما قال الشاعر:

غَدَاةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بنُ وَائِلٍ ... وَعُجنا صُدُورَ الخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمِ(١)

والآخر: أن يكونوا أرادوا أن تكون ﴿لَمَّا﴾ بمعنى إلا، مع إنْ خاصة فتكون نظيرة إنما إذا وضعت موضع «إلا». وقد كان بعض نحويي الكوفة يقول: كأنها «لَمْ» ضمت إليها «ما»، فصارتا جميعاً استثناء، وخرجتا من حدّ الجحد. وكان بعض أهل العربية يقول: لا أعرف وجه «لمَّا» بالتشديد.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ودلالة لهؤلاء المشركين على قُدرة الله على ما يشاء، وعلى إحيائه من مات من خلقه وإعادته بعد فنائه، كهيئته قبل مماته إحياؤه الأرض الميتة، التي لا نبت فيها ولا زرع بالغيث الذي ينزله من السماء حتى يخرج زرعها، ثم إخراجه منها الحبّ الذي هو قوت لهم وغذاء، فمنه يأكلون.

وقوله: **﴿وَجَعَلْنا فِيها جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وأعْنابٍ﴾** يقول تعالى ذكره: وجعلنا في هذه الأرض التي أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعناب **﴿وَفَجَّرْنا فِيها مِنَ العُيُونِ﴾** يقول: وأنبعنا فيها من عيون الماء.

---

(١) هذا بيت من مقطوعة نسبها البلاذري في **«أنساب الأشراف»** إلى صالح بن عبد الله العبشمي الخارجي في محاربة حارثة بن بدر الغداني للأزارقة، قبل أن يحاربهم المهلب. ونسبها المبرد في **«الكامل»** إلى قطري بن الفجاءة الخارجي في يوم دولاب. ورواية البلاذري «طفت في الماء» ورواية المبرد: «طفت علماء» وأصله على الماء، كما تقول في بني الحارث: بلحارث. والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٦٩) قال: وقوله «وإن كل لما جميع» شددها (لما) الأعمش وعاصم، وقد خففها قوم كثير من قراء أهل المدينة وبلغني أن علياً خففها، وهو الوجه؛ لأنها «ما» أدخلت عليها لام، تكون جواباً لإن، كأنك قلت وإن كل لجميع لدينا محضرون؛ ولم ينقلها من ثقلها إلا عن صواب، فإن شئت أردت: وإن كل «لمن ما» جميع، ثم حذفت إحدى الميمات لكثرتهن كما قال:

غداة طفت علماء....

البيت». والوجه الآخر من التثقيل: أن يجعلوا «لما» بمنزلة «إلا» مع «إن» خاصة فتكون في مذهبها بمنزلة «إنما إذا وضعت في معنى «إلا»، كأنها «لم» ضمت إليها «ما» فصارا جميعاً حرفاً واحداً. وخرجا من حد الجحد. وكان الكسائي ينفي هذا القول، يقول: لا أعرف جهة «لما» في التشديد في القراءة. وقال أبو عبيدة في **«مجاز القرآن»** (الورقة ٣٠٤) «وإن كل» إذا خففت «إن» رفعتها بها، وإن ثقلت نصبت. «لما جميع» تفسيرها: وإن كل لجميع و«ما»: مجازها مجاز «مثلا ما بعوضة»، و«عما قليل».

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره، وما عملت أيديهم يقول: ليأكلوا من ثمر الجنات التي أنشأنا لهم، وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا. و«ما» التي في قوله: **﴿وَما عَمِلَتْهُ أيْدِيهِمْ﴾** في موضع خفض عطفاً على الثمر، بمعنى: ومن الذي عملت وهي في قراءة عبد الله فيما ذُكر: «وَممَّا عَمِلَتْهُ» بالهاء على هذا المعنى فالهاء في قراءتنا مضمرة، لأن العرب تضمرها أحياناً، وتظهرها في صلات: من، وما، والذي. ولو قيل: «ما» بمعنى المصدر كان مذهباً، فيكون معنى الكلام: ومن عمل أيديهم. ولو قيل: إنها بمعنى الجحد ولا موضع لها كان أيضاً مذهباً، فيكون معنى الكلام: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم. وقوله: **﴿أفَلا يَشْكُرُونَ﴾** يقول: أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم مَنْ رزقهم ذلك وأنعم عليهم به؟.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره تنزيهاً وتبرئة للذي خلق الألوان المختلفة كلها من نبات الأرض، ومن أنفسهم، يقول: وخلق من أولادهم ذكوراً وإناثاً، ومما لا يعلَمون أيضاً من الأشياء التي لم يطلعهم عليها، خلق كذلك أزواجاً مما يضيف إليه هؤلاء المشركون، ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضاً على قدرة الله على فعل كل ما شاء **﴿اللَّيلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ﴾** يقول: ننزع عنه النهار. ومعنى «منه» في هذا الموضع: عنه، كأنه قيل: نسلَخ عنه النهار، فنأتي بالظلمة ونذهب بالنهار. ومنه قوله: **﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيناهُ آياتِنا فانسَلَخَ مِنها﴾**: أي خرج منها وتركها، فكذلك انسلاخ الليل من النهار. وقوله: **﴿فإذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾** يقول: فإذا هم قد صاروا في ظلمة بمجيء الليل. وقال قتادة في ذلك ما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وآيَةٌ لَهُمُ اللَّيلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فإذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾** قال: يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل.

وهذا الذي قاله قتادة في ذلك عندي، من معنى سلخ النهار من الليل، بعيد وذلك أن إيلاج الليل في النهار، إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر، وليس السلْخ من ذلك في شيء، لأن النهار يسلخ من الليل كله، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كلّ الليل في كلّ النهار، ولا كلّ النهار في كلّ الليل.

وقوله: **﴿والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرّ لَهَا﴾** يقول تعالى ذكره: والشمس تجري لموضع قرارها، بمعنى: إلى موضع قرارها وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ. ذكر الرواية بذلك:

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذرّ الغفاريّ، قال: كنت جالساً عند النبيّ ﷺ في المسجد، فلما غَرَبت الشمس، قال: «يا أبا ذَرّ هَلْ تَدْرِي أيْنَ تَذْهَبُ الشَّمْسُ؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب فتسجد بَينَ يَدَيْ رَبِّها، ثُمّ تَسْتأذِنُ بالرُّجُوعِ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وكأنَّها قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعَ مِنْ مَكانِهَا، وَذلكَ مُسْتَقَرّها».

وقال بعضهم في ذلك بما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرّ لَهَا﴾** قال: وقت واحد لا تعدوه.

وقال آخرون: معنى ذلك: تجري لمجرى لها إلى مقادير مواضعها، بمعنى: أنها تجري إلى أبعد منازلها في الغروب، ثم ترجع ولا تجاوزه. قالوا: وذلك أنها لا تزال تتقدّم كل ليلة حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع.

وقوله: **﴿ذلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾** يقول: هذا الذي وصفنا من جري الشمس لمستقرّ لها، تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بمصالح خلقه، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يخفى عليه خافية.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿وَالقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ﴾** فقرأه بعض المكيين وبعض المدنيين

وبعض البصريين: «وَالقَمَرُ» رفعاً عطفاً بها على الشمس، إذ كانت الشمس معطوفة على الليل، فأتبعوا القمر أيضاً الشمس في الإعراب، لأنه أيضاً من الآيات، كما الليل والنهار آيتان، فعلى هذه القراءة تأويل الكلام: وآية لهم القمرُ قدّرناه منازل. وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين، وعامة قرّاء الكوفة نصباً: ﴿وَالقَمَرَ قَدَّرْناهُ﴾ بمعنى: وقدّرنا القمر منازل، كما فعلنا ذلك بالشمس، فردّوه على الهاء من الشمس في المعنى، لأن الواو التي فيها للفعل المتأخر.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، فتأويل الكلام: وآية لهم، تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه، حتى عاد كالعرجون القديم والعرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ وإنما شبهه جلّ ثناؤه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس، لأن ذلك من العِذْق، لا يكاد يوجد إلا متقوّساً منحنياً إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يُصاب مستوياً معتدلاً، كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمرُ إذا كان في آخر الشهر قبل استسراره، صار في انحنائه وتقوّسه نظير ذلك العرجون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿حتى عادَ كالعُرْجُونِ القَدِيم﴾ يقول: أصل العِذق العتيق.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿حتى عادَ كالعُرجُونَ القَديم﴾ يعني بالعُرجون: العذقَ اليابس.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿والقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القَدِيم﴾ قال: كعِذْق النخلة إذا قدُم فانحنى.

**حدثني** أحمد بن إبراهيم الدورقيّ، قال: ثنا أبو يزيد الخرّاز، يعني خالد بن حيان الرقّي، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصمّ في قوله: ﴿حتى عادَ كالعُرْجُونَ القَدِيمِ﴾ قال: عذق النخلة إذا قدُم انحنى.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عيسى بن عبيد، عن عكرمة، في قوله: ﴿كالعُرْجُونِ القَدِيمِ﴾ قال: النخلة القديمة.

**حدثني** محمد بن عمارة الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى عن مجاهد ﴿كالعُرْجُونِ القَدِيمِ﴾ قال: العِذْق اليابس.

**حدثني** محمد بن عمر بن عليّ المقدمي وابن سنان القزاز، قالا: ثنا أبو عاصم والمقدمي، قال: سمعت أبا عاصم يقول: سمعت سليمان التيمي في قوله: ﴿**حتى عادَ كالعُرْجُونِ القَدِيمِ**﴾ قال: العذق.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**حتى عادَ كالْعُرْجُونِ القَدِيمِ**﴾ قال: قدّره الله منازل، فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة، شبهه بعذق النخلة.

وقوله: ﴿**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ**﴾ يقول تعالى ذكره: لا الشمس يصلح لها إدراك القمر، فيذهب ضوؤها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهاراً لا ليل فيها ﴿**وَلا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارِ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه، فتكون الأوقات كلها ليلاً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويل ذلك، إلا أن معاني عامتهم الذي قلناه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن مجاهد في قوله: ﴿**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ**﴾ قال: لا يشبه ضَوءُها ضوء الآخر، لا ينبغي لها ذلك.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ**﴾ قال: لا يُشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر، ولا ينبغي ذلك لهما. وفي قوله: ﴿**وَلا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارِ**﴾ قال: يتطالبان حَثيثين ينسلخ أحدهما من الآخر.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا الأشجعيّ، عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبي صالح: ﴿**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارِ**﴾ قال: لا يدرك هذا ضوءَ هذا ولا هذا ضوء هذا.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿**لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ**﴾ وهذا في ضوء القمر وضوء الشمس، إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر بضوئه لم يكن للشمس ضوء ﴿**ولاَ اللَّيلُ سابِقُ النَّهارِ**﴾ قال: في قضاء الله وعلمه أن لا يفوت الليل النهار حتى يدركه، فيذهب ظلمته، وفي قضاء الله أن لا يفوت النهار الليل حتى يدركه، فيذهب بضوئه.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارِ﴾ ولكلَ حدٌّ وعلم لا يعدوه، ولا يقصر دونه إذا جاء سلطان هذا، ذهب سلطان هذا، وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا. ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارِ﴾ يقول: إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر، فإذا غابا غاب أحدهما بين يدي الآخر.

وأن من قوله: ﴿أَنْ تُدْرِكَ﴾ في موضع رفع بقوله: ينبغي. وقوله: ﴿وكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يقول: وكلّ ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يَجْرُون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي، قال: ثنا شعبة، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿وكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ قال: في فلك كفلك المِغْزَل.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، قال: مجرى كلّ واحد منهما، يعني الليل والنهار، في فَلَك يسبحون: يجرون.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: أي في فلك السماء يسبحون.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ دوراناً، يقول: دوراناً يسبحون يقول: يجرون.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وكُلّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يعني: كلّ في فلك في السموات.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ

﴿ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضاً، وعلامة على قُدرتنا على كلّ ما نشاء، حملنا ذرّيتهم يعني من نجا من ولد آدم في سفينة نوح، وإياها عنى جلّ ثناؤه بالفُلك المشحون والفلك: هي السفينة، والمشحون: المملوء الموقر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: **﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾** يقول: الممتلىء.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾** يعني المثقل.

**حدثني** سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد **﴿الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾** قال: الموقَر.

**حدثنا** عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا يونس، عن الحسن، في قوله: **﴿الْمَشْحُونَ﴾** قال: المحمول.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾** يعني: سفينة نوح عليه السلام.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾** المُوقَر، يعني سفينة نوح.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾** قال: الفلك المشحون: المَرْكَب الذي كان فيه نوح، والذرية التي كانت في ذلك المركب قال: والمشحون: الذي قد شُحن، الذي قد جعل فيه ليركبه أهله، جعلوا فيه ما يريدون، فربما امتلأ، وربما لم يمتلىء.

**حدثنا** الفضل بن الصباح، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: أتدرون ما الفُلك المشحون؟ قلنا: لا، قال: هو المُوقَر.

**حدثنا** عمرو بن عبد الحميد الآمُلِي، قال: ثنا هارون، عن جُوَيبر، عن الضحاك، في قوله: **﴿الفُلكِ المَشْحُونِ﴾** قال المُوقَر.

وقوله: ﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذّبيك يا محمد، تفضلاً منا عليهم، من مثل ذلك الفلك الذي كنا حملنا من ذرّية آدم مَنْ حملنا فيه الذي يركبونه من المراكب.

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عُني بقوله: ﴿ما يَرْكَبُونَ﴾ فقال بعضهم: هي السفن.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** الفضل بن الصباح، قال: ثنا محمد بن فضيل، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: تدرون ما ﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾؟ قلنا: لا. قال: هي السفن جُعلت من بعد سفينة نوح على مِثْلها.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك في قوله: ﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾ قال: السفن الصغار.

**قال:** ثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك، في قوله: ﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾ قال: السفن الصغار، ألا ترى أنه قال: ﴿وَإِنْ نَشأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ﴾؟.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور بن زاذان، عن الحسن في هذه الآية: ﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾ قال: السفن الصغار.

**حدثنا** حاتم بن بكر الضبّي، قال: ثنا عثمان بن عمر، عن شعبة، عن إسماعيل، عن أبي صالح: ﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾ قال: السفن الصغار.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾ يعني: السفن التي اتخذت بعدها، يعني بعد سفينة نوح.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾ قال: هي السفن التي ينتفع بها.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾ قال: وهي هذه الفلك.

**حدثني** يونس، قال: ثنا محمد بن عبيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾ قال: نعم من مثل سفينة.

وقال آخرون: بل عُني بذلك الإبل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾** يعني: الإبل، خَلَقها الله كما رأيت، فهي سفن البرّ، يُحْمَلون عليها ويركبونها.

**حدثنا** نصر بن عليّ، قال: ثنا غندر، عن عثمان بن غياث، عن عكرمة **﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾** قال: الإبل.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، قال: قال عبد الله بن شدّاد: **﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾** هي الإبل.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ﴾** قال: من الأنعام.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن: هي الإبل.

وأشبه القولين بتأويل ذلك قول مَن قال: عُنِي بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله: **﴿وَإنْ نَشأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ﴾** على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البرّ.

وقوله: **﴿وَإنْ نَشأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفُلك في البحر **﴿فَلا صَرِيخَ لَهُمْ﴾** يقول: فلا مُغِيثَ لهم إذا نحن غرّقناهم يُغِيثهم، فينجيهم من الغرق، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَإنْ نَشأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ﴾**: أي لا مُغِيث.

وقوله: **﴿وَلاَ هُمْ يُنْقَذُونَ﴾** يقول: ولا هو ينقذهم من الغرق شيء إن نحن أغرقناهم في البحر، إلا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم، فننجيهم منه.

وقوله: **﴿وَمَتاعاً إلى حِينٍ﴾** يقول: ولنمتعهم إلى أجل هم بالغوه، فكأنه قال: ولاهم يُنْقذُونَ، إلا أن نرحمهم فنمتعهم إلى أجل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَمَتاعاً إلى حِينٍ﴾**: أي إلى الموت.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله، المكذّبين رسوله محمداً ﷺ: احذروا ما مضى بين أيديكم من نقم الله وَمثُلاته بمن حلّ ذلك به من الأمم قبلكم أن يحلّ مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله. ﴿وَما خَلْفَكُمْ﴾ يقول: وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: ليرحمكم ربكم إن أنتم حذرتم ذلك، واتقيتموه بالتوبة من شرككم والإيمان به، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بينَ أيْدِيكُمْ﴾**: وقائع الله فيمن خلا قبلهم من الأمم وما خلفهم من أمر الساعة. وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿ما بينَ أيْدِيكُمْ﴾** قال: ما مضى من ذنوبهم.

**وهذا القول قريب المعنى من القول الذي قلنا، لأن معناه: اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم، وما خلفكم مما تعملون من الذنوب ولم تعملوه بعد، فذلك بعد تخويف لهم العقاب على كفرهم.**

وقوله: **﴿وَما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إلاَّ كَانُوا عَنها مُعْرِضِينَ﴾** يقول تعالى ذكره: وما تجيء هؤلاء المشركين من قريش آية، يعني حجة من حُجَج الله، وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده، وتصديق رَسُوله، إلا كانوا عنها معرضين، لا يتفكرون فيها، ولا يتدبرونها، فيعلموا بها ما احتجّ الله عليهم بها.

فإن قال قائل: وأين جواب قوله: **﴿وَإذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أيْدِيكُمْ وَما خَلْفَكُمْ﴾**؟ قيل: جوابه وجواب قوله **﴿وَما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ﴾**... قوله: **﴿إلاَّ كانُوا عَنها مُعْرِضِينَ﴾** لأن الإعراض منهم كان عن كلّ آية لله، فاكتفى بالجواب عن قوله: **﴿اتَّقُوا ما بَيْنَ أيْدِيكُمْ﴾** وعن

قوله: ﴿وَما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾ بالخبر عن إعراضهم عنها لذلك، لأن معنى الكلام: وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا، وإذا أتتهم آية أعرضوا.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله: أنفقوا من رزق الله الذي رزقكم، فأدُّوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم، قال الذين أنكروا وحدانية الله، وعبدوا مَنْ دونه للذين آمنوا بالله ورسوله: أنطعم أموالنا وطعامنا مَنْ لو يشاء الله أطعمه؟.

وفي قوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ وجهان: أحدهما أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين، فيكون تأويل الكلام حينئذٍ: ما أنتم أيها القومُ في قيلكم لنا: أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم، إلا في ذهاب عن الحق، وجور عن الرشد مُبِين لمن تأمله وتدبره، أنه في ضلال وهذا أَوْلى وجهيه بتأويله. والوجه الآخر: أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين، فيكون تأويله حينئذٍ: ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، إلا في ضلال مبين، عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون المكذِّبون وعيدَ الله، والبعثَ بعد الممات، يستعجلون ربهم بالعذاب ﴿مَتى هَذَا الوَعْدُ﴾؟ أي الوعد بقيام الساعة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أيها القوم، وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم، إلا صيحة واحدة تأخذهم، وذلك نفخة الفَزَع عند قيام الساعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وجاءت الآثار.

**ذكر من قال ذلك، وما فيه من الأثر:**

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر، قالا: ثنا عوف بن أبي جميلة عن أبي المغيرة القوّاس، عن عبد الله بن عمرو، قال: لَيُنفَخنّ في الصور، والناس في طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، حتى إن الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان، فما يُرسله أحدهما من يده حتى يُنفَخ في الصور، وحتى إن الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتى ينفخ في الصُّور، وهي التي قال الله: ﴿ما يَنْظُرُونَ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾... الآية.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ما يَنْظُرُونَ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ذُكر لنا أن النبيّ ﷺ كان يقول: «تَهِيجُ السَّاعَةُ بالنَّاسِ وَالرَّجُلُ يَسْقِي ماشِيَتَهُ، وَالرَّجُلُ يُصْلِحُ حَوْضَهُ، وَالرَّجُلُ يُقِيمُ سِلْعَتَهُ فِي سُوقِهِ والرَّجُلُ يَخْفِضُ مِيزَانَهُ وَيَرْفَعُهُ، وَتهِيجُ بِهِمْ وَهُمْ كَذلكَ، فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ولا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ».

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ما ينظُرُونَ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قال: النفخة نفخة واحدة.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ، عن إسماعيل بن رافع، عمن ذكره، عن محمد بن كعب القرظيّ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ خَلَقَ الصُّورَ، فأعْطاهُ إسْرَافِيلَ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلى فِيهِ شاخِصٌ بِبَصَرِهِ إلى العَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتى يُؤْمَرُ» قالَ أبو هريرة: يا رسول الله: وما الصور؟ قال: «قَرْنٌ» قال: وكَيْفَ هُوَ؟ قال: «قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ، الأُولى نَفْخَةُ الفَزَعِ، والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ، والثَّالِثَةُ نَفْخَةُ القِيام لِرَبّ العالَمِينَ، يَأْمُرُ اللّهُ إسْرَافِيلَ بالنَّفْخَةِ الأُولى فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَفْزَعُ أهْلُ السَّمَوَاتِ وأهْلُ الأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللّهُ، وَيأْمُرُهُ اللّهُ فَيُدِيمُها وَيُطَوّلُها، فَلا يَفْتُرُ، وَهِيَ التي يَقُولُ اللّهُ: ﴿ما يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾، ثُمَّ يَأْمُرُ اللّهُ إسْرَافِيلَ بِنَفْخَةِ الصَّعْقِ، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الصَّعْقِ، فَيَصْعَقُ أهْلُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللّهُ، فإذَا هُمْ خامِدُونَ، ثُمَّ يُمِيتُ مَنْ بَقِيَ، فإذَا لَمْ يَبْقَ إلاَّ اللّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ، بَدَّلَ الأرْضَ غيرَ الأرْضِ والسَّمَوَاتِ، فَيَبْسُطُها وَيَسْطَحُها، وَيَمُدُّها مَدَّ الأدِيمِ العِكاظِيّ، لا تَرَى فِيها عِوَجاً وَلا أمْتاً، ثُمَّ يَزْجُرُ اللّهُ الخَلْقَ زَجْرَةً، فإذَا هُمْ فِي هَذِهِ المُبَدَّلَةِ فِي مِثْلِ مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الأُولى ما كانَ في بَطْنِها كان في بَطْنِها، وَما كانَ على ظَهْرِها كانَ عَلى ظَهْرِها».

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة: «وَهُمْ يَخْصِّمُونَ» بسكون الخاء وتشديد الصاد، فجمع بين الساكنين، بمعنى: يختصمون، ثم أدغم التاء في الصاد فجعلها صاداً مشدّدة، وترك الخاء على سكونها في الأصل. وقرأ ذلك بعض المكيين

والبصريين: «وَهُمْ يُخَصِّمُونَ» بفتح الخاء وتشديد الصاد بمعنى: يختصمون، غير أنهم نقلوا حركة التاء وهي الفتحة التي في يفتعلون إلى الخاء منها، فحرّكوها بتحريكها، وأدغموا التاء في الصاد وشدّدوها. وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بكسر الخاء وتشديد الصاد، فكسروا الخاء بكسر الصاد وأدغموا التاء في الصاد وشدّدوها. وقرأ ذلك آخرون منهم: «يَخْصِمُونَ» بسكون الخاء وتخفيف الصاد، بمعنى «يَفْعَلُونَ» من الخصومة، وكأن معنى قارىء ذلك كذلك: كأنهم يتكلمون، أو يكون معناه عنده: كان وهم عند أنفسهم يَخْصِمُون مَن وعدهم مجيء الساعة، وقيام القيامة، ويغلبونه بالجدل في ذلك.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن هذه قراءات مشهورات معروفات في قرّاء الأمصار، متقاربات المعاني، فبأيتهنّ قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في الصُّور أن يوصوا في أموالهم أحداً ﴿وَلا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: ولا يستطيع من كان منهم خارجاً عن أهله أن يرجع إليهم، لأنهم لا يُمْهَلون بذلك. ولكن يُعَجَّلون بالهلاك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾: أي فيما في أيديهم ﴿وَلا إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال: أُعْجِلوا عن ذلك.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ما يَنْظُرُ هَؤُلاء إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾... الآية، قال هذا مبتدأ يوم القيامة، وقرأ: ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ حتى بلغ ﴿إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ونُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين والصواب من القول فيه بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، ويُعْنَى بهذه النفخة، نفخة البعث.

وقوله: ﴿فإذَا هُمْ مِنَ الأجْدَاثِ﴾ يعني من أجداثهم، وهي قبورهم، واحدها جَدَث، وفيها لغتان، فأما أهل العالية، فتقوله بالثاء: جَدَث، وأما أهل السافلة فتقوله بالفاء جَدَف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿مِنَ الأَجْدَاثِ إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يقول: من القبور.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فإذَا هُمْ مِنَ الأجْداث﴾: أي من القبور.

وقوله: ﴿إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يقول: إلى ربهم يخرجون سراعاً، والنَّسَلان: الإسراع في المشي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَنْسِلونَ﴾ يقول: يخرجون.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾: أي يخرجون.

وقوله: ﴿قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون لما نُفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردّت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها: ﴿يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا﴾ وقد قيل: إن ذلك نومة بين النفختين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن خيثمة، عن الحسن، عن أُبيّ بن كعب، في قوله: ﴿يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا﴾ قال: ناموا نومة قبل البعث.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن رجل يقال له خيثمة في قوله: ﴿يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا﴾ قال: ينامون نومة قبل البعث.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿قالُوا يا وَيلَنا مَن بَعَثَنا مِن مَرْقَدِنا﴾** هذا قول أهل الضلالة. والرَّقدة: ما بين النفختين.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿يا وَيلَنا مَن بَعَثَنا مِن مَرْقَدِنا هَذَا﴾** قال: الكافرون يقولونه.

ويعني بقوله: **﴿مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا﴾** من أيقظنا من منامنا، وهو من قولهم: بعث فلان ناقته فانبعثت، إذا أثارها فثارت. وقد ذُكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود: «مَنْ أهَبَّنا مِنْ مَرْقَدِنا هَذَا». وفي قوله: **﴿هَذَا﴾** وجهان: أحدهما: أن تكون إشارة إلى «ما»، ويكون ذلك كلاماً مبتدأ بعد تناهي الخبر الأوّل بقوله: **﴿مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا﴾** فتكون «ما» حينئذٍ مرفوعة بهذا، ويكون معنى الكلام: هذا وعد الرحمن وصدق المرسلون. والوجه الآخر: أن تكون من صفة المرقد، وتكون خفضاً وردّاً على المرقد، وعند تمام الخبر عن الأوّل، فيكون معنى الكلام: من بعثنا من مرقدنا هذا، ثم يبتدىء الكلام فيقال: ما وعدَ الرحمن، بمعنى: بعثكم وعد الرحمن، فتكون «ما» حينئذٍ رفعاً على هذا المعنى.

وقد اختلف أهل التأويل في الذي يقول حينئذٍ: هذا ما وعد الرحمن، فقال بعضهم: يقول ذلك أهل الإيمان بالله.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: **﴿هَذَا ما وَعَدَ الرَّحمَنُ﴾** مما سرّ المؤمنون يقولون هذا حين البعث.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿هَذَا ما وَعَدَ الرَّحمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ﴾** قال: قال أهل الهدى: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون.

وقال آخرون: بل كلا القولين، أعني **﴿يا وَيلَنا مَن بَعَثَنا مِن مَرْقَدِنا هَذَا ما وَعَدَ الرَّحمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ﴾** من قول الكفار.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿يا وَيلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا﴾** ثم قال بعضهم لبعض: **﴿هَذَا ما وَعَدَ الرَّحمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ﴾** كانوا أخبرونا أنا نبعث بعد الموت، ونُحاسب ونُجازَى.

والقول الأوّل أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين، لأن الكفار في

قيلهم: ﴿مَن بَعَثَنا مِن مَرْقَدِنا﴾ دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مَرْقَدهم جُهّالاً، ولذلك من جهلهم استثبتوا، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلاّ من غيرهم، ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك.

وقوله: ﴿إنْ كانَتْ إلاّ صَيْحَةً واحِدَةً فإذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم إلا صيحة واحدة، وهي النفخة الثالثة في الصور ﴿فإذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُونَ﴾ يقول: فإذا هم مجتمعون لدينا قد أُحضروا، فأُشهدوا مَوْقفَ العرض والحساب، لم يتخلف عنه منهم أحد. وقد بينا اختلاف المختلفين في قراءتهم ﴿إلاّ صَيْحَةً﴾ بالنصب والرفع فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿فالْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ كذلك ربنا لا يظلم نفساً شيئاً، فلا يوفيها جزاء عملها الصالح، ولا يحمل عليها وِزْر غيرها، ولكنه يوفي كل نفس أجر ما عملت من صالح، ولا يعاقبها إلا بما اجترمت واكتسبت من شيء ﴿وَلا تُجْزَوْنَ إلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: ولا تكافؤون إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا.

وقوله: ﴿إنَّ أصحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الشغل الذي وصف الله جلّ ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة، فقال بعضهم: ذلك افتضاض العذارَى.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص بن حميد، عن شَمِر بن عطية، عن شقيق ابن سلمة، عن عبد الله بن مسعود، في قوله: ﴿إنَّ أصحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ﴾ قال: شغلهم افتضاض العذارى.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿إنَّ أصحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ﴾ قال: افتضاض الأبكار.

**حدثني** عبيد بن أسباط بن محمد، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿إنَّ أصحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُون﴾ قال: افتضاض الأبكار.

**حدثني** الحسن بن زُرَيْق الطُّهَوِيّ، قال: ثنا أسباط بن محمد، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، مثله.

**حدثني** الحسين بن عليّ الصُّدائي، قال: ثنا أبو النضر، عن الأشجعيّ، عن وائل بن داود، عن سعيد بن المسيب، في قوله: ﴿**إنَّ أصحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ**﴾ قال: في افتضاض العذارَى. وقال آخرون: بل عُنِي بذلك: أنهم في نعمة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إنَّ أصحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ**﴾ قال: في نعمة.

**حدثنا** عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان، عن جُوَيبر، عن أبي سهل، عن الحسن، في قول الله: ﴿**إنَّ أصحَابَ الجَنَّةِ**﴾... الآية، قال: شَغلَهم النعيمُ عما فيه أهل النار من العذاب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم في شغل عما فيه أهل النار.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** نصر بن عليّ الجَهْضَمِيّ، قال: ثنا أبي، عن شعبة، عن أبان بن تغلب، عن إسماعيل بن أبي خالد ﴿**إنَّ أصحَابَ الجَنَّةِ**﴾... الآية، قال: في شغل عما يلقى أهلُ النار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه ﴿**إنَّ أصحَابَ الجَنَّةِ**﴾ وهم أهلها ﴿**فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ**﴾ بنعم تأتيهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة، وافتضاض أبكار، ولهو ولذّة، وشغل عما يَلْقى أهل النار.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**في شُغُلٍ**﴾، فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض البصريين على اختلاف عنه: «فِي شُغْلٍ» بضم الشين وتسكين الغين. وقد رُوي عن أبي عمرو الضمّ في الشين والتسكين في الغين، والفتح في الشين والغين جميعاً في شغل. وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة وعامة قرّاء أهل الكوفة ﴿**فِي شُغُلٍ**﴾ بضم الشين والغين.

والصواب في ذلك عندي قراءته بضم الشين والغين، أو بضم الشين وسكون الغين، بأيّ ذلك قرأه القارىء فهو مصيب، لأن ذلك هو القراءة المعروفة في قرّاء الأمصار مع تقارب معنييهما. وأما قراءته بفتح الشين والغين، فغير جائزة عندي، لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها.

واختلفوا أيضاً في قراءة قوله: ﴿**فاكِهُونَ**﴾ فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار ﴿**فاكِهُونَ**﴾ بالألف. وذُكر عن أبي جعفر القارىء أنه كان يقرؤه: «فَكِهُونَ» بغير ألف.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه بالألف، لأن ذلك هو القراءة المعروفة.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: فَرِحون.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فِي شُغُلٍ فاكِهُونَ**﴾ يقول: فرحون.

وقال آخرون: معناه: عجبون.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فاكِهُونَ**﴾ قال: عجبون.

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فَكِهُونَ**﴾ قال: عَجِبون.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في ذلك، فقال بعض البصريين: منهم الفكه الذي يتفكّه. وقال: تقول العرب للرجل الذي يتفكّه بالطعام أو بالفاكهة، أو بأعراض الناس: إن فلاناً لفكِه بأعراض الناس، قال: ومن قرأها ﴿**فاكِهُونَ**﴾ جعله كثير الفواكه صاحب فاكهة، واستشهد لقوله ذلك ببيت الحُطَيئة:

وَدَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ     لابِنٌ بِالصَّيْفِ تامِرْ[(١)]

---

(١) البيت للحطيئة، وهو من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (مصورة الجامعة ص ـ ٢٠٧/ ١) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿في شغل فكهون﴾ الفكه الذي يتفكه، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس: إن فلانا لفكه بأعراض الناس. ومن قرأها «فاكهون»: جعلها كثير الفواكه، صاحب فاكهة؛ قال الحطيئة:

«ودعوتني......»

البيت، أي عنده لبن كثير، وتمر كثير. فكذلك عاسل، ولا حم، وشاحم. ا هـ. وفي «**اللسان**» فكه رجل فكه: يأكل الفاكهة، وفاكه: عنده فاكهة. وكلاهما على النسب. أبو معاذ النحوي: الفاكه: الذي كثرت فاكهته. والفكه: الذي ينال من أعراض الناس ا هـ. وفي «**معاني القرآن**» للفراء (مصورة الجامعة ص ـ ٢٧٠) وقوله «فاكهون» بالألف، وتقرأ «فكهون» وهي بمنزلة «حذرون» «وحاذرون» وهي في قراءة عبد الله: «فاكهين» بالألف. وقد نقله عنه المؤلف، ورجحه.

أي عنده لبن كثير، وتمرٌ كثير، وكذلك عاسل، ولاحم، وشاحم. وقال بعض الكوفيين: ذلك بمنزلة حاذرون وحذرون، وهذا القول الثاني أشبه بالكلمة.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾.

يعني تعالى بقوله: ﴿هُمْ﴾ أصحاب الجنة ﴿وأزْوَاجُهُمْ﴾ من أهل الجنة في الجنة، كما:

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿هُمْ وأزْوَاجُهُمْ في ظِلالٍ﴾ قال: حلائلهم في ظُلَل.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعضهم: «فِي ظُلَلٍ» بمعنى: جمع ظلة، كما تُجمع الْحُلة حُللاً. وقرأه آخرون: ﴿فِي ظِلالٍ﴾ وإذا قرىء ذلك كذلك كان له وجهان: أحدهما أن يكون مُراداً به جمع الظُّلَل الذي هو بمعنى الكِنّ، فيكون معنى الكلمة حينئذٍ: هم وأزواجهم في كنّ لا يضْحَوْن لشمس كما يَضْحَى لها أهلُ الدنيا، لأنه لا شمس فيها. والآخر: أن يكون مراداً به جمع ظلة، فيكون وجه جمعها كذلك نظير جمعهم الخُلّة في الكثرة: الخِلال، والقُلّة: قِلال.

وقوله: ﴿عَلى الأرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ والأرائك: هي الحِجال فيها السُرر والفُرُش: واحدتها أريكة، وكان بعضهم يزعم أن كلّ فِراش فأريكة، ويستشهد لقوله ذلك بقول ذي الرمة:

. . . . . . . . . . . . . . . . كأنَّما تُباشِرْنَ بالمَعزاءِ مَسَّ الأَرَائِكِ(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) هذا جزء من بيت لذي الرمة (ديوانه ٤٢٢) وصدره:

«خـدودا جـفـت فـي الـسـيـر حـتـى كـأنـمـا»

وخدودا منصوب مفعول به لكسا في البيت الذي قبله. وقال شارح ديوانه: أراد كسوا حيث موتت الرياح خدودا. . . . الخ أي صيروا المكان الذي ناموا فيه كسوة الخدود اهـ. والمعزاء: الأرض فيها الحجارة والحصى. والأرائك؛ واحدها أريكة وهي السرير في الحجلة. يقول: من شدة النوم يرون الأرض ذات الحجارة مثل الفرش على الأرائك. واستشهد أبو عبيدة بالبيت في «مجاز القرآن» (الورقة ٢٠٧) عند قوله تعالى: ﴿على الأرائك﴾ وقال: واحدتها: أريكة، وهو الفرش في الحجال. قال ذو الرمة:

«خــــــــــــدودا. . . . . . .»

البيت، جعلها فراشاً.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حُصَيْن، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**عَلى الأَرَائِكِ مُتَّكِئونَ**﴾ قال: هي السُّرُر في الحِجال.

**حدثنا** هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن حصين، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**عَلى الأرَائِكِ مُتَّكِئُونَ**﴾ قال: الأرائك: السُّرر عليها الحِجال.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا حصين، عن مجاهد، في قوله: ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلى الأرَائِكِ**﴾ قال: الأرائك: السُّرُر في الحِجال.

**حدثنا** أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا حُصَيْن، عن مجاهد، في قوله: ﴿**عَلى الأَرَائك**﴾ قال: سُرُر عليها الحِجال.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، قال: زعم محمد أن عكرمة قال: الأرائك: السُّرُر في الحِجال.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن، وسأله رجل عن الأرائك قال: هي الحجال. أهل اليمن يقولون: أريكة فلان. وسمعت عكرمة وسئل عنها فقال: هي الحجال على السُّرُر.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**على الأرائِكِ مُتَّكِئُونَ**﴾ قال: هي الحِجال فيها السرر.

وقوله: ﴿**لَهُمْ فِيها فاكِهَةٌ**﴾ يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة ﴿**وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ**﴾ يقول: ولهم فيها ما يتمّنون. وذُكر عن العرب أنها تقول: دع عليّ ما شئت: أي تمنّ عليّ ما شئت.

وقوله: ﴿**سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبّ رَحِيمٍ**﴾ في رفع سلامٌ وجهان في قول بعض نحويّ الكوفة أحدهما: أن يكون خبراً لما يدّعون، فيكون معنى الكلام: ولهم ما يدّعون مسلَّم لهم خالص. وإذا وُجّه معنى الكلام إلى ذلك كان القول حينئذٍ منصوباً توكيداً خارجاً من السلام، كأنه قيل: ولهم فيها ما يدّعون مسلَّم خالص حقاً، كأنه قيل: قاله قولاً. والوجه الثاني: أن يكون قوله: ﴿**سَلامٌ**﴾ مرفوعاً على المدح، بمعنى: هو سلام لهم قولاً من الله. وقد ذُكر أنها في قراءة عبد الله: «سَلاماً قَوْلاً» على أن الخبر متناه عند قوله: ﴿**وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ**﴾، ثم نصب سلاماً على التوكيد، بمعنى: مسلماً قولاً. وكان بعضُ نحويّ البصرة يقول: انتصب قولاً على البدل من

اللفظ بالفعل، كأنه قال: أقول ذلك قولاً. قال: ومن نصبها نصبها على خبر المعرفة على قوله: ﴿وَلَهُمْ﴾ فِيها ﴿ما يَدَّعُونَ﴾.

والذي هو أولى بالصواب على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القُرَظيّ، أن يكون ﴿سَلامٌ﴾ خبراً لقوله: ﴿وَلَهُمْ ما يَدَّعُونَ﴾ فيكون معنى ذلك: ولهم فيها ما يدّعون، وذلك هو سلام من الله عليهم، بمعنى: تسليم من الله، ويكون سلام ترجمة ما يدّعون، ويكون القول خارجاً من قوله: سلام. وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لما:

**حَدَّثنا** به إبراهيم بن سعيد الجوهريّ، قال: ثنا أبو عبد الرحمن المقري عن حرملة، عن سليمان بن حميد، قال: سمعت محمد بن كعب، يحدّث عمر بن عبد العزيز، قال: إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار، أقبل يمشي في ظُلَل من الغمام والملائكة، فيقف على أوّل أهل درجة، فيسلم عليهم، فيردّون عليه السلام، وهو في القرآن: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ فيقول: سَلُوا، فيقولون: ما نسألك وعزّتك وجلالك، لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثَّقَلَين لأطعمناهم وسقيناهم وكسوناهم، فيقول: سَلُوا، فيقولون: نسألك رضاك، فيقول: رضائي أحلّكم دار كرامتي، فيفعل ذلك بأهل كلّ درجة حتى ينتهي، قال: ولو أن امرأة من الحُور العِين طلعت لأطفأ ضوء سِوارَيْها الشمس والقمر، فكيف بالمُسَوَّرة.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا حرملة، عن سليمان بن حميد، قال: سمعت محمد بن كعب القرظيّ يحدّث عمر بن عبد العزيز، قال: إذا فرغ الله من أهل الجنة والنار، أقبل في ظُلَل من الغمام والملائكة، قال: فيسلم على أهل الجنة، فيردُون عليه السلام، قال القُرظيّ: وهذا في كتاب الله: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾؟ فيقول: سَلُوني، فيقولون: ماذا نسألك، أي رَبّ؟ قال: بل سلوني قالوا: نسألك أي ربِّ رضاك، قال: رضائيأحلكم دار كرامتي، قالوا: يا ربّ وما الذي نسألك فوعزّتك وجلالك، وارتفاع مكانك، لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم، ولأسقيناهم، ولألبسناهم ولأخدمناهم، لا يُنقصنا ذلك شيئاً، قال: إن لديّ مزيداً، قال: فيفعل الله ذلك بهم في درجهم حتى يستوي في مجلسه، قال: ثم تأتيهم التحف من الله تحملها إليهم الملائكة. ثم ذكر نحوه.

**حدثنا** ابن سنان القزاز، قال: ثنا أبو عبد الرحمن، قال: ثنا حرملة، قال: ثنا سليمان بن حميد، أنه سمع محمد بن كعب القرظي يحدّث عمر بن عبد العزيز، قال: إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار، أقبل يمشي في ظُلل من الغمام ويقف، قال: ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: فيقولون: فماذا نسألك يا ربّ، فوعزّتك وجلالك وارتفاع مكانك، لو أنك قسمت علينا أرزاق الثقلين، الجنّ والإنس، لأطعمناهم، ولسقيناهم، ولأخدمناهم، من غير أن ينتقص ذلك شيئاً مما

عندنا، قال: بلى فسلوني، قالوا: نسألك رضاك، قال: رضائي أحلّكم دار كرامتي، فيفعل هذا بأهل كلّ درجة، حتى ينتهي إلى مجلسه. وسائر الحديث مثله.

فهذا القول الذي قاله محمد بن كعب، ينبيء عن أن «سلام» بيان عن قوله: ﴿ما يَدَّعُونَ﴾، وأن القول خارج من السلام. وقوله: ﴿مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ يعني: رحيم بهم إذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من جُرْم في الدنيا.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾.

يعني بقوله: ﴿وَامْتازُوا﴾: تَميزوا وهي افتعلوا، من ماز يميز، فعل يفعل منه: امتاز يمتاز امتيازاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَامْتَازوا اليَوْمَ أيُّها المُجْرِمُونَ﴾ قال: عُزِلوا عن كلّ خير.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن إسماعيل بن رافع، عمن حدثه، عن محمد بن كعب القرظيّ، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ أمَرَ اللّهُ جَهَنَّمَ فَيَخْرُجُ مِنْها عُنُقٌ ساطِعٌ مُظْلِمٌ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿ألَمْ أعْهَدْ إلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيطانَ. . .﴾ الآية، إلى قوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ التي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ وَامْتازُوا الْيَوْمَ أيُّها المُجْرِمُونَ﴾، فيَتَمَيَّزُ النَّاسُ وَيجْثُونَ، وَهِيَ قَوْلُ اللّهِ: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ. . .﴾ الآية».

فتأويل الكلام إذن: وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله، فإنكم واردون غير موردهم، داخلون غير مدخلهم.

وقوله: ﴿ألَمْ أعْهَدْ إلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيطانَ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوّ مُبِينٌ﴾، وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه منه، وهو: ثم يقال: ألم أعهد إليكم يا بني آدم، يقول: ألم أوصكم وآمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله ﴿إنَّهُ لَكُمْ عَدُوّ مُبِينٌ﴾ يقول: وأقول لكم: إن الشيطان لكم عدوّ مبين، قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود، لأبيكم آدم، حسداً منه له، على ما كان الله أعطاه من الكرامة، وغُروره إياه، حتى أخرجه وزوجته من الجنة.

وقوله: ﴿**وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾ يقول: وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كلّ ما سواي من الآلهة والأنداد، وإياي فأطيعوا، فإن إخلاص عبادتي، وإفراد طاعتي، ومعصية الشيطان، هو الدين الصحيح، والطريق المستقيم.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاً كَثِيراً**﴾: ولقد صدّ الشيطان منكم خلقاً كثيراً عن طاعتي، وإفرادي بالألوهة حتى عبدوه، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها، كما:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاً**﴾ قال: خلقاً.

واختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين ﴿**جِبِلاًّ**﴾ بكسر الجيم وتشديد اللام، وكان بعض المكّيين وعامة قرّاء الكوفة يقرؤونه: «جُبُلاً» بضم الجيم والباء وتخفيف اللام. وكان بعض قرّاء البصرة يقرؤه: «جُبْلاً» بضم الجيم وتسكين الباء، وكل هذه لغات معروفات، غير أني لا أحبّ القراءة في ذلك إلا بإحدى القراءتين اللتين إحداهما بكسر الجيم وتشديد اللام، والأخرى: ضم الجيم والباء وتخفيف اللام، لأن ذلك هو القراءة التي عليها عامة قرّاء الأمصار.

وقوله: ﴿**أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ**﴾ يقول: أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون، إذ أطعتم الشيطان في عبادة غير الله، أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوّكم وعدوّ الله، وتعبدوا غير الله. وقوله: ﴿**هَذِهِ جَهَنَّمُ التي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ يقول: هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله، وتكذيبكم رسله، فكنتم بها تكذّبون. وقيل: إن جهنم أوّل باب من أبواب النار. وقوله: ﴿**اصْلَوْها اليَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ يقول: احترقُوا بها اليوم ورِدُوها يعني باليوم: يوم القيامة ﴿**بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾: يقول: بما كنتم تَجحدونها في الدنيا، وتكذّبون بها.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾: اليوم نطبع على أفواه المشركين، وذلك يوم القيامة ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ بما عملوا في الدنيا من معاصي الله ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ قيل: إن الذي ينطق من أرجلهم: أفخاذهم من الرجل اليُسرى ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ في الدنيا من الآثام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا يونس بن عبيد، عن حميد بن هلال، قال: قال أبو بردة: قال أبو موسى: يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرض عليه ربُّه عمله فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أي ربّ عملت عملت عملت، قال: فيغفر الله لهم ذنوبه، ويستره منها، فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئاً، وتبدو حسناته، فودّ أن الناس كلهم يرونها ويدَعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجحده، ويقول: أي ربّ، وعزّتك لقد كتب عليَّ هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزّتك أي ربّ، ما عملته، فإذا فعل ذلك ختم على فيه. قال الأشعري: فإني أحسب أوّل ما ينطق منه لفخذه اليمنى، ثم تلا: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثني يحيى، عن أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن الشعبيّ، قال: يقال للرجل يوم القيامة: عملت كذا وكذا، فيقول: ما عملت، فيختم على فيه، وتنطق جوارحه، فيقول لجوارحه: أبعدكنّ الله، ما خاصمت إلا فيكنّ.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾... الآية، قال: قد كانت خصومات وكلام، فكان هذا آخره، ﴿وَخَتَمَ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾.

**حدثني** محمد بن عوف الطائي، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن عقبة بن عامر، أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «أوَّلُ شَيْءٍ يَتَكَلَّمُ مِنَ الإنْسانِ، يَوْمَ يَخْتِمُ اللّهُ على الأفْوَاهِ، فَخِذُهُ مِنْ رِجْلِهِ اليُسْرَى».

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِمْ فاسْتَبَقُوا الصِّراطَ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى، وأضللناهم عن قصد المَحَجَّة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أعْيُنِهِمْ﴾ يقول: أضللتهم وأعميتهم عن الهدى.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولو نشاء لتركناهم عمياً.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أعْيُنِهِمْ فاسْتَبَقُوا الصِّراطَ فَأنَّى يُبْصِرُونَ﴾ قال: لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عمياً يتردّدون.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِمْ فاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فأنَّى يُبْصِرُونَ﴾ يقول: لو شئنا لتركناهم عمياً يترددون.

وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام، لأن الله إنما تهدّد به قوماً كفاراً، فلا وجه لأن يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيرّناهم عمياً لا يبصرون طريقاً، ولا يهتدون له والطَّمْس على العين: هو أن لا يكون بين جفني العين غرٌّ، وذلك هو الشقّ الذي بين الجفنين[١]، كما تطمس الريح الأثر، يقال: أعمى مطموس وطميس.

وقوله: ﴿فاسْتَبَقُوا الصِّراطَ﴾ يقول: فابتدروا الطريق، كما:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ قال الطريق.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فاسْتَبقُوا الصِّراطَ﴾: أي الطريق.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فاسْتَبَقُوا الصِّراطَ﴾ قال: الصراط، الطريق.

---

(١) كذا في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (مصورة الجامعة، الورقة ٢٠٧).

وقوله: ﴿**فَأَنَّى يُبْصِرُونَ**﴾ يقول: فأيّ وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق، وقد طمسنا على أعينهم، كما:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فَأَنَّى يُبْصِرُون**﴾ وقد طمسنا على أعينهم.

وقال الذين وجهوا تأويل قوله: ﴿**وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِمْ**﴾ إلى أنه معنيٌّ به العَمَى عن الهدى، تأويل قوله: ﴿**فَأَنَّى يُبْصِرُونَ**﴾: فأنى يهتدون للحقّ؟

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿**فَأَنَّى يُبْصِرُونَ**﴾ يقول: فكيف يهتدون؟

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**فَأَنَّى يُبْصِرُونَ**﴾ يقول: لا يبصرون الحقّ.

وقوله: ﴿**وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ على مَكانَتِهِمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم ﴿**فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ**﴾ يقول: فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا أن يرجعوا وراءهم.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن أبي رجاء، عن الحسن ﴿**وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ**﴾ قال: لو نشاء لأقعدناهُمْ.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، ثنا سعيد عن قتادة ﴿**وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكانَتِهِمْ**﴾: أي لأقعدناهم على أرجلهم ﴿**فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًّا وَلا يَرْجِعُونَ**﴾ فلم يستطيعوا أن يتقدّموا ولا يتأخروا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولو نشاء لأهلكناهم في منازلهم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَمَسَخْناهُمْ عَلى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطاعُوا مُضِيًا وَلا يَرْجِعُونَ﴾ يقول: ولو نشاء أهلكناهم في مساكنهم.

والمكانة والمكان بمعنى واحد. وقد بيَّنا ذلك فيما مضى قبل.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ فنمُدّ له في العمر ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ﴾ نردّه إلى مثل حاله في الصبا من الهرم والكبر، وذلك هو النكس في الخلق، فيصير لا يعلم شيئاً بعد العلم الذي كان يعلمه. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ﴾ يقول: من نَمُدّ له في العمر ننكسه في الخلق، لكيلا يعلم بعد علم شيئاً، يعني الهَرَم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ فقرأه عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «نَنْكِسْهُ» بفتح النون الأولى وتسكين الثانية، وقرأته عامة قرّاء الكوفة: ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الكاف.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، غير أن التي عليها عامة قرّاء الكوفيين أعجبُ إليّ، لأن التنكيس من الله في الخلق إنما هو حال بعد حال، وشيء بعد شيء، فذلك تأييد للتشديد.

وكذلك اختلفوا في قراءة قوله: ﴿أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾ فقرأته قراء المدينة: «أَفَلا تَعْقِلُونَ» بالتاء على وجه الخطاب. وقرأته قرّاء الكوفة بالياء على الخبر، وقراءة ذلك بالياء أشبه بظاهر التنزيل، لأنه احتجاج من الله على المشركين الذين قال فيهم ﴿وَلَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أعْيُنِهِمْ﴾ فإخراج ذلك خبراً على نحو ما خرج قوله: ﴿لَطَمَسْنا على أعْيُنِهِمْ﴾ أعجب إليّ، وإن كان الآخر غير مدفوع.

ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أفَلا يَعْقِلُونَ﴾: أفلا يعقل هؤلاء المشركون قُدْرة الله على ما يشاء بمعاينتهم ما يعاينون من تصريفه خلقه فيما شاء وأحبّ من صغر إلى كبر، ومن تنكيس بعد كبر في هرم.

وقوله: ﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغِي لَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وما علَّمنا محمداً الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعراً. كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ﴾ قال: قيل لعائشة: هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كانت أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثَّل ببيت أخي بني قيس، فيجعل آخره أوّله، وأوّله آخره، فقال له أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبيّ الله: «إنّي وَاللّهِ ما أنا بِشاعِرٍ، وَلا يَنْبَغِي لي».

وقوله: ﴿إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ما هو إلا ذكر، يعني بقوله: ﴿إنْ هُوَ﴾: أي محمد إلا ذكر لكم أيها الناس، ذكركم الله بإرساله إياه إليكم، وَنَبهكم به على حظكم ﴿وَقُرآنٌ مُبِينٌ﴾ يقول: وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن مبين، يقول: يَبِين لمن تدبَّره بعقل ولبّ، أنه تنزيل من الله أنزله إلى محمد، وأنه ليس بشعر ولا مع كاهن، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وقُرآنٌ مُبِينٌ﴾ قال: هذا القرآن.

وقوله: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا﴾ يقول: إن محمد إلا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حيّ القلب، يعقل ما يقال له، ويفهم ما يُبيَّن له، غير ميت الفؤاد بليد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو معاوية، عن رجل، عن أبي رَوْق، عن الضحاك، في قوله: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا﴾ قال: من كان عاقلاً.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا﴾: حيّ القلب، حيّ البصر.

قوله: ﴿وَيَحِقَّ القَوْلُ على الكافِرِينَ﴾ يقول: ويحقّ العذاب على أهل الكفر بالله، الموليّن عن اتباعه، المعرضين عما أتاهم به من عند الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَيحِقَّ القَوْلُ على الكافِرِينَ﴾ بأعمالهم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا

لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ﴾ هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثانَ ﴿أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أيدِينا﴾ يقول: مما خلقنا من الخلق ﴿أنْعاماً﴾ وهي المواشي التي خلقها الله لبني آدم، فسخَّرها لهم من الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مالِكُونَ﴾ يقول: فهم لها مصرّفون كيف شاءوا بالقهر منهم لها والضبط، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فَهُمْ لَهَا مالِكُونَ﴾: أي ضابطون.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أيدِينا أنْعاماً فَهُمْ لَهَا مالِكُونَ﴾ فقيل له: أهي الإبل؟ فقال: نعم، قال: والبقر من الأنعام، وليست بداخلة في هذه الآية، قال: والإبل والبقر والغنم من الأنعام، وقرأ: ﴿ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ﴾ قال: والبقر والإبل هي النعم، وليست تدخل الشاء في النعم.

وقوله: ﴿وَذَلَّلْناها لَهُمْ﴾ يقول: وذللنا لهم هذه الأنعام ﴿فَمِنْها رَكُوبُهُمْ﴾ يقول: فمنها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها يقال: هذه دابة ركوب، والرُّكوب بالضمّ: هو الفعل ﴿وَمِنْها يأْكُلونَ﴾ لحومها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَذَلَّلْناها لَهُمْ فَمِنْها رَكُوبُهُمْ﴾: يركبونها يسافرون عليها ﴿وَمِنْها يأْكُلُونَ﴾ لحومها.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولهم في هذه الأنعام منافع، وذلك منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثاً ومتاعاً، ومن جلودها أكناناً، ومشارب يشربون ألبانها، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ولَهُمْ فِيها مَنافِعُ﴾ يَلْبسون أصوافها ﴿وَمَشارِبُ﴾ يشربون ألبانها.

وقوله: ﴿أفَلا يَشْكُرُونَ﴾ يقول: أفلا يشكرون نعمتي هذه، وإحساني إليهم بطاعتي، وإفراد الألوهية والعبادة، وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام.

قوله: ﴿**واتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ آلِهَةً**﴾ يقول: واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها ﴿**لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ**﴾ يقول: طمعاً أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءاً، ولا تدفع عنهم ضرّاً.

وقوله: ﴿**وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ**﴾ يقول: وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضَرون.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**مُحْضَرُونَ**﴾ وأين حضورهم إياهم، فقال بعضهم: عُني بذلك: وهم لهم جند محضرون عند الحساب.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ**﴾ قال: عند الحساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهم لهم جند محضَرون في الدنيا يغضبون لهم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ**﴾ الآلهة ﴿**وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ**﴾ والمشركون يغضَبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تدفع عنهم سوءاً، إنما هي أصنام.

وهذا الذي قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك، لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام، وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جنداً حينئذٍ، ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم، ويقاتلون دونهم.

وقوله تعالى: ﴿**فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلاَ يحْزُنْك يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك: إنك شاعر، وما جئتنا به شعر، ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوّتك. وقوله: ﴿**إنَّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: إنا نعلم أن الذي يدعوهم إلى قيل ذلك الحسد، وهم يعلمون أن الذي جئتهم به ليس بشعر، ولا يشبه الشعر،

وأنك لست بكذّاب، فنعلم ما يسرّون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه، وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**أوَ لَمْ يَرَ الإنْسانُ أنَّا خَلَقْناهُ**﴾. واختُلف في الإنسان الذي عُني بقوله: ﴿**أوَ لَمْ يَرَ الإنْسانُ**﴾ فقال بعضهم: عُني به أُبَي بن خلف.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عُمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي يحيى عن مجاهد، في قوله: ﴿**مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ قال: أُبيّ بن خَلَف أتى رسول الله ﷺ بعَظْم.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً**﴾ أُبيّ بن خلف.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**قالَ مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾: ذُكر لنا أن أُبيَّ بن خلف، أتى رسول الله ﷺ بعظْم حائل، ففتَّه، ثم ذرّاه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ قال: «الله يحييه، ثم يميته، ثم يُدخلك النار» قال: فقتله رسول الله ﷺ يوم أُحد.

وقال آخرون: بل عُني به: العاص بن وائل السَّهميّ.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، قال: جاء العاص بن وائل السهميّ إلى رسول الله ﷺ بعظْم حائل، ففتَّه بين يديه، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا حياً بعد ما أرمّ؟ قال: «نَعَمْ يَبْعَثُ اللّهُ هَذَا، ثُمَّ يُميتكَ ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُم يُدْخِلُكَ نارَ جَهَنَّم» قال: ونزلت الآيات: ﴿**أوَ لَمْ يَرَ الإنْسانُ أنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فإذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ...**﴾ إلى آخر الآية.

وقال آخرون: بل عُني به: عبد الله بن أُبيّ.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**أَوَ لَمْ يَرَ الإنسانُ أنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ**﴾. . . إلى قوله: ﴿**وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ قال: جاء عبد الله بن أُبيّ إلى النبيّ ﷺ بعظْم حائل فكسره بيده، ثم قال: يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله ﷺ: «يَبْعَثُ اللّهُ هَذَا، ويُمِيتُكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ»، فقال الله: ﴿**قُلْ يُحْيِيها الَّذِي أنشأها أوَّلَ مَرَّةٍ وَهُو بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾.

فتأويل الكلام إذن: أو لم ير هذا الإنسان الذي يقول: ﴿**مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ أنا خلقناه من نطفة فسوّيناه خلقاً سَوِيًّا ﴿**فإذَا هوَ خَصِيمٌ**﴾ يقول: فإذا هو ذو خصومة لربه، يخاصمه فيما قال له ربه إني فاعل، وذلك إخبار الله إياه أنه مُحْيي خلقه بعد مماتهم، فيقول: مَنْ يحيي هذه العظام وهي رميم؟ إنكاراً منه لقُدرة الله على إحيائها.

وقوله: ﴿**مُبِينٌ**﴾ يقول: يبين لمن سمع خُصومته وقيله ذلك أنه مخاصم ربه الذي خلقه. وقوله: ﴿**وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ**﴾ يقول: ومثّل لنا شبهاً بقوله: ﴿**مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ إذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد، يقول: فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق ﴿**وَنَسِيَ خَلْقَهُ**﴾ يقول: ونسي خلْقَنا إياه كيف خلقناه، وأنه لم يكن إلا نطفة، فجعلناها خلقاً سَوِيًّا ناطقاً، يقول: فلم يفكر في خلقناه، فيعلم أن من خلقه من نطفه حتى صار بشراً سوياً ناطقاً متصرّفاً، لا يعْجِز أن يعيد الأموات أحياء، والعظام الرَّميم بشَراً كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء يقول الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿**قُلْ**﴾ لهذا المشرك القائل لك: من يُحيي العظام وهي رميم ﴿**يُحْيِيها الَّذِي أنشأها أوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ يقول: يحييها الذي ابتدع خلْقها أوّل مرّة ولم تكن شيئاً ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ يقول: وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت، وكيف يحيي، وكيف يبدىء، وكيف يعيد، لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأخْضَرِ ناراً**﴾ يقول: الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر ناراً تُحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رَمّت، وإعادتها بشَراً سوياً، وخلقاً جديداً، كما بدأها أوّل مرّة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأخْضَرِ ناراً**﴾ يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه.

قوله: ﴿**فإذَا أنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ**﴾ يقول: فإذا أنتم من الشجر توقدون النار وقال: ﴿**مِنْهُ**﴾ والهاء من ذكر الشجر، ولم يقل: منها، والشجر جمع شجرة، لأنه خرج مخرج الثمر والحصَى، ولو قيل: منها كان صواباً أيضاً، لأن العرب تذكِّر مثل هذا وتؤنِّثه. وقوله: ﴿**أوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ بِقادِرٍ عَلى أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره منبهاً هذا الكافر الذي قال: ﴿**مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾ على خطأ قوله، وعظيم جهله ﴿**أوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ**﴾ السبع ﴿**والأرْضَ بقادِرٍ عَلى أنْ يَخْلُقَ**﴾ مثلكم، فإن خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والأرض. يقول: فمن لم يتعذّر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم، فكيف يتعذّر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمَّت وبَلِيَت؟ وقوله: ﴿**بلَى وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ**﴾ يقول: بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء، الفعَّال لما يريد، العليم بكلّ ما خلق ويخلق لا يخفى عليه خافية.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**إنَّمَا أمْرُهُ إذَا أرَادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ بقادِرٍ عَلى أنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ**﴾ قال: هذا مثل إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، قال: ليس من كلام العرب شيء هو أخفّ من ذلك، ولا أهون، فأمر الله كذلك.

وقوله: ﴿**فَسُبْحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: فتنزيه الذي بيده ملك كلّ شيء وخزائنه. وقوله: ﴿**وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ يقول: وإليه تردّون وتصيرون بعد مماتكم.

**آخر تفسير سورة يس**

# (٣٧) سورة الصافات مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ① فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ② فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ③﴾.

قال أبو جعفر: أقسم الله تعالى ذكره بالصَّافات، والزاجرات، والتاليات ذكراً فأما الصَّافات: فإنها الملائكة الصافات لربها في السماء وهي جمع صافَّة، فالصافات: جَمْعُ جَمْعٍ، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** سلْم بن جنادة، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، قال: كان مسروق يقول في الصَّافَّات: هي الملائكة.

**حدثنا** إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا شُعْبة، عن سليمان، قال: سمعت أبا الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، بمثله.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿والصَّافَّات صَفًّا﴾** قال: قسم أقسم الله بخلق، ثم خلق، ثم خلق، والصَّافات: الملائكة صُفوفاً في السماء.

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿والصَّافَّاتِ﴾** قال: هم الملائكة.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿والصَّافَّاتِ صَفًّا﴾** قال: هذا قسم أقسم الله به.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **﴿فالزَّاجِرَاتِ زَجْراً﴾** فقال بعضهم: هي الملائكة تزجُر السحاب تسوقه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**فالزَّاجِرَاتِ زَجْراً**﴾: قال: الملائكة.

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**فالزَّاجِرَاتِ زَجْراً**﴾ قال: هم الملائكة.

وقال آخرون: بل ذلك آي القرآن التي زجر الله بها عما زَجر بها عنه في القرآن.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فالزَّاجِرَاتِ زَجْراً**﴾ قال: ما زَجَر الله عنه في القرآن.

والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد، ومن قال هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره، ابتدأ القسم بنوع من الملائكة، وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعد قسماً بسائر أصنافهم أشبه.

وقوله: ﴿**فالتَّالِياتِ ذِكْراً**﴾ يقول: فالقارئات كتاباً.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بذلك، فقال بعضهم: هم الملائكة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فالتَّالِياتِ ذِكْراً**﴾ قال: الملائكة.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**فالتَّالِياتِ ذِكْراً**﴾ قال: هم الملائكة.

وقال آخرون: هو ما يُتلى في القرآن من أخبار الأمم قبلنا.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فالتَّاليات ذِكْراً**﴾ قال: ما يُتلى عليكم في القرآن من أخبار الناس والأمم قبلكم.

**القول في تاويل قوله تعالى﴾**

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا

ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ والصافات صفاً إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة، وإخلاص الطاعة منكم له لواحد لا ثاني له ولا شريك. يقول: فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالطاعة، ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكاً. وقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما﴾ يقول: هو واحد خالق السموات السبع وما بينهما من الخلق، ومالك ذلك كله، والقيِّم على جميع ذلك، يقول: فالعبادة لا تصلح إلا لمن هذه صفته، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه في عبادتكم إياه من لا يضرّ ولا ينفع، ولا يخلق شيئاً ولا يُفْنيه.

واختلف أهل العربية في وجه رفع ربّ السموات، فقال بعض نحويِّ البصرة: رُفع على معنى: إن إلهكم لربّ. وقال غيره: هو رَدّ على ﴿إن إلهكم لواحد﴾ ثم فَسَّر الواحد، فقال: ربّ السموات، وهو ردّ على واحد. وهذا القول عندي أشبه بالصواب في ذلك، لأن الخبر هو قوله: ﴿لَوَاحِدٌ﴾، وقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ ترجمة عنه، وبيان مردود على إعرابه.

وقوله: ﴿وَرَبُّ المَشارِقِ﴾ يقول: ومدبر مشارق الشمس في الشتاء والصيف ومغاربها، والقيِّم على ذلك ومصلحه وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه، واستغني بذكر المشارق من ذكرها، إذ كان معلوماً أن معها المغارب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ وقع القسم على هذا إن إلهكم لواحد ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما وَرَبُّ المَشارِقِ﴾ قال: مشارق الشمس في الشتاء والصيف.

**حدثني** محمد بن الحسين، قلا: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿رَبّ المَشارِقِ﴾ قال: المشارق ستون وثلاثُ مئة مَشْرِق، والمغارب مثلها، عدد أيام السنة.

وقوله: ﴿إنَّا زَيَّنا السَّماءَ الدُّنيا بزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة: «بزينةِ الكواكبِ» بإضافة الزينة إلى الكواكب، وخفض الكواكب ﴿إنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا﴾ التي تليكم أيها الناس وهي الدنيا إليكم

بتزيينها الكواكب: أي بأنّ زينتها الكواكب. وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفة: ﴿**بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ**﴾ بتنوين زينة، وخفض الكواكبَ ردّاً لها على الزينة، بمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بزينة هي الكواكب، كأنه قال: زيناها بالكواكب. ورُوِي عن بعض قرّاء الكوفة أنه كان ينوّن الزّينة وينصب الكواكبَ، بمعنى: إنا زيَّنا السماء الدنيا بتزييننا الكواكبَ. ولو كانت القراءة في الكواكب جاءت رفعاً إذا نونّت الزينة، لم يكن لحناً، وكان صواباً في العربية، وكان معناه: إنا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب: أي بأن زينتها الكواكب وذلك أن الزينة مصدر، فجائز توجيهها إلى أيِّ هذه الوجوه التي وُصِفت في العربية.

وأما القراءة فأعجبها إليّ بإضافة الزينة إلى الكواكب وخفض الكواكب لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية، وأنها قراءة أكثر قرّاء الأمصار، وإن كان التنوين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحاً أيضاً. فأما النصب في الكواكب والرفع، فلا أستجيز القراءة بهما، لإجماع الحجة من القرّاء على خلافهما، وإن كان لهما في الإعراب والمعنى وجه صحيح.

وقد اختلف أهل العربية في تأويل ذلك إذا أضيفت الزينة إلى الكواكب، فكان بعض نحويِّي البصرة يقول: إذا قرىء ذلك كذلك، فليس يعني بعضَها، ولكن زينتها حسنها وكان غيره يقول: معنى ذلك إذا قرىء كذلك: إنا زينا السماء الدنيا بأن زينتها الكواكب. وقد بيَّنا الصواب في ذلك عندنا.

وقوله: ﴿**وَحِفْظاً**﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿**وَحِفْظاً**﴾ للسماء الدنيا زيناها بزينة الكواكب.

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿**وَحِفْظاً**﴾ فقال بعض نحويي البصرة: قال وحفظاً، لأنه بدل من اللفظ بالفعل، كأنه قال، وحفظناها حفظاً. وقال بعض نحويي الكوفة: إنما هو من صلة التزيين أنا زينا السماء الدنيا حفظاً لها، فأدخل الواو على التكرير: أي وزيناها حفظاً لها، فجعله من التزيين وقد بيَّنا القول فيه عندنا. وتأويل الكلام: وحفظاً لها من كل شيطان عات خبيث زيناها، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَحِفْظاً**﴾ يقول: جعلتها حفظاً من كلّ شيطان مارد.

وقوله: ﴿**لا يَسَّمَّعُونَ إلى المَلإِ الأعْلَى**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**لا يَسَّمَّعُونَ**﴾، فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض الكوفيين: «لا يَسْمَعُونَ» بتخفيف السين من يسمعون، بمعنى أنهم يتسمَّعون ولا يسمعون. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين بعد ﴿**لا يَسَّمَّعون**﴾ بمعنى: لا يتسمعون، ثم أدغموا التاء في السين فشدّدوها.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف، لأن الأخبار الواردة عن

رسول الله ﷺ وعن أصحابه، أن الشياطين قد تتسمع الوحي، ولكنها تُرمَى بالشهب لئلا تسمع.
ذكر رواية بعض ذلك:

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: كانت للشياطين مَقاعد في السماء، قال: فكانوا يسمعون الوحي، قال: وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا تُرمَى، قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسعاً قال: فلما بُعِثَ رسول الله ﷺ جعل الشيطانُ إذا قعد مقعده جاء شهاب، فلم يُخْطه حتى يحرقه، قال: فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هو إلا لأمر حدث قال: فبعث جنوده، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي بين جبلي نخلة قال أبو كُرَيب، قال وكيع: يعني بطن نخلة، قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه، قال: فقال هذا الذي حدث.

**حدثنا** ابن وكيع وأحمد بن يحيى الصوفي قالا: ثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: كانت الجنّ يصعدون إلى السماء الدنيا يستمعون الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقاً، وأما ما زادوا فيكون باطلاً فلما بُعث النبيّ ﷺ مُنِعوا مقاعدَهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلا لأمر حدث في الأرض، فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا عبد الله بن رجاء، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانت الجنّ لهم مقاعد، ثم ذكر نحوه.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني الزهريّ، عن عليّ بن الحسين، عن أبي إسحاق، عن ابن عباس، قال: حدثني رهط من الأنصار، قالوا: بينا نحن جلوس ذات ليلة مع رسول الله ﷺ، إذ رأى كوكباً رُمي به، فقال: «ما تقولون في هذا الكوكب الذي يُرمَى به؟» فقلنا: يُولد مولود، أو يهلك هالك، ويموت ملك ويملك ملك، فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ كَذَلِكَ، ولكِنَّ اللّهَ كانَ إذَا قَضَى أَمْراً فِي السَّماءِ سَبَّحَ لِذَلِكَ حَمَلَةُ العَرْشِ، فَيُسَبِّحُ لِتَسْبِيحِهِمْ مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ تَحْتِهِمْ مِنَ المَلائِكَةِ، فَمَا يَزَالُونَ كذلكَ حتى يَنْتَهِيَ التَّسْبِيحُ إلى السَّماءِ الدُّنيا، فَيَقُولُ أَهْلُ السَّماءِ الدّنيْا لِمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ المَلائِكَةِ مِمَّ سَبَّحْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: ما نَدْرِي: سَمِعْنا مَنْ فَوْقَنا مِنَ المَلائِكَةِ سَبَّحُوا فَسَبَّحْنا اللّهَ لتَسْبِيحِهِمْ ولكِنَّا سَنَسألُ، فَيَسألُونَ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَمَا يَزَالُونَ كَذلكَ حتى يَنْتَهِيَ إلى حَمَلَةِ العَرْشِ، فَيَقُولُونَ: قَضَى اللّهُ كَذا وكَذَا، فَيُخْبِرُونَ بِهِ مَنْ يَلِيهِمْ حتى يَنْتَهُوا إلى السَّماءِ الدُّنيْا، فَتَسْتَرِقُ الجِنُّ ما يَقُولُونَ، فَيَنْزِلُونَ إلى

أَوْلِيائِهِمْ مِنَ الإنسِ فَيَلْقُونَهُ على أَلْسِنَتِهِمْ بِتَوَهُّم مِنْهُمْ، فَيُخْبِرُونَهُمْ بِهِ، فَيَكُونَ بَعْضُهُ حَقًّا وَبَعْضُهُ كَذِباً، فَلَمْ تَزَلِ الجِنّ كذلك حتى رُمُوا بِهذِهِ الشُّهُبِ».

**حدثنا** ابن وكيع وابن المثنى، قالا: ثنا عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهريّ، عن علي ابن حسين، عن ابن عباس، قال بينما النَّبِيُّ ﷺ في نفر من الأنصار، إذ رُمي بنجم فاستنار، فقال النبيّ ﷺ: «ما كُنْتُمْ تَقُولُونَ لِمِثْلِ هَذَا في الجاهِلِيَّةِ إذَا رأَيْتُمُوهُ؟» قالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم، قال رسول الله ﷺ: «فإنَّهُ لا يُرْمَى بِهِ لِمَوْتِ أحَدٍ وَلا لِحَياتِهِ، وَلَكِنَّ رَبَّنا تَبارَكَ اسْمُهُ إذَا قَضَى أمْراً سَبَّحَ حَمَلَةُ العَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أهْلُ السَّماءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حتى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أهْلَ هَذِهِ السَّماءِ ثُمَّ يَسألُ أهْلُ السَّماءِ السابعة حملَة العرش: مَاذا قال ربنا؟ فيخبرونهم، ثم يستخبر أهل كل سماء، حتى يبلغ الخبر أهل السَّماءِ الدُّنيا، وتَخْطِفُ الشَّياطِينُ السَّمْعَ، فَيرْمُونَ، فَيَقْذِفُونَهُ إلى أوْلِيائِهِم، فَمَا جاءُوا بِهِ على وَجْهِهِ فَهُوَ حَقّ، وَلَكِنَّهُمْ يَزِيدُونَ».

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: أخبرنا معمر، قال: ثنا ابن شهاب، عن عليّ بن حسين، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في نَفَرٍ من أصحابه، قال: فرُمي بنجم، ثم ذكر نحوه، إلا أنه زاد فيه: قلت للزهري: أكان يُرْمى بها في الجاهلية؟ قال: نعم، ولكنها غلظت حين بُعث النبيُّ ﷺ.

**حدثني** عليّ بن داود، قال: ثنا عاصم بن عليّ، قال: ثنا أبي عليّ بن عاصم، عن عطاء ابن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: كان للجنّ مقاعد في السَّماء يسمعون الوحي، وكان الوحي إذا أُوحِي سمعت الملائكة كهيئة الحديدة يُرْمى بها على الصَّفْوان، فإذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي خرّ لجباههم مَنْ في السماء من الملائكة، فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي ﴿**قالُوا ماذَا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**﴾ قال: فيتنادون، قال: ربكم الحقّ وهو العليّ الكبير قال: فإذا أنزل إلى السماء الدنيا، قالوا: يكون في الأرض كذا وكذا موتاً، وكذا وكذا حياة، وكذا وكذا جدوبة، وكذا وكذا خِصْباً، وما يريد أن يصنع، وما يريد أن يبتدىء تبارك وتعالى، فنزلت الجنّ، فأوحوا إلى أوليائهم من الإنس، مما يكون في الأرض، فبيناهم كذلك، إذ بعث الله النبيّ ﷺ، فزجرت الشياطين عن السماء ورَمَوهم بكواكب، فجعل لا يصعُد أحد منهم إلا احترق، وفزع أهل الأرض لِمَا رأوا في الكواكب، ولم يكن قبل ذلك، وقالوا: هلك مَنْ في السماء، وكان أهل الطائف أوّل من فزع، فينطلق الرجل إلى إبله، فينحَر كلّ يوم بعيراً لآلهتهم، وينطلق صاحب الغنم، فيذبح كلّ يوم شاة، وينطلق صاحب البقر، فيذبح كلّ يوم بقَرة، فقال لهم رجل: ويْلَكم لا تُهْلكوا أموالكم، فإن معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شيء، فأقلعوا وقد أسرعوا في أموالهم. وقال إبليس: حدث في الأرض حدث،

فأتى من كلّ أرض بتربة، فجعل لا يؤتي بتربة أرض إلا شمها، فلما أتى بتربة تهامة قال: ههنا حدث الحدث، وصرف الله إليه نفراً من الجنّ وهو يقرأ القرآن، فقالوا: ﴿**إنَّا سَمِعْنا قُرآناً عَجَباً**﴾ حتى ختم الآية، ﴿**فولّوا إلى قومهم منذرين**﴾.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن لهيعة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن عُروة، عن عائشة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ المَلائِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنان وَهُوَ السَّحابُ فَتَذْكُرُ ما قُضِيَ فِي السَّماءِ، فَتَسْتَرِقُ الشَّياطِينُ السَّمْعَ، فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إلى الكُهّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَها مِئَةَ كِذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِهِمْ».

فهذه الأخبار تُنبىء عن أن الشياطين تسمع، ولكنها تُرمى بالشهب لئلا تسمع. فإن ظنّ ظانّ أنه لما كان في الكلام «إلى»، كان التسمع أولى بالكلام من السمع، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّ، وذلك أن العرب تقول: سمعت فلاناً يقول كذا، وسمعت إلى فلان يقول كذا، وسمعت من فلان.

وتأويل الكلام: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب. وحفظاً من كلّ شيطان مارد أن لا يسَّمّع إلى الملإ الأعلى، فحذفت «إن» اكتفاء بدلالة الكلام عليها، كما قيل: كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به بمعنى: أن لا يؤمنوا به ولو كان مكان «لا» أن، لكان فصيحاً، كما قيل: ﴿**يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا**﴾ بمعنى: أن لا تضلوا، وكما قال: ﴿**وألْقَى فِي الأرْضِ رَواسِيَ أنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ بمعنى: أن لا تميد بكم. والعرب قد تجزم مع «لا» في مثل هذا الموضع من الكلام، فتقول: ربطت الفرس لا يَنْفَلِتْ، كما قال بعض بني عُقَيل:

وَحتى رأَيْنا أحْسَنَ الوُدّ بَيْنَنا مُساكَنَةً لا يَقْرِفِ الشَّرُّ قارِفُ[(١)]

ويُروى: لا يقرف رفعاً، والرفع لغة أهل الحجاز فيما قيل: وقال قتادة في ذلك ما:

**حدثني** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لا يَسَّمَّعُونَ إلى المَلإِ**

(١) البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (مصورة الجامعة ص ـ ٢٧١) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿لا يسمعون﴾ قرأها عبد الله بالتشديد على معنى «لا يتسمعون» وكذلك قرأها ابن عباس، وقال: يسمعون ولا يتسمعون. قال الفراء: ومعنى «لا» كقوله «كذلك سلكناه في قلوب المجرمين. لا يؤمنون به»، لو كان في موضع «لا» «أن» صلح ذلك، كما قال: «يبين الله لكم أن تضلوا». وكما قال: «وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم». ويصلح في «لا» على هذا المعنى الجزم. العرب تقول: ربطت الفرس لا ينفلت، وأوثقت عبدي لا يفرر. وأنشد بعض بني عقيل:

«وحتى رأينا.......

البيت» وبعضهم يقول: لا يقرف الشر (برفع الفعل) قال: والرفع لغة أهل الحجاز، وبذلك جاء القرآن ا هـ.

**الأَعْلَى﴾** قال: منعوها. ويعني بقوله: **﴿إلى المَلإِ﴾**: إلى جماعة الملائكة التي هم أعلى ممن هم دونهم.

وقوله: **﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ دُحُوراً﴾** ويُرْمَوْن من كلّ جانب من جوانب السماء دُحُوراً والدحور: مصدر من قولك: دَحَرْته أدحَرُه دَحْراً ودُحوراً، والدَّحْر: الدفع والإبعاد، يقال منه: ادْحَرْ عنك الشيطان: أي ادفعه عنك وأبعده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ دُحُوراً﴾** قذفاً بالشهب.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَيُقْذَفُونَ﴾** يُرمَوْن **﴿مِنْ كُلِّ جانِبٍ﴾** قال: من كلّ مكان. وقوله: **﴿دُحُوراً﴾** قال: مطرودين.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانِبٍ دُحُوراً﴾** قال: الشياطين يدحرون بها عن الاستماع، وقرأ وقال: **﴿إلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ﴾**.

وقوله: **﴿ولَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾** يقول تعالى ذكره: ولهذه الشياطين المسترِقة السمع عذاب من الله واصب.

واختلف أهل التأويل في معنى الواصب، فقال بعضهم: معناه: الموجع.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾** قال: موجع.

**وحدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾** قال: الموجع.

وقال آخرون: بل معناه: الدائم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾**: أي دائم.

**حدثنا** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا

الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ قال: دائم.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ يقول: لهم عذاب دائم.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عمن ذكره، عن عكرمة ﴿ولَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ قال: دائم.

**حدثنا** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ قال: الواصب: الدائب.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: دائم خالص، وذلك أن الله قال ﴿وَلَهُ الدّين وَاصِباً﴾ فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلام والإيجاع، وإنما وصفه بالثبات والخلوص ومنه قول أبي الأسود الدؤلي:

لا أشْتَرِي الحَمْدَ القَلِيلَ بَقاؤُهُ   يَوْماً بِذَمّ الدَّهْر أجمَعَ وَاصِبا[1]

أي دائماً.

وقوله: ﴿إلاَّ مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ﴾ يقول: إلا من استرق السمع منهم ﴿فأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ﴾ يعني: مضيء متوقد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ﴾ من نار وثقوبه: ضوؤه.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿شِهابٌ ثاقِبٌ﴾ قال: شهاب مضيء يحرقه حين يُرْمى به.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (مصورة الجامعة ص ـ ٢٠٨ ـ أ) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿عذاب واصب﴾: دائم قال أبو الأسود الدؤلي:
لا أشـــتـــري الـــحـــمـــد. . . . . .»
البيت. ا هـ وفي «**معاني القرآن**» للفراء (مصورة الجامعة ٢٧١) وقوله «عذاب واصب» «وله الدين واصبا» دائم خالص ا هـ.

ابن عباس، قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ﴾ قال: كان ابن عباس يقول: لا يقتلون الشهاب، ولا يموتون، ولكنها تحرقهم من غير قتل، وتُخَبِّل وتُخْدِج من غير قتل.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثاقِبٌ﴾ قال: والثاقب: المستوقد قال: والرجل يقول: أَثْقِب نارك، ويقول: استثقِب نارك، استوقد نارك.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد الله، قال: سُئل الضحاك، هل للشياطين أجنحة؟ فقال: كيف يطيرون إلى السماء إلا ولهم أجنحة.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاستفت يا محمد هؤلا المشركين الذي يُنكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء: يقول: فسَلْهم: أهم أشدّ خلقاً؟ يقول: أخلقُهم أشدّ؟ أم يخلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض؟.

وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله بن مسعود: «أهُمْ أشَدُّ خَلْقاً أمْ مَنْ عَدَدْنا»؟. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أهُمْ أشَدُّ خَلْقاً أمْ مَنْ خَلَقْنا﴾؟ قال: السموات والأرض والجبال.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك أنه قرأ: «أهُمْ أشَدُّ خَلْقاً أمْ مَنْ عَدَدْنا»؟. وفي قراءة عبد الله بن مسعود «عَدَدْنا» يقول: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما وَرَبُّ المَشارِقِ﴾ يقول: أهم أشدّ خلقاً، أم السموات والأرض؟ يقول: السموات والأرض أشدّ خلقاً منهم.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة «فاسْتَفْتِهِمْ أهُمْ أشَدُّ خَلْقاً أمْ مَنْ عَدَدْنا» من خَلْق السموات والأرض، قال الله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ أكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ...﴾ الآية.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فاستَفْتِهِمْ أهُمْ أشَدُّ خَلْقاً﴾ قال يعني المشركين، سلهم أهم أشدّ خلقاً ﴿أمْ مَنْ خَلَقْنا﴾.

وقوله: ﴿إنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ يقول: إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جلّ ثناؤه باللُّزوب، لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خَلْق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء والتراب إذا خُلط بماء صار طيناً لازباً، والعرب تُبدل أحياناً هذه الباء ميماً، فتقول: طين لازم ومنه قول النجاشي الحارثي:

بَنَى الـلُّـؤْمُ بَـيْـتـاً فـاسْـتَـقَـرَّتْ عِـمـادُهُ ... عـلـيـكُـمْ بَـنِـي الـنَّـجَّـارِ ضَـرْبَـةَ لازِمِ[١]

ومن اللازب قول نابغة بني ذُبيان:

وَلا يَـحْـسِـبُـونَ الـخَـيْـرَ لا شَـرَّ بَـعْـدَهُ ... وَلا يَـحْـسَـبُـونَ الـشَّـرَّ ضَـرْبَـةَ لازِبِ[٢]

وربما أبدلوا الزاي التي في اللازب تاء، فيقولون: طين لاتب، وذُكر أن ذلك في قَيس زعم الفراء أن أبا الجرّاح أنشده:

صُـدَاعٌ وَتَـوْصِـيـمُ الـعِـظَـامِ وَفَـتْـرَةٌ ... وَغَثْيٌ معَ الإشْراقِ في الجوْفِ لاتِبَ[٣]

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٨ ـ أ) قال في قوله تعالى: ﴿من طين لازب﴾ مجازه مجاز لازم». قال النجاشي:

«بـنـى الـلـؤم....

البيت» ا هـ.

(٢) وهذا البيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٨ ـ أ). وهو كالشاهد الذي قبله على أن معنى اللازب اللازم. قال نابغة بني ذبيان:

«ولا يـحـسـبـون الـخـيـر....

البيت» ا هـ.

(٣) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (مصورة الجامعة ص ـ ٢٧١) قال اللازب اللاصق. قال: وقيس تقول: «طين. لاتب» أنشدني بعضهم:

صـداع وتـوصـيـم.....

البيت. قال: والعرب تقول: ليس هذا بضربة لازب، ولازم؛ يبدلون الباء ميماً لتقارب المخرج ا هـ. فإن يك هذا من نبيذ شربته فإني من شرب النبيذ لتائب وفي «اللسان» «لتب» اللاتب الثابت، تقول منه: لتب يلتب (بوزن يقتل) لتبا ولتوباً، وأنشد أبو الجراح:

صـداع وتـوصـيـم....... ...........

البيت.

وفي اللسان عن الفراء في قوله تعالى: ﴿من طين لازب﴾ قال: اللازب واللاتب واحد. قال: وقيس تقول: طين لاتب. واللاتب: اللازق، مثل اللازب. وهذا الشيء ضربة لاتب كضربة لازم ا هـ.

بمعنى: لازم، والفعل من لازب: لَزِبَ يَلْزُب، لزباً ولُزوباً[1]، وكذلك من لاتب: لَتَبَ يَلْتُب لُتُوباً. وبنحو الذي قلنا في معنى ﴿لازِبٍ﴾ قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عبيد الله بن يوسف الجُبَيري، قال: ثنا محمد بن كثير، قال: ثنا مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: ﴿مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ قال: هو الطين الحرّ الجيد اللزج.

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن، قالا: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: اللازب: الجيد.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمارة، عن أبي رَوْق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: اللازب: اللَّزِج، الطيب.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ يقول: ملتصق.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ قال: من التراب والماء فيصير طيناً يَلْزَق.

**حدثنا** هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ قال: اللازب: اللَّزِج.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبيد بن سليمان، عن الضحاك ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ واللازب: الطين الجيد.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال الله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ واللازب: الذي يَلْزَق باليد.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ قال: لازم.

---

(١) في الأصل: ويلزب. وهو تحريف عما أثبتناه. لتصريحهم بأن الفعل من باب نفد. وأن المصدر لزبا ولزوبا انظر «اللسان» و «المصباح» لزب. وضبط في «التاج» ككرم.

**حدثنا** عمرو بن عبد الحميد الآمُلي، قال: ثنا مروان بن معاوية، قال: ثنا جُوَيبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿**مِن طِينٍ لازِبٍ**﴾ قال: هو اللازق.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ**﴾ قال: اللازب: الذي يلتصق كأنه غِراء، ذلك اللازب.

قوله: ﴿**بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة: «بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ» بضم التاء من عجبت، بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة ﴿**بَلْ عَجِبْتَ**﴾ بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارىء بهما مع اختلاف معنييهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكلّ واحد من معنييه صحيح، قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وَسخِر المشركون بما قالوه.

فإن قال: أكان التنزيل بإحداهما أو بكلتيهما؟ قيل: التنزيل بكلتيهما، فإن قال: وكيف يكون تنزيل حرف مرّتين؟ قيل: إنه لم ينزل مرّتين، إنما أنزل مرّة، ولكنه أمر ﷺ أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما، ولهذا مَوضع سنستقصي إن شاء الله فيه البيان عنه بما فيه الكفاية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ**﴾ قال: عجب محمد عليه الصلاة والسلام من هذا القرآن حين أُعطيه، وسخر منه أهل الضلالة.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا ذُكّر هؤلاء المشركون حُجَجَ الله عليهم ليعتبروا ويتفكروا، فينيبوا إلى طاعة الله ﴿**لا يذكرون**﴾: يقول: لا ينتفعون بالتذكير فيتذكروا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ**﴾: أي لا ينتفعون ولا يُبصرون.

وقوله: ﴿**وَإذَا رأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ**﴾ يقول: وإذا رأوا حُجَّة من حجج الله عليهم، ودلالة على نبوّة نبيه محمد ﷺ يستسخرون: يقول: يسخرون ويستهزئون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ**﴾: يسخرون منها ويستهزئون.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَإذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ**﴾ قال: يستهزِئون، يَسْخَرون.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون من قُرَيش بالله لمحمد ﷺ: ما هذا الذي جئتنا به إلاّ سحرٌ مبين. يقول: يبين لمن تأمله ورآه أنه سحر ﴿**أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾ يقولون، منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم: أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا، ومصيرنا تراباً وعظاماً، قد ذهب عنها اللحوم ﴿**أوَ آباؤُنا الاوَّلُونَ**﴾ الذين مضوا من قبلنا، فبادوا وهلكوا؟ يقول الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء: نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم تراباً وعظاماً أحياء كما كنتم قبل مماتكم، وأنتم داخرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أو آباؤُنا الأوَّلُونَ**﴾ تكذيباً بالبعث ﴿**قُلْ نَعَمْ وأنْتُمْ داخِرُونَ**﴾.

وقوله: ﴿**وأنْتُم داخِرُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: وأنتم صاغرون أشدّ الصَّغَر من قولهم: صاغر داخر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأَنْتُمْ داخِرُونَ**﴾: أي صاغرون.

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وأنْتم دَاخِرُونَ**﴾ قال: صاغرون.

وقوله: ﴿**فإنَّما هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فإذَا هُمْ يَنْظُرُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: فإنما هي صيحة واحدة، وذلك هو النفخ في الصور ﴿**فإذَا هُمْ يَنْظُرُونَ**﴾ يقول: فإذا هم شاخصة أبصارهم ينظرون إلى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه، كما:

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ**﴾ قال: هي النفخة.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون المكذّبون إذا زجرت زجرة واحدة، ونُفخ في الصور نفخة واحدة: ﴿**يَا وَيلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ**﴾ يقولون: هذا يوم الجزاء والمحاسبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**هَذَا يَوْمَ الدّينِ**﴾ قال: يدين الله فيه العباد بأعمالهم.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**هَذَا يَوْمُ الدّينِ**﴾ قال: يوم الحساب.

وقوله: ﴿**هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه الذي كنتم به تكذّبون في الدنيا فتنكرونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذّبُونَ**﴾ يعني: يوم القيامة.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ قال: يوم يُقضى بين أهل الجنة وأهل النار.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)﴾.

وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة ما ذُكر عما ترك، وهو: فيقال: احشروا الذين ظلموا، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأزْواجَهُمْ﴾ قال: ضُرَباءهم.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ﴾ يقول: نظراءهم.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ﴾ يعني: أتباعهم، ومن أشبههم من الظلمة.

**حدثنا** محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن داود، قال: سألت أبا العالية، عن قول الله: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ قال: الذين ظلموا وأشياعهم.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن أبي العالية، أنه قال في هذه الآية ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ﴾ قال: وأشياعهم.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا داود، عن أبي العالية مثله.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ﴾: أي وأشياعهم الكفار مع الكفار.

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدّيّ، في قوله: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ**﴾ قال: وأشباههم.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ**﴾ قال: أزواجهم في الأعمال، وقرأ: ﴿**وكُنْتُمْ أزْوَاجاً ثَلاثَةً فَأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ وأصحَابُ المَشْأَمَةِ ما أصحَابُ المَشْأمةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾ فالسابقون زوج وأصحاب الميمنة زوج، وأصحاب الشمال زوج، قال: كلّ من كان من هذا حشره الله معه. وقرأ: ﴿**وَإذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**﴾ قال: زوّجت على الأعمال، لكل واحد من هؤلاء زوج، زوّج الله بعض هؤلاء بعضاً زوّج أصحاب اليمين أصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة أصحابَ المشأمة، والسابقين السابقين، قال: فهذا قوله: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأزْوَاجَهُمْ**﴾قال: أزواج الأعمال التي زوّجهن الله.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وأزْوَاجَهُمْ**﴾ قال: أمثالهم.

وقوله: ﴿**وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فاهْدُوهُمْ إلى صِراطِ الجَحِيمِ**﴾ يقول تعالى ذكره: احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فوجّهوهم إلى طريق الجحيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ**﴾ الأصنام.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فاهدوهمْ إلى صِراطِ الجَحِيمِ**﴾ يقول: وجّهوهم، وقيل: إن الجحيم الباب الرابع من أبواب النار.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَقِفُوهُمْ**﴾: احبسوهم: أي احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين

الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ فاختلف أهل التأويل في المعنى الذي يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألتهم عنه، فقال بعضهم: يسألهم هل يعجبهم ورود النار.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: ثنا أبو الزعراء، قال: كنا عند عبد الله، فذكر قصة، ثم قال: يتمثل الله للخلق فيلقاهم، فليس أحد من الخلق كان يعبد مِن دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه قال: فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد عُزَيراً، قال: فيقول: هل يسرّكم الماء؟ فيقولون: نعم، فيريهم جهنم وهي كهيئة السَّراب، ثم قرأ: ﴿وَعَرَضْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ عَرْضاً﴾ قال: ثم يلقى النصارَى فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: المسيح، فيقول: هل يسرّكم الماء؟ فيقولون: نعم، فيريهم جهنم، وهي كهيئة السراب، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً، ثم قرأ عبد الله ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾.

وقال آخرون: بل ذلك للسؤال عن أعمالهم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا معتمر، عن ليث، عن رجل، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَيُّمَا رَجُلٍ دَعا رَجُلاً إلى شَيْءٍ كانَ مَوْقُوفاً لازِماً بِهِ، لا يُغادِرُهُ، وَلا يُفارِقُهُ» ثُمَّ قَرأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَسْئُولُونَ﴾.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم إنهم مسئلون عما كانوا يعبدون من دون الله.

وقوله: ﴿مالَكُمْ لا تَناصَرُونَ﴾ يقول: مالكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضاً ﴿بَلْ هُمُ اليَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ يقول: بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه، موقنون بعذابه، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ما لَكُمْ لا تَناصَرُونَ﴾ لا والله لا يتناصرون، ولا يدفع بعضهم عن بعض ﴿بَلْ هُمُ اليَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ في عذاب الله.

وقوله: ﴿وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ قيل: معنى ذلك: وأقبل الإنس على الجنّ يتساءلون.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وأقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ**﴾ الإنسُ على الجنّ.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ۝٣٠﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت الإنس للجنّ: إنكم أيها الجنّ كنتم تأتوننا من قِبَل الدين والحقّ فتخدعوننا بأقوى الوجوه واليمين: القوّة والقدرة في كلام العرب ومنه قول الشاعر:

إذَا مــا رَايَــةٌ رُفِـعَـتْ لِـمَـجْـدٍ تَـلَـقَّـاها عَـرَابَـةُ بِـالْـيَـمِـيـنِ[1]

يعني: بالقوّة والقدرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**تَأْتونَنا عَنِ اليَمِينِ**﴾ قال: عن الحقّ، الكفار تقوله للشياطين.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**قالُوا إنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتونَنا عَنِ اليَمِينِ**﴾ قال: قالت الإنس للجنّ: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: من قبل الخير، فتنهوننا عنه، وتبطّئوننا عنه.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ،

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (مصورة الجامعة الورقة ٢٧٢) قال في قوله تعالى: ﴿كنتم تأتوننا عن اليمين﴾: يقول: كنتم تأتوننا من قبل الدين، أي تأتوننا تخدعوننا بأقوى الوجوه. واليمين أي بالقوة والقدرة. قلت: والبيت للشماخ يمدح عرابة الأوسي. وقبله:

رأيــتُ عَــرَابَــةَ الأوْسِــيَّ يَـسْـمُـو إلـى الـخَـيْـرَاتِ مُـنْـقَـطِـعَ الـقَـرِيـنِ

انظر «**اللسان**» يمن. وفسره كما فسره الفراء، وعرابة الأوسي: هو ابن أوس بن قيظي قيل: هو الذي قال لرسول الله ﷺ: في غزوة الخندق: «إن بيوتنا عورة». قال السهيلي في «**الروض الأنف**» (٢/ ١٩٠) وكان عرابة الأوسي سيدا، ولا صحبة له، وقد قيل له صحبة، وذكرناه فيمن استصغر يوم أحد، وهو الذي يقول فيه الشماخ:

«إذا ما راية رفعت لمجد...... البيت»

في قوله: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ اليَمِينِ﴾ قال: تأتوننا من قبل الحقّ تزينون لنا الباطل، وتصدّوننا عن الحقّ.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ اليَمِينِ﴾ قال: قال بنو آدم للشياطين الذين كفروا: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان، والعمل بالخير الذي أمر الله به.

وقوله: ﴿قالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت الجنّ للإنس مجيبة لهم: بل لم تكونوا بتوحيد الله مُقِرّين، وكنتم للأصنام عابدين ﴿وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ﴾ يقول: قالوا: وما كان لنا عليكم من حُجَّة، فنصدَّكم بها عن الإيمان، ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحقّ ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طاغِينَ﴾ يقول: قالوا لهم: بل كنتم أيها المشركون قوماً طاغين على الله، متعدّين إلى ما ليس لكم التعدّي إليه من معصية الله وخلاف أمره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قالت لهم الجنّ: ﴿بَلْ لَمْ تَكونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حتى بلغ ﴿قَوْماً طاغِينَ﴾.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿وَما كانَ لَنا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ﴾ قال: الحجة... وفي قوله: ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طاغِينَ﴾ قال: كفّار ضُلاَّل.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (٣٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: فحقّ علينا قول ربنا، فوجب علينا عذاب ربنا، إنا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدّمنا من ذنوبنا ومعصيتنا في الدنيا فهذا خبر من الله عن قيل الجنّ والإنس، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَحَقَّ عَلَيْنا قَوْلُ رَبِّنا﴾... الآية، قال: هذا قول الجنّ.

وقوله: ﴿فأَغْوَيْناكُمْ إنَّا كُنَّا غاوِينَ﴾ يقول: فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به إنا كنا ضالين وهذا أيضاً خبر من الله عن قيل الجنّ والإنس، قال الله: ﴿فإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي العَذَابِ

**مُشْتَرِكُونَ﴾** يقول: فإن الإنس الذين كفروا بالله وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله، والَّذين أَغْوَوا الإنس من الجنّ يوم القيامة في العذاب مشتركون جميعاً في النار، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿فإنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾** قال: هم والشياطين.

**﴿إنَّا كذلكَ نَفْعَلُ بالمُجْرِمِينَ﴾** يقول تعالى ذكره: إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصيَ الله في الدنيا على طاعته، والكفر به على الإيمان، فنذيقهم العذاب الأليم، ونجمع بينهم وبين قرنائهم في النار.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: قولوا **﴿لا إلَه إلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾** يقول: يتعظَّمون عن قِيل ذلك ويتكبرون وترك من الكلام قولوا، اكتفاء بدلالة الكلام عليه من ذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿إذَا قِيلَ لَهُمْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾** قال: يعني المشركين خاصّة.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إنَّهُمْ كانُوا إذَا قِيلَ لَهُمْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾** قال: قال عمر بن الخطاب: احْضُروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا الله، فإنهم يرون ويسمعون.

وقوله: **﴿وَيَقُولُونَ أئِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾** يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون من قريش: أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون؟ يقول: لاتّباع شاعر مجنون، يعنون بذلك نبّي الله ﷺ، ونقول: لا إله إلا الله، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَيَقُولُونَ آئِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾** يعنون محمداً ﷺ.

وقوله: ﴿بَلْ جاءَ بالحَقّ﴾ وهذا خبر من الله مكذّباً للمشركين الذين قالوا للنبيّ ﷺ: شاعر مجنون، كذبوا، ما محمد كما وصفوه به من أنه شاعر مجنون، بل هو الله نبيّ جاء بالحقّ من عنده، وهو القرآن الذي أنزله عليه، وصدّق المرسلين الذين كانوا من قبله. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿بَلْ جاءَ بالحَقّ﴾ بالقرآن ﴿وَصَدّقَ المُرْسَلِينَ﴾: أي صدّق من كان قبله من المرسلين.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة، القائلين لمحمد: شاعر مجنون ﴿إنَّكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿لَذائِقُوا العَذَابِ الأليمِ﴾ الموجع في الآخرة ﴿وَما تُجْزَوْنَ﴾ يقول: وما تُثابون في الآخرة إذا ذقتم العذاب الأليم فيها ﴿إلاَّ﴾ ثواب ﴿ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا، معاصِيَ الله. وقوله: ﴿إلاَّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ﴾ يقول: إلا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته، وكتب لهم السعادة في أمّ الكتاب، فإنهم لا يذوقون العذاب، لأنهم أهل طاعة الله، وأهل الإيمان به.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إلاَّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ﴾ قال: هذه ثُنِية الله.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ يقول: هؤلاء هم عباد الله المخلَصون لهم رزق معلوم وذلك الرزق المعلوم: هو الفواكه التي خلقها الله لهم في الجنة، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ في الجنة.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ قال: في الجنة.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

قوله ﴿فَوَاكِهُ﴾ ردّاً على الرزق المعلوم تفسيراً له، ولذلك رفعت. وقوله: ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ يقول: وهم مع الذي لهم من الرزق المعلوم في الجنة، مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم الله بها ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ يعني: في بساتين النعيم ﴿على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾ يعني: أن بعضهم يقابل بعضاً، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض. وقوله: ﴿يُطافُ عَلَيْهِمْ بكأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يُطافُ عَلَيْهِمْ بكأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ قال: كأس من خمر جارية، والمعين: هي الجارية.

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك بن مزاحم، في قوله: ﴿بكأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ قال: كلّ كأس في القرآن فهو خمر.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الله بن داود، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك بن مزاحم، قال: كل كأس في القرآن فهو خمر.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿بكأْسٍ مِن مَعِينٍ﴾ قال: الخمر. والكأس عند العرب: كلّ إناء فيه شراب، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأساً، ولكنه يكون إناء.

وقوله: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ للشَّارِبِينَ﴾ يعني بالبيضاء: الكأس، ولتأنيث الكأس أنثت البيضاء، ولم يقل أبيض، وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «صفراء».

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿بَيْضَاءَ﴾ قال السديّ: في قراءة عبد الله: «صفراء».

وقوله: ﴿لَذَّةٍ للشَّارِبِينَ﴾ يقول: هذه الخمر لذّة يلتذّها شاربوها.

وقوله: ﴿لا فِيها غَوْلٌ﴾ يقول: لا في هذه الخمر غَوْل، وهو أن تغتال عقولهم يقول: لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربيها، كما تذهب بها خمور أهل الدنيا إذا شربوها فأكثروا منها، كما قال الشاعر:

وَمَا زَالَتِ الكَأْسُ تَغْتَالُنَا وَتَذْهَبُ بِالأَوَّلِ الأَوَّلِ[١]

والعرب تقول: ليس فيها غيلة وغائلة وغَوْل بمعنى واحد ورفع غَوْل ولم ينصب بلا لدخول حرف الصفة بينها وبين الغول، وكذلك تفعل العرب في التبرئة إذا حالت بين لا والاسم بحرف من حروف الصفات رفعوا الاسم ولم ينصبوه، وقد يحتمل قوله: ﴿**لا فِيها غَوْلٌ**﴾ أن يكون معنياً به: ليس فيها ما يؤذيهم من مكروه، وذلك أن العرب تقول للرجل يصاب بأمر مكروه، أو يُنال بداهية عظيمة: غالَ فلاناً غُولٌ. وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: ليس فيها صُداع.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**لا فِيها غَوْلٌ**﴾ يقول: ليس فيها صُداع.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ليس فيها أذًى فتشكَّى منه بطونهم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**لا فِيها غَوْلٌ**﴾ قال: هي الخمر ليس فيها وجع بطن.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿**لا فِيها غَوْلٌ**﴾ قال: وجع بطن.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**لا فِيها غَوْلٌ**﴾ قال: الغول ما يوجع البطون، وشارب الخمر ههنا يشتكي بطنه.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لا فِيها غَوْلٌ**﴾ يقول: ليس فيها وجع بطن، ولا صُداع رأس.

وقال آخرون: معنى ذلك: أنها لا تغول عقولهم.

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ ـ أ) قال: «لا فيها غول» مجازه: ليس فيه غول. والغول: أن تغتال عقولهم. قال الشاعر:

«وما زالت الكأس......

البيت». وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (مصورة الجامعة ص ـ ٢٧٢) وقوله: «لا فيها غول»: لو قلت: لا غول فيها، كان رفعاً ونصباً (أي كانت «لا» عاملة عمل ليس أو عمل إن). قال فإذا حلت بين الغول بلام أو بغيرها من الصفات (حروف الجر) لم يكن إلا بالرفع والغول: يقول ليس فيها غيلة، وغائلة وغول ا هـ. وأنشد البيت في «**اللسان**» غول عن أبي عبيدة، وفيه، «الخمر» في موضع: «الكأس» ا هـ.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**لا فِيها غَوْلٌ**﴾ قال: لا تغتال عقولهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ليس فيها أذًى ولا مكروه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حُدثت** عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن إسرائيل، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿**لا فِيها غَوْلٌ**﴾ قال: أذًى ولا مكروه.

**حدثنا** محمد بن سنان القزّاز، قال: ثنا عبد الله بن بزيعة، قال: أخبرنا إسرائيل، عن سالم، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿**لا فِيها غَوْلٌ**﴾ قال: ليس فيها أذًى ولا مكروه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ليس فيها إثم.

ولكلّ هذه الأقوال التي ذكرناها وجه، وذلك أن الغَوْل في كلام العرب: هو ما غال الإنسان فذهب به، فكلّ من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل، فقالوا: غالت فلاناً غول، فالذاهب العقل من شرب الشراب، والمشتكي البطن منه، والمصدّع الرأس من ذلك، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غُول.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غَوْل، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جلّ ثناؤه ﴿**لا فِيها غَوْلٌ**﴾ فيعمّ بنفي كلّ معاني الغَوْل عنه، وأعمّ ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل، ولا غير ذلك.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله ﴿**وَلا هُمْ عَنها يُنْزَفُونَ**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة ﴿**يُنْزَفُونَ**﴾ بفتح الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها تُنْزَف عقولهم. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «وَلا هُمْ عَنْها يُنْزِفُونَ» بكسر الزاي، بمعنى: ولا هم عن شربها يَنْفَد شرابهم.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى غير مختلفتيه، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب وذلك أن أهل الجنة لا ينفد شرابهم، ولا يُسكرهم شربهم إياه، فيُذهِب عقولَهم.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: لا تذهب عقولهم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس **﴿وَلا هُمْ عَنها يُنْزَفُونَ﴾** يقول: لا تذهب عقولهم.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿وَلا هُمْ عَنها يُنْزَفُونَ﴾** قال: لا تُنْزَف فتذهب عقولهم.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَلا هُمْ عَنها يُنْزَفُونَ﴾** قال: لا تذهب عقولهم.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿وَلا هُمْ عَنها يُنْزَفُونَ﴾** قال: لا تُنْزَف عقولهم.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَلا هُمْ عَنها يُنْزَفُونَ﴾** قال: لا تُنْزِف العقول.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَلا هُمْ عَنها يُنْزَفُونَ﴾** قال: لا تغلبهم على عقولهم.

وهذا التأويل الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه لم تفصِّل لنا رَواته القراءة الذي هذا تأويلها، وقد يحتمل أن يكون ذلك تأويل قراءة من قرأها يَنْزِفُونَ ويُنْزَفُون كلتيهما، وذلك أن العرب تقول: قد نُزِف الرجل فهو منزوف: إذا ذهب عقله من السكر، وأَنْزَف فهو مُنْزِف، محكية عنهم اللغتان كلتاهما في ذهاب العقل من السكر وأما إذا فَنِيت خمر القوم فإني لم أسمع فيه إلا أنزَفَ القومُ بالألف، ومن الإنزاف بمعنى: ذهاب العقل من السكر، قول الأُبَيرد:

لَعَمْرِي لَئِنْ أنْزَفْتُمُوا أوْ صَحَوْتُمُ ... لبِئْسَ النَّدامَى كُنْتُمُ آلَ أبْجَرَا[1]

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ ـ ١) قال في «ولا هم عنها ينزفون» تقول العرب لا تقطع عنه وتنزف سكراً. وقال الأبيرد الرياحي من بني عجل:

«لـــــعـــــمـــــري......

البيت» قال: «آل أبجر»: آل أبجر من عجل. وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (مصورة الجامعة ص ـ ٢٧٢)؛ وقوله «ولا هم عنها ينزفون» وينزفون (مبينا للمجهول وللمعلوم) وأصحاب عبد الله يقرءون: ينزفون، وله معنيان يقال: قد أنزف الرجل: إذا فنيت خمره، إذا ذهب عقله. فهذان وجهان. ومن قال: ينزفون يقول: لا تذهب عقولهم وهو منزوف. وفي «**اللسان**»: نزف وفي التنزيل: ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾: أي لا يسكرون. وأنشد الجوهري للأبيرد:

=

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وعند هؤلاء المخلَصين من عباد الله في الجنة قاصرات الطرف، وهنّ النساء اللواتي قَصَرْن أطرافهنّ على بُعولتهنّ، لا يُرِدْن غيرهم، ولا يَمْدُدْن أبصارهنّ إلى غيرهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علّي، عن ابن عباس ﴿**وَعِنْدَهُمْ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ**﴾ يقول: عن غير أزواجهنّ.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ عِينٌ**﴾ قال: على أزواجهن زاد الحارث في حديثه: لا تبغي غيرهم.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَعِنْدَهُمْ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ**﴾ قال: قَصَرْن أبصارهنّ وقلوبهنّ على أزواجهن، فلا يُردن غيرهم.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ذُكر أيضاً عن منصور، عن مجاهد، مثله.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَعِنْدَهُمْ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ**﴾ قال: قَصَرْن طرفهنّ على أزواجهنّ، فلا يُرِدْن غيرهم.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله ﴿**قاصِراتُ**

---

= لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ    لَبِئْسَ النَّدامَى كُنْتُمُ آلَ أَبْجَرَا
شَرِبْتُم ومَدَرْتُم وكان أَبُوكُمُ    كَذا كُمْ إذا ما يَشْرَبُ الكأسَ مَدَرًا

قال ابن بري: هو أبجر بن جابر العجلي، وكان نصرانياً. قال: وقوم يجعلون المنزف مثل المنزوف، الذي قد نزف دمه. وقال اللحياني: نزف الرجل، فهو منزوف ونزيف سكر، فذهب عقله ا هـ. وقول الأبيرد «شربتم ومدرتم» لعله يريد: سلحتم على أنفسكم لذهاب عقولكم، من قولهم: مدرت الضبع: إذا سلحت وانظر «اللسان» مدر.

**الطَّرْفِ﴾** قال: لا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ، قد قَصَرْن أطرافهنّ على أزواجهنّ، ليس كما يكون نساء أهل الدنيا.

وقوله: ﴿**عِينٌ**﴾ يعني بالعِين: النُّجْلَ العيون عِظامها، وهي جمع عيناء، والعيناء: المرأة الواسعة العين عظيمتها، وهي أحسن ما تكون من العيون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**عِينٌ**﴾ قال: عظام الأعين.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**عِينٌ**﴾ قال: العَيناء: العظيمة العين.

**حدثنا** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا محمد بن الفرج الصَّدَفي الدِّمْياطيّ، عن عمرو بن هاشم، عن ابن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن أبيه، عن أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ أنها قالت: قلت: يا رسول الله أخبرني عن قول الله: ﴿**حُورٌ عِينٌ**﴾ قال: «العِينُ: الضِّخامُ العُيُونِ شُفْرُ الحَوْرَاءِ بِمَنْزِلَةِ جَناحِ النَّسْرِ».

وقوله: ﴿**كأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ**﴾ اختلف أهل التأويل في الذي به شبهن من البيض بهذا القول، فقال بعضهم: شبهن ببطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القِشْر، وذلك أن ذلك لم يمسّه شيء.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿**كأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ**﴾ قال: كأنهن بطْن البيض.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**كأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ**﴾ قال: البيض حين يُقْشر قبل أن تمسّه الأيدي.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**كأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ**﴾ لم تمرّ به الأيدي ولم تمسه، يشبهن بياضه.

وقال آخرون: بل شبهن بالبيض الذي يحضنه الطائر، فهو إلى الصفرة، فشبه بياضهنّ في الصفرة بذلك.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**كأنّهُنَّ بَيضٌ مكْنونٌ**﴾ قال: البيض الذي يُكنه الريش، مثل بيض النعام الذي قد أكنه الريش من الريح، فهو أبيض إلى الصُفْرة فكأنه يُبرُقُ، فذلك المكنون.

وقال آخرون: بل عنى بالبيض في هذا الموضع: اللؤلؤ، وبه شبهن في بياضه وصفائه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**كأنّهُنَّ بَيضٌ مَكْنُونٌ**﴾ يقول: اللؤلؤ المكنون.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شبهن في بياضهن، وأنهنّ لم يمسّهنّ قبل أزواجهنّ إنس ولا جانّ ببياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة المُلْبَسة المُخّ قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شكّ هو المكنون فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسها، والأيدي تباشرها، والعُشّ يلقاها. والعرب تقول لكلّ مصون مكنون ما كان ذلك الشيء لؤلؤاً كان أو بيضاً أو متاعاً، كما قال أبو دَهْبَل:

وَهْـيَ زَهْـرَاءُ مِـثْـلُ لُـؤْلُـؤَةِ الـغَـوَّا صِ مِـيـزَتْ مِـنْ جَـوْهَـرٍ مَـكْـنُـونِ[1]

وتقول لكلّ شيء أضمرته الصدور: أكنته، فهو مُكنٌ. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا محمد بن الفرج الصَدَفي الدِّمياطيّ، عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة، عن هشام، عن الحسن، عن أمه، عن أمّ سلمة قلتُ: يا رسول الله أخبرني عن قوله ﴿**كأنّهُنّ بَيْضٌ مَكْنُون**﴾ قال: «رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الجِلْدَةِ التي رأيْتَها فِي داخِلِ البَيْضَة التي تَلِي القِشْرَ وَهِيَ الغِرْقيءُ».

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ ـ ١) قال في قوله تعالى: ﴿بيض مكنون﴾ أي مصون كل لؤلؤ أو بيض أو متع صنته، فهو مكنون. وكل شيء أضمرته في نفسك فقد أكننته قال الشاعر:

«وهـــي زهـــراء......

البيت ا هـ ولم يصرح باسم القائل، وصرح به المؤلف.

وقوله: ﴿فأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون، يقول: يسأل بعضهم بعضاً. كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فأَقْبَلَ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ أهل الجنة.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ﴾ قال: أهل الجنة.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال قائل من أهل الجنة إذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون: ﴿إني كانَ لي قَرِينٌ﴾ فاختلف أهل التأويل في القرين الذي ذُكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: كان ذلك القرين شيطاناً، وهو الذي كان يقول له: ﴿أئِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث بعد الممات.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله: ﴿إنّي كانَ لي قَرِينٌ﴾ قال: شيطان. وقال آخرون: ذلك القرين شريك كان له من بني آدم أو صاحب.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿قالَ قائِلٌ مِنهُمْ إنّي كانَ لِي قَرِينٌ يقول أئِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ﴾ قال: هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان، فيقول له المشرك: إنك لتُصدّق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا تراباً؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة، وأدخل المشرك النار، فاطلع المؤمن، فرأى صاحبه في سَواء الجحيم ﴿قَالَ تَاللّهِ إنْ كِدْتَ لَتردِينِ﴾.

**حدثني** إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قال: عتاب بن بشير، عن خَصيف، عن فُرات بن ثعلبة البهراني في قوله: ﴿إنّي كانَ لِي قَرِينٌ﴾ قال: إن رجلين كانا شريكين، فاجتمع لهما ثمانية آلاف دِينار، وكان أحدهما له حرفة، والآخر ليس له حرفة، فقال الذي له

حرفة للآخر: ليس لك حرفة، ما أُراني إلا مفارقك ومُقاسمك، فقاسمه وفارقه ثم إن الرجل اشترى داراً بألف دينار كانت لملك قد مات فدعا صاحبه فأراه، فقال: كيف ترى هذه الدار ابتعْتها بألف دينار؟ قال: ما أحسنها فلما خرج قال: اللهمّ إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار، وإني أسألك داراً من دور الجنة، فتَصَدّقَ بألف دينار ثم مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه تزوّج امرأة بألف دينار، فدعاه وصنع له طعاماً فلما أتاه قال: إني تزوّجت هذه المرأة بألف دينار قال: ما أحسن هذا فلما انصرف قال: يا ربّ إن صاحبي تزوّج امرأة بألف دينار، وإني أسألك امرأة من الحُور العين، فتصدّق بألف دينار ثم إنه مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم اشترى بستانين بألفي دينار، ثم دعاه فأراه، فقال: إني ابتعت هذين البستانين، فقال: ما أحسن هذا فلما خرج قال: يا ربّ إن صاحبي قد اشترى بساتين بألفي دينار، وأنا أسألك بستانين من الجنة، فتصدّق بألفي دينار ثم إن الملك أتاهما فتوفّاهما ثم انطلق بهذا المتصدّق فأدخله داراً تعجبه، فإذا امرأة تطلع يضيء ما تحتها من حُسنها، ثم أدخله بستانين، وشيئاً الله به عليم، فقال عند ذلك: ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا. قال: فإنه ذاك، ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة. قال: فإنه كان لي صاحب يقول: **﴿أئِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ﴾** قيل له: فإنه من الجحيم، قال: فهل أنتم مُطَّلِعون؟ فاطَّلَع فرآه في سواء الجحيم، فقال عند ذلك: **﴿تاللّهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبي لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ﴾**. . . الآيات. .

وهذا التأويل الذي تأوّله فرات بن ثعلبة يقوّي قراءة من قرأ «إنَّكَ لمِنَ المُصّدِّقِينَ» بتشديد الصاد بمعنى: لمن المتصدقين، لأنه يذكر أن الله تعالى ذكره إنما أعطاه ما أعطاه على الصدقة لا على التصديق، وقراءة قرّاء الأمصار على خلاف ذلك، بل قراءتها بتخفيف الصاد وتشديد الدال، بمعنى: إنكار قرينه عليه التصديق أنه يبعث بعد الموت، كأنه قال: أتصدّق بأنك تبعث بعد مماتك، وتُجزَى بعملك، وتحاسَب؟ يدل على ذلك قول الله: **﴿أئِذَا مِتْنا وكُنَّا تُراباً وَعِظاماً أئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾** وهي القراءة الصحيحة عندنا التي لا يجوز خِلافُها لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقوله: **﴿أئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾** يقول: أئنا لمحاسبون ومجزيُون بعد مصيرنا عظاماً ولحومنا تراباً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿أئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾** يقول: أئنا لمجازوْن بالعمل، كما تَدِين تُدان.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿أئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾**: أئنا لمحاسبون.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿أئِنَّا لَمَدينُونَ﴾ محاسبون.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال هذا المؤمن الذي أُدخل الجنة لأصحابه: ﴿**هل أنتم مُطَّلِعون**﴾ في النار، لعليّ أرى قريني الذي كان يقول لي: إنك لمن المصَدِّقين بأنا مبعوثون بعد الممات. وقوله: ﴿**فاطَّلَعَ فَرآهَ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ**﴾ يقول: فاطلع في النار فرآه في وَسَط الجحيم. وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو فقالوا: نعم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿**فاطَّلَعَ فَرآهَ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ**﴾ قال: أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ**﴾ يعني: وفي وَسَط الجحيم.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**فِي سِواءِ الجَحِيمِ**﴾ يعني: في وسط الجحيم.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عباد بن راشد، عن الحسن، في قوله: ﴿**فِي سَواءِ الجَحِيمِ**﴾ يقول: في وسط الجحيم.

**حدثنا** ابن سنان، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا عباد بن راشد، قال: سمعت الحسن، فذكر مثله.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة، في قوله: ﴿**سَوَاءِ الجَحِيمِ**﴾ قال: وَسَطها.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ﴿**هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ**﴾ قال: سأل ربه أن يطلعه، قال ﴿**فَأطَّلَعَ فَرآهَ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ**﴾: أي في وسط الجحيم.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن خليد العصري، قال: لولا

أن الله عرّفه إياه ما عرفه، لقد تغيَّر حِبْرُه وسِبْرُه[١] بعده، وذُكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم، فقال: ﴿**تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**﴾.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا إبراهيم بن أبي الوزير، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن مطرّف بن عبد الله، في قوله: ﴿**فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ**﴾ قال: والله لولا أنه عرّفه ما عرفه، لقد غيرت النار حِبْرَهُ وسِبْره.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ**﴾ قال: كان ابن عباس يقرؤها: «هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونِي فاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيم» قال: في وسط الجحيم.

وهذه القراءة التي ذكرها السديّ، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ في ﴿**مُطَّلِعُونَ**﴾ إن كانت محفوظة عنه، فإنها من شواذّ الحروف، وذلك أن العرب لا تؤثر في المكني من الأسماء إذا اتصل بفاعل على الإضافة في جمع أو توحيد، لا يكادون أن يقولوا أنت مُكَلِّمني ولا أنتما مكلماني ولا أنتم مكلموني ولا مكلمونني، وإنما يقولون أنت مكلِّمي، وأنتما مكلماي، وأنتم مكلِّميّ وإن قال قائل منهم ذلك قاله على وجه الغلط توهما به: أنت تكلمني، وأنتما تكلمانني، وأنتم تكلمونني، كما قال الشاعر:

وَمَا أَدْرِي وَظَنِّي كُلُّ ظَنٍّ أَمُسْلِمُنِي إلى قَوْمِي شَرَاحِي[٢]؟

---

(١) في «اللسان» حبر الحبر والسبر: الحسن والبهاء.

(٢) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (مصورة الجامعة ص ـ ٢٧٢) قال في قوله تعالى: ﴿هل أنتم مطلعون﴾: وقرأ بعض القراء: «هل أنتم مطلعون فاطلع» فكسر النون، وهو شاذ؛ لأن العرب لا تختار على الإضافة إذا أسندوا فاعلا مجموعاً أو موحداً إلى مكنى عنه. فمن ذلك أن يقولوا: أنت ضاربي، ويقولون للاثنين: أنتما ضارباي، وللجميع: أنتم ضاربي ولا يقولون للاثنين أنتما ضاربانني، ولا للجميع: أنتم ضاربونني، وإنما تكون هذه النون في يضربونني يضربني، وربما غلط الشاعر، فيذهب إلى المعنى، فيقول: أنت ضاربني يتوهم أنه أراد: هل تضربني، فيكون ذلك على غير صحة قال الشاعر:

«ومـــا أدري وظـــنـــي....

البيت»، يريد شراحيل، ولم يقل: أمسلمي، وهو وجه الكلام. وقال آخر:

هم القائلون الخير والفاعلونه إذا ما خشوا من محدث الأمر معظماً

ولم يقل: «الفاعلوه»، وهو وجه الكلام. وإنما اختاروا (العرب) الإضافة في الاسم المكنى، لأنه يختلط بما قبله (أي يلتصق به) فيصير الحرفان كالحرف الواحد، فلذلك استحبوا الإضافة في المكنى، وقالوا هما ضاربان زيداً، وضاربا زيد، لأن زيداً في ظهوره لا يختلط بما قبله، لأنه ليس بحرف واحد، والمكنى (الضمير): حرف. فأما قوله «فاطلع» فإنه على جهة فعل ذلك به، كما تقول: دعا فأجيب يا هذا. ويكون: هل أنتم مطلعون فأطلع أنا، فيكون منصوباً بجواب الفاء ا هـ.

فقال: مسلمني، وليس ذلك وجه الكلام، بل وجه الكلام أمسلمي فأما إذا كان الكلام ظاهراً ولم يكن متصلاً بالفاعل، فإنهم ربما أضافوا، وربما لم يضيفوا، فيقال: هذا مكلم أخاك، ومكلم أخيك، وهذان مكلما أخيك، ومكلمان أخاك، وهؤلاء مكلمو أخيك، ومكلمون أخاك وإنما تختار الإضافة في المكني المتصل بفاعل لمصير الحرفين باتصال أحدهما بصاحبه، كالحرف الواحد.

وقوله: ﴿تاللّهِ إنْ كِدتَ لَتُرْدِينِ﴾ يقول: فلما رأى قرينه في النار قال: تالله إن كدت في الدنيا لتهلكني بصدّك إيايّ عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ قوله: ﴿إنْ كِدتَ لَتُرْدِينِ﴾ قال: لتهلكني، يقال منه: أردَى فلان فلاناً: إذا أهلكه، ورديَ فلانٌ: إذا هلك، كما قال الأعشى.

أَفِـي الـطَّـوْفِ خِـفْـتِ عَـلـيَّ الـرَّدَى وكَـمْ مِـنْ رَدٍ أهْـلَـهُ لَـمْ يَـرِمْ[1]

**يعني بقوله «وكم من رد»: وكم من هالك.**

**وقوله:** ﴿وَلَوْلا نَعْمَةُ رَبّي لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ﴾ يقول: ولولا أن الله أنعم عليّ بهدايته، والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت، لكنتُ من المحضَرين معك في عذاب الله، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ﴾: أي في عذاب الله.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ﴾ قال: من المعذَّبين.

---

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٤١) من قصيدة ميمية مطولة يمدح بها قيس بن معديكرب. والبيت من أبيات في آخرها يخاطب الشاعر بها ابنته التي تخشى عليه الموت بسبب طول أسفاره وكثرتها، فيرد عليها قائلاً: أخفت على الموت بسبب السفر؛ فانظري كم إنسان يموت لاو يبرح ديار أهله. والردى: الهلاك، وهو محل الشاهد على قوله تعالى: ﴿إن كدت لتردين﴾ أي إنك كدت تهلكني. قال أبو عبيدة في **«مجاز القرآن»** (مصورة الجامعة الورقة ٢٠٩ ـ ب) أرديته: أهلكته وردى هو: أي هلك. ا هـ. وقال الفراء في **«معاني القرآن»** (مصورة الجامعة ٢٧٢) قال: «هل أنتم مطلعون» هذا رجل من أهل الجنة، قد كان له أخ من أهل الكفر، فأحب أن يرى مكانه. فيأذن الله له، فيطلع في النار ويخاطبه، فإذا رآه قال: «تالله إن كدت لتردين». وفي قراءة عبد الله: هو ابن مسعود: «إن كدت لتغوين ولولا رحمة ربي لكنت من المحضرين» أي معك في النار محضراً.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذا المؤمن الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته سروراً منه بما أعطاه فيها ﴿**أفمَا نَحنُ بِمَيّتِينَ إلاَّ مَوْتَتَنا الأُولى**﴾ يقول: أفما نحن بميتين غير موتتنا الأولى في الدنيا، ﴿**وَما نَحْنُ بِمُعَذّبِينَ**﴾ يقول: وما نحن بمعذَّبين بعد دخولنا الجنة ﴿**إنَّ هَذا لَهُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ**﴾ يقول: إن هذا الذي أعطاناه الله من الكرامة في الجنة، أنا لا نعذّب ولا نموت، لهو النَّجاء العظيم مما كنا في الدنيا نحذر من عقاب الله، وإدراك ما كنا فيها، نؤمل بإيماننا، وطاعتنا ربنا، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة، قوله: ﴿**أَفَمَا نَحْنُ بِمَيّتِينَ**﴾... إلى قوله: ﴿**الفَوْزُ العَظِيمُ**﴾ قال: هذا قول أهل الجنة.

وقوله: ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العامِلُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: لمثل هذا الذي أَعْطَيتُ هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة، ورزقتهم فيها من النعيم خير، أو ما أعددت لأهل النار من الزَّقُوم؟ وعُنِي بالنزل: الفضل، وفيه لغتان: نُزْل ونُزُل يقال للطعام الذي له ريع: هو طعام له نُزْل ونُزُل. وقوله: ﴿**أمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ**﴾ ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون: كيف ينبتُ الشجر في النار، والنار تُحرقُ الشجر؟ فقال الله: ﴿**إنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً للظَّالِمِينَ**﴾ يعني لهؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا، ثم أخبرهم بصفة هذه الشجرة ﴿**فَقالَ إنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أصْلِ الجَحِيمِ**﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أذلكَ خَيرٌ نُزُلاً أمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ**﴾ حتى بلغ ﴿**فِي أصْلِ الجَحِيمِ**﴾ قال: لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظَلَمة، فقالوا: ينبئكم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله ما تسمعون: إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم، غُذِيت بالنار ومنها خُلقت.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: قال أبو جهل: لما نزلت ﴿**إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ**﴾ قال: تعرفونها في كلام العرب: أنا آتيكم بها، فدعا جارية فقال: ائتيني بتمر وزُبْد، فقال: دونكم تَزَقَّموا، فهذا الزَّقوم الذي يخوّفكم به محمد، فأنزل الله تفسيرها: ﴿**أذلكَ خَيرٌ نُزُلاً أمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً للظَّالِمِينَ**﴾ قال: لأبي جهل وأصحابه.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إنَّا جَعَلْناها فِتْنَةً للظَّالِمينَ**﴾ قال: قول أبي جهل: إنما الزَّقوم التمر والزبد أتزقمه.

وقوله: ﴿**طَلْعُها كأنَّهُ رُؤُوسُ الشَّياطِينِ**﴾ يقول تعالى ذكره: كأن طلع هذه الشجرة، يعني شجرة الزقوم في قُبحه وسماجته رؤوس الشياطين في قُبحها.

وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «إنَّها شَجَرَةٌ نابِتَةٌ فِي أصْلِ الجَحِيمِ»، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**طَلْعُها كأنَّهُ رُءُوسُ الشَّياطِينُ**﴾ قال: شبهه بذلك.

فإن قال قائل: وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين في القبح، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رؤوس الشياطين، وإنما يمثَّل الشيء بالشيء تعريفاً من المُمَثِّل المُمَثَّل له قربُ اشتباه الممثَّل أحدهما بصاحبه مع معرفة المُمَثَّل له الشيئين كليهما، أو أحدَهما، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين، لم يكونوا عارفين شَجَرة الزقوم، ولا برؤوس الشياطين، ولا كانوا رأوهما، ولا واحداً منهما؟.

قيل له: أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبينها حتى عرفوها ما هي وما صفتها، فقال لهم: ﴿**شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أصْلِ الجَحِيمِ طَلْعُها كأنَّهُ رُؤُوسُ الشَّياطِينِ**﴾ فلم يتركهم في عَماء منها. وأما في تمثيله طلعها برؤوس الشياطين، فأقول لكلّ منها وجه مفهوم: أحدها أن يكون مثل ذلك برؤوس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم وذلك

أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء، قال: كأنه شيطان، فذلك أحد الأقوال. والثاني أن يكون مُثّل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطاناً، وهي حية لها عُرْف فيما ذُكر قبيح الوجه والمنظر، وإياه عنى الراجز بقوله:

عَنْجَرِدٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلِفُ ... كَمِثْلِ شَيْطَانِ الحَمَاطِ أَعْرَفُ[1]

ويروى عُجَيِّزٌ. والثالث: أن يكون مثل نبت معروف برؤوس الشياطين ذُكِر أنه قبيح الرأس ﴿فإنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْها فَمالِئُونَ منها البُطُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة، لآكلون من هذه الشجرة التي هي شجرة الزَّقوم، فمالئون من زَقُّومها بطونهم.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿ثُمَّ إنَّ لَهُمْ عَلَيها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ﴾ ثم إن لهؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شَوْباً، وهو الخَلْط من قول العرب: شاب فلان طعامه فهو يشوبه شَوْباً وشياباً ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ والحميم: الماء المحموم، وهو الذي أُسخِن فانتهى حرّه، وأصله مفعول صُرف إلى فعيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ثُمَّ إنَّ لَهُمْ عَلَيها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ﴾. يقول: لَمَزْجاً.

---

(١) هذان البيتان من مشطور الرجز، أنشدهما الفراء في «**معاني القرآن**» (مصورة الجامعة ٢٧٣) عند تفسير قوله تعالى: ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ قال: فإن فيه في العربية ثلاثة أوجه: أحدها أن تشبه طلعها في قبحه برؤوس الشياطين، لأنها موصوفة بالقبح، كانت لا ترى، وأنت قائل للرجل كأنه شيطان: إذا استقبحته والآخر أن: العرب تسمى بعض الحيات شيطاناً، وهو حية ذو عرف، قال الشاعر وهو بذم امرأة له:

عنجرد تحلف. . .

البيت». ويقال: إنه نبت قبيح يسمى برؤوس الشياطين. والأوجه الثلاثة إلى معنى واحد في القبح ا هـ وفي «**اللسان**» عنجرد: الأزهري ـ الفراء: امرأة عنجرد خبيثة سيئة الخلق وأنشد بيت الشاهد. وقال غيره: امرأة عنجرد: سليطة. وفي «**اللسان**» حمط عن الجوهري: الحماط يبيس الأفاني، تألفه الحيات، يقال شيطان حماط، كما يقال: ذئب غضى، وتيس حلب. وقال الأزهري العرب تقول لجنس من الحيات: شيطان الحماط. وقيل الحماطة بلغة هذيل: شجر عظام تنبت في بلادهم، تألفها الحيات. والحماط تبن الذرة خاصة عن أبي حنيفة ا هـ.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ**﴾ يعني: شرب الحميم على الزَّقوم.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ**﴾ قال: مِزاجاً من حميم.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السّديّ ﴿**ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ**﴾ قال: الشَّوب: الخَلْط، وهو المَزْج.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ**﴾ قال: حميم يُشاب لهم بغسّاق مما تَغْسِقُ أعينهم، وصديد من قيحهم ودمائهم مما يخرج من أجسادهم.

وقوله: ﴿**ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإلى الجَحِيمِ**﴾ يقول تعالى ذكره: ثم إن مآبهم ومصيرهم لإلى الجحيم، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإلى الجَحِيمِ**﴾ فهم في عناء وعذاب من نار جهنم، وتلا هذه الآية: ﴿**يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبينَ حَمِيمٍ آنٍ**﴾.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدّي، في قوله: ﴿**ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُم لإلى الجَحِيمِ**﴾ قال: في قراءة عبد الله: «ثُمَّ إِنَّ مُنْقَلَبَهُمْ لإلى الجَحِيمِ» وكان عبد الله يقول: والذي نفسي بيده، لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يَقِيلَ أهلُ الجنة في الجنة، وأهلُ النار في النار، ثم قال: ﴿**أصحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًا وأحْسَنُ مَقِيلاً**﴾.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإلى الجَحِيمِ**﴾ قال: موتهم(١).

وقوله: ﴿**إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آباءَهُمْ ضَالِينَ**﴾ يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله يستكبرون، وجدوا آباءهم ضُلاًّلاً عن قصد السبيل، غير سالكين مَحَجَّة الحقّ ﴿**فَهُمْ على آثارِهِمْ يُهْرَعُونَ**﴾ يقول: فهؤلاء يُسْرع بهم في طريقهم، ليقتفوا آثارهم وسنتهم يقال منه: أُهْرِع فلان: إذا سار سيراً حثيثاً فيه شبه بالرعدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) لعله: مقرهم أو مآلهم.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس قوله: **﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾**: أي وجدوا آباءهم ضالّين.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ﴾**: أي وجدوا آباءهم.

وبنحو الذي قلنا في يُهْرَعون أيضاً، قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿فَهُمْ على آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾** قال: كهيئة الهرْوَلة.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَهُمْ على آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾**: أي يُسرعون إسراعاً في ذلك.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿يُهْرَعُونَ﴾** قال: يُسْرِعون.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾** قال: يستعجلون إليه.

### القول في تأويل قوله تعالى:

**﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)﴾.**

يقول تعالى ذكره: ولقد ضلّ يا محمد عن قصد السبيل وَمحجة الحقّ قبل مشركي قومك من قريش أكثر الأمم الخالية مِن قبلهم **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾** يقول: ولقد أرسلنا في الأمم التي خلت من قبل أمتك، ومن قبل قومك المكذّبيك منذرين تنذرهم بأسنا على كفرهم بنا، فكذّبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم، فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا **﴿فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُنْذَرِينَ﴾** يقول: فتأمل وتبين كيف كان غِبُّ أمر الذين أنذَرْتهم أنبياؤنا، وإلاَمَ صار أمرهم، وما الذي أعقبهم كفرهم بالله، ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عِبرة ولمن بعدهم عظة؟.

وقوله: **﴿إلاَّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ﴾** يقول تعالى: فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين، إلا عباد

الله الذين أخلصناهم للإيمان بالله وبرسله واستثنى عباد الله من المنذَرين، لأن معنى الكلام: فانظر كيف أهلكنا المنذَرين إلا عباد الله المؤمنين، فلذلك حسن استثناؤهم منهم. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿**إلاَّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ**﴾ قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**إلاَّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ**﴾ قال: الذين استخلَصهم الله.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لقد نادانا نوح بمسألته إيانا هلاك قومه، فقال: ﴿**رَبِّ إنّي دَعَوْتُ قَوْمي لَيلاً ونهاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائي إلاَّ فِراراً...**﴾ إلى قوله: ﴿**رَبِّ لا تَذَرْ على الأرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّاراً**﴾. وقوله: ﴿**فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ**﴾ يقول: فلنعم المجيبون كنا له إذ دعانا، فأجبنا له دعاءه، فأهلكنا قومه ﴿**وَنَجَّيْناهُ وأهْلَهُ**﴾ يعني: أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة. وقد ذكرناهم فيما مضى قبل، وبيَّنا اختلاف العلماء في عددهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ولَقَدْ نادَانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ**﴾ قال: أجابه الله.

وقوله: ﴿**مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ**﴾ يقول: من الأذى والمكروه الذي كان فيه من الكافرين، ومن كرب الطُوفان والغرق الذي هلك به قوم نوح.

**كما حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضَّل، قال: ثنا أسباط عن السديّ ﴿**وَنجَّيْناهُ وأهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ**﴾ قال: من الغرق.

وقوله: ﴿**وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ**﴾ يقول: وجعلنا ذرّية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مَهْلَك قومه، وذلك أن الناس كلهم من بعد مَهْلَك نوح إلى اليوم إنما هم ذرّية نوح، فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح، والترك والصقالبة والخَزَر أولاد يافث بن نوح، والسودان أولاد حام ابن نوح، وبذلك جاءت الآثار، وقالت العلماء.

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا ابن عَثمة، قال: ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن

الحسن، عن سَمُرة، عن النبيّ ﷺ، في قوله: ﴿**وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ**﴾ قال: «سام وحام ويافث».

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ**﴾ قال: فالناس كلهم من ذرية نوح.

**حدثنا** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ**﴾ يقول: لم يبق إلا ذريةُ نوح.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**وَتَركْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ**﴾ وأبقينا عليه، يعني على نوح ذكراً جميلاً، وثناء حسناً في الآخِرين، يعني: فيمن تأخَّر بعده من الناس يذكرونه به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَتركْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ**﴾ يقول: يُذْكَر بخير.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ**﴾ يقول: جعلنا لسان صدق للأنبياء كُلِّهم.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ**﴾ قال: أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ**﴾ قال: الثناء الحسن.

وقوله: ﴿**سَلامٌ عَلى نُوحٍ في العالَمِينَ**﴾ يقول: أَمَنَة من الله لنوح في العالمين أن يَذْكُره أحد بسوء وسلام مرفوع بعلى. وقد كان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول: معناه: وتركنا عليه في الآخرين، ﴿**سَلامٌ عَلى نُوحٍ**﴾ أي تركنا عليه هذه الكلمة، كما تقول: قرأت من القرآن ﴿**الحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ العَالِمِينَ**﴾ فتكون الجملة في معنى نصب، وترفعها باللام، كذلك سلام على

نوح ترفعه بعلى، وهو في تأويل نصب، قال: ولو كان: تركنا عليه سلاماً، كان صواباً.

وقوله: ﴿**إِنَّا كَذلكَ نَجْزِي المُحْسَنِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: إنا كما فعلنا بنوح مجازاة له على طاعتنا وصبره على أذى قومه في رضانا فأنجيناهُ ﴿**وأهلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيم وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ**﴾، وأبقينا عليه ثناءً في الآخرين ﴿**كَذلكَ نَجْزِي**﴾ الذين يُحسنون فيطيعوننا، وينتهون إلى أمرنا، ويصبرون على الأذى فينا. وقوله: ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ**﴾ يقول: إن نوحاً من عبادنا الذين آمنوا بنا، فوحدونا، وأخلصوا لنا العبادة، وأفردونا بالألوهة. وقوله: ﴿**ثُمَّ أَغْرَقْنا الآخَرِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أغرقنا حين نجَّينا نوحاً وأهله من الكرب العظيم من بَقِيَ من قومه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ثُمَّ أَغْرَقْنا الآخَرِينَ**﴾ قال: أنجاه الله ومن معه في السفينة، وأغرق بقية قومه.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ (٨٣) إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ (٨٤) إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ (٨٥) أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن من أشياع نوح على مِنهاجه وملته والله لَإبراهيمَ خليلَ الرحمن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ**﴾ يقول: من أهل دينه.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم ابن أبي بَزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ**﴾ قال: على مِنهاج نوح وسنته.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبراهِيمَ**﴾ قال: على مِنهاجه وسنته.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ**﴾ قال: على دينه ومِلته.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾** قال: من أهل دينه.

وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك: وإن من شيعة محمد لإبراهيم، وقال: ذلك مثل قوله: **﴿وآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾** بمعنى: أنا حملنا ذريةَ من هم منه، فجعلها ذرّية لهم، وقد سبقتهم.

وقوله: **﴿إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** يقول تعالى ذكره: إذ جاء إبراهيمُ ربَّه بقلب سليم من الشرك، مخلص له التوحيد، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** والله من الشرك.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** قال: سليم من الشرك.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد **﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** قال: لا شكّ فيه. وقال آخرون في ذلك بما:

**حدثنا** أبو كريب، قلا: ثنا عَثَّام بن عليّ، قال: ثنا هشام، عن أبيه، قال: يا بنيّ لا تكونوا لعّانين، ألم تروا إلى إبراهيم لم يلعن شيئاً قطّ، فقال الله: **﴿إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**.

وقوله: **﴿إِذْ قالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ماذَا تَعْبُدُونَ﴾** يقول حين قال: يعني إبراهيم لأبيه وقومه: أيّ شيء تعبدون.

وقوله: **﴿أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللّهِ تُرِيدُونَ﴾**؟ يقول: أكذباً معبوداً غير الله تريدون.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢)﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل إبراهيم لأبيه وقومه: **﴿فَما ظَنُّكُم بِرَبّ العالَمِينَ﴾**؟ يقول: فأيّ شيء تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم إن لقيتموه وقد عبدتم غيره، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ العالَمِينَ﴾** يقول: إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.

وقوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ذكر أن قومه كانوا أهل تنجيم، فرأى نجماً قد طلع، فعصب رأسه وقال: إني مَطْعُون، وكان قومه يهربُون من الطاعون، فأراد أن يتركوه في بيت آلهتهم، ويخرجوا عنه، ليخالفهم إليها فيكسرها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قال: قالوا له وهو في بيت آلهتهم: اخرج، فقال: إني مَطْعون، فتركوه مخافة الطاعون.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيَّة، عن سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ رأى نجماً طَلَع.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، أنه رأى نجماً طلع فقال ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قال: كايَد نبيّ الله عن دينه، فقال: إني سقيم.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قالوا لأبراهيم وهو في بيت آلهتهم: اخرج معنا، فقال لهم: إني مطعون، فتركوه مخافة أن يعديهم.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، عن أبيه، في قول الله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قال: أرسلَ إليه ملكهم، فقال: إن غَداً عيدنا، فاحضر معنا، قال: فنظر إلى نجم فقال: إن ذلك النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقم لي، فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يقول الله: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾. وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾: أي طعين، أو لسقم كانوا يهربون منه إذا سمعوا به، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه، ليبلغ من أصنامهم الذي يريد.

واختلف في وجه قيل إبراهيم لقومه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وهو صحيح، فرُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ إلاَّ ثَلاثَ كَذَباتٍ»

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثني هشام، عن محمد، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ غَيْرَ ثَلاثِ كَذَباتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذاتِ اللّهِ، قوله: إِنِّي سَقِيمٌ،

وقَوْلِهِ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، وقوْلِهِ فِي سارَةَ: هِيَ أُخْتِي».

**حدثنا** سعيد بن يحيى، قال: ثنا أبي، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمْ يَكْذِبْ إبْرَاهِيمُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إلاَّ فِي ثَلاَثٍ» ثم ذكر نحوه.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن المسيب بن رافع، عن أبي هريرة، قال: «ما كذب إبراهيم غير ثلاث كذبات، قوله: إني سَقِيمٌ، وقوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، وإنما قاله موعظة، وقوله حين سأله الملك، فقال أختي لسارّة، وكانت امرأته».

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أيوب، عن محمد، قال: «إن إبراهيم ما كذب إلا ثلاث كذبات، ثنتان في الله، وواحدة في ذات نفسه فأما الثنتان فقوله: إني سَقِيمٌ، وقوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا وقصته في سارة، وذكر قصتها وقصة الملك».

وقال آخرون: إن قوله ﴿إنّي سَقِيمٌ﴾ كلمة فيها مِعْراض، ومعناها أن كلّ من كان في عقبة الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر، والخبر عن رسول الله ﷺ بخلاف هذا القول، وقول رسول الله ﷺ هو الحقّ دون غيره. قوله: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ يقول: فتولوا عن إبراهيم مدبرين عنه، خوفاً من أن يعدِيَهُم السقم الذي ذكر أنه به، كما:

**حُدثت** عن يحيى بن زكريا، عن بعض أصحابه، عن حكيم بن جُبَير، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿إنّي سَقِيمٌ﴾ يقول: مطعون فتولَّوا عنه مدبرين، قال سعيد: إن كان الفرار من الطاعون لقديماً.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة ﴿فَتَوَلَّوْا﴾ فنكصوا عنه ﴿مُدْبِرِينَ﴾ منطلقين.

وقوله: ﴿فَرَاغَ إلى آلِهَتِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فمال إلى آلهتهم بعد ما خرجوا عنه وأدبروا وأري أن أصل ذلك من قولهم: راغ فلان عن فلان: إذا حاد عنه، فيكون معناه إذا كان كذلك: فراغ عن قومه والخروج معهم إلى آلهتهم كما قال عديّ بن زيد:

حِينَ لا يَنْفَعُ الرَّوَاغُ وَلا يَنْ ... فَعُ إلاَّ المُصَادِقُ النِّحْرِيرُ[1]

---

(١) البيت نسبه المؤلف لعدي بن زيد العبادي، ولم أجده في ترجمته في «الأغاني» ولا في شعره في شعراء النصرانية ولعله من قصيدته التي مطلها:

«أرواح مودع أم بكور»

واستشهد به المؤلف عند قول الله تعالى: ﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾، على أن معنى راغ: حاد، وفسره =

يعني بقوله: «لا ينفع الرّواغ»: الحِياد. أما أهل التأويل فإنهم فسَّروه بمعنى فمَال.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَرَاغَ إلى آلِهَتِهِم**﴾: أي فمال إلى آلهتهم، قال: ذهب.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدّيّ قوله: ﴿**فَرَاغَ إلى آلِهَتِهِمْ**﴾ قال: ذهب.

وقوله: ﴿**فَقالَ ألاَ تأكُلُونَ ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ**﴾ هذا خبر من الله عن قيل إبراهيم للآلهة وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو: فقرّب إليها الطعام فلم يرها تأكل، فقال لها: ﴿**ألا تَأْكُلُونَ**﴾ فلما لم يرها تأكل قال لها: مالكم لا تأكلون، فلم يرها تنطق، فقال لها: ﴿**ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ**﴾ مستهزئاً بها، وكذلك ذكر أنه فعل بها، وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبلُ. وقال قتادة في ذلك ما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَقالَ ألاَ تَأْكُلونَ**﴾ يستنطقهم ﴿**مالَكُمْ لا تَنْطِقُونَ**﴾؟.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فمال على آلهة قومه ضرباً لها باليمين بفأس في يده يكسرهنّ، كما:

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: لما خلا جعل يضرب آلهتهم باليمين.

---

= بعضهم بمال. وفي «**اللسان**» روغ راغ يروغ روغاً وروغاناً: حاد. وراغ: إلى كذا أي مال إليه سراً وحاد. وقوله تعالى: ﴿فراغ عليهم ضرباً﴾ أي مال وأقبل ا هـ. وفي «**اللسان**» نحر والنحر (بكسر النون) والنحرير: الحاذق الماهر العاقل المجرب. وقيل: النحرير: الرجل: الطبن الفطن المتقن البصير في كل شيء. وجمعه: النحارير ا هـ.

قال الفراء في «**معاني القرآن**» (٢٧٣) «فراغ عليهم ضرباً باليمين» أي مال عليهم ضرباً، واغتنم خلوتهم من أهل دينهم. وفي قراءة عبد الله (أي ابن مسعود): «فراغ عليهم صفقاً باليمين».

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك، فذكر مثله.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَرَاغَ عَلَيهِمْ ضَرباً باليَمِينِ﴾** فأقبل عليهم يكسرهم.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ثم أقبل عليهم كما قال الله ضرباً باليمين، ثم جعل يكسرهنّ بفأس في يده.

وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك بمعنى: فراغ عليهم ضرباً بالقوّة والقدرة، ويقول: اليمين في هذا الموضع: القوّة: وبعضهم كان يتأوّل اليمين في هذا الموضع: الحلف، ويقول: جعل يضربهنّ باليمين التي حلف بها بقوله: **﴿وَتاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أصْنامَكُمْ بَعْدَ أنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾**.

وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفْقاً باليَمِينِ». ورُوي نحو ذلك عن الحسن.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا خالد بن عبد الله الجُشَمِي، قال: سمعت الحسن قرأ: «فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَفْقاً باليَمِينِ»: أي ضرباً باليمين.

وقوله: **﴿فأَقْبَلُوا إلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾** اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض قرّاء الكوفة: **﴿فأَقْبَلُوا إلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾** بفتح الياء وتشديد الفاء من قولهم: زَفَّتِ النعامة، وذلك أوّل عدوها، وآخر مشيها ومنه قول الفرزدق:

وَجاءَ قَرِيعُ الشَّوْلِ قَبْلَ إفالِهَا ... يَزِفُّ وَجاءَتْ خَلْفَهُ وَهْي زُفَّفُ[(١)]

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة: «يُزِفُّونَ» بضم الياء وتشديد الفاء من أزف فهو يزف. وكان الفرّاء يزعم أنه لم يسمع في ذلك إلا زَفَفْت، ويقول: لعلّ قراءة من قرأه: «يَزِفُّونَ» بضم

---

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوي ٥٥٨) من قصيدته التي مطلعها:

«عزفت بأعشاش وما كدت تعزف»

وفي «**اللسان**» قرع: القريع من الإبل الذي يأخذ بذراع الناقة فينيخها. وقيل سمى قريعاً لأنه يقرع الناقة، قال الفرزدق (وأنشد بيت الشاهد) والإفال: جمع أفيل وأفيلة، وهو الفصيل. وقال أبو عبيد: الإفال: بنات المخاض. وفي «**اللسان**» زفف الزفيف: سرعة المشي مع تقارب وسكون. وقيل هو أول عدو النعام. زف يزف زفاً، وزفيفاً، وزفوفاً، وأزف عن ابن الأعرابي. قال الفراء في «**معاني القرآن**»: والناس يزفون، بفتح الياء، أي سرعون. وقرأها الأعمش يزفون (بضم الياء) أي يجيئون على هيئة الزفيف، بمنزلة المزفزفة على هذه الحال. وقال الزجاج: يزفون: يسرعون. وأصله من زفيف النعامة، وهو ابتداء عدوها. . . . اهـ.

الياء من قول العرب: أَطْرَدتُ الرجل: أي صيرته طريداً، وطردته: إذا أنت خسأته إذا قلت: اذهب عنا فيكون يزفون: أي جاؤوا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحالة، فتدخل الألف. كما تقول: أحمدت الرجل: إذا أظهرت حمده، وهو محمد: إذا رأيت أمره إلى الحمد، ولم تنشر حمده قال: وأنشدني المفضّل:

تَمَنَّى حُصَيْنٌ أنْ يَسُودَ جِذاعَهُ ... فأَمْسَى حُصَيْنٌ قَدْ أَذَلَّ وأَقْهَرا[1]

فقال: أَقْهَر، وإنما هو قُهِر، ولكنه أراد صار إلى حال قهر. وقرأ ذلك بعضهم: «يَزِفُونَ» بفتح الياء وتخفيف الفاء من وَزَفَ يَزِف. وذُكر عن الكسائي أنه لا يعرفها، وقال الفرّاء: لا أعرفها إلا أن تكون لغة لم أسمعها. وذُكر عن مجاهد أنه كان يقول: الوَزْف: النَّسَلان.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إِلَيْهِ يَزِفُّونَ**﴾ قال: الوزيف: النَّسَلان.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه بفتح الياء وتشديد الفاء، لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب، والذي عليه قراءة الفصحاء من القرّاء.

وقد اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: معناه: فأقبل قوم إبراهيم إلى إبراهيم يَجْرُون.

---

(١) البيت للمخبل السعدي يهجو الزبرقان. واستشهد به الفراء في «**معاني القرآن**» (مصورة الجامعة ٢٧٣) لتخريج قراءة الأعمش قوله تعالى: ﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ بضم الياء. قال كأنها من أزفت، ولم نسمعها إلا زففت. تقول للرجل: جاءنا يزف (بفتح الياء). ولعل قراءة الأعمش من قول العرب: قد أطردت الرجل: أي صيرته طريداً، وطردته: إذا أنت قلت له: اذهب عنا. «يزفون» أي جاءوا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة. على هذه الحال، فتدخل الألف؛ كما تقول للرجل: هو محمود: إذا أظهرت حمده، وهو محمد: إذا رأيت أمره إلى الحمد؛ ولم تنشر حمده. قال: وأنشدني المفضل:

«تمنى حصين....

البيت» فقال أقهر: أي صار إلى القهر. وإنما هو قهر. وقرأ الناس بعد «يزفون» بفتح الياء وكسر الزاي. وقد قرأ بعض القراء: «يزفون» بالتخفيف كأنها من وزف يزف. وزعم الكسائي أنه لا يعرفها، وقال الفراء: لا أعرفها أيضاً، إلا أن تكون لم تقع إلينا. وفي «**اللسان**» والمحكم: جذع: (وجذاع الرجل: قومه، لا واحد لها). قال المخبل يهجو الزبرقان:

«تمنى......

البيت». أي قد صار أصحابه أذلاء مقهورين. ورواه الأصمعي: قد أذل وأقهرا (بالبناء للمجهول) فأقهر على هذا لغة في «قهر» (مبنياً للمجهول) أو يكون «أقهر» وجد مقهوراً وخص أبو عبيدة بالجذاع رهط الزبرقان.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿فأقبَلُوا إلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾**: فأقبلوا إليه يجرون.

وقال آخرون: أقبلوا إليه يَمْشُون.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿فأقْبَلُوا إلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾** قال: يَمْشُون.

وقال آخرون: معناه: فأقبلوا يستعجلون.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، عن أبيه **﴿فَأَقْبَلُوا إلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾** قال: يستعجلون، قال: يَزِفّ: يستعجل.

وقوله: **﴿قالَ أتَعْبُدونَ ما تَنْحِتُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أتعبدون أيها القوم ما تنحتون بأيديكم من الأصنام، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿قالَ أتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ﴾** الأصنام.

وقوله: **﴿وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾** يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل إبراهيم لقومه: والله خلقكم أيها القوم وما تعملون. وفي قوله: **﴿وَما تَعْمَلُونَ﴾** وجهان: أحدهما: أن يكون قوله: «ما» بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: والله خلقكم وعملكم. والآخر أن يكون بمعنى «الذي»، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي والذي تعملون منه الأنصام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحِتون منها أصنامهم. وهذا المعنى الثاني قصد إن شاء الله قتادةُ بقوله الذي:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَاللّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾**: بأيْدِيكُم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

**﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾**.

يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما قال لهم إبراهيم: **﴿أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾** ابنُوا لإبراهيم بنياناً ذُكر أنهم بنوا له بنياناً يشبه التَّنُّور، ثم نقَلوا إليه الحطب، وأوقدوا عليه **﴿فَأَلْقُوهُ في الجَحِيمِ﴾** والجحيم عند العرب: جمر النار بعضُه على بعض، والنار على النار.

وقوله: **﴿فأَرَادُوا بِهِ كَيْداً﴾** يقول تعالى ذكره: فأراد قوم إبراهيم بإبراهيم كيداً، وذلك ما كانوا أرادوا من إحراقه بالنار. يقول الله: **﴿فَجَعَلْناهُمُ﴾** أي فجعلنا قوم إبراهيم **﴿الأسْفَلِين﴾** يعني الأذلّين حُجَّة، وغَلَّبنا إبراهيم عليهم بالحجة، وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وأرَادُوا بِهِ كَيداً فَجَعَلْناهُمُ الأَسْفَلِينَ﴾** قال: فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم.

وقوله: **﴿وَقالَ إنّي ذَاهِبٌ إلى رَبّي سَيَهْدِينِ﴾** يقول: وقال إبراهيم لما أفْلَجَه الله على قومه ونجاه من كيدهم: **﴿إنّي ذاهِبٌ إلى رَبّي﴾** يقول: إني مهاجِرٌ من بلدة قومي إلى الله: أي إلى الأرض المقدَّسة، ومفارقهم، فمعتزلهم لعبادة الله. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: **﴿وَقالَ إنّي ذاهِبٌ إلى رَبّي سَيَهْدِينِ﴾**: ذاهب بعمله وقلبه ونيته.

وقال آخرون في ذلك: إنما قال إبراهيم **﴿إنّي ذاهِبٌ إلى رَبّي﴾** حين أرادوا أن يُلْقُوه في النار.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن المثنى، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت سليمان بن صُرَدَ يقول: لما أرادوا أن يُلْقوا إبراهيم في النار **﴿قالَ إنّي ذاهِبٌ إلى رَبّي سَيَهْدِينِ﴾** فجمع الحطب، فجاءت عجوز على ظهرها حطب، فقيل لها: أين تريدين؟ قالت: أريد أذهب إلى هذا الرجل الذي يُلْقَى في النار فلما أُلقي فيها، قال: حَسْبِيَ الله عليه توكلت، أو قال: حسبي الله ونعم الوكيل، قال: فقال الله: **﴿يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً على إبْرَاهِيمَ﴾** قال: فقال ابن لُوط، أو ابن أخي لوط: إن النار لم تحرقه من أجلي، وكان بينهما قرابة، فأرسل الله عليه عُنُقاً من النار فأحرقته.

وإنما اخترت القول الذي قلت في ذلك، لأن الله تبارك وتعالى ذكر خبره وخبر قومه في موضع آخر، فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من إحراقه **﴿قالَ إنّي مُهاجِرٌ إلى رَبّي﴾** ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه: إني مهاجر إلى أرض الشام، فكذلك قوله: **﴿إنّي ذَاهِبٌ إلى رَبّي﴾** لأنه

كقوله: ﴿إنّي مُهاجِرٌ إلى رَبّي﴾. وقوله: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ يقول: سيثبتني على الهدى الذي أبصرته، ويعينني عليه.

وقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهذا مسألة إبراهيم ربه أن يرزقه ولداً صالحاً يقول: قال: يا ربّ هب لي منك ولداً يكون من الصالحين الذين يطيعونك، ولا يعصُونك، ويصلحون في الأرض، ولا يفسدون، كما:

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: ولداً صالحاً.

وقال: من الصالحين، ولم يَقُلْ: صالحاً من الصالحين، اجتزاءً بمن ذكر من المتروك، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ بمعنى زاهدين من الزاهدين.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فبشَّرنا إبراهيم بغلام حليم، يعني بغلام ذي حِلْم إذا هو كَبِر، فأما في طفولته في المهد، فلا يوصف بذلك. وذُكر أن الغلام الذي بَشَّر الله به إبراهيم إسحاق.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة: ﴿فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ قال: هو إسحاق.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ بشر بإسحاق، قال: لم يُثْنَ بالحلم على أحد غير إسحاق وإبراهيم.

وقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يقول: فلما بلغ الغلام الذي بشر به إبراهيم معَ إبراهيم العملَ، وهو السعي، وذلك حين أطاق معونته على عمله.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ يقول: العمل.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ**﴾ قال: لما شبَّ حتى أدرك سعيُه سَعْيَ إبراهيمَ في العمل.

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله، إلا أنه قال: لما شبّ حين أدرك سعيه.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ**﴾ قال: سعي إبراهيم.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا سهل بن يوسف، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ**﴾: سَعَي إبراهيم.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ**﴾ قال: السَّعْيُ ها هنا العبادة.

وقال آخرون: معنى ذلك: فلما مشى مع إبراهيم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ**﴾: أي لما مشى مع أبيه.

وقوله: ﴿**قالَ يا بُنَيَّ إنِّي أرَى فِي المَنام أنِّي أذْبَحُكَ**﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم خليل الرحمن لابنه: ﴿**يا بُنَيَّ إنِّي أرَى فِي المَنامِ أنِّي أذْبَحُكَ**﴾ وكان فيما ذكر أن إبراهيم نذر حين بشَّرته الملائكة بإسحاق ولداً أن يجعله إذا ولدته سارّة لله ذبيحاً فلما بلغ إسحاقُ مع أبيه السَّعْي أرِي إبراهيم في المنام، فقيل له: أوف لله بنذرك، ورؤيا الأنبياء يقين، فلذلك مضى لما رأى في المنام، وقال له ابنه إسحاق ما قال.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: قال جبرائيل لسارّة: أبشري بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فضربت جبهتها عَجَباً، فذلك قوله: ﴿**فَصَكَّتْ وَجْهَها وَقالَتْ يا وَيْلَتَي ٱألِدُ وأنا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾ إلى قوله: ﴿**حَمِيدٌ مَجِيدٌ**﴾ قالت سارّة لجبريل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عوداً يابساً، فلواه بين أصابعه، فاهتزّ أخضر، فقال إبراهيم: هو لله إذن ذَبيح فلما كبر إسحاق أُتِيَ إبراهيمُ في النوم، فقيل له: أوفِ بنذرك الذي نَذَرْتَ، إن الله رزقك غلاماً من سارّة أن تذبحه،

فقال لإسحاق: انطلق نقرّب قُرْباناً إلى الله، وأخذ سكيناً وحبلاً، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام: يا أبت أين قُرْبانُك؟ **﴿قالَ يا بنيّ أرَى في المَنامِ أنّي أذْبَحُكَ فانْظُرْ ماذَا تَرَى قالَ يا أبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾** فقال له إسحاق: يا أبَتِ اشْدُد رِباطي حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء، فتراه سارَة فتحْزَن، وأسْرِعْ مرّ السكين على حَلْقي ليكون أهون للموت عليّ، فإذا أتيتَ سارَة فاقرأ عليها مني السلام فأقبل عليه إبراهيم يقبله وقد ربطه وهو يبكي وإسحاق يبكي، حتى استنقع الدموع تحت خدّ إسحاق، ثم إنه جرّ السكين على حلقه، فلم تَحِكِ السكين، وضرب الله صفيحة من نحاس على حلق إسحاق فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه، وحزّ من قفاه، فذلك قوله: **﴿فَلَمَّا أسْلَما﴾** يقول: سلّما لله الأمر **﴿وَتَلَّهُ للْجَبِينِ﴾** فنودي يا إبراهيم **﴿قد صدّقت الرؤيا﴾** بالحقّ فالتفت فإذا بكبش، فأخذه وخَلَّى عن ابنه، فأكبّ على ابنه يقبله، وهو يقول: اليوم يا بنيّ وُهِبْتَ لِي فلذلك يقول الله: **﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾** فرجع إلى سارَة فأخبرها الخبر، فجَزِعت سارَة وقالت: يا إبراهيم أردت أن تذبح ابني ولا تُعلِمْني.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا بُنَيَّ إنّي أرَى فِي المَنامِ أنّي أذْبَحُكَ﴾** قال: رؤيا الأنبياء حقّ إذا رأوا في المنام شيئاً فعلوه.

**حدثنا** مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير، قال: رؤيا الأنبياء وَحْي، ثم تلا هذه الآية: **﴿إنّي أرَى فِي المَنامِ أنّي أذْبَحُكَ﴾**.

قوله: **﴿فانْظُرْ ماذَا تَرَى﴾**: اختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿ماذَا تَرَى﴾**، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة، وبعض قرّاء أهل الكوفة: **﴿فانْظُرْ ماذَا تَرَى﴾**؟ بفتح التاء، بمعنى: أيّ شيء تأمر، أو فانظر ما الذي تأمر، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: **﴿ماذَا تُرَى﴾** بضم التاء، بمعنى: ماذا تُشير، وماذا تُرَى من صبرك أو جزعك من الذبح؟.

والذي هو أولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه: **﴿ماذَا تَرَى﴾** بفتح التاء، بمعنى: ماذا ترى من الرأي.

فإن قال قائل: أَوَ كان إبراهيم يؤامر ابنه في المضي لأمر الله، والانتهاء إلى طاعته؟ قيل: لم يكن ذلك منه مشاورة لابنه في طاعة الله، ولكنه كان منه ليعلم ما عند ابنه من العَزْم: هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذي هو عليه، فيسرّ بذلك أم لا، وهو في الأحوال كلها ماض لأمر الله.

وقوله: ﴿**قالَ يا أبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ**﴾ يقول تعالى ذكره: قال إسحاق لأبيه: يا أبت افعل ما يأمرك به ربك من ذبحي ﴿**سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ يقول: ستجدني إن شاء الله صابراً من الصابرين لما يأمرنا به ربنا، وقال: افعل ما تؤمر، ولم يقل: ما تؤمر به، لأن المعنى: افعل الأمر الذي تؤمره، وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «إني أرى في المنام: افعل ما أُمِرْت به».

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما أسلما أمرهما لله وفوّضاه إليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** سليمان بن عبد الجبار، قال: ثنا ثابت بن محمد، وحدثنا ابن بشار، قال: ثنا مسلم بن صالح، قالا: ثنا عبد الله بن المبارك، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: ﴿**فَلَمَّا أسْلَما**﴾ قال: اتفقا على أمر واحد.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، قوله: ﴿**فَلَمَّا أسْلَما وَتَلَّهُ للْجَبِينِ**﴾ قال: أسلما جميعاً لأمر الله ورضي الغلام بالذبح، ورضي الأب بأن يذبحه، فقال: يا أبت اقذفني للوجه كيلا تنظر إليّ فترحمني، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع، ولكن أدخل الشفرة من تحتي، وامض لأمر الله، فذلك قوله: ﴿**فَلَمَّا أسْلَما وَتَلَّهُ لْلجَبِينِ**﴾ فلما فعل ذلك ﴿**نَادَيْناهُ أنْ يا إبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إنَّا كَذلكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ**﴾.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَلَمَّا أسْلَما**﴾ قال: أسلم هذا نفسه لله، وأسلم هذا ابنه لله.

**حدثنا** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**فَلَمَّا أسْلَما**﴾ قال: أسلما ما أمرا به.

**حدثنا** موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**فَلَمَّا أسْلَما**﴾ يقول: أسلما لأمر الله.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿**فَلَمَّا أسْلَما**﴾: أي سلم إبراهيم

لذبحه حين أمر به وسلم ابنه للصبر عليه، حين عرف أن الله أمره بذلك فيه.

وقوله: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ يقول: وصَرَعَه للجَبين، والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها، وللوجه جبينان، والجبهة بينهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ قال: وضع وجهه للأرض، قال: لا تذبحني وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني، ولا تجهز عليّ، اربط يديّ إلى رقبتي ثم ضع وجهي للأرض.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: أي وكبَّه لفيه وأخذ الشَّفرة ﴿وَنادَيْناهُ أنْ يا إبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرؤْيا﴾ حتى بلغ ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ قال: أكَبَّه على جبهته.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ قال: جبينه، قال: أخذ جبينه ليذبحه.

**حدثنا** ابن سنان، قال: ثنا حجاج، عن حماد، عن أبي عاصم الغَنَوِيّ عن أبي الطُّفَيل، قال: قال ابن عباس: إن إبراهيم لما أُمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعَى فسابقه، فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حَصَيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوُسْطَى، فرماه بسبع حَصيات حتى ذهب، ثم تلَّه للجَبين، وعلى إسماعيل قَميص أبيض، فقال له: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غير هذا، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أَعْيَن أَبيض فذبحه، فقال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكِباش.

وقوله: ﴿وَنادَيْناهُ أنْ يا إبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرؤْيا﴾ وهذا جواب قوله: ﴿فَلَمَّا أسْلَما﴾ ومعنى الكلام: فلما أسلما وتلَّه للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم وأدخلت الواو في ذلك كما أدخلت في قوله: ﴿حتى إذا جاءُوها وَفُتِحَتْ أبْوابُها﴾ وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو في جواب فلما، وحتى وإذا تلقيها.

ويعني بقوله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا﴾ التي أريناكها في منامك بأمرناك بذبح ابنك.

وقوله: ﴿إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الـمُحْسِنِينَ﴾ يقول: إنا كما جَزَيْناك بطاعتنا يا إبراهيم، كذلك نجزى الذين أحسنوا، وأطاعوا أمرنا، وعملوا في رضانا.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلاءُ الـمُبِينُ﴾: يقول تعالى ذكره: إن أمرنا إياك يا إبراهيم بذبح ابنك إسحاق، لهو البلاء، يقول: لهو الاختبار الذي يبين لمن فكَّر فيه أنه بلاء شديد ومحْنة عظيمة. وكان ابن زيد يقول: البلاء في هذا الموضع الشرّ وليس باختبار.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلاءُ الـمُبِينُ﴾ قال: هذا في البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه. ﴿صدّقت الرؤيا﴾: ابتليتَ ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك، قال: وهذا من البلاء المكروه وهو الشرّ وليس من بلاء الاختبار.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾.

وقوله: ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: وفدينا إسحاق بذبح عظيم، والفدية: الجزاء، يقول: جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كَبش عظيم، وأنقذناه من الذبح.

واختلف أهل التأويل في المفديّ من الذبح من ابني إبراهيم، فقال بعضهم: هو إسحاق.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: حدثنا ابن يمان، عن مبارك، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: هو إسحاق.

**حدثني** الحسين بن يزيد بن إسحاق، قال: ثنا ابن إدريس، عن داود، بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الذي أُمِر بذبحه إبراهيم هو إسحاق.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: هو إسحاق.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: الذبيح إسحاق.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا زيد بن حباب، عن الحسن بن دينار، عن عليّ بن زيد بن

جُدْعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبيّ ﷺ في حديث ذكره، قال: «هو إسحاق».

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، قال: افتخر رجل عند ابن مسعود، فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا إبراهيم بن المختار، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن الزهري، عن العلاء بن حارثة الثقفي، عن أبي هريرة، عن كعب في قوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: من ابنه إسحاق.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا زكريا وشعبة، عن ابن إسحاق، عن مسروق، في قوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: هو إسحاق.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن زيد بن أسلم، عن عبيد بن عمير، قال: هو إسحاق.

**حدثنا** عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمير قال: قال موسى: يا ربّ يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فبم قالوا ذلك؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيئاً قطّ إلا اختارني عليه، وإن إسحاق جاد لي بالذبح، وهو بغير ذلك أجود، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظنّ.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، عن أبيه، قال: قال موسى: أي ربّ بم أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم؟ فذكر معنى حديث عمرو بن عليّ.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن أبي سنان الشيبانيّ، عن ابن أبي الهذيل، قال: الذبيح هو إسحاق.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب أن عمرو ابن أبي سفيان بن أسيد بن حارثة الثقفي، أخبره أن كعباً قال لأبي هريرة: ألا أخبرك عن إسحاق ابن إبراهيم النبيّ؟ قال أبو هريرة: بلى، قال كعب: لما رأى إبراهيمُ ذبحَ إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفِتن أحداً منهم أبداً، فتمثل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارَة امرأة إبراهيم، فقال لها: أي أصبح

إبراهيم غادياً بإسحاق، قالت سارَة: غدا لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما لذلك غدا به، قالت سارَة: فلم غدا به؟ قال: غدا به ليذبحه قالت سارَة: ليس من ذلك شيء، لم يكن ليذبح ابنه قال الشيطان: بلى والله قالت سارَة: فلِمَ يذبحه؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك قالت سارَة: فهذا أحسن بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك. فخرج الشيطان من عند سارَة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه، فقال: أين أصبح أبوك غادياً بك؟ قال: غدا بي لبعض حاجته، قال الشيطان: لا والله ما غدا بك لبعض حاجته، ولكن غدا بك ليذبحك، قال إسحاق: ما كان أبي ليذبحني قال: بلى قال: لِمَ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك قال إسحاق: فوالله لئن أمره بذلك ليطيعنَّه، قال: فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم، فقال: أين أصبحت غادياً بابنك؟ قال: غدوت به لبعض حاجتي، قال: أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه، قال: لمَ أذبحه؟ قال: زعمتَ أن ربك أمرك بذلك قال: الله فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلنّ قال: فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسَلَّم إسحاق، أعفاه الله وفداه بذبح عظيم، قال إبراهيم لإسحاق: قم أي بنيّ، فإن الله قد أعفاك وأوحى الله إلى إسحاق: إني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها قال إسحاق: اللهمّ إني أدعوك أن تستجيب لي، أيما عبد لقيك من الأوّلين والآخرين لا يُشرك بك شيئاً، فأدخله الجنة.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن محمد بن مسلم الزهري، عن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفي، حليف بني زهرة، عن أبي هريرة، عن كعب الأحبار أن الذي أُمِر إبراهيم بذبحه من ابنيه إسحاق، وأن الله لما فرّج له ولابنه من البلاء العظيم الذي كان فيه، قال الله لإسحاق: إني قد أعطيتك بصبرك لأمري دعوة أعطيك فيها ما سألت، فسلني، قال: ربّ أسألك أن لا تعذّب عبداً من عبادك لقيك وهو يؤمن بك، فكانت تلك مسألته التي سأل.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا إسرائيل، عن جابر، عن ابن سابط، قال: هو إسحاق.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا سفيان بن عُقْبة، عن حمزة الزيات، عن أبي ميسرة، قال: قال يوسف للملِك في وجهه: ترغب أن تأكل معي، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبيّ الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله.

**قال:** ثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي سنان، عن ابن أبي الهُذَيل، قال: قال يوسف للملك، فذكر نحوه.

وقال آخرون: الذي فُدِي بالذِّبح العظيم من بني إبراهيم: إسماعيل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، قالا: ثنا يحيى بن يمان، عن إسرائيل، عن ثور، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: الذبيح: إسماعيل.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا سفيان، قال: ثني بيان، عن الشعبيّ، عن ابن عباس **﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾** قال: إسماعيل.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو حمزة، عن محمد بن ميمون السكريّ، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: إن الذي أُمر بذبحه إبراهيم إسماعيل.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن عليّ بن زيد، عن عمار، مولى بني هاشم، أو عن يوسف بن مِهْران، عن ابن عباس، قال: هو إسماعيل، يعني **﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾**.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، قال: ثنا داود، عن الشعبيّ، قال: قال ابن عباس: هو إسماعيل.

**وحدثني** به يعقوب مرّة أخرى، قال: ثنا ابن عُلَية، قال: سئل داود بن أبي هند: أيّ ابني إبراهيم الذي أُمر بذبحه؟ فزعم أن الشعبيّ قال: قال ابن عباس: هو إسماعيل.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن بيان، عن الشعبي، عن ابن عباس أنه قال في الذي فداه الله بذبح عظيم قال: هو إسماعيل.

**حدثنا** يعقوب، قال: ثنا ابن عُلِيَة، قال: ثنا ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾** قال: هو إسماعيل.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عمر بن قيس، عن عطاء بن أبي رَباح، عن عبد الله بن عباس أنه قال: المَفْدِيّ إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود.

**حدثنا** محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا أبو عاصم، عن مبارك، عن عليّ بن زيد، عن يوسف بن مِهْران، عن ابن عباس: الذي فداه الله هو إسماعيل.

**حدثنا** ابن سنان القزّاز، قال: ثنا حجاج بن حماد، عن أبي عاصم الغَنَويّ، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس، مثله.

**حدثني** إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن داود، عن عامر، قال: الذي أراد إبراهيم ذبحه: إسماعيل.

**حدثني** المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر أنه قال في هذه الآية ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: هو إسماعيل، قال: وكان قَرْنَا الكبش مَنُوطين بالكعبة.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن إسرائيل، عن جابر، عن الشعبيّ، قال: الذبيح إسماعيل.

**قال:** ثنا ابن يمان، عن إسرائيل، عن جابر، عن الشعبي، قال: رأيت قرني الكبش في الكعبة.

**قال:** ثنا ابن يمان، عن مبارك بن فضالة، عن عليّ بن زيد بن جُدْعان، عن يوسف بن مِهْران، قال: هو إسماعيل.

**قال:** ثنا ابن يمان، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: هو إسماعيل.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا عوف، عن الحسن ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: هو إسماعيل.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: سمعت محمد بن كعب القُرظِي وهو يقول: إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من بنيه إسماعيل، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم وما أُمر به من ذبح ابنه إسماعيل، وذلك أن الله يقول، حين فرغ من قصة المذبوح من إبراهيم، قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يقول: بشّرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، يقول: بابن وابن ابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله، وما الذي أُمِر بذبحه إلا إسماعيل.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد، عن الحسن البصري أنه كان لا يشكّ في ذلك أن الذي أُمِر بذبحه من ابني إبراهيم: إسماعيل.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: سمعت محمد بن كعب القُرظيّ يقول ذلك كثيراً.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن بريدة بن سفيان بن

فَرْوة الأسلمي عن محمد بن كعب القُرظِيّ، أنه حدثهم أنه ذَكَر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، إذ كان معه بالشام فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما هو ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً، فأسلم فحسُن إسلامه، وكان يرى أنه من علماء يهود، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك، فقال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: أيّ ابني إبراهيم أُمِر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسُدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق، لأن إسحاق أبوهم، فالله أعلم أيهما كان، كلّ قد كان طاهراً طيباً مطيعاً لربه.

**حدثني** محمد بن عمار الرازي، قال: ثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، قال: ثنا عمر ابن عبد الرحيم الخطابيّ، عن عبيد بن محمد العُتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان، عن أبيه، قال: ثني عبد الله بن سعيد، عن الصُنابحي، قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم: كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله عُدْ عليّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك عليه الصلاة والسلام فقلنا له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أُمِر بحفْر زمزم، نذر لله لئن سَهُل عليه أمرها ليذبحنّ أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، وقالوا: افْدِ ابنك بمئة من الإبل، ففداه بمئة من الإبل، وإسماعيل الثاني.

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا عثمان بن عمر، قال: ثنا ابن جريج، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾ قال: الذي فُدِيَ به إسماعيل، ويعني تعالى ذكره الكبش الذي فُدِيَ به إسحاق، والعرب تقول لكلّ ما أُعِدّ للذبح ذِبح، وأما الذَّبح بفتح الذال فهو الفعل.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بالصواب في المفدِيّ من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو إسحاق، لأن الله قال: ﴿**وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾ فذكر أنه فَدَى الغلامَ الحليمَ الذي بُشّر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولداً صالحاً من الصالحين، فقال: ﴿**رَبِّ هَبْ لي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ فإذا كان المفدِيّ بالذبح من ابنيه هو المبشَّر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بُشّر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جلّ ثناؤه: ﴿**فَبَشَّرْناهُ بإسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾ وكان في كل موضع من القرآن ذكر تبشيره إياه بولد، فإنما هو معنًى به إسحاق، كان بيِّناً أن تبشيره إياه بقوله: ﴿**فَبَشَّرْناهُ بغُلامٍ حَلِيمٍ**﴾ في هذا الموضع نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن.

وبعد: فإن الله أخبر جلّ ثناؤه في هذه الآية عن خليله أن بشّره بالغلام الحليم عن مسألته إياه أن يهب له من الصالحين، ومعلوم أنه لم يسأله ذلك إلا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين، لأنه لم يكن له من ابنيه إلا إمام الصالحين، وغير موهوم منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه ووهبه له. فإذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشّره به وذلك لا شك أنه إسحاق، إذ كان المفديّ هو المبشَّر به. وأما الذي اعتلّ به من اعتلّ في أنه إسماعيل، أن الله قد كان وعد إبراهيم أن يكون له من إسحاق ابن ابن، فلم يكن جائزاً أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم فإن الله إنما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي، وتلك حال غير ممكن أن يكون قد وُلد لإسحاق فيها أولاد، فكيف الواحد؟ وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفديّ من ولد إبراهيم بقوله: **﴿وَبَشَّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيًّا﴾** ولو كان المفديّ هو إسحاق لم يبشَّر به بعد، وقد ولد، وبلغ معه السعي، فإن البشارة بنبوة إسحاق من الله فيما جاءت به الأخبار جاءت إبراهيم وإسحاق بعد أن فُدِي تكرمة من الله له على صبره لأمر ربه فيما امتحنه به من الذبح، وقد تقدمت الرواية قبلُ عمن قال ذلك. وأما اعتلال من اعتلّ بأن قرن الكبش كان معلقاً في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حُمِل من الشام إلى مكة. وقد رُوي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أُمِر بذبح ابنه إسحاق بالشام، وبها أراد ذبحه.

واختلف أهل العلم في الذِّبح الذي فُدِي به إسحاق، فقال بعضهم: كان كبشاً.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن جابر، عن أبي الطفيل، عن عليّ **﴿وَفَديناهُ بِذِبحٍ عَظِيمٍ﴾** قال: كبش أبيض أقرن أعين مربوط بسَمُرَة في ثَبِير.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس **﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾** قال: كبش قال: عبيد بن عمير: ذُبح بالمَقام، وقال مجاهد: ذبح بمنىً في المَنْحَر.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن خثيم، عن سعيد، عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتقبل منه.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا سيار، عن عكرمة، أن ابن عباس كان أفتى الذي جَعَلَ عليه أن ينحر نفسه، فأمره بمئة من الإبل، قال: فقال ابن عباس بعد ذلك: لو كنت أفتيته بكبش لأجزأه أن يذبح كبشاً، فإن الله قال في كتابه: **﴿وَفَدَيْناهُ بذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾**.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس، قوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: ذِبح كبش.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: قال ابن عباس: التفتَ فإذا كبش، فأخذه فذبحه.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة، وكان كبشاً أملح، صوفه مثل العِهْنِ الأحمر.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: بكبش.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا ليث، قال: قال مجاهد: الذبح العظيم: شاة.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: بكبش.

**وحدثنا** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا شريك، عن ليث، عن مجاهد ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: الذِّبح: الكبش.

**حدثنا** موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: التفت، يعني إبراهيم، فإذا بكبش، فأخذوه وخلَّى عن ابنه.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الذِّبح العظيم: الكبش الذي فَدَى الله به إسحاق.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن قتادة بن دِعامة، عن جعفر بن إياس، عن عبد الله بن العباس، في قوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفاً، فأرسل إبراهيم ابنه واتبع الكبش، فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرمى بسبع حصيات، فأفلته عنده، فجاء الجمرة الوسطى، فأخرجه عندها، فرماه بسبع حصيات، ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات، فأخرجه عندها، ثم أخذه فأتى به المنحَر من مِنَى، فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده، لقد كان أوّل الإسلام، وإن رأس الكبش لمعلَّق بقرنيه عند مِيزاب الكعبة قد حُشّ، يعني يبس.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال ابن إسحاق: ويزعم أهل الكتاب الأول وكثير من العلماء أن ذبيحة إبراهيم التي فدى بها ابنه كبش أملح أقرن أعين.

**حدثنا** عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: بكبش.

وقال آخرون: كان الذبح وَعِلاً.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن رجل، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: كان وَعلاً.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن أنه كان يقول: ما فُدِي إسماعيل إلا بتيس من الأرويّ أهبط عليه من ثبير.

واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل للذِّبح الذي فدى به إسحاق عظيم، فقال بعضهم: قيل ذلك كذلك، لأن كان رَعَى في الجنة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن عبد الله بن عيسى، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: رعى في الجنة أربعين خريفاً.

وقال آخرون: قيل له عظيم، لأنه كان ذِبحاً متقبَّلاً.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن جريج، عن مجاهد، ﴿عَظِيمٍ﴾ قال: متقبَّل.

**حدثنا** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا شريك، عن ليث، عن مجاهد في ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: العظيم: المتقبل.

وقال آخرون: قيل له عظيم، لأنه ذِبْحٌ ذُبِحَ بالحق، وذلك ذبحه بدين إبراهيم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن أنه كان يقول: ما يقول الله ﴿وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ لذبيحته التي ذبح فقط، ولكنه الذِّبح على دينه،

فتلك السُّنة إلى يوم القيامة، فاعلموا أن الذبيحة تدفع مِيتة السّوء، فضحُّوا عباد الله.

قال أبو جعفر: ولا قول في ذلك أصحّ مما قال الله جلّ ثناؤه، وهو أن يقال: فداه الله بذِبح عظيم، وذلك أن الله عمّ وصفه إياه بالعظم دون تخصيصه، فهو كما عمه به.

وقوله: ﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأبقينا عليه فيمن بعده إلى يوم القيامة ثناءً حسناً، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ قال: أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين.

**حدثني** يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ قال: سأل إبراهيمُ، فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ في الآخِرِينَ﴾ قال: فترك الله عليه الثناء الحسن في الآخِرين، كما ترك اللسانَ السّوْء على فرعون وأشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء.

وقيل: معنى ذلك: وتركنا عليه في الآخرين السلام، وهو قوله: ﴿سَلامٌ على إبْرَاهِيمَ﴾، وذلك قول يُرْوى عن ابن عباس تركنا ذكره لأن في إسناده من لم نستجز ذكره وقد ذكرنا الأخبار المروية في قوله: ﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ فيما مضى قبل. وقيل: معنى ذلك: وتركنا عليه في الآخرين أن يقال: سلام على إبراهيم.

وقوله: ﴿سَلامٌ على إبْرَاهِيمَ﴾ يقول تعالى ذكره: أَمَنة من الله في الأرض لإبراهيم أن لا يذكر من بعده إلا بالجميل من الذكر. وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾ يقول: كما جزينا إبراهيم على طاعته إيانا وإحسانه في الانتهاء إلى أمرنا، كذلك نجزي المحسنين ﴿إنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن إبراهيم من عبادنا المخلِصين لنا الإيمان.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وبشّرنا إبراهيم بإسحاق نبياً شكراً له على إحسانه وطاعته، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَبَشَّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيًا مِنَ الصَّالِحينَ﴾ قال: بشر به بعد ذلك نبياً، بعد ما كان هذا من أمره لمّا جاد لله بنفسه.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن داود، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس:

الذبيح إسحاق قال: وقوله: ﴿وَبَشَّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال بُشِّر بنبوّته. قال: وقوله: ﴿وَوَهَبْنا لَهُ من رحمتنا أخاهُ هارُونَ نَبِيًّا﴾ قال: كان هارون أكبر من موسى، ولكن أراد وَهَبَ الله له نبوّته.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت داود يحدّث، عن عكرمة، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿وَبَشَّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: إنما بشَّره به نبياً حين فداه من الذبح، ولم تكن البشارة بالنبوّة عند مولده.

**حدثني** الحسين بن يزيد الطحان، قال: ثنا ابن إدريس، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قول الله: ﴿وَبَشَّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيًّا﴾ قال: إنما بُشِّر بالنبوّة.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَبَشَّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: بُشِّر إبراهيم بإسحاق.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَبَشَّرْناهُ بإسحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ قال: بنبوّته.

**حدثني** أبو السائب، قال: ثنا ابن فضيل، عن ضرار، عن شيخ من أهل المسجد، قال: بُشِّر إبراهيم لسبع عشرة ومئة سنة.

وقوله: ﴿وَبارَكْنا عَلَيهِ وَعَلى إسحَاقَ﴾ يقول تعالى ذكره: وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهما مُحْسِنٌ﴾ يعني بالمحسن: المؤمن المطيع لله، المحسن في طاعته إياه ﴿وَظالِمٌ لنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ ويعني بالظالم لنفسه: الكافر بالله، الجالب على نفسه بكفره عذابَ الله وأليم عقابه ﴿مبين﴾: يعني الذي قد أبان ظلمَه نفسَه بكفره بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿مُحْسِنٌ وَظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ قال: المحسن: المطيع لله، والظالم لنفسه: العاصي لله.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد تفضلنا على موسى وهارون ابني عمران، فجعلناهما نبيين،

ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عُبودة آل فرعون، ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَنَجَّيْناهُما وَقَوْمَهُما مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ**﴾ قال: من الغرق.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَنَجَّيْناهُما وَقَوْمَهُما مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ**﴾: أي من آل فرعون.

وقوله: ﴿**وَنَصَرْناهُمْ**﴾ يقول: ونصرنا موسى وهارون وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم، ﴿**فَكانُوا هُمُ الغالِبِينَ**﴾ لهم.

وقال بعض أهل العربية: إنما أُريد بالهاء والميم في قوله: ﴿**وَنَصَرْناهُمْ**﴾ موسى وهارون، ولكنها أُخرجت على مخرج مكنّى الجمع، لأن العرب تذهب بالرئيس كالنبيّ والأمير وشبهه إلى الجمع بجنوده وأتباعه، وإلى التوحيد لأنه واحد في الأصل، ومثله: ﴿**على خَوْفٍ من فرعَوْنَ ومَلَئهم**﴾ وفي موضع آخر: وملئه. قال: وربما ذهبت العرب بالاثنين إلى الجمع كما تذهب بالواحد إلى الجمع، فتخاطب الرجل، فتقول: ما أحسنتم ولا أجملتم، وإنما تريده بعينه، وهذا القول الذي قاله هذا الذي حكينا قوله في قوله: ﴿**وَنَصَرْناهُمْ**﴾ وإن كان قولاً غير مدفوع، فإنه لا حاجة بنا إلى الاحتيال به لقوله: ﴿**وَنَصَرْناهُمْ**﴾، لأن الله أتبع ذلك قوله: ﴿**وَنَجَّيْناهُما وَقَوْمَهُما مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ**﴾ ثم قال: ﴿**وَنَصَرْناهُمْ**﴾ يعني: هما وقومهما، لأن فرعون وقومه كانوا أعداء لجميع بني إسرائيل، قد استضعفوهم، يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، فنصرهم الله عليهم، بأن غرّقهم ونجّى الآخرين.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وآتينا موسى وهارون الكتاب: يعني التوراة.

**كما حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وآتَيْناهُما الكِتابَ المُسْتَبِينَ**﴾: التوراة.

ويعني بالمستبين: المتبيِّن هُدَى ما فيه وتفصيله وأحكامه. وقوله: ﴿وَهَدَيْناهُما الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ﴾ يقول تعالى ذكره: وهدينا موسى وهارون الطريق المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه وهو الإسلام دين الله، الذي ابتعث به أنبياءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَهَدَيْناهُما الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ﴾ الإسلام.

وقوله: ﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِما فِي الآخِرِينَ﴾ يقول: وتركنا عليهما في الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما.

وقوله: ﴿سَلامٌ على مُوسَى وَهارُونَ﴾ يقول: وذلك أن يقال: سلام على موسى وهارون.

وقوله: ﴿إنَّا كَذلكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾ يقول: هكذا نجزي أهل طاعتنا، والعاملين بما يرضينا عنهم ﴿إنَّهُما مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن موسى وهارون من عبادنا المخلصين لنا الإيمان.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن إلياس، وهو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران فيما:

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سَلَمة، عن ابن إسحاق. وقيل: إنه إدريس.

**حدثنا** بذلك بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان يقال: إلياس هو إدريس.

وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل. وقوله: ﴿لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: لمرسل من المرسلين ﴿إذْ قالَ لَقَوْمِهِ ألا تَتَّقُونَ﴾؟ يقول حين، قال لقومه من بني إسرائيل: ألا تتقون الله أيها القوم، فتخافونه، وتحذرون عقوبته على عبادتكم رباً غير الله، وإلهاً سواه ﴿وَتَذَرُونَ أحْسَنَ الخالِقِينَ﴾ يقول: وتَدَعون عبادةَ أحسنِ مَن قيل له خالق.

وقد اختلف في معنى بَعْل، فقال بعضهم: معناه: أتدعون رباً؟ وقالوا: هي لغة لأهل اليمن معروفة فيهم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا حِرْميّ بن عُمارة، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عُمارة، عن عكرمة، في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ قال: إلهاً.

**حدثنا** عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا عمارة، عن عكرمة، في قوله: ﴿أتدعونَ بَعْلاً﴾ يقول: أتدعون رباً، وهي لغة أهل اليمن، تقول: مَنْ بَعْل هذا الثور: أي من رَبُّه؟.

**حدثني** زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو، قالا: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً؟﴾ قال: رباً.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ قال: هذه لغة باليمانية: أتدعون رباً دون الله.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ قال: رَبّاً.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن عبد الله بن أبي يزيد، قال: كنت عند ابن عباس فسألوه عن هذه الآية: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ قال: فسكت ابن عباس، فقال رجل: أنا بعلُها، فقال ابن عباس: كفاني هذا الجواب.

وقال آخرون: هو صنم كان لهم يقال له بَعْل، وبه سميت بعلبك.

**ذكر من قال ذلك:**

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ يعني: صنماً كان لهم يسمى بَعْلاً.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخالِقِينَ﴾؟ قال: بعل: صنم كانوا يعبدون، كانوا ببعلك، وهم وراء دمشق، وكان بها البعل الذي كانوا يعبدون.

وقال آخرون: كان بَعْل: امرأة كانوا يعبدونها.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: سمعت بعض أهل العلم يقول: ما كان بَعْل إلا امرأة يعبدونها من دون الله.

وللبَعْل في كلام العرب أوجه: يقولون لربّ الشيء هو بَعْلَهُ، يقال: هذا بَعْل هذه الدار، يعني ربُّها ويقولون لزوج المرأة بعلُها ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنياً بماء السماء، ولم يكن سَقِياً بل هو بعل، وهو العَذْي. وذُكر أن الله بعث إلى بني إسرائيل إلياس بعد مهلك حِزْقيل بن يوزا. وكان من قصته وقصة قومه فيما بلغنا، ما:

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه، قال: إن الله قبض حِزْقيل، وعظمت من بني إسرائيل الأحداث، ونسُوْا ما كان من عهد الله إليهم، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبياً. وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يُبعثون إليهم بتجديد ما نسُوا من التوراة، فكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل، يقال له: أحاب، كان اسم امرأته: أربل، وكان يسمع منه ويصدّقه، وكان إلياس يقيم له أمره، وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله يقال له بعل.

قال ابن إسحاق: وقد سمعت بعض أهل العلم يقول: ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله يقول الله لمحمد: **﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ اللّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾** فجعل إلياس يدعوهم إلى الله، وجعلوا لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من ذلك الملك، والملوك متفرّقة بالشام، كل ملك له ناحية منها يأكلها، فقال ذلك الملك الذي كان إلياس معه يقوّم له أمره، ويراه على هدى من بين أصحابه يوماً: يا إلياس، والله ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلاً، والله ما أرى فلاناً وفلاناً، يعدّد ملوكاً من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله إلا على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون وينعمون مملكين، ما ينقص دنياهم أمرُهم الذي تزعم أنه باطل، وما نرى لنا عليهم من فضل فيزعمون والله أعلم أن إلياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده، ثم رفضه وخرج عنه، ففعل ذلك الملك فعل أصحابه: عبد الأوثان، وصنع ما يصنعون، فقال إلياس: اللهمّ إن بني إسرائيل قد أبَوْا إلا أن يكفروا بك والعبادة لغيرك، فغَيِّرْ ما بهم من نعمتك، أو كما قال.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: فذكر لي أنه أُوحي إليه: إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك حتى تكون أنت الذي تأذن في ذلك، فقال إلياس: اللهمّ فأمسك عليهم المطر فحُبِس عنهم ثلاث سنين، حتى هلكت الماشية والهوامّ والدوابّ

والشجر، وجَهِد الناس جَهداً شديداً. وكان إلياس فيما يذكرون حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى، شفقاً على نفسه منهم، وكان حيثما كان وضع له رزق، وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت، قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان فطلبوه، ولقى منهم أهل ذلك المنزل شراً. ثم إنه أوَى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له اليسع ابن أخطوب به ضرّ، فآوته وأخفت أمره، فدعا إلياس لابنها، فعُوفَي من الضرّ الذي كان به، واتبعَ اليسعُ إلياسَ، فآمن به وصدّقه ولزمه، فكان يذهب معه حيثما ذهب. وكان إلياس قد أسنّ وكبر، وكان اليسعُ غلاماً شاباً، فيزعمون والله أعلم أن الله أوحى إلى إلياس: إنك قد أهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعص سوى بني إسرائيل من البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر، بحبس المطر عن بني إسرائيل، فيزعمون والله أعلم أن إلياس قال: أي ربّ دعني أنا الذي أدعو لهم وأكون أنا الذي آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم، لعلهم أن يرجعوا ويَنزِعوا عما هم عليه من عبادة غيرك، قيل له: نعم فجاء إلياس إلى بني إسرائيل فقال لهم: إنكم قد هلكتم جَهْداً، وهلكت البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر، بخطاياكم، وإنكم على باطل وغرور، أو كما قال لهم، فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك، وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه، وأن الذي أدعوكم إليه الحقّ، فاخرجوا بأصنامكم هذه التي تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه، فإن استجابت لكم، فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فنزعتُم، ودعوت الله ففرّج عنكم ما أنتم فيه من البلاء، قالوا: أنصفت فخرجوا بأوثانهم، وما يتقرّبون به إلى الله من إحداثهم الذي لا يرضى، فدعوها فلم تستجب لهم، ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل، ثم قالوا لإلياس: يا إلياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا، فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه، وأن يسقوا، فخرجت سحابة مثل التُّرس بإذن الله على ظهر البحر وهم ينظرون، ثم ترامى إليه السحاب، ثم أدْحَسَتْ ثم أرسل المطر، فأغاثهم، فحييت بلادهم، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، فلم ينزعوا ولم يرجعوا، وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم، دعا ربه أن يقبضه إليه، فيريحه منهم، فقيل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا، فماذا جاءوك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج إلياس وخرج معه اليسع بن أخطوب، حتى إذا كان في البلد الذي ذُكر له في المكان الذي أُمر به، أقبل إليه فرس من نار حتى وقف بين يديه، فوثب عليه، فانطلق به، فناداه اليسع: يا إلياس يا إلياس ما تأمرني؟ فكان آخر عهدهم به، فكساه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب، وطار في الملائكة، فكان إنسياً ملكياً أرضياً سمَاوياً.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأوَّلِينَ﴾ فقرأته عامة قرّاء مكة

والمدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة: «اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ» رفعاً على الاستئناف، وأن الخبر قد تناهى عند قوله: ﴿أَحْسَنُ الخالِقِينَ﴾. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ نصباً، على الردّ على قوله: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخالِقِينَ﴾ على أن ذلك كله كلام واحد.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى، مع استفاضة القراءة بهما في القرّاء، فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب. وتأويل الكلام: ذلك معبودكم أيها الناس الذي يستحقّ عليكم العبادة: ربكم الذي خلقكم، وربّ آبائكم الماضين قبلكم، لا الصنم الذي لا يخلق شيئاً، ولا يضرّ ولا ينفع.

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فإنَّهُمْ لَمُحْضَرونَ﴾ يقول: فكَذّب إلياسَ قومُهُ، فإنهم لمحضرون: يقول: فإنهم لمحضرون في عذاب الله فيشهدونه، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فإنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في عذاب الله.

﴿إلاَّ عِبادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينُ﴾ يقول: فإنهم يُحْضَرون في عذاب الله، إلا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب ﴿وَتَرَكْنا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾ يقول: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين من الأمم بعده.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٣٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: أمنة من الله لآل ياسين.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿سَلامٌ عَلى إلْياسِينَ﴾ فقرأته عامة قرّاء مكة والبصرة والكوفة: ﴿سَلامٌ عَلى إلْياسِينَ﴾ بكسر الألف من إلياسين، فكان بعضهم يقول: هو اسم إلياس، ويقول: إنه كان يُسمى باسمين: إلياس، وإلياسين مثل إبراهيم، وإبراهام يُستشهد على ذلك أن ذلك كذلك بأن جميع ما في السورة من قوله: ﴿سَلامٌ﴾ فإنه سلام على النبيّ الذي ذكر دون آله، فكذلك إلياسين، إنما هو سلام على إلياس دون آله. وكان بعض أهل العربية يقول: إلياس: اسم من أسماء العبرانية، كقولهم: إسماعيل وإسحاق، والألف واللام منه، ويقول: لو جعلته عربياً من الإلس، فتجعله إفعالاً، مثل الإخراج، والإدخال أُجْري ويقول: قال: سلام على إلياسين، فتجعله بالنون، والعَجَمِيّ من الأسماء قد تفعل به هذا العرب، تقول: ميكال وميكائيل وميكائين،

وهي في بني أسد تقول: هذا إسماعين قد جاء، وسائر العرب باللام قال: وأنشدني بعض بني نُمير لضبّ صادَهُ:

يَـقُـولُ رَبُّ الـسُّـوقِ لَـمَّـا جِـيـنـا هَـذَا وَرَبِّ الـبَـيْـتِ إِسْـرَائِـيـنـا[(١)]

قال: فهذا كقوله: إلياسين قال: وإن شئت ذهبت بإلياسين إلى أن تجعله جمعاً، فتجعل أصحابه داخلين في اسمه، كما تقول لقوم رئيسهم المهلب: قد جاءتكم المهالبة والمهلبون، فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف، والسعدين بالتخفيف وشبهه، قال الشاعر:

أنـا ابْـنُ سَـعْـدٍ سَـيِّـدِ الـسَّـعْـدِيْـنَـا[(٢)]

قال: وهو في الاثنين أن يضمّ أحدهما إلى صاحبه إذا كان أشهر منه اسماً كقول الشاعر:

جَـزَانِـي الـزَّهْـدَمَـانِ جَـزاءَ سَـوْءٍ وكُـنـتُ الـمَـرْءَ يُـجْـزَى بـالـكَـرَامَـهْ[(٣)]

---

(١) هذان البيتان من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (مصورة الجامعة ص ـ ٢٧٤) قال: وقوله «وإن إلياس لمن المرسلين» ذكر أنه نبي، وأن هذا الاسم اسم من أسماء العبرانية، كقولهم: إسماعيل وإسحاق، والألف واللام منه. ولو جعلته عربياً من الألس فتجعل إفعالا، مثل الإخراج والإدخال، لجري (أي صرف). ثم قال: «سلام على إلياسين»، فجعله بالنون، والعجمي من الأسماء قد يفعل به هذا العرب، تقول: ميكال وميكائيل وميكائين، بالنون، وهي في بني أسد؛ يقولون: هذا إسماعين قد جاء، بالنون، وسائر العرب باللام. قال: وأنشدني بعض بني نمير، لضب صاده بعضهم:

«يـقـول أهـل الـسـوق....

البيتين. فهذا وجه لقوله «إلياسين» في («مجاز القرآن» مصورة الجامعة الورقة ٢١٠ ـ ١) قال أبو عبيدة: «سلام على إلياسين»: أي سلام على إلياس وأهله، وعلى أهل دينه جميعهم، بغير إضافة الياء على العدد. قال الشاعر:

قـدنـي مـن نـصـر الـخـبـيـبـيـن قـدى

فجعل عبد الله بن الزبير أبا خبيب «مصغراً» ومن كان على رأيه عدداً ولم يضفهما بالياء (أي لم ينسبهم إليه بياء النسب) فيقول خبيبيون وقال أبو عمرو بن العلاء: نادى مناد يوم الكلاب فقال: هلك اليزيدون. يعني يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن هوبر، ويزيد بن مخرمة الحارثيون. ويقال: جاءك الحارثون والأشعرون.

(٢) وهذا أيضاً من شواهد الفراء في «معاني القرآن»، جاء بعد الشاهد الذي قبله. قال الفراء بعد كلامه السابق في أن إلياسين لغة في إلياس عند بني أسد: وإن شئت ذهبت «بإلياسين» إلى أن تجعله جمعاً، فتجعل أصحابهُ داخلين في اسمه، كما تقول للقوم رئيسهم المهلب: قد جاءتكم المهالبة والمهلبون، فيكون بمنزلة قوله: الأشعرين والسعدين وشبهه. قال الشاعر:

«أنـا ابـن سـعـد...»

البيت. وهذا يشبه كلام أبي عبيدة في «مجاز القرآن»، وقد نقلناه في آخر الشاهد السابق على هذا.

(٣) هذا الشاهد الثالث على قراءة قوله تعالى: ﴿سلام على إلياسين﴾. نقله الفراء وأبو عبيدة في كتابيهما. قال الفراء بعد كلامه السابق: وهو في الاثنين أكثر أن يضم أحدهما إلى صاحبه، إذا كان أشهر منه اسماً كقول الشاعر:

«جـزانـي الـزهـدمـان...

واسم أحدهما: زهدم وقال الآخر:

جَزَى اللّهُ فِيها الأعْوَرَيْنِ ذَمامَةً وَفَرْوَةَ ثَفْرَ الثَّوْرَةِ المُتَضاجِمِ(١)

واسم أحدهما أعور.

وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة: «سَلامٌ عَلى آلِ ياسِينَ» بقطع آل من ياسين، فكان بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى: سلام على آل محمد. وذُكر عن بعض القرّاء أنه كان يقرأ قوله: ﴿وَإِنَّ إلْياسَ﴾ بترك الهمز في إلياس ويجعل الألف واللام داخلتين على «ياس» للتعريف، ويقول: إنما كان اسمه «ياس» أدخلت عليه ألف ولام ثم يقرأ على ذلك» «سلام على الْياسين».

والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه: ﴿سَلامٌ عَلى إلْياسِينَ﴾ بكسر ألفها على مثال إدراسين، لأن الله تعالى ذكره إنما أخبر عن كلّ موضع ذكر فيه نبياً من أنبيائه صلوات الله عليهم في هذه السورة بأن عليه سلاماً لا على آله، فكذلك السلام في هذا الموضع ينبغي أن يكون على إلياس كسلامه على غيره من أنبيائه، لا على آله، على نحو ما بيَّنا من معنى ذلك.

فإن ظنّ ظانّ أن إلياسين غير إلياس، فإن فيما حكينا من احتجاج من احتجّ بأن إلياسين هو إلياس غني عن الزيادة فيه، مع أن فيما:

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿سَلامٌ عَلى إلْياسِينَ﴾ قال: إلياس.

---

= البيت». واسم أحدهما زهدم. وقال أبو عبيدة: وكذلك يقال في الاثنين. وأنشد البيت، ونسبه إلى قيس بن زهير. ثم قال بعده: وإنما هو زهدم وكردم العبسيان: أخوان. وقيل لعلي بن أبي طالب: نسألك سنة العمرين: يعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. ثم ذكر أبو عبيدة بعد ذلك وجهاً رخر فقال: إن أهل المدينة يقولون: «سلام على آل ياسن» أي على أهل ياسين. فقال سعد بن أبي وقاص وأبو عمرو وأهل الشام: هم قومه ومن كان معه على دينه. وقالت الشيعة: آل محمد: أهل بيته. واحتجوا بأنك تصغر الآل، فتجعله أهيلا. ا هـ. وذكر بعد كلامه السابق في الموضوع وجهاً آخر فقال: وقد قرأ بعضهم: «وإن إلياس» يجعل اسمه «ياساً» أدخل عليه الألف واللام. ثم يقرءون: «سلام على آل ياسين». جاء التفسير في التفسير الكلبي: على آل ياسين: على آل محمد ﷺ والأول أشبه بالصواب والله أعلم. لأن في قراءة عبد الله (يعني ابن مسعود): «وإن إدريس لمن المرسلين» «سلام على إدراسين» وقد يشهد على صواب هذا قوله: «وشجرة تخرج ممن طور سيناء». ثم قال في موضع آخر: «وطور سينين». وهو معنى واحد. والله أعلم.

(١) هذا هو الشاهد الرابع في الموضوع نفسه، أنشده الفراء في «**معاني القرآن**» بعد سابقه. وأنشده صاحب «**اللسان**» في ضجم، ونسبه إلى الأخطل، وروايته في «ملامة» في موضع «ذمامة» وقال: الضجم: العوج في الأنف، يميل إلى أحد شقيه. والمتضاجم: المعوج الفم قال الأخطل:

«جـــــزى الله.......

البيت». وفروة: اسم رجل. ا هـ. وموضع الشاهد فيه قوله «الأعورين» كالذي قبله تماماً.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «سَلامٌ عَلى إدْرَاسِينَ» دلالة واضحة على خطأ قول من قال: عنى بذلك سلام على آل محمد، وفساد قراءة من قرأ: «وإنَّ الياسَ» بوصل النون من «إن» بالياس، وتوجيه الألف واللام فيه إلى أنهما أدخلتا تعريفاً للاسم الذي هو ياس، وذلك أن عبد الله كان يقول: إلياس هو إدريس، ويقرأ: «وَإنَّ إدْرِيسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ»، ثم يقرأ على ذلك: «سلامٌ عَلى إدْرَاسِينَ»، كما قرأ الآخرون: ﴿سَلامٌ عَلى إلياسِينَ﴾، فلا وجه على ما ذكرنا من قراءة عبد الله لقراءة من قرأ ذلك: «سَلامٌ عَلى آلِ ياسِينَ» بقطع الآل من ياسين. ونظير تسمية إلياس بالياسين: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِيناءَ﴾، ثم قال في موضع آخر: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وهو موضع واحد سمي بذلك.

وقوله: ﴿إنَّا كَذلكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا هكذا نجزي أهل طاعتنا والمحسنين أعمالاً. وقوله: ﴿إنَّه مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن إلياس عبد من عبادنا الذين آمنوا، فوحّدونا، وأطاعونا، ولم يُشركوا بنا شيئاً.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن لوطاً المرسل من المرسلين ﴿إذْ نَجَّيْناهُ وأهْلَهُ أجمَعِينَ﴾ يقول: إذ نجّينا لوطاً وأهله أجمعين من العذاب الذي أحللناه بقومه، فأهلكناهم به ﴿إلاَّ عَجُوزاً في الغَابِرِينَ﴾ يقول: إلا عجوزاً في الباقين، وهي امرأة لوط، وقد ذكرنا خبرها فيما مضى، واختلاف المختلفين في معنى قوله ﴿فِي الغابِرِينَ﴾، والصواب من القول في ذلك عندنا. وقد:

**حُدثت** عن المسيّب بن شريك، عن أبي روق، عن الضحاك ﴿إلاَّ عَجُوزاً في الغابِرِينَ﴾ يقول: إلا امرأته تخلّفت فمسخت حجراً، وكانت تسمى هيشفع(١).

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿إلاَّ عَجُوزاً فِي الغابِرِينَ﴾ قال: الهالكين.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنا الآخَرِينَ﴾ يقول: ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم، فأهلكناهم بذلك.

---

(١) في «عرائس المجالس» للثعالبي. طبعة الحلبي ١٠٦ وكانت تسمى هلسفع.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: وإنكم لتمرّون على قوم لوط الذين دمّرناهم عند إصباحكم نهاراً وبالليل، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيهِمْ مُصْبِحِينَ﴾** قالوا: نعم والله صباحاً ومساء يطوؤنها وطْئاً، مَن أخَذَ من المدينة إلى الشام، أخذ على سدوم قرية قوم لوط.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قوله: **﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيهِمْ مُصْبِحِينَ﴾** قال: في أسفاركم.

وقوله: **﴿أفَلا تَعْقِلُونَ﴾** يقول: أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكّرون، فتعلمون أن من سلك من عباد الله في الكفر به، وتكذيب رسله، مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط، نازل بهم من عقوبة الله، مثل الذي نزل بهم على كفرهم بالله، وتكذيب رسوله، فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله، وتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام، كما:

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿أفَلا تَعْقِلُونَ﴾** قال: أفلا تتفكّرون ما أصابهم في معاصي الله أن يصيبكم ما أصابهم، قال: وذلك المرور أن يمرّ عليهم.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن يونس لمرسلٌ من المرسلين إلى أقوامهم **﴿إذْ أَبَقَ إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾** يقول: حين فرّ إلى الفُلك، وهو السفينة، المشحون: وهو المملوء من الحمولة المُوقَر، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿إلى الفُلْكِ المَشْحُون﴾** كنّا نحدّث أنه الموقر من الفُلك.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾ قال: الموقر.

وقوله: ﴿فَساهَمَ﴾ يقول: فقارَعَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَساهَمَ﴾ يقول أقْرَعَ.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَساهَمَ فَكانَ مِنَ المُدْحَضِينَ﴾ قال: فاحتبست السفينة، فعلم القوم أنما احتبست من حدث أحدثوه، فتساهموا، فقُرِع يونس، فرمى بنفسه، فالتقمه الحوت.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿فَساهَمَ﴾ قال: قارع.

وقوله: ﴿فَكانَ مِنَ المُدْحَضِينَ﴾ يعني: فكان من المسهومين المغلوبين، يقال منه: أدحض الله حجة فلان فدحضت: أي أبطلها فبطلت، والدَّحْض: أصله الزلق في الماء والطين، وقد ذُكر عنهم: دَحَض الله حجته، وهي قليلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَكانَ مِنَ المُدْحَضِينَ﴾ يقول: من المقروعين.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿مِنَ المُدْحَضِينَ﴾ قال: من المسهومين.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿فَكانَ مِنَ المُدْحَضِينَ﴾ قال: من المقروعين.

وقوله: ﴿فالْتَقَمَهُ الحُوتُ﴾ يقول: فابتلعه الحوت وهو افتعل من اللَّقْم. وقوله: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ يقول: وهو مكتسب اللوم، يقال: قد ألام الرجل، إذا أتى ما يُلام عليه من الأمر وإن لم يُلَم، كما يقال: أصبحتَ مُحْمِقاً مُعْطِشاً: أي عندك الحمق والعطش ومنه قول لبيد:

سَفَهاً عَذَلْتَ ولُمْتَ غيرَ مُلِيمِ  وَهَداكَ قَبلَ اليومِ غيرُ حَكِيمِ[(١)]

فأما الملوم فهو الذي يُلام باللسان، ويعذل بالقول. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثني أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾ قال: مذنب.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾: أي في صنعه.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾ قال: وهو مذنب، قال: والمليم: المذنب.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**فَلَوْلا أَنَّهُ**﴾ يعني يونس ﴿**كانَ مِنَ**﴾ المُصَلِّين لله قبل البلاء الذي ابتُلي به من العقوبة بالحبس في بطن الحوت ﴿**لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ يقول: لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة، يوم يبعث الله فيه خلقه محبوساً، ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء، فذكره الله في حال البلاء، فأنقذه ونجّاه.

وقد اختلف أهل التأويل في وقت تسبيح يونس الذي ذكره الله به، فقال ﴿**فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ**﴾ فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك، وقالوا مثل قولنا في معنى قوله: ﴿**مِنَ المُسَبِّحِينَ**﴾.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ**﴾

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري استشهد به أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢١١ ـ ١) قال في وقوله تعالى ﴿وهو سليم﴾ يقول العرب: ألام فلان في أمره: وذاك إذا أتى أمراً يلام عليه. وقال لبيد:

«سـفـهـا ......

البيت» ا هـ. واستشهد به في «**اللسان**» لوم على مثل ما استشهد به أبو عبيدة. وقال: لام فلان غير مليم.

كان كثير الصَّلاةِ في الرّخاء، فنجّاه الله بذلك قال: وقد كان يقال في الحكمة: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عَثَر، فإذا صُرِع وَجد متكأً.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن بعض أصحابه، عن قتادة، في قوله: ﴿**فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحينَ**﴾ قال: كان طويل الصلاة في الرخاء قال: وإنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، وإذا صرع وجد متكأً.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا أبو صخر، أن يزيد الرَّقاشي، حدّثه، قال: سمعت أنس بن مالك، قال: ولا أعلم إلا أن أنساً يرفع الحديث إلى النبيّ ﷺ: «أنَّ يُونُسَ النَّبِيّ حِينَ بَدَا لَهُ أنْ يَدْعُوَ اللّهَ بالكَلِماتِ حِينَ ناداهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ، فَقالَ: اللَّهُمَّ لا إلَهَ إلاَّ أنْتَ سُبْحانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين، فأَقْبَلَتِ الدَّعْوَةُ تَحْتَ العَرْشِ، فَقالَتِ المَلائِكَةُ: يا رَبِّ هَذا صَوْتٌ ضَعِيفٌ مَعْرُوفٌ فِي بِلادٍ غَرِيبَةٍ، قال: أما تَعْرِفُونَ ذلكَ؟ قالُوا يا رَبِّ وَمَنْ هُوَ؟ قالَ: ذلكَ عَبْدي يُونُسُ، قالُوا: عَبْدُكَ يُونُسُ الَّذي لَمْ يَزَلْ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ مُتَقَبَّلٌ وَدَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ، قالُوا: يا رَبِّ أوَلا يُرْحَمُ بِمَا كانَ يَصْنَعُ فِي الرَّخاءِ فَتُنَجِّيهِ مِنَ البَلاءِ؟ قالَ: بَلى، فأَمَرَ الحُوتَ فَطَرَحَهُ بالعَرَاءِ».

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن ابن عباس ﴿**فَلَوْلا أنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ**﴾ قال: من المصلِّين.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي الهيثم، عن سعيد بن جُبَير ﴿**فَلَوْلا أنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ**﴾ قال: من المصلِّين.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية ﴿**فَلَوْلا أنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ**﴾ قال: كان له عمل صالح فيما خلا.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**مِنَ المُسَبِّحِينَ**﴾ قال: المصلين.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا كثير بن هشام، قال: ثنا جعفر، قال: ثنا ميمون بن مهران، قال: سمعت الضحاك بن قيس يقول على منبره: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدّة، إن يونس كان عبداً لله ذاكراً، فلما أصابته الشدّة دعا الله فقال الله: ﴿**لَوْلا أنَّهُ كانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ فذكره الله بما كان منه، وكان فرعون طاغياً باغياً ﴿**فَلَمَّا أدْرَكَهُ الغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرَائِيلَ وأنا مِنَ المُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ**﴾ قال الضحاك: فاذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدّة.

قال أبو جعفر: وقيل: إنما أحدث الصلاة التي أخبر الله عنه بها، فقال: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ في بطن الحوت.

وقال بعضهم: كان ذلك تسبيحاً، لا صلاة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا عمران القطان، قال: سمعت الحسن يقول في قوله: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ قال: فوالله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت قال عمران: فذكرت ذلك لقتادة، فأنكر ذلك وقال: كان والله يكثر الصلاة في الرخاء.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جُبَير: ﴿فالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ قال: قال ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فلما قالها، قذفه الحوت، وهو مغرب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: لصار له بطن الحوت قبراً إلى يوم القيامة.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك، قال: لبث يونس في بطن الحوت أربعين يوماً.

وقوله: ﴿فَنَبَذْناهُ بالعَرَاءِ﴾ يقول: فقذفناه بالفضاء من الأرض، حيث لا يواريه شيء من شجر ولا غيره ومنه قول الشاعر:

وَرَفَعْتُ رِجْلاً لا أخافُ عِثارَها وَنَبَذْتُ بالبَلَدِ العَرَاءِ ثِيابِي[1]

يعني بالبلد: الفضاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢١١ ـ ب) قال في قوله تعالى: ﴿فنبذناه بالعراء﴾ تقول العرب: «نبذته بالعراء» أي الأرض الفضاء. قال الخزاعي:

«ورفعت رجلا....

الخ البيت». العراء: لا شيء يواريه من شجر ولا من غيره اهـ وأنشده صاحب «**اللسان**» عرا ولم ينسبه. قال وقال أبو عبيدة إنما قيل له عراء، لأنه لا شجر فيه، ولا شيء يغطيه. وقيل: إن العراء وجه الأرض الخالي وأنشد:

ورفعته رجلا....

البيت». ونقل بعد ذلك كلام الزجاج في معنى العراء، فراجعه ثمة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثني أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَنَبَذْناهُ بالعَرَاءِ**﴾ يقول: ألقيناه بالساحل.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَنَبَذْناهُ بالعَرَاءِ**﴾ بأرض ليس فيها شيء ولا نبات.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**بالعَراءِ**﴾ قال: بالأرض.

وقوله: ﴿**وَهُوَ سَقِيمٌ**﴾ يقول: وهو كالصبيّ المنفوس: لحم نيء، كما:

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَهُوَ سَقِيمٌ**﴾ كهيئة الصبيّ.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: خرج به، يعني الحوت، حتى لفظه في ساحل البحر، فطرحه مثل الصبيّ المنفوس، لم ينقص من خلقه شيء.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ما لَفَظه الحوت حتى صار مثل الصبيّ المنفوس، قد نشر اللحم والعظم، فصار مثل الصبيّ المنفوس، فألقاه في موضع، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين.

وقوله: ﴿**وأنْبَتْنا عَلَيهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التي لا تقوم على ساق، وكل شجرة لا تقوم على ساق كالدُّباء والبِطِّيخ والحَنْظَل ونحو ذلك، فهي عند العرب يَقْطِين.

واختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿**وأنْبَتْنا عَلَيهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾ قال: هو كلّ شيء ينبت على وجه الأرض ليس له ساق.

**حدثني** مطر بن محمد الضبي، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا الأصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿**وأنْبَتْنا عَلَيهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾ قال: كلّ شيء ينبت ثم يموت من عامه.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: ﴿شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ﴾ فقالوا عنده: القرع قال: وما يجعله أحقّ من البطيخ.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ﴾ قال: غير ذات أصل من الدُّبّاء، أو غيره من نحوه.

وقال آخرون: هو القرع.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وأنْبَتْنا عَلَيهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ﴾ قال: القرع.

**حدثنا** محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله، أنه قال في هذه الآية: ﴿وأنْبَتْنا عَلَيهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ﴾ قال: القرع.

**حدثني** مطر بن محمد الضبيّ، قال: ثنا عبد الله بن داود الواسطي، قال: ثنا شريك، عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي، في قوله: ﴿وأنْبَتْنا عَلَيهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ﴾ قال: القرع.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وأنْبَتْنا عَلَيهِ شَجَرَةً مِن يَقْطِينٍ﴾: كنّا نحدَّث أنها الدُّبّاء، هذا القرع الذي رأيتم أنبتها الله عليها يأكل منها.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني أبو صخر، قال: ثني ابن قسيط، أنه سمع أبا هُرَيرة يقول: طرح بالعراء، فأنبت الله عليه يقطينة، فقلنا: يا أبا هريرة وما اليقطينة؟ قال: الشجرة الدُّبّاء، هيأ الله له أروية وحشية تأكل من خَشاش الأرض أو هَشاش فتفشح عليه فترويه من لبنها كلّ عشية وبكرة حتى نبت. وقال ابن أبي الصلت قبل الإسلام في ذلك بيتاً من شعر:

فأَنْبَتَ يَقْطِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لَوْلا اللهُ أُلْفِيَ ضَاحِيا[1]

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت كما قال المؤلف، ولم أجده في شعراء النصرانية ولا في ترجمته في الأغاني. وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ٢١١ ـ ب) في قوله تعالى: ﴿شجرة من يقطين﴾ كل شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين، مثل الدباء والحنظل والبطيخ. ا هـ. وفي «اللسان» قطن قال الفراء قيل عند ابن =

**حدثني** يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن مغيرة في قوله: ﴿**وأنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾ قال: القرع.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾ قال: القرع.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أنبت الله عليه شجرة من يقطين قال: فكان لا يتناول منها ورقة فيأخذها إلا أروته لبناً، أو قال: شرب منها ما شاء حتى نبت.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾ قال: هو القرع، والعرب تسميه الدُّبّاء.

**حدثنا** عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن ورقاء، عن سعيد بن جُبَير في قول الله: ﴿**وأنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾ قال: هو القرع.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قوله: ﴿**وأنْبَتْنا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾ قال: القرع.

وقال آخرون: كان اليقطين شجرة أظلَّت يونس.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ثابت بن يزيد، عن هلال بن خباب، عن سعيد بن جُبَير، قال: اليقطين: شجرة سماها الله يقطيناً أظلته، وليس بالقرّع. قال: فِيما ذكر أرسل الله عليه دابة الأرض، فجعلت تقرض عروقها، وجعل ورقها يتساقط حتى أفضت إليه الشمس وشكاها، فقال: يا يونس جزعت من حرّ الشمس، ولم تجزع لمئة ألف أو يزيدون تابوا إليّ، فتبت عليهم؟

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ

---

= عباس: هو ورق القرع. وما جعل القرع ممن بين الشجر يقطيناً؛ كل ورقة اتسعت وسترت فهي يقطين. قال الفراء: وقال مجاهد: كل شيء ذهب بسطا في الأرض: يقطين. ونحو ذلك قال الكلبي: قال: ومنه القرع، والبطيخ، والقثاء والشريان. وقال سعيد بن جبير: كل شيء ينبت ثم يموت من عامه فهو يقطين ا هـ.

أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأرسلنا يونس إلى مئة ألف من الناس، أو يزيدون على مئة ألف. وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقول: معنى قوله ﴿أوْ﴾: بل يزيدون. ذكر الرواية بذلك:

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن الحكم بن عبد الله بن الأزور، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وأرْسَلْناهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ**﴾ قال: بل يزيدون، كانوا مئة ألف وثلاثين ألفاً.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿**مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ**﴾ قال: يزيدون سبعين ألفاً، وقد كان العذاب أرسل عليهم، فلما فرّقوا بين النساء وأولادها، والبهائم وأولادها، وعجُّوا إلى الله، كشف عنهم العذاب، وأمطرت السماء دماً.

**حدثني** محمد بن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: سمعت زُهَيراً، عمن سمع أبا العالية، قال: ثني أبيّ بن كعب، أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿**وأرْسَلْناهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ**﴾ قال: يزيدون عشرين ألفاً.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك: معناه إلى مئة ألف أو كانوا يزيدون عندكم، يقول: كذلك كانوا عندكم.

وإنما عنى بقوله: ﴿**وأرْسَلْناهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ**﴾ أنه أرسله إلى قومه الذين وعدهم العذاب، فلما أظلَّهم تابوا، فكشف الله عنهم. وقيل: إنهم أهل نينَوَى.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأرْسَلْناهُ إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ**﴾ أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل، قال: قال الحسن: بعثه الله قبل أن يصيبه ما أصابه ﴿**فآمَنُوا فَمَتَّعْناهُمْ إلى حِينٍ**﴾.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إلى مِئَةِ ألْفٍ أوْ يَزِيدُونَ**﴾ قال: قوم يونس الذين أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت.

وقيل: إن يونس أُرسل إلى أهل نِيْنَوَى بعد ما نبذه الحوت بالعراء.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: سمعت أبا هلال محمد بن سليمان، قال: ثنا

شهر بن حوشب، قال: أتاه جبرائيل، يعني يونس، وقال: انطلق إلى أهل نِيْنَوَى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم قال: ألتمس دابة قال: الأمر أعجل من ذلك، قال: ألتمس حذاء، قال: الأمر أعجل من ذلك، قال: فغضب فانطلق إلى السفينة فركب فلما ركب احتبست السفينة لا تُقدّم ولا تُؤخر قال: فتساهموا، قال: فسُهم، فجاء الحوت يبصبص بذنبه، فنودي الحوت: أيا حوت إنا لم نجعل يونس لك رزقاً، إنما جعلناك له حوزاً ومسجداً قال: فالتقمه الحوت، فانطلق به من ذلك المكان حتى مرّ به على الأيْلة، ثم انطلق به حتى مرّ به على دجلة، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى.

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا شهر بن حوشب، عن ابن عباس قال: إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت.

وقوله: ﴿فَآمَنُوا﴾ يقول: فوحدوا الله الذي أرسل إليهم يونس، وصدّقوا بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله.

وقوله: ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلى حِينٍ﴾ يقول: فأخرنا عنهم العذاب، ومتعناهم إلى حين بحياتهم إلى بلوغ آجالهم من الموت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلى حِينٍ﴾: الموت.

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلى حِينٍ﴾ قال: الموت.

وقوله: ﴿فاسْتَفْتِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سل يا محمد مشركي قومك من قريش، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ البَناتُ وَلَهُمُ البَنُونَ﴾: يعني مشركي قريش.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ البَناتُ وَلَهُمُ البَنُونَ﴾ قال: سلهم، وقرأ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ قال: يسألونك.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فاسْتَفْتِهِمْ﴾ يقول: يا محمد سلهم. وقوله: ﴿أَلِرَبِّكَ البَناتُ وَلَهُمُ البَنُونَ﴾: ذكر أن مشركي قريش كانوا يقولون: الملائكة بنات الله، وكانوا يعبدونها، فقال الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام: سلهم، وقل لهم: ألربي البنات ولكم البنون؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿أَلِرَبِّكَ البَنَاتُ وَلَهُمُ البَنُونَ﴾؟ لأنهم قالوا: يعني مشركي قريش: لله البنات، ولهم البنون.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿فاستَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ البَنَاتُ وَلهُمُ البَنُونَ﴾ قال: كانوا يعبدون الملائكة.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

يعني تعالى ذكره: أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين: الملائكة بنات الله خلقيَ الملائكة وأنا أخلقهم إناثاً، فشهدوا هذه الشهادة، ووصفوا الملائكة بأنها إناث.

وقوله: ﴿ألا إنَّهُمْ مِنْ إفْكِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن هؤلاء المشركين من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللّهُ وإنَّهُمْ لَكاذِبونَ﴾ في قيلهم ذلك، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ألا إنَّهُمْ مِنْ إفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ يقول: من كذبهم.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره موبِّخاً هؤلاء القائلين لله البنات من مشركي قريش: ﴿أَصْطَفَى﴾ الله أيها القوم ﴿البَنات عَلى البَنِينَ﴾؟ والعرب إذا وجهوا الاستفهام إلى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحياناً وطرحوها أحياناً، كما قيل: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بالقصر ﴿طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنيا﴾ يستفهم بها، ولا يُستفهم بها، والمعنى في الحالين واحد، وإذا لم يستفهم في قوله: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ ذهبت ألف اصطفى في الوصل، ويبتدأ بها بالكسر، وإذا استفهم فُتحت وقطعت.

وقد ذُكر عن بعض أهل المدينة أنه قرأ ذلك بترك الاستفهام والوصل. فأما قرّاء الكوفة والبصرة، فإنهم في ذلك على قراءته بالاستفهام، وفتح ألفه في الأحوال كلها، وهي القراءة التي نختار لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقوله: ﴿مالَكُمْ كَيفَ تَحْكُمُونَ﴾ يقول: بئس الحكمُ تحكمون أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون، وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم، فتجعلون له ما لا ترضونه لأنفسكم؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَصْطَفَى الْبناتِ على الْبَنِينَ ما لَكُمْ كَيفَ تَحْكُمُونَ﴾ يقول: كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات، مالكم كيف تحكمون؟.

وقوله: ﴿أفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: أفلا تتدبرون ما تقولون؟ فتعرفوا خطأه فتنتهوا عن قيله.

وقوله: ﴿أمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ﴾ يقول: ألكم حجة تَبَيَّن صحتها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أمْ لَكُمْ سُلْطانٌ مُبِينٌ﴾: أي عذر مبين.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿سُلْطانٌ مُبِينٌ﴾ قال حجة.

وقوله: ﴿فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ﴾ يقول: فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذي تقولون من أن له البنات ولكم البنين كما تقولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ﴾: أي بعذركم ﴿إن كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿فَأْتُوا بِكِتابِكُمْ﴾ أن هذا كذا بأن له البنات ولكم البنون.

وقوله: ﴿إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ يقول: إن كنتم صادقين أن لكم بذلك حُجَّة.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسباً.

واختلف أهل التأويل في معنى النسب الذي أخبر الله عنهم أنهم جعلوه لله تعالى، فقال بعضهم: هو أنهم قالوا أعداء الله: إن الله وإبليس أخوان.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنَّةِ نَسَباً**﴾ قال: زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى وإبليس أخوان.

وقال آخرون: هو أنهم قالوا: الملائكة بنات الله، وقالوا: الجِنَّة: هي الملائكة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيس وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنَّةِ نَسَباً**﴾ قال: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله، فسأل أبو بكر: مَنْ أمهاتهنّ؟ فقالوا: بنات سَرَوَات الجنّ، يحسبون أنهم خُلقِوا مما خُلق منه إبليس.

**حدثنا** عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة، قال: ثنا عمرو بن سعيد الأبح، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنَّةِ نَسَباً**﴾ قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى تزوّج إلى الجنّ، فخرج منهما الملائكة، قال: سبحانه سبح نفسه.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وبينَ الجِنَّةِ نَسَباً**﴾ قال: الجنة: الملائكة، قالوا: هنّ بنات الله.

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبينَ الجِنَّةِ نَسَباً**﴾: الملائكة.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَينَ الجِنَّةِ نَسَباً**﴾ قال: بين الله وبين الجنة نسباً افتروا.

وقوله: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ**﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: ولقد علمت الجنة إنهم لَمُشهدون الحساب.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ أنها ستُحضر الحساب.

وقال آخرون: معناه: إن قائلي هذا القول سيُحضرون العذاب في النار.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ إن هؤلاء الذين قالوا هذا لمحضرون: لمعذّبون.

وأوْلى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: إنهم لمحضَرُون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عُنِيَ به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع.

وقوله: ﴿سُبْحانَ اللّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره تنزيهاً لله، وتبرئه له مما يضيف إليه هؤلاء. المشركون به، ويفترون عليه، ويصفونه، من أن له بنات، وأن له صاحبة.

وقوله: ﴿إلاَّ عِبادَ اللّهِ المُخْلَصِينَ﴾ يقول: ولقد علمت الجِنَّةُ أن الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله لمُحضرون العذاب، إلا عباد الله الذين أخلَصَهُمْ لرحمته، وخلقهم لجنته.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿فإنَّكُمْ﴾ أيها المشركون بالله ﴿وَما تَعْبُدُونَ﴾ من الآلهة والأوثان ﴿ما أنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ﴾ يقول: ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بفاتنين: أي بمضِلِّينَ أحداً ﴿إلاَّ مَنْ هُوَ صالِ الجَحِيمِ﴾ يقول: إلا أحداً سبق في علمي أنه صال الجحيم.

وقد قيل: إن معنى ﴿عَلَيْهِ﴾ في قوله: ﴿ما أنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ﴾ بمعنى به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فإنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ بفاتِنِينَ﴾ يقول: لا تضلون أنتم، ولا أضلّ منكم إلا من قد قضيت أنه صالِ الجحيم.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عباس، قوله: ﴿ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾ يقول: ما أنتم بفاتِنين على أوثانكم أحداً، إلا من قد سبق له أنه صالِ الجحيم.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، عن خالد، قال: قلت للحسن، قوله: ﴿ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾ إلا من أوجب الله عليه أن يَصْلى الجحيم.

**حدثنا** عليّ بن سهل، قال: ثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن حماد بن سلمة، عن حميد، قال: سألت الحسن، عن قول الله: ﴿ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنين إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾ قال: ما أنتم عليه بمضلِّين إلا من كان في علم الله أنه سيصْلَى الجحيم.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم ﴿ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ إلا مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾: إلا من قدر عليه أنه يَصْلَى الجحيم.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن العشرة الذين دخلوا على عمر بن عبد العزيز، وكانوا متكلمين كلهم، فتكلموا، ثم إن عمر بن عبد العزيز تكلم بشيء، فظننا أنه تكلم بشيء ردّ به ما كان في أيدينا، فقال لنا: هل تعرفون تفسير هذه الآية: ﴿فإِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾ قال: إنكم والآلهة التي تعبدونها لستم بالذي تفتنون عليها إلا من قَضَيْت عليه أنه يصلى الجحيم.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم ﴿إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾ قال: ما أنتم بمضلين إلا من كتب عليه أنه يصلى الجحيم.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فإِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ﴾ حتى بلغ: ﴿صالِ الجَحِيمِ﴾ يقول: ما أنتم بمضلين أحداً من عبادي بباطلكم هذا، إلا من تولاَّكم بعمل النار.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السديّ ﴿ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بفاتِنِينَ﴾ بمضلين ﴿إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾ إلا من كتب الله أنه يصلى الجحيم.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾ يقول: لا تضلون بآلهتكم أحداً إلا من سبقت له الشقاوة، ومن هو صال الجحيم.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فإِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ بفاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾ يقول: لا تفتنون به أحداً، ولا تضلونه،

إلا من قضى الله أنه صال الجحيم، إلا من قد قضى أنه من أهل النار.

وقيل: ﴿بفاتِنِينَ﴾ من فتنت أفتن، وذلك لغة أهل الحجاز، وأما أهل نجد فإنهم يقولون: أفتنته فأنا أفتنه. وقد ذُكر عن الحسن أنه قرأ: «إلاَّ مَنْ هُوَ صَالُ الجَحِيمِ» برفع اللام من «صال»، فإن كان أراد بذلك الجمع كما قال الشاعر:

إِذَا مَا حَاتِمٌ وُجِدَ ابْنَ عَمِّي مَجْدَنَا مِنْ تَكَلَّمُ أَجْمَعِينَا[1]

فقال: أجمعينا، ولم يقل: تكلموا، وكما يقال في الرجال: من هو إخوتك، يذهب بهو إلى الاسم المجهول ويخرج فعله على الجمع، فذلك وجه وإن كان غيره أفصح منه وإن كان أراد بذلك واحداً فهو عند أهل العربية لحن، لأنه لحن عندهم أن يقال: هذا رامٌ وقاضٌ، إلا أن يكون سمع في ذلك من العرب لغة مقلوبة، مثل قولهم: شاكُ السلاح، وشاكي السلاح، وعاث وعثا وعاق وعقا، فيكون لغة، ولم أسمع أحداً يذكر سماع ذلك من العرب.

وقوله: ﴿وَما مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ﴾ وهذا خبر من الله عن قِيل الملائكة أنهم قالوا: وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿وَما مِنَّا إلاَّ لَهُ مُقامٌ مَعْلُومٌ﴾ قال: الملائكة.

**حدثني** يونس، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قوله: ﴿وَما مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ﴾ قال الملائكة.

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٧٥) ولم ينسبه. قال: وقد يكون أن تجعل «صالوا» جمعاً، كما تقول: من الرجال من هو إخوتك. تذهب بهو إلى الاسم المجهول، وتخرج فعله على الجمع، كما قال الشاعر:

«إذا ما حاتم......

البيت» ولم يقل تكلموا. وأجود ذلك في العربية، إذا أخرجت الكناية، أن تخرجها على المعنى والعدد، لأنك تنوي تحقيق الاسم. ا هـ. وفي «**فتح القدير**» للشوكاني (٤/ ٤٠٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ قرأ الجمهور «صال» بكسر اللام، لأنه منقوص مضاف، حذفت الياء لا لتقاء الساكنين، وحمل على لفظ من، وأفرد، كما أفرد «هو». وقرأ الحسن وابن أبي عبلة بضم اللام، مع واو بعدها؛ وروى عنهما قرأ بضم اللام بدون واو. فأما مع الواو فعلى أنه جمع سلامة بالواو، حملا على معنى «من» وحذفت نون الجمع للإضافة. وأما بدون الواو، فيحتمل أن يكون جمعاً، وإنما حذفت الواو خطأ، كما حذفت لفظاً. ويحتمل أن يكون مفرداً؛ وحقه على هذا كسر اللام. قال النحاس: وجماعة أهل التفسير يقولون: إنه لحن لأنه لا يجوز: هذا قاض المدينة. والمعنى أن الكفار وما يبعدونه، لا يقدرون على إضلال أحد من عباد الله، إلا من هو من أهل النار. أي يدخلها ا هـ.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَما مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ**﴾ هؤلاء الملائكة.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ**﴾ كان مسروق بن الأجدع يروي عن عائشة أنها قالت: قال نبيّ الله ﷺ: «ما فِي سَماءِ الدُّنيا مَوْضِعُ قَدَم إلاَّ عَلَيهِ مَلَكٌ ساجِدٌ أوْ قائِمٌ». فذلك قول الملائكة: ﴿**وَما مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ وَإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ**﴾.

**حدثني** موسى بن إسحاق الحَبَئِيُّ المعروف بابن القوّاس، قال: ثنا يحيى بن عيسى الرملي، عن الأعمش عن أبي يحيى، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت إلى الدنيا، لأفسدت على الناس معايشهم، وإن ناركم هذه لتعوّذ من نار جهنم.

**حدثنا** موسى بن إسحاق، قال: ثنا يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، قال: قال عبد الله بن مسعود: إن ناركم هذه لما أنزلت، ضُرِبت في البحر مرّتين ففترت، فلولا ذلك لم تنتفعوا بها.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (١٦٩)﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل ملائكته: ﴿**وَإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**﴾ لله لعبادته ﴿**وَإنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ**﴾ له، يعني بذلك المصلون له. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ، وقال به أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد بن عليّ بن الحسن بن شفيق المَرْوَزِيّ، قال: ثنا أبو معاذ الفضل بن خالد، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك بن مُزاحم يقول قوله: ﴿**وَإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ**﴾ كان مسروق بن الأجدع، يروي عن عائشة أنها قالت: قال نبيّ الله ﷺ: «ما فِي السَّماءِ الدُّنيا مَوْضِعُ قَدَم إلاَّ عَلَيْهِ مَلَكٌ ساجِدٌ أوْ قائِمٌ»، فذلك قول الله: ﴿**وَما مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ وَإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ**﴾.

**حدثني** أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: قال عبد الله: إن من السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملَك أو قدمه قائماً قال:

ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضُّحَى عن مسروق عن عبد الله، قال: إن من السموات سماءً ما فيها موضع إلا فيه ملَك ساجد، أو قدماه قائم، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا الجريري، عن أبي نضرة، قال: كان عمر إذا أُقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه، فقال: يا أيها الناس استَوُوا، إن الله إنما يريد بكم هَدْيَ الملائكة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ استَوُوا، تقدّم أنت يا فلان، تأخر أنت أي هذا، فإذا استَوُوا تقدّم فكبر.

**حدثني** موسى بن عبد الرحمن، قال: ثني أبو أُسامة، قال: ثني الجريري سعيد بن إياس أبو مسعود، قال: ثني أبو نضرة، كان عمر إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه، ثم قال: أقيموا صفوفكم واستووا فإنما يُريد الله بكم هدي الملائكة، يقول: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ ثم ذكر نحوه.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ قال: يعني الملائكة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ قال: الملائكة صافون تسبِّح لله عزّ وجلّ.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ قال: الملائكة.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ قال: الملائكة.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ قال: صفوف في السماء ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾: أي المصلون، هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿وَإنا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ قال: للصلاة.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط عن السديّ، قال: وذكر السديّ، عن

عبد الله، قال: ما في السماء موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماه، ساجداً أو قائماً أو راكعاً، ثم قرأ هذه الآية ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ قال: الملائكة، هذا كله لهم.

وقوله: ﴿وَإِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ لَكُنا عِبادَ اللهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون قبل أن يبعث إليهم محمد ﷺ نبياً، ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ يعني كتاباً أُنزل من السماء كالتوراة والإنجيل، أو نبيّ أتانا مثل الذي أتى اليهود والنصارى ﴿لَكُنَّا عِبادَ اللَّهِ﴾ الذين أخلَصهم لعبادته، واصطفاهم لجنته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِندَنا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبادَ اللَّهِ الـمُخلَصِينَ﴾ قال: قد قالت هذه الأمة ذاك قبل أن يبعث محمد ﷺ: لو كان عندنا ذكر من الأوّلين، لكنا عباد الله المخلصين فلما جاءهم محمد ﷺ كفروا به، فسوف يعلمون.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قوله: ﴿ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ قال: هؤلاء ناس من مشركي العرب قالوا: لو أن عندنا كتاباً من كتب الأوّلين، أو جاءنا علم من علم الأوّلين قال: قد جاءكم محمد بذلك.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: رجع الحديث إلى الأوّلين أهل الشرك ﴿وَإِنْ كانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ﴾.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ﴾ هذا قول مشركي أهل مكة، فلما جاءهم ذكر الأوّلين وعلم الآخرين، كفروا به فسوف يعلمون.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَكَفَرُوا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به، وذلك كفرهم بمحمد ﷺ وبما

جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب، يقول الله: فسوف يعلمون إذا وردوا عليّ ماذا لهم من العذاب بكفرهم بذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْراً مِنَ الأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ**﴾ قال: لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر الأوّلين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب ﴿**فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ يقول: قد جاءكم محمد بذلك، فكفروا بالقرآن وبما جاء به محمد.

وقوله: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنا المُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد سبق منا القول لرسلنا إنهم لهم المنصورون: أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أمّ الكتاب، وهو أنهم لهم النُّصرة والغَلبة بالحجج، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنا المُرْسَلِينَ**﴾ حتى بلغ: ﴿**لَهُمُ الغالِبُونَ**﴾ قال: سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنا المُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُونَ**﴾ يقول: بالحجج.

وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا على عِبادِنا المُرْسَلِينَ» فجعلت على مكان اللام، فكأن المعنى: حقت عليهم ولهم، كما قيل: على مُلك سليمان، وفي مُلك سليمان، إذ كان معنى ذلك واحداً.

وقوله: ﴿**وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الغالِبُونَ**﴾ يقول: وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهمُ الغالبون، يقول لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا، والخلاف علينا.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ**﴾: فأعرض عنهم إلى حين.

واختلف أهل التأويل في هذا الحين، فقال بعضهم: معناه إلى الموت.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حتى حِينٍ﴾: أي إلى الموت.

وقال آخرون: إلى يوم بدر.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حتى حِينٍ﴾ قال: حتى يوم بدر.

وقال آخرون: معنى ذلك: إلى يوم القيامة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حتى حِينٍ﴾ قال: يوم القيامة.

وهذا القول الذي قاله السديّ، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذي كانوا يستعجلونه، فقال: ﴿أَفَبِعَذَابِنا يَسْتَعْجِلُونَ﴾، وأمر نبيه ﷺ أن يُعْرِض عليهم إلى مجيء حينه. فتأويل الكلام: فتولّ عنهم يا محمد إلى حين مجيء عذابنا، ونزوله بهم.

وقوله: ﴿وأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: وأنظرهم فسوف يرون ما يحلّ بهم من عقابنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ حين لا ينفعهم البصر.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ يقول: أنظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم، قال: يقول: يبصرون يوم القيامة ما ضيَّعوا من أمر الله، وكفرهم بالله ورسوله وكتابه، قال: فأبصرهم وأبصر، واحد.

وقوله: ﴿أَفَبِعَذَابِنا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ يقول: فبنزول عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد، وذلك قولهم للنبيّ ﷺ ﴿مَتى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقوله: ﴿فإذَا نَزَلَ بساحَتِهِمْ﴾ يقول: فإذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب. العرب تقول: نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة، وذلك إذا نزل به والساحة: هي فناء

دار الرجل، ﴿فَساءَ صَباحُ المُنْذَرِينَ﴾ يقول: فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم فلم يصدّقوا به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد قال ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿فإذَا نَزَلَ بساحَتِهِمْ﴾ قال: بدارهم، ﴿فَساءَ صَباحُ المُنْذَرِينَ﴾ قال: بئس ما يصبحون.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين، وخلِّهم وفريتهم على ربهم ﴿حتَّى حِينٍ﴾ يقول: إلى حين يأذن الله بهلاكهم ﴿وأبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ يقول: وانظرهم فسوف يَروْن ما يحلّ بهم من عقابنا في حين لا تنفعهم التوبة، وذلك عند نزول بأس الله بهم. وقوله: ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره تنزيهاً لربك يا محمد وتبرئة له. ﴿رَبِّ العزّة﴾ يقول: ربّ القوّة والبطش ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقول: عمَّا يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركي قريش، من قولهم ولد الله، وقولهم: الملائكة بنات الله، وغير ذلك من شركهم وفِريتهم على ربهم، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي عما يكذبون يسبح نفسه إذا قيل عليه البُهتان.

وقوله: ﴿وَسَلامٌ على المُرْسَلِينَ﴾ يقول: وأمنَة من الله للمرسلين الذين أرسلهم إلى أممهم الذي ذكرهم في هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر، وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قِبل الله تبارك وتعالى.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَسَلامٌ على المُرْسَلِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إذَا سَلَّمْتُمْ عَلَيَّ فَسَلِّمُوا عَلى المُرْسَلِينَ، فإنَّمَا أنا رَسُولٌ مِنَ المُرْسَلِينَ».

﴿والحَمْدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: والحمد لله ربّ الثَّقَلين الجن والإنس، خالصاً دون ما سواه، لأن كلّ نعمة لعباده فمنه، فالحمد له خالص لا شريك له، كما لا شريك له في نعمه عندهم، بل كلها من قِبَله، ومن عنده.

**آخر تفسير سورة الصافات**

# (٣٨) سورة ص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾.

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿ص﴾، فقال بعضهم: هو من المصاداة، من صاديت فلاناً، وهو أمر من ذلك، كأن معناه عندهم: صادِ بعملك القرآن: أي عارضه به، ومن قال هذا تأويله، فإنه يقرؤه بكسر الدال، لأنه أمر، وكذلك رُوي عن الحسن ذكر الرواية بذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن ﴿ص﴾ قال: حادث القرآن.

**وحُدِّثت** عن عليّ بن عاصم، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن، في قوله: ﴿ص﴾ قال: عارض القرآن بعملك.

**حدثت** عن عبد الوهاب، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله: ﴿ص والقرآن﴾ قال: عارض القرآن، قال عبد الوهاب: يقول اعرضه على عملك، فانظر أين عملك من القرآن.

**حدثني** أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن إسماعيل، عن الحسن أنه كان يقرأ: ﴿ص والقرآن﴾ بخفض الدال، وكان يجعلها من المصاداة، يقول: عارض القرآن.

وقال آخرون: هي حرف هجاء.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: أما ﴿صٓ﴾ فمن الحروف.

وقال آخرون: هو قسم أقسم الله به.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ص﴾ قال: قسم أقسمه الله، وهو من أسماء الله.

وقال آخرون: هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ص﴾ قال: هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به.

وقال آخرون: معنى ذلك: صدق الله.

**ذكر من قال ذلك:**

**حُدثت** عن المسيب بن شريك، عن أبي روق، عن الضحاك في قوله: ﴿ص﴾ قال: صدق الله.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا عبد الله بن أبي إسحاق وعيسى ابن عمر، بسكون الدال، فأما عبد الله بن أبي إسحاق فإنه كان يكسرها لاجتماع الساكنين، ويجعل ذلك بمنزلة الآداة، كقول العرب: تركته حاثِ باثِ، وخازِ بازِ يخفضان من أجل أن الذي يلي آخر الحروف ألف فيخفضون مع الألف، وينصبون مع غيرها، فيقولون حيث بيث، ولأجعلنك في حيص بيص: إذا ضيق عليه. وأما عيسى بن عمر فكان يوفّق بين جميع ما كان قبل آخر الحروف منه ألف، وما كان قبل آخره ياء أو واو فيفتح جميع ذلك وينصبه، فيقول: ص وق ون ويس، فيجعل ذلك مثل الآداة كقولهم: ليتَ، وأينَ وما أشبه ذلك.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا السكون في كل ذلك، لأن ذلك القراءة التي جاءت بها قرّاء الأمصار مستفيضة فيهم، وأنها حروف هجاء لأسماء المسميات، فيعربن إعراب الأسماء والأدوات والأصوات، فيسلك بهنّ مسالكهن، فتأويلها إذ كانت كذلك تأويل نظائرها التي قد تقدم بياننا قبل فيما مضى.

وكان بعض أهل العربية يقول: ﴿ص﴾ في معناها كقولك: وجب والله، نزل والله، وحقّ والله، وهي جواب لقوله: ﴿والقُرآنِ﴾ كما تقول: حقاً والله، نزل والله.

وقوله: ﴿والقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ **وهذا قسم أقسمه الله تبارك وتعالى بهذا القرآن فقال:** ﴿والقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ فقال بعضهم: معناه: ذي الشرف.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** نصر بن عليّ، قال: ثنا أبو أحمد، عن قيس، عن أبي حصين، عن سعيد **﴿ص والقُرآنِ ذِي الذّكْرِ﴾** قال: ذي الشرف.

**حدثنا** نصر بن عليّ وابن بشار، قالا: ثنا أبو أحمد، عن مسعر، عن أبي حصين **﴿ذِي الذكْرِ﴾**: ذي الشرف.

**قال:** ثنا أبو أحمد، عن سفيان، عن إسماعيل، عن أبي صالح أو غيره **﴿ذِي الذّكْرِ﴾**: ذي الشرف.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿والقُرآنِ ذِي الذّكْرِ﴾** قال: ذي الشرف.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن يحيى بن عُمارة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس **﴿ص والقُرآنِ ذِي الذّكْرِ﴾** ذي الشرف.

وقال بعضهم: بل معناه: ذي التذكير، ذكَّركمُ الله به.

**ذكر من قال ذلك:**

**حُدثت** عن المسيب بن شريك، عن أبي روق، عن الضحاك **﴿ذِي الذّكْرِ﴾** قال: فيه ذكركم، قال: ونظيرتها: **﴿لَقَدْ أنْزَلْنا إلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾**.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ذي الذّكْرِ﴾**: أي ما ذكر فيه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ذي التذكير لكم، لأن الله أتبع ذلك قولَه: **﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقاقٍ﴾** فكان معلوماً بذلك أنه إنما أخبر عن القرآن أنه أنزله ذكراً لعباده ذكَّرهم به، وأن الكفار من الإيمان به في عزّة وشقاق.

واختلف في الذي وقع عليه اسم القسم، فقال بعضهم وقع القسم على قوله: **﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقاقٍ﴾**.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ﴾** قال: ها هنا وقع القسم.

وكان بعض أهل العربية يقول: «بل» دليل على تكذيبهم، فاكتفى ببل من جواب القسم، وكأنه قيل: ص، ما الأمر كما قلتم، بل أنتم في عزّة وشقاق. وكان بعض نحويي الكوفة يقول:

زعموا أن موضع القسم في قوله: ﴿إِنْ كُلٌّ إلاّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾. وقال بعض نحويي الكوفة للآخرين: قد زعم قوم أن جواب ﴿والقُرآنِ﴾ قوله: ﴿إِنَّ ذلكَ لَحَقّ تَخاصُمُ أهْلِ النَّارِ﴾ قال: وذلك كلام قد تأخر عن قوله: ﴿والقُرآنِ﴾ تأخراً شديداً، وجرت بينهما قصص مختلفة، فلا نجد ذلك مستقيماً في العربية، والله أعلم.

قال: ويقال: إن قوله: ﴿والقُرآنِ﴾ يمين اعترض كلام دون موقع جوابها، فصار جوابها للمعترض ولليمين، فكأنه أراد: والقرآن ذي الذكر، لَكَمْ أهلكنا، فلما اعترض قوله ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عزَّةٍ﴾ صارت كم جواباً للعزّة واليمين. قال: ومثله قوله: ﴿والشَّمْسِ وضُحاها﴾ اعترض دون الجواب قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها فَألْهَمَها﴾ فصارت قد أفلح تابعة لقوله: فألهمها، وكفى من جواب القسم، فكأنه قال: والشمس وضحاها لقد أفلح.

والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي قاله قتادة، وأن قوله: ﴿بَلْ﴾ لما دلَّت على التكذيب وحلَّت محلّ الجواب استغني بها من الجواب، إذ عُرِف المعنى، فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: ﴿ص والقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ما الأمر، كما يقول هؤلاء الكافرون: بل هم في عزّة وشقاق.

وقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقاقٍ﴾ يقول تعالى ذكره: بل الذين كفروا بالله من مشركي قريش في حمية ومشاقة، وفراق لمحمد وعداوة، وما بهم أن لا يكونوا أهل علم، بأنه ليس بساحر ولا كذّاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿فِي عِزَّةٍ وَشِقاقٍ﴾ قال: مُعازِّين.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فِي عِزَّةٍ وَشِقاقٍ﴾: أي في حَمِيَّة وفراق.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقاقٍ﴾ قال: يعادون أمر الله ورسله وكتابه، ويشاقون، ذلك عزّة وشِقاق، فقلت له: الشقاق: الخلاف، فقال: نعم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كثيراً أهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذّبوا رسولنا محمداً ﷺ فيما جاءهم به من عندنا من الحقّ ﴿مِن قَرْنٍ﴾ يعني: من الأمم الذين كانوا قبلهم، فسلكوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من عند الله ﴿فَنَادَوْا﴾ يقول: فعجوا إلى ربهم وضجوا واستغاثوا بالتوبة إليه، حين نزل بهم بأس الله وعاينوا به عذابه فراراً من عقابه، وهرباً من أليم عذابه ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ يقول: وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة، وقد حقَّت كلمة العذاب عليهم، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة، واستقالوا في غير وقت الإقالة. وقوله: ﴿مَنَاصٍ﴾ مفعل من النَّوص، والنوص في كلام العرب: التأخر، والمناص: المفرّ ومنه قول امرىء القيس:

أَمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى إذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ فَتَقْصِرُ عَنْها خَطْوَةً وَتَبُوصُ[(١)]

يقول: أو تقدّم يقال من ذلك: ناصني فلان: إذا ذهب عنك، وباصني: إذا سبقك، وناض في البلاد: إذا ذهب فيها، بالضاد. وذكر الفراء أن العقيلي أنشده:

إذا عاشَ إسْحاقٌ وَشَيْخُهُ لَمْ أُبَلْ فَقِيداً ولَمْ يَصْعُبْ عَلَيَّ مَناضُ
وَلَوْ أشْرَفَتْ مِنْ كُفَّةِ السِّتْرِ عاطِلاً لَقُلْتُ غَزالٌ ما عَلَيْهِ خُضَاضُ[(٢)]

والخضاض: الحليّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيت لامرىء القيس «مختار الشعر الجاهلي». بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي ١٢٧ قال: نأتك: بعدت عنك. وتنوص تتأخر. فتقصر عنها: يقال أقصر عنه خطوه: إذا كفه عنه. وتبوص: تتقدم يقول: أمن حقك إذ نأت عنك سلمى، وذكرتها واشتقت إليها أن تتأخر عنها. وتقصر خطابك دونها أم تتقدم نحوها، جادا في أثرها. والبيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (٢٧٦) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ولات حين مناص﴾ يقول: ليس بحين فرار. والنوص: التأخر في كلام العرب. والبوص: التقدم، وقال امرؤ القيس:

«أمــــن ذكــــر......

البيت». فمناص: مفعل، مثل مقام. ومن العرب من يضيف «لات»، فيخفض أنشدوني «لات ساعة مندم» اهـ.

(٢) قال المؤلف إن الفراء ذكر أن العقيلي أنشده البيتين، ويفهم منه أن البيتين نقلهما الفراء في «معاني القرآن» عند تفسير قوله تعالى «ولات حين مناص». فلعلهما في نسخة غير التي في أيدينا منه. وذكر صاحب «اللسان» البيت الثاني في (خضض) وقال قبله: الخضاض الشيء اليسير من الحلى. وأنشد القناني:

«ولــــو أشــــرفــــت....

البيت» قلت: ولعل لفظتا العقيلي والقناني محرفة إحداهما عن الأخرى. ومحل الشاهد في البيت الأول في قوله «مناض»: أي ذهاب في الأرض، فهو مصدر ميمي. وهو قريب في معناه من معنى مناص بالصاد المهملة، أي مفر. قال في «اللسان» نوض: وناض فلان ينوض نوضاً ذهب في البلاد. وناض نوضاً كناص: عدل اهـ.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق عن التميمي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ قال: ليس بحين نزو، ولا حين فرار.

**حدثنا** أبو كُريب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن التميمي، قال: قلت لابن عباس: أرأيت قول الله ﴿وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ قال: ليس بحين نزو ولا فرار ضبط القوم.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن أبي إسحاق الهمداني، عن التميمي، قال: سألت ابن عباس، قول الله ﴿وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ قال: ليس حين نزو ولا فرار.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ قال: ليس حين نزو ولا فرار.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ يقول: ليس حين مَغاث.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن. قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ قال: ليس هذا بحين فرار.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَنادَوْا وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ قال: نادى القوم على غير حين نداء، وأرادوا التوبة حين عاينوا عذاب الله فلم يقبل منهم ذلك.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ قال: حين نزل بهم العذاب لم يستطيعوا الرجوع إلى التوبة، ولا فراراً من العذاب.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فَنادَوْا وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ يقول: وليس حين فرار.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ ولات حين مَنْجًى ينجون منه، ونصب حين في قوله: ﴿وَلاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ تشبيهاً للات بليس، وأضمر فيها اسم الفاعل.

وحكى بعض نحوِيي أهل البصرة الرفع مع لات في حين زعم أن بعضهم رفع «وَلاتَ حِينُ

مناصٍ» فجعله في قوله ليس، كأنه قال: ليس وأضمر الحين قال: وفي الشعر:

طَلَبُوا صُلْحَنا وَلاتَ أوَانٍ  فأَجَبنا أنْ لَيْسَ حِينَ بَقاءِ(١)

فجرّ «أوانٍ» وأضمر الحين إلى أوان، لأن لات لا تكون إلا مع الحين قال: ولا تكون لات إلا مع حين. وقال بعض نحويي الكوفة: من العرب من يضيف لات فيخفض بها، وذكر أنه أنشد:

«لاتَ ساعَةِ مَنْدَمِ»(٢)

بخفض الساعة قال: والكلام أن ينصب بها، لأنها في معنى ليس، وذُكر أنه أنشد:

تَذَكَّرَ حُبَّ لَيْلَى لاتَ حِينا  وأضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ القَرِينا(٣)

---

(١) وهذا البيت لأبي زبيد المنذر بن حرملة الطائي النصراني وقد أدرك الإسلام. وكان عثمان رضي الله عنه يقربه ويدني مجلسه «فرائد القلائد» في «مختصر شرح الشواهد» للعيني قال: والشاهد في قوله: ولات أوان حيث وقع خبره (خبرلات) لفظة أوان كالحين أي ليس الأوان أوان صلح، فحذف المضاف إليه، ثم بنى أوان، كما بنى قبل وبعد. عند حذف المضاف إليه، ولكنه بنى على الكسر، يشبهه بنزال في الوزن، ثم نون للضرورة. وأن: تفسيرية. وليس للنفدي واسمه محذوف. وحين بقاء: خبره أي ليس الحين حين بقاء الصلح ا هـ. قال الفراء بعد كلامه الذي نقلناه تحت الشاهد السابق: وأنشدني بعضهم:

«طلبوا صلحنا......»

فخفض أوان ا هـ قلت: ولم يقل إنه بنى على الكسر.

(٢) هذا جزء من بيت. وهم بتمامه كما في «فرائد القلائد»، في «مختصر شرح الشواهد» للعيني (ص - ١٠٥) مستقلة عن «الخزانة» للبغدادي.

نَدِمِ البُغاةُ ولاتَ ساعَةَ مَنْدَمِ  والبَغْيُ مَرْتَعُ مُبْتَغِيهِ وَخِيمُ

والرواية فيه عند العيني بنصب ساعة، لا يجرها. وقال في شرحه وقائله محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي وقيل مهلهل بن مالك الكناني. وقال الفراء: بعد أن أنشد البيت (٢٧٦) والكلام: أن ينصب بها في معنى ليس ا هـ. قلت: وفي «خزانة الأدب» للبغدادي (٢/ ١٤٤، ١٤٧) نقاش كثير بين النحويين في إعراب «ساعة» في البيت: أبا لنصب، وهي الرواية المشهورة وقد وافق عليها الفراء في آخر كلامه. وأما الجر فإنه يحكيه عمن أنشده هذا الجزء من البيت، الذي قال إنه لا يحفظ صدره، ولم يرض الفراء عن الجر بلات، وإنما قرر أن وجه الكلام النصب بها، لأنها في معنى ليس، وأنشد عليه الشاهد الذي بعده، مؤكداً كلامه، في عملها النصب.

وأما رواية البيت فقد ذكرنا روايته عند ابن عقيل وغيره من شراح الألفية. ونسبته إلى رجل من طيىء وفي «خزانة الأدب» (٢/ ١٤٧) أن ابن السكيت رواه في كتاب الأضداد، وهو:

وَلَتَعْرِفَنَّ خَلائِقاً مَشْمُولَةً  وَلَتَنْدَمَنَّ ولاتَ ساعَةَ مَنْدَمِ

قال ابن الأعرابي في تفسير قوله «مشمولة»: يقال أخلاق مشمولة أي مشئومة، وأخلاق سوء. قال: ويقال أيضاً: رجل مشمول الخلائق: أي كريم الأخلاق.

(٣) البيت من شواهد الفراء (الورقة ٢٧٦) على أن لات تعمل النصب فيما بعدها. قال في «معاني القرآن» مبينا الوجه في عمل ليت: والكلام: أن ينصب بها في معنى ليس. أنشدني المفضل «تذكر حب.... البيت» ثم =

قال: وأنشدني بعضهم:

طَلَبُوا صُلْحَنا وَلاتَ أوَانٍ فأَجَبْنا أنْ لَيْسَ حِينَ بَقاءِ[(١)]

بخفض «أوانٍ» قال: وتكون لات مع الأوقات كلها.

واختلفوا في وجه الوقف على قراءة: ﴿لاتَ حِينَ﴾ فقال بعض أهل العربية: الوقف عليه ولاتْ بالتاء، ثم يبتدأ حين مناص، قالوا: وإنما هي «لا» التي بمعنى: «ما»، وإن في الجحد وُصلت بالتاء، كما وُصِلت ثم بها، فقيل: ثمت، وكما وصلت ربّ فقيل: ربت.

وقال آخرون منهم: بل هي هاء زيدت في لا، فالوقف عليها لاه، لأنها هاء زيدت للوقف، كما زيدت في قولهم:

العاطِفُونَةَ حِينَ ما مِنْ عاطِفٍ والمُطْعِمُونَةَ حِينَ أيْنَ المَطْعِمُ[(٢)]

---

= قال بعده فهذا نصب ثم أنشد شاهداً آخر على الجر بها وهو قول الشاعر:

«طلبوا صلحنا ولات أوان. . .

البيت». وقال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢١٠ ـ ١) في أول سورة ص و«لات حين مناص» إنما هي «ولا». وبعض العرب يزيد فيها الهاء، فيقول: «ولاه» فيزيد فيها هاء للوقف، فإذا اتصلت صارت تاء. والمناص: مصدر ناص ينوص. وهو المنحى والفوت. قال عمرو بن شأس الاسدي: «تذكرت ليلى لات حين تذكر». وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (٢٧٦) أقف على «لات» بالتاء. والكسائي يقف عليها بالهاء. ا هـ.

(١) تقدم الكلام على البيت قريباً، فراجعه في موضعه.

(٢) هذا الشاهد أيضاً أنشده صاحب «**الخزانة**» (٢/١٤٧) ونقل كثيراً من أقوال النحويين في تخريجه. ومن أحسن تخريجاته قول ابن جني الذي نقله صاحب «**الخزانة**» عن «سر صناعة الإعراب» لابن جنى، قال: وسبقه ابن السيرافي في شرح شواهد الغريب المصنف، وأبو علي الفارسي، في المسائل المنثورة. وهو أنها (التاء في العاطفونة) في الأصل هاء السكت، لاحقة لقوله: «العاطفون»، اضطر الشاعر إلى تحريكها، فأبدلها تاء، وفتحها، قال ابن جنى أراد أن يجريه في الأصل على حد ما يكون عليه في الوقف. وذلك أن يقال في الوقف: هؤلاء مسلمونه، وضاربونه، فتلحق الهاء لبيان حركة النون. فصار التقرير: العاطفونه، ثم إنه شبه هاء الوقف بهاء التأنيث، فلما احتاج لإقامة الوزن، إلى حركة الهاء، قلبها بتاء، كما تقول في الوقف: هذا طلحة فإذا وصلت صارت الهاء تاء، فقلت: هذا طلحتنا. وعلى هذا قال: العاطفونة. قال: ويؤنس لصحة هذا قول الراجز:

من بعدما وبعد ما وبعد مت صارت نفوس القوم عند الغلصمت

أراد: وبعد ما، فأبدل الألف في التقدير هاء، فصارت: بعدمه، ثم إنه أبدل الهاء تاء، لتوافق بقية القوافي التي تليها. وشجعه شبه الهاء المقدرة في قوله: «وبعدمه» بهاء التأنيث في طلحة وحمزة. . . الخ. وذكر ابن مالك في التسهيل أن التاء بقية لات. فحذفت لا، وبقيت التاء. وربما استغنى مع التقدير عن (لا) بالتاء. . . ا هـ. والبيت من قصيدة لأبي وجزة السعدي، مدح بها آل الزبير ابن العوام، لكنه مركب من مصراعي بيتين. والمصراع الثاني منه «والمسبغون يدا إذا ما ما أنعموا».

فإذا وُصلت صارت تاء. وقال بعضهم: الوقف على «لا»، والابتداء بعدها تحين، وزعم أن حكم التاء أن تكون في ابتداء حين، وأوان، والآن ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر:

تَوَلَّيْ قَبْلَ يَوْمِ سَبْيِي جُمانا وَصِلِينا كما زَعَمْتِ تَلانا(١)

وأنه ليس ههنا «لا» فيوصل بها هاء أو تاء ويقول: إن قوله: ﴿لاتَ حِينَ﴾ إنما هي: ليس حين، ولم توجد لات في شيء من الكلام.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن «لا» حرف جحد كما، وإن وُصلت بها تصير في الوصل تاء، كما فعلت العرب ذلك بالأدوات، ولم تستعمل ذلك كذلك مع «لا» المُدَّة إلا للأوقات دون غيرها، ولا وجه للعلة التي اعتلّ بها القائل: إنه لم يجد لات في شيء من كلام العرب، فيجوز توجيه قوله: ﴿وَلاتَ حِينَ﴾ إلى ذلك، لأنها تستعمل الكملة في موضع، ثم تستعملها في موضع آخر بخلاف ذلك، وليس ذلك بأبعد في القياس من الصحة من قولهم: رأيت بالهمز، ثم قالوا: فأنا أراه بترك الهمز لما جرى به استعمالهم، وما أشبه ذلك من الحروف التي تأتي في موضع على صورة، ثم تأتي بخلاف ذلك في موضع آخر للجاري من استعمال العرب ذلك بينها. وأما ما استشهد به من قول الشاعر: «كما زعمت تلانا»، فإن ذلك منه غلط في تأويل الكلمة وإنما أراد الشاعر بقوله: «وصِلِينا كما زَعمْتِ تَلانا»: وصِلينا كما زعمت أنتِ الآن، فأسقط الهمزة من أنت، فلقيت التاء من زعمت النون من أنت وهي ساكنة، فسقطت من اللفظ، وبقيت التاء من أنت، ثم حذفت الهمزة من الآن، فصارت الكلمة في اللفظ كهيئة تلان، والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من الآن، لأنها تاء أنت. وأما زعمه أنه رأى في المصحف الذي يقال له «الإمام» التاء متصلة بحين، فإن الذي جاءت به مصاحف المسلمين في أمصارها هو الحجة على أهل الإسلام، والتاء في جميعها منفصلة عن حين، فلذلك اخترنا أن يكون الوقف على الهاء في قوله: ﴿وَلاتَ حِينَ﴾.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا

(١) البيت لعمرو بن أحمر الباهلي. كما في هامش رقم ١ من الجزء الأول من سر صناعة الإعراب ١٨٥ طبعة الحلبي وروايته في الأصل:

نسولى قبل نأى دار جمانا وصليه كما زعمت تلانا

ورواه ابن الأنباري في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف. طبعة ليدن سنة ١٩١٣ (ص ـ ٥١):

نولى قبل يوم نأيى جمانا وصلينا كما زعمت تلانا

نولى: من النوال، وأصله العطاء. والمراد هنا ما يزود به المحب من قبلة. وجمانا: مرخم: جمانة. وهو اسم امرأة، والألف للإطلاق. والشاهد في قوله «تلانا» حيث زاد تاء قبل الآن، كما تزاد قبل حين..

﴿وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾.

يقول تعالى ذكره: وعجب هؤلاء المشركون من قريش أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم، ولم يأتهم مَلك من السماء بذلك ﴿وَقالَ الكافِرُونَ هَذا ساحِرٌ كَذَّابٌ﴾ يقول: وقال المنكرون وحدانية الله: هذا، يعنون محمداً ﷺ، ساحر كذّاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَعَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿فقالَ الكافِرُونَ هَذَا ساحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿ساحِرٌ كَذَّابٌ﴾ يعني محمداً ﷺ.

وقوله: ﴿أجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً وَاحِداً﴾ يقول: وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا: محمد ساحر كذّاب: أجعل محمد المعبودات كلها واحداً، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبدَه منا ﴿إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾: أي إن هذا لشيء عجيب، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَهاً وَاحِداً إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾ قال: عجب المشركون أن دُعوا إلى الله وحده، وقالوا: يسمع لحاجاتنا جميعاً إله واحد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة.

وكان سبب قيل هؤلاء المشركين ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه، من ذلك، أن رسول الله ﷺ قال لهم: «أسْألُكُمْ أنْ تُجِيبُونِي إلى وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَكُمْ بِها العَرَبُ، وَتُعْطِيكُمْ بِها الخَراجَ العَجَمُ» فقالوا: وما هي؟ فقال: «تقولون لا إلَهَ إلاَّ اللّهُ»، فعند ذلك قالوا: ﴿أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَهاً وَاحِداً﴾ تعجباً منهم من ذلك. ذكر الرواية بذلك:

**حدثنا** أبو كُرَيب وابن وكيع، قالا: ثنا أبو أُسامة، قال: ثنا الأعمش، قال: ثنا عباد، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته فبعث إليه، فجاء النبيّ ﷺ فدخل البيت، وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل، قال: فخشي أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله ﷺ مجلساً قرب عمه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي، ما بال قومك يشكونك؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول قال: فأكثروا عليه

القول، وتكلم رسول الله ﷺ فقال: «يا عَمّ إنّي أُرِيدُهُمْ عَلى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا، تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ، وَتُؤَدِّي إلَيْهِمْ بِها العَجَمُ الجِزْيَةَ»، ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عَشْراً فقالوا: وما هي؟ فقال أبو طالب: وأيّ كلمة هي يا ابن أخي؟ قال: «لا إلَهَ إلاّ اللّهُ» قال: فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون: **﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلَهاً وَاحِداً إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾** قال: ونزلت من هذا الموضع إلى قوله: **﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾** اللفظ لأبي كريب.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن يحيى بن عمارة، عن سعيد ابن جُبَير عن ابن عباس، قال: مرض أبو طالب، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده، وهم حوله جلوس، وعند رأسه مكان فارغ، فقام أبو جهل فجلس فيه، فقال أبو طالب: يا ابن أخي ما لقومك يشكونك؟ قال: «يا عَمّ أُرِيدُهُمْ عَلى كَلِمَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ، وتُؤَدِّي إلَيْهِمْ بِها العَجَمُ الجِزْيَةَ» قال: ما هي؟ قال: «لا إلَهَ إلاّ اللّهُ» فقاموا وهم يقولون: **﴿ما سَمِعْنا بِهذَا فِي المِلَّةِ الآخرةِ إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلاقٌ﴾** ونزل القرآن: **﴿ص والقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾** ذي الشرف **﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقاقٍ﴾** حتى قوله: **﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلَهاً وَاحِداً﴾**.

**حدثنا** ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن الأعمش، عن يحيى بن عمارة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: مرض أبو طالب، ثم ذكر نحوه، إلا أنه لم يقل ذي الشرف، وقال: إلى قوله: **﴿إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾**.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن يحيى بن عمارة، عن سعيد بن جُبَير، قال: مرض أبو طالب، قال: فجاء النبيّ ﷺ يعوده، فكان عند رأسه مقعدُ رجل، فقام أبو جهل، فجلس فيه، فشكَوا النبيّ ﷺ إلى أبي طالب، وقالوا: إنه يقع في آلهتنا، فقال: يا ابن أخي ما تريد إلى هذا؟ قال: «يا عمّ إنّي أُرِيدُهُمْ على كَلِمَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ، وتُؤَدِّي إلَيْهِمُ العَجَمُ الجِزْيَةَ» قال: وما هي؟ قال: «لا إلَهَ إلاّ اللّهُ»، فقالوا: **﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلَها وَاحِداً إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجابٌ﴾**.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧)﴾.

يقول تعالى ذكره: وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش، القائلين: **﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلَهاً وَاحِداً﴾** بأنِ امضُوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم. فأن من قوله: **﴿أن امْشُوا﴾** في موضع نصب يتعلق انطلقوا بها، كأنه قيل: انطلقوا مشياً، ومضياً على دينكم. وذُكر أن ذلك في

قراءة عبد الله: «وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنهُمْ يَمْشُونَ أنِ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ». وذُكر أن قائل ذلك كان عُقْبة ابن أبي مُعِيط.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد: ﴿**وَانْطَلَق المَلأُ مِنهُمْ**﴾ قال: عقبة بن أبي معيط.

وقوله: ﴿**إنَّ هَذَا لَشَيءٌ يُرَادُ**﴾: أي إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله، شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعاً ولسنا مجيبيه إلى ذلك.

وقوله: ﴿**ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما سمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد من البراءة من جميع الآلهة إلا من الله تعالى ذكره، وبهذا الكتاب الذي جاء به في الملَّة النصرانية، قالوا: وهي الملة الآخرة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ**﴾ يقول: النصرانية.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ**﴾ يعني النصرانية فقالوا: لو كان هذا القرآن حقاً أخبرتنا به النصارى.

**حدثني** محمد بن إسحاق، قال: ثنا يحيى بن معين، قال: ثنا ابن عُيينة، عن ابن أبي لبيد، عن القُرَظِي في قوله: ﴿**ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ**﴾ قال: ملة عيسى.

**حدثني** محمد بن الحسين، قلا: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السديّ ﴿**ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ**﴾ النصرانية.

وقال آخرون: بل عَنَوا بذلك: ما سمعنا بهذا في ديننا دين قريش.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم ابن أبي بَزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿**ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ**﴾ قال: ملة قريش.

**حدثني** محمد بن عمرو، قا: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا

الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ﴾** قال: ملة قريش.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ﴾**: أي في ديننا هذا، ولا في زماننا قطُّ.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿ما سَمِعْنا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ﴾** قال: الملة الآخرة: الدين الآخر. قال: والملة الدين.

وقيل: إن الملأ الذين انطلقوا نفر من مشيخة قريش، منهم أبو جهل، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ أن أناساً من قُرَيش اجتمعوا، فيهم أبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب، فلنكلمه فيه، فلينصفنا منه، فيأمره فليكفّ عن شتم آلهتنا، ونَدَعه وإلهه الذي يَعبُد، فإنا نخاف أن يموت هذا الشيخ، فيكون منا شيء، فتعيرنا العرب فيقولون: تركوه حتى إذا مات عمه تناولوه، قال: فبعثوا رجلاً منهم يُدعى المطَّلب، فاستأذن لهم على أبي طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك وسَرَواتهم يستأذنون عليك، قال: أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فمُره فليكفّ عن شتم آلهتنا، ونَدَعه وإلهه قال: فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسَرَواتهم، وقد سألوك النَّصف أن تكفّ عن شتم آلهتهم، ويَدَعوك وإلهك قال: فقال: «أيْ عَمّ أوَلا أدْعُوهُمْ إلى ما هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنها؟» قال: وإلام تدعوهم؟ قال: «أدعوهم إلى أنْ يَتَكَلَّمُوا بِكَلِمَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ ويَمْلِكُونَ بِها العَجَمَ» قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، قال: «تَقُولونَ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ». قال: فنفروا وقالوا: سلنا غير هذه، قال: «لَوْ جِئْتُمُونِي بالشَّمْسِ حتى تَضَعُوها فِي يَدِي ما سأَلْتُكُمْ غَيرَها» قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضاباً وقالوا: والله لنشتمنك والذي يأمرك بهذا **﴿وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا على آلِهَتِكُمْ إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ... إلى قوله: ﴿إلاَّ اخْتِلاقٌ﴾** وأقبل على عمه، فقال له عمه: يا ابن أخي ما شططت عليهم، فأقبل على عمه فدعاه، فقال: «قلْ كَلِمَةً أشْهَدُ لَكَ بِها يَوْمَ القيامَةِ، تَقُولُ: لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ»، فقال: لولا أن تعيبكم بها العرب يقولون جزع من الموت لأعطيتكها، ولكن على ملّة الأشياخ قال: فنزلت هذه الآية **﴿إنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾**.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنهُمْ أنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا على آلِهَتِكُمْ إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ**﴾ قال: نزلت حين انطلق أشراف قريش إلى أبي طالب فكلموه في النبيّ ﷺ.

وقوله: ﴿**إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلاقٌ**﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء المشركين في القرآن: ما هذا القرآن إلا اختلاق: أي كذب اختلقه محمد وتخرّصه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلاقٌ**﴾ يقول: تخريص.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلاقٌ**﴾ قال: كذب.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم ابن أبي بَزّة، عن مجاهد ﴿**إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلاقٌ**﴾: يقول: كذب.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إنْ هَذَا إلاّ اخْتِلاقٌ**﴾ إلا شيء تخْلُقه.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلاقٌ**﴾ اختلقه محمد ﷺ.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إنْ هَذَا إلاَّ اخْتلاقٌ**﴾ قالوا: إن هذا إلا كذب.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء المشركين من قريش: أأُنزل على محمد الذكر من بيننا فخُصّ به، وليس بأشرف منا حسباً. وقوله: ﴿**بَلْ هُمْ فِي شَكّ مِنْ ذِكْرِي**﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين أن لا يكونوا أهل علم بأن محمداً صادق، ولكنهم في شكّ من وحينا إليه،

وفي هذا القرآن الذي أنزلناه إليه أنه من عندنا ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ يقول) بل لم ينزل بهم بأسنا، فيذوقوا وبال تكذيبهم محمداً، وشكهم في تنزيلنا هذا القرآن عليه، ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ما هم به مكذِّبون، حين لا ينفعهم علمهم ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ العَزِيزِ الوَهَّابِ﴾ يقول تعالى ذكره: أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحي الله إلى محمد خزائن رحمة ربك، يعني مفاتيح رحمة ربك يا محمد، العزيز في سلطانه، الوهاب لمن يشاء من خلقه، ما يشاء من مُلك وسلطان ونبوّة، فيمنعوك يا محمد، ما منّ الله به عليك من الكرامة، وفضّلك به من الرسالة.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أم لهؤلاء المشركين الذين هم في عزّة وشقاق ﴿مُلْكُ السَّمواتِ والأرْضِ وَما بَيْنَهُما﴾ فإنه لا يُعازُّني ويُشاقُّني من كان في مُلكي وسلطاني. وقوله: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأسْبابِ﴾ يقول: وإن كان لهم مُلك السموات والأرض وما بينهما، فليصعدوا في أبواب السماء وطرقها، فإن كان له مُلك شيء لم يتعذّر عليه الإشراف عليه، وتفقُّده وتعهُّده.

واختلف أهل التأويل في معنى الأسباب التي ذكرها الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُنِي بها أبواب السماء.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿فَلْيَرْتَقُوا في الأسْبابِ﴾ قال: طرق السماء وأبوابها.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأسْبابِ﴾ يقول: في أبواب السماء.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿فِي الأسْبابِ﴾ قال: أسباب السموات.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأسْبابِ﴾ قال: طرق السموات.

**حُدثت** عن المحاربي، عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿**أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ**﴾ يقول: إن كان ﴿**لَهُمْ مُلكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَما بَيْنَهُما فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبابِ**﴾ يقول: فليرتقوا إلى السماء السابعة.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبابِ**﴾ يقول: في السماء. وذكر عن الربيع بن أنس في ذلك ما:

**حُدثت** عن المسيب بن شريك، عن أبي جعفر الرازيّ، عن الربيع بن أنس، قال: الأسباب: أدقّ من الشعر، وأشدّ من الحديد، وهو بكلّ مكان، غير أنه لا يرى.

وأصل السبب عند العرب: كل ما تسبَّب به إلى الوصول إلى المطلوب من حبل أو وسيلة، أو رحم، أو قرابة أو طريق، أو محجة وغير ذلك.

وقوله: ﴿**جُنْدٌ مَّا هنالك مَهزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ**﴾ يقول تعالى ذكره: هم ﴿**جُنْدٌ**﴾ يعني الذين في عزة وشقاق هنالك، يعني: ببدر مهزوم. وقوله: ﴿**هُنالكَ**﴾ من صلة مهزوم وقوله: ﴿**مِنَ الأَحْزَابِ**﴾ يعني من أحزاب إبليس وأتباعه الذين مضوا قبلهم، فأهلكهم الله بذنوبهم. و«مِنْ» من قوله: ﴿**مِنَ الأَحْزَابِ**﴾ من صلة قوله جند، ومعنى الكلام: هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك، وما في قوله: ﴿**جُنْدٌ ما هُنالكَ**﴾ صلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**جُنْدٌ مَّا هُنالكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ**﴾ قال: قُريش من الأحزاب، قال: القرون الماضية.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**جُنْدٌ مَّا هُنالكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ**﴾ قال: وعده الله وهو بمكة يومئذٍ أنه سيهزم جنداً من المشركين، فجاء تأويلها يوم بدر.

وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك ﴿**جُنْدٌ مَّا هُنالكَ**﴾ مغلوب عن أن يصعد إلى السماء.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: كذّبت قبل هؤلاء المشركين من قريش، القائلين: أجعل الآلهة إلهاً واحداً، رسلها، قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيل لفرعون ذو الأوتاد، فقال بعضهم: قيل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد، يُلْعَب له عليها.

**ذكر من قال ذلك:**

**حُدثت** عن عليّ بن الهيثم، عن عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿**وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ**﴾ قال: كانت ملاعب يلعب له تحتها.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَفِرْعَونَ ذُو الأَوْتادِ**﴾ قال: كان له أوتاد وأرسان، وملاعب يلعب له عليها.

وقال آخرون: بل قيل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بالأوتاد.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**ذُو الأَوْتادِ**﴾ قال: كان يعذِّب الناسَ بالأوتاد، يعذّبهم بأربعة أوتاد، ثم يرفع صخرة تُمَدّ بالحبال، ثم تُلْقى عليه فتشدخه.

**حُدثت** عن عليّ بن الهيثم، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، قال: كان يعذّب الناس بالأوتاد.

وقال آخرون: معنى ذلك: ذو البنيان، قالوا: والبنيان: هو الأوتاد.

**ذكر من قال ذلك:**

**حُدثت** عن المحاربيّ، عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿**ذُو الأَوْتادِ**﴾ قال: ذو البنيان.

وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك الأوتاد، إما لتعذيب الناس، وإما للعب، كان يُلْعَب له بها، وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد، ﴿**وثمودُ وقومُ لوطٍ**﴾ وقد ذكرنا أخبار كلّ هؤلاء فيما مضى قبلُ من كتابنا هذا ﴿**وأصحَابُ الأيْكَةِ**﴾ يعني: وأصحاب الغَيْضة. وكان أبو عمرو بن العلاء فيما:

**حُدثت** عن معمر بن المثنى، عن أبي عمرو يقول: الأيكة: الحَرَجة من النبع والسدر، وهو الملتفّ منه، قال الشاعر:

أَفَمِنْ بُكاءِ حَمامَةٍ في أَيْكَةٍ يَرْفَضُّ دَمْعُكَ فَوْقَ ظَهرِ المَحمِلِ(١)

يعني: مِحْمَل السيف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأصْحابُ الأيْكَةِ**﴾ قال: كانوا أصحاب شجر، قال: وكان عامّة شجرهم الدَّوْم.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**وأصحَابُ الأَيْكَةِ**﴾ قال: أصحاب الغَيْضة.

وقوله: ﴿**أُولَئِكَ الأحْزَابُ**﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الجماعات المجتمعة، والأحزاب المتحزّبة على معاصي الله والكفر به، الذين منهم يا محمد مشركو قومك، وهم مسلوك بهم سبيلهم ﴿**إنْ كُلٌّ إلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ**﴾ يقول: ما كلّ هؤلاء الأمم إلا كذّب رسل الله وهي في قراءة عبد الله كما ذكر لي: «إنْ كُلٌّ لَمَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقابِ» يقول: يقول: فوجب عليهم عقاب الله إياهم، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إنْ كُلّ إلاَّ كَذَّبَ الرُسُلَ فَحَقَّ عِقابِ**﴾ قال: هؤلاء كلهم قد كذبوا الرسل، فحقّ عليهم العذاب.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَما يَنْظرُ هَؤُلاءِ**﴾ المشركون بالله من قُريش ﴿**إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾ يعني بالصيحة الواحدة: النفخة الأولى في الصور ﴿**ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ**﴾ يقول: ما لتلك الصيحة من فيقة، يعني من فتور ولا انقطاع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيت لعنترة العبسي «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي ٣٨٧ وهو الرابع من قصيدة يهجو بها قيس ابن زهير قائد تميم في بعض حروبها مع عبس. قال شارحه: الأيكة الشجر الكثير الملتف. وذرفت دموعك: سالت. والمحمل علاقة السيف. واستشهد به أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢١٣ ـ ١) وقال: الأيكة: الحرجة: من النبع والسدر. وهو المتلف قال رجل، وهو يسند إلى عنترة:
«أفمن بكاء....»
البيت يعني محمل السيف. وهو الحمالة والحمائل. وجماع المحمل: محامل. وبعضهم يقول: «ليكة». لا يقطعون الألف، ولم يعرفوا معناها ا هـ.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَما يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾ يعني: أمة محمد ﴿**ما لها مِنْ فَوَاقٍ**﴾.

**حدثنا** أبو كُرَيْب، قال: ثنا المحاربي، عن إسماعيل بن رافع، عن يزيد بن زياد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ لمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ خَلَقَ الصُّورَ، فَأعْطاهُ إسْرَافِيلَ، فَهُوَ وَاضِعُهُ على فِيهِ شاخِصٌ بِبَصَرِهِ إلى العَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتى يُؤْمَرُ». قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الصور؟ قال: «قَرْنٌ»، قال: كيف هو؟ قال: «قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ: نَفْخَةُ الفَزَعِ الأُولى، والثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ، والثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ الْقِيامِ لِرَبِّ العالَمِينَ، يَأْمُرُ اللّهُ إسْرَافيلَ بالنَّفْخَةِ الأُولى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَيَفْزَعُ أهْلُ السَّمَوَاتِ وأهْلُ الأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللّهُ، وَيأْمُرُهُ اللّهُ فَيُدِيمُها وَيُطَوِّلُها، فَلا يَفْتُرُ وَهِيَ التي يَقُولُ اللّهُ وَما يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ما لَها مِنْ فَوَاقٍ».

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ**﴾ فقال بعضهم: يعني بذلك: ما لتلك الصيحة من ارتداد ولا رجوع.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿**ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ**﴾ يقول: من تَرداد.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ**﴾ يقول: ما لها من رجعة.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ**﴾ قال: من رجوع.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ**﴾ يعني الساعة ما لها من رجوع ولا ارتداد.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ما لهؤلاء المشركين بعد ذلك إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**ما**

لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ يقول: ليس لهم بعدها إفاقة ولا رجوع إلى الدنيا.

وقال آخرون: الصيحة في هذا الموضع: العذاب. ومعنى الكلام: ما ينتظر هؤلاء المشركون إلا عذاباً يهلكهم، لا إفاقة لهم منه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ما لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ قال: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ما لها من فواق، يا لها من صيحة لا يفيقون فيها كما يفيق الذي يغشى عليه وكما يفيق المريض تهلكهم، ليس لهم فيها إفاقة.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ﴿مِن فَوَاقٍ﴾ بفتح الفاء. وقرأته عامة أهل الكوفة: «مِن فُوَاقٍ» بضم الفاء.

واختلف أهل العربية في معناها إذا قُرئت بفتح الفاء وضمها، فقال بعض البصريين منهم: معناها، إذا فتحت الفاء: ما لها من راحة، وإذا ضمت جعلها فُواق ناقة ما بين الحلبتين. وكان بعض الكوفيين منهم يقول: معنى الفتح والضمّ فيها واحد، وإنما هما لغتان مثل السَّوَاف والسُّواف، وجَمام المكوك وجُمامة، وقَصاص الشعر وقُصاصة.

والصواب من القول في ذلك أنهما لغتان، وذلك أنا لم نجد أحداً من المتقدمين على اختلافهم في قراءته يفرّقون بين معنى الضمّ فيه والفتح، ولو كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم، لقد كانوا فرقوا بين ذلك في المعنى. فإذ كان ذلك كذلك، فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب وأصل ذلك من قولهم: أفاقت الناقة، فهي تفيق إفاقة، وذلك إذا رَدّت ما بين الرضعتين ولدها إلى الرضعة الأخرى، وذلك أن ترضع البهيمة أمها، ثم تتركها حتى ينزل شيء من اللبن، فتلك الإفاقة يقال إذا اجتمع ذلك في الضرع فيقة، كما قال الأعشى:

حتى إذَا فِيْقَةٌ فِي ضَرْعِها اجْتَمَعَتْ جاءَتْ لِتُرْضِعَ شِقَّ النَّفْسِ لوْ رَضِعا[1]

---

(١) البيت في ديوان الأعشى ميمون بن قيس (ص ـ ١٣ وهو الثالث والثلاثون من قصيدة يمدح بها هوذة بن علي الحنفي. والفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين. وشق الشيء: شطره، والقطعة منه، وشق النفس: ولدها، لأنه قطعة منها. يقول: حتى إذا اجتمع اللبن في ضرعها، عادت ترضع ولدها، لو أنه حي يرضع. والضمير في ضرعها: راجع إلى راحلته المذكورة قبل. واستشهد المؤلف بالبيت على معنى قوله تعالى: ﴿مالها من فواق﴾. قال أبو عبيدة (٢١٣/١) من فتحها قال: ما لها من راحة. ومن ضمها قال فواق: وجعلها من «فواق ناقة»: ما بين الحلبتين. وقوم قالوا: هما واحد. بمنزلة جمام المكوك وجمام المكوك، وقصاص الشعر وقصاص الشعر (الأول بضم أوله، والثاني بفتحه فيهن) ا هـ. وقال الفراء في **«معاني القرآن»** (الورقة ٢٧٧): «ما لها من فواق»: من راحة ولا إفاقة. وأصله من الإفاقة في الرضاع، إذا ارتضعت البهيمة أمها، ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن، فتلك الإفاقة والفواق بغير همز. وجاء عن =

وقوله: ﴿وَقالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يوم الحِسابِ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش: يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة. والقِطّ في كلام العرب: الصحيفة المكتوبة ومنه قول الأعشى:

وَلا المَلِكُ النُّعْمانُ يَوْمَ لَقِيتُهُ ... بِنِعْمَتِهِ يُعْطِي القُطُوطَ ويَأْفِقُ[1]

يعني بالقُطوط: جمع القِط، وهي الكتب بالجوائز.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم تعجيل القطّ لهم، فقال بعضهم: إنما سألوا ربهم تعجيل حظهم من العذاب الذي أعدّ لهم في الآخرة في الدنيا، كما قال بعضهم: ﴿إِنْ كانَ هَذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أليمٍ﴾.

## ذكر من قال ذلك:

**حدثني** عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا﴾ يقول: العذاب.

**حدثني** محمد بن سعيد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَقالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا يَوْمَ الحِسابِ﴾ قال: سألوا الله أن يعجل لهم العذاب قبل يوم القيامة.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم ابن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿عَجِّلْ لَنا قِطَّنا﴾ قال: عذابنا.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَجِّلْ لَنا قِطَّنا﴾ قال: عذابنا.

---

= النبي ﷺ أنه قال: «العيادة قدر فواق ناقة». وقرأها الحسن، وأهل المدينة، وعاصم: فواق بالفتح؛ وهي لغة جيدة عالية. وضم حمزة، ويحيى، والأعمش، والكسائي ا هـ.

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة ص - ٣٣) من قصيدة يمدح بها المحلق بن خنثم بن شداد بن ربيعة. وفيه «بأمته» في مكان «بنعمته». والقطوط: جمع قط بكسر القاف، وهو الصك بالجائزة. ويأفق كيضرب يفضل بعض الناس في الجوائز على بعض. وهو من شواهد أبي عبيدة في **«مجاز القرآن»** (الورقة ٢١٣/١) قال في قوله تعالى: ﴿ربنا عجل لنا قطنا﴾ القط: الكتاب قال الأعشى:

«ولا الملك.......»

البيت. والقطوط: الكتب بالجوائز. يأفق: يفضل ويعلو. يقال: ناقة أفقة، وفرس آفق إذا فضله على غيره.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَقالُوا رَبَّنا عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الحِسابِ**﴾: أي نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة، قال: قد قال ذلك أبو جهل: اللهمّ إن كان ما يقول محمد حقاً ﴿**فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ**﴾... الآية.

وقال آخرون: بل إنما سألوا ربهم تعجيل أنصبائهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد ﷺ فيؤمنوا حينئذٍ به ويصدّقوه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**عَجِّلْ لَنا قِطَّنا**﴾ قالوا: أرنا منازلنا في الجنة حتى نتابعك.

وقال آخرون: مسألتهم نصيبهم من الجنة، ولكنهم سألوا تعجيله لهم في الدنيا.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ثابت الحدّاد، قال: سمعت سعيد بن جُبَير يقول في قوله: ﴿**عَجِّلْ لَنا قِطَّنا قَبْلَ يَوْمِ الحِسابِ**﴾ قال: نصيبنا من الجنة.

وقال آخرون: بل سألوا ربهم تعجيل الرزق.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمر بن عليّ، قال: ثنا أشعث السجستاني، قال: ثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد في قوله: ﴿**عَجِّلْ لَنا قِطَّنا**﴾ قال: رزقنا.

وقال آخرون: سألوا أن يعجل لهم كتبهم التي قال الله ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ**﴾. ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ**﴾ في الدنيا، لينظروا بأيمانهم يُعْطَوْنها أم بشمائلهم؟ ولينظروا مِن أهل الجنة هم، أم من أهل النار قبل يوم القيامة استهزاء منهم بالقرآن وبوعد الله.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشرّ الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاء بوعيد الله.

وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن القطّ هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ، وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم، ثم أتبع ذلك قوله لنبيه: ﴿**اصْبِرْ على ما يَقُولُونَ**﴾ فكان معلوماً بذلك أن مسألتهم ما سألوا النبيّ ﷺ لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الأمر بالصبر عليه، ولكن لما كان ذلك استهزاء، وكان فيه لرسول الله ﷺ أذى، أمره الله بالصبر عليه منهم حتى يأتيه قضاؤه فيهم، ولما لم يكن في قوله: ﴿**عَجِّلْ لَنا**

قِطَّنا﴾ بيان أيّ القطوط إرادتهم، لم يكن لما توجيه ذلك إلى أنه معنيّ به القُطوط ببعض معاني الخير أو الشرّ، فلذلك قلنا إن مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشرّ.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك لك مما تكره قيلهم لك، فإنا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك، ثم جاعلو العلوّ والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقّك سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك فمنهم عبدنا أيوب وداود بن إيشا، فاذكره ذا الأيد ويعني بقوله: ﴿ذَا الأَيْدِ﴾ ذا القوّة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿دَاوُد ذَا الأَيْدِ﴾ قال: ذا القوّة.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثني أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ذَا الأَيْد﴾ قال: ذا القوّة في طاعة الله.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنا دَاوُدَ ذَا الأَيْد﴾ قال: أعطي قوّة في العبادة، وفقهاً في الإسلام.

وقد ذُكر لنا أن داود ﷺ كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ﴾ ذا القوّة في طاعة الله.

**حدثني** يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ﴾ قال: ذا القوّة في عبادة الله، الأيد: القوّة، وقرأ: ﴿والسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ﴾ قال: بقوّة.

وقوله: ﴿إنَّهُ أوّابٌ﴾ يقول: إن داود رَجّاع لما يكرهه الله إلى ما يرضيه أوّاب، وهو من قولهم: آب الرجل إلى أهله: إذا رجع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ قال: رجاع عن الذنوب.

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ قال: الراجع عن الذنوب.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَنَّهُ أَوَّابٌ﴾: أي كان مطيعاً لله كثير الصلاة.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ قال: المسبِّح.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ قال: الأوّاب التوّاب الذي يئوب إلى طاعة الله ويرجع إليها، ذلك الأوّاب، قال: والأوّاب: المطيع.

وقوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بالعَشِيّ وَالإِشْرَاقِ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا سخرنا الجبال يسبِّحن مع داود بالعشيّ، وذلك من قوت العصر إلى الليل، والإشراق، وذلك بالغداة وقت الضحى. ذُكر أن داود كان إذا سبح سبحت معه الجبال، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّا سخَّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بالعَشِيّ والإِشْراقِ﴾ يسبحن مع داود إذا سبح بالعشيّ والإشراق.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿بالعَشيّ والإِشْرَاقِ﴾ قال: حين تُشرق الشمس وتضحى.

**حدثنا** أبو كريب، قال: ثنا محمد بن بشر، عن مسعر بن عبد الكريم، عن موسى بن أبي كثير، عن ابن عباس أنه بلغه أن أمّ هانيء ذكرت أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، صلى الضحى ثمان ركعات، فقال ابن عباس: قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة، يقول الله: ﴿يُسَبِّحْنَ بالعَشِيّ والإِشْراقِ﴾.

**حدثنا** ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: ثنا صدقة، قال: ثني سعيد بن أبي عَروبة، عن أبي المتوكل، عن أيوب بن صفوان، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى، قال: فأدخلته على أم هانيء، فقلت: أخبري هذا بما

أخبرتني به، فقالت أمّ هانىء: دخل عليّ رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي، فأمر بماء فصبّ في قصعة، ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه، فاغتسل، ثم رشّ ناحية البيت فصلّى ثمان ركعات، وذلك من الضحى قيامهنّ وركوعهنّ وسجودهنّ وجلوسهنّ سواء، قريب بعضهنّ من بعض، فخرج ابن عباس، وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين، ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن ﴿**يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ والإِشْراقِ**﴾ وكنت أقول: أين صلاة الإِشراق، ثم قال: بعدهنّ صلاة الإِشراق.

**حدثنا** عمرو بن عليّ، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد بن أبي عروبة، عن متوكل، عن أيوب بن صفوان، مولى عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن الحارث، أن أمّ هانىء ابنة أبي طالب، حَدّثت أن رسول الله ﷺ يوم الفتح دخل عليها ثم ذكر نحوه.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿**يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ**﴾ مثل ذلك.

وقوله: ﴿**والطَّيْرَ مَحْشُورَةً**﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة بمعنى: مجموعة له ذُكر أنه ﷺ كان إذا سبح أجابته الجبال، واجتمعت إليه الطير، فسبحت معه واجتماعها إليه كان حشرها. وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل في معنى الحشر فيما مضى، فكرهنا إعادته. وكان قتادة يقول في ذلك في هذا الموضع ما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**والطَّيْرَ مَحْشُورَةً**﴾: مسخَّرة.

وقوله: ﴿**كُلٌّ لَهُ أوَّابٌ**﴾ يقول: كل ذلك له مطيع رجّاع إلى طاعته وأمره. ويعني بالكلّ: كلّ الطير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**كُلّ لَهُ أوَّابٌ**﴾: أي مطيع.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلّ لَهُ أوَّابٌ**﴾ قال: كلّ له مطيع.

وقال آخرون: معنى ذلك: كل ذلك لله مسبِّح.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**والطَّير مَحْشُورَةً كُلّ لَهُ أوَّابٌ**﴾ يقول: مسبِّح لله.

وقوله: ﴿**وَشَدَدْنا مُلْكَهُ**﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي به شدّد ملكه، فقال بعضهم: شدّد ذلك بالجنود والرجال، فكان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف، أربعة آلاف.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدّيّ، قوله: ﴿**وَشَدَدْنا مُلْكَهُ**﴾ قال: كان يحرسه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف، أربعة آلاف.

وقال آخرون: كان الذي شدد به ملكه، أن أُعطِيَ هيبة من الناس له لقضية كان قضاها.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** ابن حرب، قال: ثنا موسى، قال: ثنا داود، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم، فاجتمعا عند داود النبيّ ﷺ فقال المستعدي: إن هذا اغتصبني بقراً لي، فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده، فسأل الآخر البينة، فلم يكن له بيِّنة، فقال لهما داود: قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي استُعدي عليه، فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت، فأوحى الله إلى داود في منامه مرّة أخرى أن يقتل الرجل، وأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة من الله، فأرسل داود إلى الرجل: إن الله قد أوحى إليّ أن أقتلك، فقال الرجل: تقتلني بغير بينة ولا تثبت؟ فقال له داود: نعم، والله لأنفذنّ أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال: لا تعجل عليّ حتى أخبرك، إني والله وما أُخِذت بهذا الذنب، ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فبذلك قُتلت، فأمر به داود فقُتل، فاشتدّت هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود، وشدد به ملْكه، فهو قول الله: ﴿**وَشَدَدْنا مُلْكَهُ**﴾.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى أخبر أنه شَدَّد ملك داود، ولم يحضر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود. وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا، وجائز أن يكون كان بجميعها، ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله، إذ لم يحصُرْ ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له.

وقوله: ﴿**وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ**﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُني بها النبوّة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السديّ، قوله: ﴿**وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ**﴾ قال: النبوّة.

وقال آخرون: عُني بها أنه علم السنن.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وآتَيناهُ الحِكْمَةَ﴾: أي السنة.

وقد بيَّنا معنى الحكمة في غير هذا الموضع بشواهده، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿وفَصْلَ الخِطابِ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: عني به أنه علم القضاء والفهم به.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَآتَيناهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطابِ﴾ قال: أعطي الفهم.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد ﴿وَفَصْلَ الخِطاب﴾ قال: إصابة القضاء وفهمه.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿وَفَصْل الخِطابِ﴾قال: علم القضاء.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وآتَيناهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطابِ﴾ قال: الخصومات التي يخاصم الناس إليه فصل ذلك الخطاب، الكلام الفهم، وإصابة القضاء والبيِّنات.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي حُصين، قال: سمعت أبا عبد الرحمن يقول: فصل الخطاب: القضاء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وفصل الخطاب، بتكليف المدّعي البينة، واليمين على المدَّعَى عليه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا داود بن أبي هند، قال: ثني الشعبيّ أو غيره، عن شريح أنه قال في قوله: ﴿وفَصْلَ الخِطابِ﴾ قال: بيِّنة المدّعي، أو يمين المُدَّعى عليه.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُليَّة، عن داود بن أبي هند، في قوله: ﴿وآتَيناه الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطابِ﴾ قال: نُبِّئت عن شريح أنه قال: شاهدان أو يمين.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر، قال: سمعت داود قال: بلغني أن شريحاً قال ﴿فصل الخِطابِ﴾ الشاهدان على المدعي، واليمين على من أنكر.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن طاوس، أن شريحاً قال لرجل: إن هذا يعيب عليّ ما أُعْطِيَ داود، الشهود والأيمان.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن شريح أنه قال في هذه الآية ﴿وَفَصْلَ الخِطابِ﴾ قال: الشهود والأيمان.

**حدثنا** عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا داود، عن الشعبيّ، في قوله: ﴿وآتَيْناهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطابِ﴾ قال: يمين أوْ شاهِدٌ.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَفَصْلَ الخِطابِ﴾ البينة على الطالب، واليمين على المطلوب، هذا فصل الخطاب.

وقال آخرون: بل هو قولُ: أما بعد.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: ثنا إسماعيل، عن الشعبيّ في قوله: ﴿وَفَصْلَ الخِطابِ﴾ قال: قول الرجل: أما بعد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب، والفصل: هو القطع، والخطاب هو المخاطبة، ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما إلى صاحبه قطع المحتكم إليه الحكم بين المحتكم إليه وخصمه بصواب من الحكم، ومن قطع مخاطبته أيضاً صاحبه إلزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه إن كان مدعياً، فإقامة البينة على دعواه وإن كان مدعى عليه فتكليفه اليمين إن طلب ذلك خصمه. ومن قطع الخطاب أيضاً الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد. فإذ كان ذلك كله محتملاً ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على أيّ ذلك المرادُ، ولا ورد به خبر عن الرسول ﷺ ثابت، فالصواب أن يعم الخبر، كما عمه الله، فيقال: أُوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وهل أتاك يا محمد نبأ الخصم وقيل: إنه عُني بالخصم في هذا الموضع ملكان، وخرج في لفظ الواحد، لأنه مصدر مثل الزور والسفر، لا يثنى ولا يجمع ومنه قول لبيد:

وَخَصْمٍ يَعُدُّونَ الذُّحُولَ كَأَنَّهُمْ ... قُرُومٌ غَيَارَى كُلُّ أَزْهَرَ مُصْعَبِ[(١)]

وقوله: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ يقول: دخلوا عليه من غير باب المحراب والمحراب مقدّم كل مجلس وبيت وأشرفه. وقوله: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ فكرّر إذ مرّتين، وكان بعض أهل العربية يقول في ذلك: قد يكون معناهما كالواحد، كقولك: ضربتك إذ دخلت عليّ إذ اجترأت، فيكون الدخول هو الاجتراء، ويكون أن تجعل إحداهما على مذهب لما، فكأنه قال: إذ تسوّروا المحراب لما دخلوا، قال: وإن شئت جعلت لما في الأوّل، فإذا كان لما أوّلا أو آخراً، فهي بعد صاحبتها، كما تقول: أعطيته لما سألني، فالسؤال قبل الإعطاء في تقدّمه وتأخره.

وقوله: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ يقول القائل: وما كان وجه فزعه منهما وهما خصمان، فإنّ فزعه منهما كان لدخولهما عليه من غير الباب الذي كان المَدْخَل عليه، فراعه دخولهما كذلك عليه. وقيل: إن فزعه كان منهما، لأنهما دخلا عليه ليلاً في غير وقت نظره بين الناس قالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ يقول تعالى ذكره: قال له الخصم: لا تخف يا داود، وذلك لمَّا رأياه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب. وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر من الكلام منه، وهو مرافع خصمان، وذلك نحن. وإنما جاز ترك إظهار ذلك مع حاجة الخصمين إلى المرافع، لأن قوله ﴿خَصْمَانِ﴾ فعل للمتكلم، والعرب تضمر للمتكلم والمكلَّم والمخاطب ما يرفع أفعالهما، ولا يكادون أن يفعلوا ذلك بغيرهما، فيقولون للرجل يخاطبونه: أمنطلق يا فلان ويقول المتكلم لصاحبه: أحسن إليك وتجمل، وإنما يفعلون ذلك كذلك في المتكلم والمكلَّم، لأنهما حاضران

(١) البيت للبيد «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، (الورقة ٢١٣ ـ ب). قال: «نبأ الخصم»: يقع على الواحد والجمع. قال لبيد:

«وخـــصـــم......»

البيت. والذحول: جمع ذحل، وهو الثأر. والقروم جمع قرم، وهو الفحل العظيم من الإبل. وغياري: جمع غيران. والأزهر: الأبيض والمصعب: الشديد القوى الذي يودع من الركوب والعمل، للفحلة. «اللسان» صعب. ا هـ. شبه الخصوم الأقوياء بالفحول من الإبل.

يعرف السامع مراد المتكلم إذا حُذف الاسم، وأكثر ما يجيء ذلك في الاستفهام، وإن كان جائزاً في غير الاستفهام، فيقال: أجالس راكب؟ فمن ذلك قوله خَصْمان ومنه قول الشاعر:

وَقُــولا إذَا جــاوَزْتُــمَــا أرْضَ عــامِــرٍ ... وَجاوَزْتُـمَا الـحَـيَّـيْنَ نَـهْداً وخَـثْـعَـمـا

نَـزِيـعـانِ مِـنْ جَـرْمِ بْـنِ رَبَّـانِ إنـهـمْ ... أبَوْا أن يُميرُوا في الهَزَاهِزِ مِحْجَما[١]

وقول الآخر:

تَـقُـولُ ابْـنَـةُ الـكَـعْـبِـيّ يـوْمَ لَـقِـيتُـهـا ... أمُـنْـطَـلِـقٌ فـي الـجَـيْـشِ أمْ مُـتَـثـاقِـلُ[٢]

ومنه قولهم: «مُحْسِنة فهيلي». وقول النبيّ ﷺ: «آيِبُونَ تائِبُونَ». وقوله: «جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ مَكْتُوبٌ بينَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ» كلّ ذلك بضمير رَفْعه. وقوله عزّ وجلّ ﴿بَغَى بَعْضُنا على بَعْضٍ﴾ يقول: تعدّى أحدنا على صاحبه بغير حقّ ﴿فاحْكُمْ بَيْنَنا بالحَقّ﴾ يقول: فاقض بيننا بالعدل ﴿وَلا تُشْطِطْ﴾: يقول: ولا تَجُر، ولا تُسْرِف في حكمك، بالميل منك مع أحدنا على صاحبه. وفيه لغتان: أشَطَّ، وشَطَّ. ومن الإشطاط قول الأحوص:

ألا يـا لَـقَـوْمٍ قَـدْ أشَـطَّـتْ عَـوَاذِلـي ... وَيَـزْعُـمْـنَ أنْ أوْدَي بـحَـقّـيَ بـاطِـلِـي[٣]

ومسموع من بعضهم: شَطَطْتَ عليّ في السَّوْم. فأما في البعد فإن أكثر كلامهم: شَطَّت الدار، فهي تَشِطّ، كما قال الشاعر:

---

(١) البيتان: من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٢٧٨) على أن خصمان من قوله تعالى: ﴿قالوا خصمان﴾: رفع بإضمار نحن. قال: والعرب تضمر للمتكلم والمخاطب ما يرفع فعله، ولا يكادون يفعلون ذلك بغير المخاطب أو المتكلم. من ذلك أن تقول للرجل: أذاهب؟ أو أن يقول المتكلم: واصلكم إن شاء الله، ومحسن إليكم. وذلك أن المتكلم والمكلم حاضران فتعرف معنى أسمائها إذ تركت. وأكثره في الاستفهام، يقولون: أجاد؟ أمنطلق وقد يكون في غير الاستفهام. فقوله «خصمان» من ذلك. وقال الشاعر:

«وقـــــــولا إذا.....»

البيتين. وقد جاء في آثار للراجع من سفر»

«تـائـبـون آيـبـون، لـربـنـا حـامـدون».......

الخ. قلت: والشاهد في البيتين قوله «نزيعان»: أي نحن نزيعان. فهو مرفوع على تقدير مضمر قبله، وإن لم يكن معه استفهام.

(٢) وهذا البيت أيضاً من شواهد الفراء في «معاني القرآن»، على أنه قد يكون المبتدأ محذوفاً، ويكثر أن يكون ذلك مع وجود الاستفهام في الكلام، كقوله في البيت:

أمـنـطـلـق فـي الـجـيـش أم مـتـثـاقـل؟ أي أأنت

مـــــنـــــطـــــلـــــق......

الخ.

(٣) وهذا البيت للأحوص، وهو كسابقه مروى في «اللسان»: «شطط» وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، شاهداً على أن معنى أشطت، بالهمز في أوله: أبعدت. وأودى بحقه: ذهب به وأهلكه.

تَشِطُّ غَداً دَارُ جِيرَانِنَا ولَلدَّارُ بَعْدَ غَدٍ أبْعَدُ(١)

وقوله: ﴿وَاهْدِنا إلى سَوَاءِ الصِّراطِ﴾ يقول: وأرشدنا إلى قَصْد الطريق المستقيم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿وَلا تُشْطِطْ﴾ قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلا تُشْطِطْ﴾: أي لا تمل.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَلا تُشْطِطْ﴾ يقول: لا تُحِف.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلا تُشْطِطْ﴾ تخالف عن الحقّ.

وكالذي قلنا أيضاً في قوله: ﴿وَاهْدِنا إلى سَوَاءِ الصِّراطِ﴾ قالوا:

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَاهْدِنا إلى سَوَاء الصِّراطِ﴾ إلى عدله وخيره.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَاهدنا إلى سَوَاءِ الصِّراطِ﴾ إلى عدل القضاء.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَاهْدِنا إلى سَوَاء الصِّراطِ﴾ قال: إلى الحقّ الذي هو الحقّ: الطريق المستقيم ﴿وَلا تُشْطِطْ﴾ تذهب إلى غيرها.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه: ﴿وَاهْدِنا إلى سَوَاء الصِّراطِ﴾: أي احملنا على الحقّ، ولا تخالف بنا إلى غيره.

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢١٣) عند قوله تعالى: ﴿ولا تشطط﴾ أي: لا تسرف. وأنشد:

«تشط غداً دار جيراننا.....»

البيت. ويقال: كلفتني شططاً: منه. وشطت الدار: بعدت ا هـ. وفي «**اللسان**» (شطط) وفي التنزيل: ﴿ولا تشطط﴾ وقرىء: «ولا تشطط» بضم الطاء الأولى، وفتح التاء، ومعناها: لا تبعد عن الحق ا هـ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾.

وهذا مثل ضربه الخصم المتسوّرون على داود محرابه له، وذلك أن داود كانت له فيما قيل: تسع وتسعون امرأة، وكانت للرجل الذي أغزاه حتى قُتل امرأة واحدة فلما قُتل نكح فيما ذُكر داود امرأته، فقال له أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخي﴾ يقول: أخي على ديني، كما:

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن مبنه: ﴿إِنَّ هَذَا أَخي﴾: أي على ديني ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ولي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «إِنَّ هَذَا أخي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى» وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة، كقولهم: هذا رجل ذكر، ولا يكادون أن يفعلوا ذلك إلا في المؤنث والمذكر الذي تذكيره وتأنيثه في نفسه كالمرأة والرجل والناقة، ولا يكادون أن يقولوا هذه دار أنثى، وملحفة أنثى، لأن تأنيثها في اسمها لا في معناها. وقيل: عنى بقوله: أنثى: أنها حسنة.

ذكر من قال ذلك:

**حُدثت** عن المحاربي، عن جُوَيبر، عن الضحاك «إن هَذَا أخي لَهُ تَسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى» يعني بتأنيثها. حسنها.

وقوله: ﴿فقالَ أكْفِلْنِيها﴾ يقول: فقال لي: انزل عنها لي وضمها إليّ، كما:

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أكْفلْنِيها﴾ قال: أعطنيها، طلِّقها لي، أنكحها، وخلِّ سبيلها.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، فقال: ﴿أكْفِلْنِيها﴾ أي أحملني عليها.

وقوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ﴾ يقول: وصار أعزّ مني في مخاطبته إياي، لأنه إن تكلم فهو أبين مني، وإن بطش كان أشدّ مني فقهرني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال عبد الله في قوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ﴾ قال: ما زاد داود على أن قال: انزل لي عنها.

**حدثنا** ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن المسعودي، عن المنهال، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: ما زاد على أن قال: انزل لي عنها.

**وحدثني** يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: قال عبد الله: ما زاد داود على أن قال: ﴿**أكْفِلْنِيها**﴾.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿**وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ**﴾ قال: إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بطشت وبطش كان أشدّ مني، فذلك قوله: ﴿**وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ**﴾.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ**﴾ أي ظلمني وقهرني.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قلا: قال ابن زيد في قوله: ﴿**وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ**﴾ قال: قهرني، وذلك العزّ قال: والخطاب: الكلام.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ﴿**وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ**﴾: أي قهرني في الخطاب، وكان أقوى مني، فحاز نعجتي إلى نعاجه، وتركني لا شيء لي.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ**﴾ قال: إن تكلم كان أبين مني، وإن بطش كان أشدّ مني، وإن دعا كان أكثر مني.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: قال داود للخصم المتظلم من صاحبه: لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك إلى نعاجه وهذا مما حُذفت منه الهاء فأضيف بسقوط الهاء منه إلى المفعول به، ومثله قوله عزّ وجلّ: ﴿**لا يَسْأَمُ الإنسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ**﴾ والمعنى: من دعائه بالخير، فلما أُلقِيت الهاء من الدعاء أضيف إلى الخير، وألقي من الخير الباء وإنما كنى بالنعجة ها هنا عن المرأة، والعرب تفعل ذلك ومنه قول الأعشى:

قَدْ كُنْتُ رَائِدَهَا وَشَاةِ مُحَاذِرٍ حَذَراً يُقِلُّ بِعَيْنِهِ إغْفَالَهَا[١]

يعني بالشاة: امرأة رجل يحذر الناس عليها وإنما يعني: لقد ظلمت بسؤال امرأتك الواحدة إلى التسع والتسعين من نسائه.

وقوله: ﴿**وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ**﴾ يقول: وإن كثيراً من الشركاء ليتعدّى بعضهم على بعض ﴿**إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بالله ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ يقول: وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، ولم يتجاوزوه ﴿**وَقَلِيلٌ ما هُمْ**﴾. وفي «ما» التي في قوله: ﴿**وَقَلِيلٌ ما هُمْ**﴾ وجهان: أحدهما أن تكون صلة بمعنى: وقليل هم، فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يُفسد معنى الكلام: والآخر أن تكون اسماً، و«هم» صلة لها، بمعنى: وقليل ما تجدهم، كما يقال: قد كنت أحسبك أعقل مما أنت، فتكون أنت صلة لما، والمعنى: كنت أحسب عقلك أكثر مما هو، فتكون «ما» والاسم مصدراً، ولو لم ترد المصدر لكان الكلام بمن، لأن من التي تكون للناس وأشباههم، ومحكيٌّ عن العرب: قد كنت أراك أعقل منك مثل ذلك، وقد كنت أرى أنه غير ما هو، بمعنى: كنت أراه على غير ما رأيت. ورُوي عن ابن عباس في ذلك ما:

**حدثني** به عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَقَلِيلٌ ما هُمْ**﴾ يقول: وقليل الذين هم.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحاتِ وَقَلِيلٌ ما هُمْ**﴾ قال: قليل من لا يبغي.

فعلى هذا التأويل الذي تأوّله ابن عباس معنى الكلام: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقليل الذين هم كذلك، بمعنى: الذين لا يبغي بعضهم على بعض، و«ما» على هذا القول بمعنى: مَنْ.

وقوله: ﴿**وَظَنَّ دَاوُدُ أنَّمَا فَتَنَّاهُ**﴾ يقول: وعلم داود أنما ابتليناه، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَظَنَّ دَاوُدُ**﴾: علم داود.

---

(١) البيت في ديوان الأعشى ميمون بن قيس (طبعة القاهرة ص ـ ٢٧) من لاميته التي مطلعها:
«رحلت سمية غدوة أجمالها. . .
البيت وفيه: «بت» في مكان «كنت». والضمير في رائدها: راجع إلى الأرض التي تزينت بأنواع النبات في البيت السابق. والشاة من الحيوان: يكنى بها عن المرأة. ومحاذر: شديد المحاذرة عليها دائم المراقبة لها، وهو زوجها. وقوله «شاة» بالجر: معطوف على قوله في بيت سابق: «ارب غانية صرمت وصالها». يقول: رب مصاب سحابة بت رائدها، ورب امرأة لها زوج يحذر عليها ويراقبها مراقبة شديدة، حتى إذا غفل عنها آخر الليل، دنوت منها. . . . . الخ.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، عن أبي رجاء، عن الحسن ﴿وَظَنَّ دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ قال: ظنّ أنما ابْتُلِي بذاك.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ قال: ظنّ أنما ابتُلي بذاك.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ اختبرناه.

والعرب توجه الظنّ إذا أدخلته على الإخبار كثيراً إلى العلم الذي هو من غير وجه العيان.

وقوله: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ يقول: فسأل داود ربه غفران ذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعاً﴾ يقول: وخرّ ساجداً لله ﴿وأَنابَ﴾ يقول: ورجع إلى رضا ربه، وتاب من خطيئته.

واختلف في سبب البلاء الذي ابتُلي به نبيّ الله داود ﷺ، فقال بعضهم: كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من حسن الثناء الباقي لهم في الناس، فتمنى مثله، فقيل له: إنهم امتُحنوا فصبروا، فسأل أن يُبْتَلى كالذي ابتلوا، ويعطى كالذي أعطوا إن هو صبر.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾ قال: إن داود قال: يا ربّ قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله، قال الله: إني ابتليتهم بما لم أبتلك به، فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به، وأعطيتك كما أعطيتهم، قال: نعم، قال له: فاعمل حتى أرى بلاءك فكان ما شاء الله أن يكون، وطال ذلك عليه، فكاد أن ينساه فبينا هو في محرابه، إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها، فطارت إلى كوّة المحراب، فذهب ليأخذها، فطارت، فاطّلع من الكوّة، فرأى امرأة تغتسل، فنزل نبيّ الله ﷺ من المحراب، فأرسل إليها فجاءته، فسألها عن زوجها وعن شأنها، فأخبرته أن زوجها غائب، فكتب إلى أمير تلك السَّرية أن يؤمّره على السرايا ليهلك زوجها، ففعل، فكان يُصاب أصحابه وينجو، وربما نُصروا، وإن الله عزّ وجلّ لما رأى الذي وقع فيه داود، أراد أن يستنقذه فبينما داود ذات يوم في محرابه، إذ تسوّر عليه الخَصْمان من قِبَل وجهه فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت، وقال: لقد استضعفت في مُلكي حتى إن الناس يتسورون عليّ محرابي، قالا له: ﴿لا تخَفْ خَصْمان بَغَى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ﴾ ولم يكن لنا بدّ من أن نأتيك، فاسمع منا قال أحدهما: ﴿إنَّ هَذَا أخي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ أنثى ﴿ولي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقالَ أكْفِلْنِيها﴾ يريد أن يتمم بها مئة، ويتركني ليس لي شيء

**﴿وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ﴾** قال: إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بطشت وبطش كان أشدّ مني، فذلك قوله: **﴿وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ﴾** قال له داود: أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه **﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعاجِهِ﴾**... إلى قوله: **﴿وَقَلِيلٌ ما هُمْ﴾** ونسي نفسه ﷺ، فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك، فتبسّم أحدهما إلى الآخر، فرآه داود وظنّ أنما فتن **﴿فاستغفر رَبَّه وَخَرَّ رَاكِعاً وأنابَ﴾** أربعين ليلة، حتى نبتت الخُضرة من دموع عينيه، ثم شدد الله له ملكه.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿وَهَلْ أتاكَ نَبأُ الخَصْمِ إذْ تَسَوَّرُوا المِحْرابَ﴾** قال: كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام: يوم يَقْضِي فيه بين الناس، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه، ويوم يخلو فيه لنسائه وكان له تسع وتسعون امرأة، وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب قال: يا ربّ إن الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي، فأعطني مثل ما أعطيتهم، وافعل بي مثل ما فعلت بهم، قال: فأوحى الله إليه: إن آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ابتلي إبراهيم بذبح ابنه، وابتُلي إسحاق بذهاب بصره، وابتُلي يعقوب بحُزنه على يوسف، وإنك لم تبتل من ذلك بشيء، قال: يا ربّ ابتلني بمثل ما ابتليتهم به، وأعطني مثل ما أعطيتهم قال: فأُوحِيَ إليه: إنك مبتلًى فاحترس قال: فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب، حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلي، فمدّ يده ليأخذه، فتنحى فتبعه، فتباعد حتى وقع في كوّة، فذهب ليأخذه، فطار من الكوّة، فنظر أين يقع، فيبعث في أثره. قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل الناس خَلْقاً، فحانت منها التفاتة فأبصرته، فألقت شعرها فاستترت به، قال: فزاده ذلك فيها رغبة، قال: فسأل عنها، فأخبر أن لها زوجاً، وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا قال: فبعث إلى صاحب المسلحة أن يبعث أهريا[1] إلى عدوّ كذا وكذا، قال: فبعثه، ففُتح له. قال: وكتب إليه بذلك، قال: فكتب إليه أيضاً: أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، أشدّ منهم بأساً، قال: فبعثه ففُتح له أيضاً. قال: فكتب إلى داود بذلك، قالَ: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، فبعثه فقُتل المرّة الثالثة، قال: وتزوّج امرأته.

قال: فلما دخلت عليه، قال: لم تلبث عنده إلا يسيراً حتى بعث الله مَلَكين في صورة إنسيين، فطلبا أن يدخلا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلا، فتسوّروا عليه المحراب، قال: فما شعر وهو يصلي إذ هو بهما بين يديه جالسين، قال: ففزع منهما، فقالا:

(١) سيأتي في ١٤٩ أن اسمه «أوريا».

﴿لا تَخَفْ﴾ إنما نحن ﴿خَصْمانِ بَغَى بَعْضُنا على بَعْضٍ فاحْكُمْ بَيْنَنا بالحَقِّ وَلا تُشْطِطْ﴾ يقول: لا تحف ﴿وَاهْدِنَا إلى سَوَاءِ الصِّراطِ﴾: إلى عدل القضاء. قال: فقال: قصّا عليّ قصتكما، قال: فقال أحدهما: ﴿إنَّ هَذَا أخِي لَه تَسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فهو يريد أن يأخذ نعجتي، فيكمل بها نعاجه مئة. قال: فقال للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعاً وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن آخذها منه، فأكمل بها نعاجي مئة، قال: وهو كاره؟ قال: وهو كاره، قال: وهو كاره؟ قال: إذن لا ندعك وذاك، قال: ما أنت على ذلك بقادر، قال: فإن ذهبت تروم ذلك أو تريد، ضربنا منك هذا وهذا وهذا، وفسر أسباط طرف الأنف، وأصل الأنف والجبهة قال: يا داود أنت أحقّ أن يُضرب منك هذا وهذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة، ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة، فلم تزل به تعرّضه للقتل حتى قتلته، وتزوّجت امرأته. قال: فنظر فلم ير شيئاً، فعرف ما قد وقع فيه، وما قد ابتُلي به. قال: فخرّ ساجداً، قال: فبكى. قال: فمكث يبكي ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة منها، ثم يقع ساجداً يبكي، ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه. قال: فأوحى الله إليه بعد أربعين يوماً: يا داود ارفع رأسك، فقد غفرت لك، فقال: يا ربّ كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء، إذا جاءك أهريا يوم القيامة آخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أو داجه دماً في قبل عشك يقول: يا ربّ سل هذا فيم قتلني؟ قال: فأوحى إليه: إذا كان ذلك دعوت أهريا، فأستوهبك منه، فيهبك لي، فأثيبه بذلك الجنة، قال: ربّ الآن علمت أنك قد غفرت لي، قال: فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قُبض ﷺ.

**حدثني** عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: ثني عطاء الخراساني، قال: نقش داود خطيئته في كفه لكيلا ينساها، قال: فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت.

وقال آخرون: بل كان ذلك لعارض كان عرض في نفسه من ظنّ أنه يطيق أن يتم يوماً لا يصيب فيه حوبة، فابتلي بالفتنة التي ابتلي بها في اليوم الذي طمع في نفسه بإتمامه بغير إصابة ذنب.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن مطر، عن الحسن: إن داود جَزَّأ الدهر أربعة أجزاء: يوماً لنسائه، ويوماً لعبادته، ويوماً لقضاء بني إسرائيل، ويوماً لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه، ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني إسرائيل قال: ذكروا فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً؟ فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادته، أغلق أبوابه، وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكبّ على التوراة فبينما هو يقرؤها، فإذا حمامة من ذهب فيها من

كلّ لون حسن، قد وقعت بين يديه، فأهوى إليها ليأخذها، قال: فطارت، فوقعت غير بعيد، من غير أن تؤيسه من نفسها، قال: فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل، فأعجبه خَلْقها وحُسنها قال: فلما رأت ظله في الأرض، جللت نفسها بشعرها، فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا، مكان إذا سار إليه لم يرجع، قال: ففعل، فأُصيب فخطبها فتزوّجها. قال: وقال قتادة: بلغنا أنها أمّ سليمان، قال: فبينما هو في المحراب، إذ تسوّر الملكان عليه، وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب، ففزع منهم حين تسوّروا المحراب، فقالوا: **﴿لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغَى بَعْضُنا على بَعْضٍ﴾**... حتى بلغ **﴿وَلا تُشْطِطْ﴾**: أي لا تمل **﴿وَاهْدِنا إلى سَوَاءِ الصِّراطِ﴾**: أي أعدله وخيره **﴿إنَّ هَذَا أخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾**، وكان لداود تسع وتسعون امرأة **﴿وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾** قال: وإنما كان للرجل امرأة واحدة **﴿فَقالَ أكْفِلْنِيها وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ﴾** أي: ظلمني وقهرني، فقال: **﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعاجِهِ﴾**... إلى قوله: **﴿وَقَليلٌ ما هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ﴾** فعلم داود أنما صُمِد له: أي عنى به ذلك **﴿فَخَرَّ رَاكِعاً وأنابَ﴾** قال: وكان في حديث مطر، أنه سجد أربعين ليلة، حتى أوحى الله إليه: إني قد غفرت لك، قال: ربّ وكيف تغفر لي وأنت حكم عدل، لا تظلم أحداً؟ قال: إني أقضيك له، ثم أستوهبه دمك أو ذنبك، ثم أثيبه حتى يرضى، قال: الآن طابت نفسي، وعلمت أنك قد غفرت لي.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه اليمانيّ، قال: لما اجتمعت بنو إسرائيل، على داود، أنزل الله عليه الزَّبور، وعلّمه صنعة الحديد، فألانه له، وأمر الجبال والطير أن يسبّحن معه إذا سبح، ولم يعط الله فيما يذكرون أحداً من خلقه مثل صوته كان إذا قرأ الزبور فيما يذكرون، تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها، وإنها لمصيخة تسمع لصوته، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج، إلا على أصناف صوته، وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة، فأقام في بني إسرائيل يحكم فيهم بأمر الله نبياً مستخلفاً، وكان شديد الاجتهاد من الأنبياء، كثير البكاء، ثم عرض من فتنة تلك المرأة ما عرض له، وكان له مِحْراب يتوحد فيه لتلاوة الزَّبور، ولصلاته إذا صلى، وكان أسفل منه جنينة لرجل من بني إسرائيل، كان عند ذلك الرجل المرأة التي أصاب داود فيها ما أصابه.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه، أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم، قال: لا يدخلنّ عليّ محرابي اليوم أحد حتى الليل، ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أُمسي ودخل محرابه، ونشر زَبوره يقرؤه وفي المحراب كوّة تطلعه على تلك الجنينة، فبينا هو جالس يقرأ زبوره، إذ أقبلت حمامة من ذهب

حتى وقعت في الكوّة، فرفع رأسه فرآها، فأعجبته، ثم ذكر ما كان قال: لا يشغله شيء عما دخل له، فنكّس رأسه وأقبل على زَبوره، فتصوّبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوّة، فوقعت بين يديه، فتناولها بيده، فاستأخرتْ غير بعيد، فاتبعها، فنهضت إلى الكوة، فتناولها في الكوّة، فتصوّبت إلى الجنينة، فأتبعها بصره أين تقع، فإذا المرأة جالسة تغتسل بهيئةٍ اللّهُ أعلم بها في الجمال والحُسن والخَلْق فيزعمون أنها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه، واختطفت قلبه، ورجع إلى زَبوره ومجلسه، وهي من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها. وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها، ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدّم زوجها للمهالك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك، ولداود تسع وتسعون امرأة فلما أصيب زوجها خطبها داود، فنكحها، فبعث الله إليه وهو في محرابه مَلكين يختصمان إليه، مثلاً يضربه له ولصاحبه، فلم يرع داود إلا بهما واقفين على رأسه في محرابه، فقال: ما أدخلكما عليّ؟ قالا: لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة ﴿**خَصْمان بَغَى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ**﴾ فجئناك لتقضي بيننا ﴿**فاحْكُمْ بَيْنَنا بالحَقّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنا إلى سَوَاءِ الصِّراطِ**﴾: أي احملنا على الحقّ، ولا تخالف بنا إلى غيره قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن جنانيا زوج المرأة: ﴿**إنَّ هذَا أخي**﴾ أي على ديني ﴿**لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقالَ أكْفِلْنِيها**﴾ أي احملني عليها، ثم عزّني في الخطاب: أي قهرني في الخطاب، وكان أقوى مني هو وأعزّ، فحاز نعجتي إلى نعاجه وتركني لا شيء لي فغضب داود، فنظر إلى خصمه الذي لم يتكلم، فقال: لئن كان صدقني ما يقول، لأضربنّ بين عينيك بالفأس ثم ارعوى داود، فعرف أنه هو الذي يُراد بما صنع في امرأة أوريا، فوقع ساجداً تائباً منيباً باكياً، فسجد أربعين صباحاً صائماً لا يأكل فيها ولا يشرب، حتى أنبت دمعه الخضر تحت وجهه، وحتى أندب السجود في لحم وجهه، فتاب الله عليه وقبل منه.

ويزعمون أنه قال: أي ربّ هذا غفرت ما جنيت في شأن المرأة، فكيف بدم القتيل المظلوم؟ قيل له: يا داود، فيما زعم أهل الكتاب، أما إن ربك لم يظلمه بدمه، ولكنه سيسأله إياك فيعطيه، فيضعه عنك فلما فرج عن داود ما كان فيه، رسم خطيئته في كفه اليمنى بطن راحته، فما رفع إلى فيه طعاماً ولا شراباً قطّ إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس قطّ إلا نشر راحته، فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته في يده.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثاً يذكر عن مجاهد قال: لما أصاب داود الخطيئة خرّ لله ساجداً أربعين يوماً حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطّى رأسه ثم نادى: ربّ قرح الجبين، وَجَمَدت العين، وداود لم يرجع إليه في خطيئته شيء، فنودي: أجائع فتطعم، أم مريض فتشفى، أم مظلوم فينتصر لك؟ قال: فنحب نحبة هاج كلّ شيء

كان نبت، فعند ذلك غفر له. وكانت خطيئته مكتوبة بكفه يقرؤها، وكان يؤتي بالإناء ليشرب فلا يشرب إلا ثلثه أو نصفه، وكان يذكر خطيئته، فينجِب النَّحْبة تكاد مفاصله تزول بعضها من بعض، ثم ما يتمّ شرابه حتى يملأه من دموعه وكان يقال: إن دمعة داود، تعدل دمعة الخلائق، ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق، قال: فهو يجيء يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفه، فيقول: ربّ ذنبي ذنبي قدّمني، قال: فيقدم فلا يأمن فيقول: ربّ أخّرني فيؤخّر فلا يأمن.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن لَهِيعة، عن أبي صخر، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك سمعه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ دَاوُدَ النَّبِيّ صَلى اللّهُ عَليهِ وسلَّمَ حِينَ نَظَرَ إلى المرأَةِ فأَهَمَّ، قَطَعَ عَلى بَنِي إسْرَائِيلَ، فأَوْصَى صَاحِبَ البَعْثِ، فَقالَ: إِذَا حَضَرَ العَدُوُّ، فَقَرِّبْ فُلاناً بينَ يَدَي التَّابُوتِ، وكانَ التَّابُوتُ فِي ذلكَ الزَّمانِ يُسْتَنْصَرُ بِهِ، مَنْ قُدِّمَ بينَ يَدَيِ التَّابُوتِ لَمْ يَرْجِعْ حتى يُقْتَلَ أوْ يَنْهَزِمَ عَنْهُ الجَيْشُ، فَقُتِلَ زَوْجُ المَرأةِ وَنَزَلَ المَلَكانِ على دَاوُدَ يَقُصّانِ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ، فَفَطِنَ دَاوُدُ فَسَجَدَ، فَمَكَثَ أرْبَعِينَ لَيْلَةً ساجِداً حتى نَبَتَ الزَّرْعُ مِنْ دُمُوعِهِ عَلى رأسِهِ، وأكَلَت الأرْضُ جَبِينَهُ وَهُوَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ» فلم أُحصِ من الرّقاشيّ إلا هؤلاء الكلمات: «رَبِّ زَلَّ داوُدُ زَلَّةً أبْعَدُ ما بينَ المَشْرِقِ والمَغْرب، إنْ لَمْ تَرْحَمْ ضَعفَ دَاوُدَ وَتَغْفِرَ ذَنْبَهُ، جعَلْتَ ذَنْبَهُ حَدِيثاً فِي الخُلُوفِ مِنْ بَعْدِهِ، فَجاءَه جَبْرَائِيلُ صَلى اللّهُ عليهِ وسلَّمْ مِنْ بَعْدِ الأرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَقالَ: يا دَاوُدَ إنَّ اللّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ الهَمَّ الَّذي هَمَمْتَ بِه، فقالَ دَاوُدُ: عَلِمْتُ أنَّ الرَّبَّ قادِرٌ عَلى أنْ يَغْفِرَ لِي الهَمّ الَّذِي هَمَمْتُ بِهِ، وَقَدْ عَرَفْتُ أنَّ اللّهَ عَدْلٌ لاَ يميلُ فَكَيْفَ بِفُلانٍ إذَا جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ فقالَ: يا رَبِّ دَمي الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ فَقالَ جَبْرائيلُ صَلى اللّهُ عليهِ وَسَلَّمَ: ما سأَلْتُ رَبَّكَ عَنْ ذلكَ، وَلَئِنْ شِئْتَ لأَفْعَلَنَّ، فَقالَ: نَعَمْ، فَعَرَجَ جِبْرِيلُ وَسَجَدَ دَاوُدُ، فَمَكَثَ ما شاءَ اللّهُ، ثُمَّ نَزَلَ فَقالَ: قدْ سألْتُ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يا دَاوُدُ عَنِ الَّذِي أرْسَلْتَنِي فِيهِ، فَقالَ: قُلْ لدَاوُدَ: إنَّ اللّهَ يَجْمَعُكُما يَوْمَ القِيامَةِ فَيَقُولُ: هَبْ لي دَمَكَ الَّذِي عِنْدَ دَاوُدَ، فَيَقُولُ: هُوَ لَكَ يا رَبِّ، فَيَقُولُ: فإنَّ لَكَ في الجَنَّةِ ما شِئْتَ وَما اشْتَهَيْتَ عِوَضاً».

**حدثني** عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا ابن جابر، عن عطاء الخراسانيّ: أن كتاب صاحب البعث جاء ينعِي من قُتل، فلما قرأ داود نعي وجل منهم رجع، فلما انتهى إلى اسم الرجل قال: كتب الله على كل نفس الموت، قال: فلما انقضت عِدّتها خطبها.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً

فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَغَفَرْنا لَهُ ذلكَ﴾ فعفونا عنه، وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك ﴿وإنَّ لَهُ عِندَنا لَزُلْفَى﴾ يقول: وإن له عندنا لَلْقُرْبة منا يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿فَغَفَرْنا لَهُ ذلكَ﴾ قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَغَفَرْنا لَهُ ذَلكَ﴾ الذنب.

وقوله: ﴿وَحُسْنِ مآبٍ﴾ يقول: مَرْجع ومنقَلَب ينقلب إليه يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَحُسْن مآبٍ﴾: أي حسن مصير.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿وَحُسْنَ مآبٍ﴾ قال: حسن المنقَلب.

وقوله: ﴿يا دَاوُدُ إنَّا جَعَلْناكَ خَليفَةً فِي الأرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: وقلنا لداود: يا داود إنا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿إنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً﴾ ملَّكه في الأرض.

﴿فاحْكُمْ بينَ النَّاسِ بالحَقّ﴾ يعني: بالعدل والإنصاف ﴿وَلا تَتَّبِعِ الهَوَى﴾ يقول: ولا تُؤْثِر هواك في قضائك بينهم على الحقّ والعدل فيه، فتجور عن الحقّ ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾ يقول: فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحقّ عن طريق الله الذي جعله لأهل الإيمان فيه، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله.

وقوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ لَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحقّ الذي شرعه لعباده، وأمرهم بالعمل به، فيجورون عنه في الدنيا، لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسُوا أمر الله، يقول: بما تركوا القضاء بالعدل، والعمل بطاعة الله ﴿يَوْمَ الحِسابِ﴾ من صلة العذاب الشديد. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوّام، عن عكرمة، في قوله: ﴿**عَذَابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الحِسابِ**﴾ قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسابِ**﴾ قال: نسُوا: تركوا.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَما خَلَقْنا السَّماءَ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما**﴾ عبثاً ولهواً، ما خلقناهما إلاّ ليُعمل فيهما بطاعتنا، ويُنتهى إلى أمرنا ونهينا، ﴿**ذلكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ يقول: أي ظنّ أنا خلقنا ذلك باطلاً ولعباً، ظنّ الذين كفروا بالله فلم يوحّدوه، ولم يعرفوا عظمته، وأنه لا ينبغي أن يَعْبَث، فيتيقنوا بذلك أنه لا يخلق شيئاً باطلاً ﴿**فَوَيلٌ للَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**﴾ يعني: من نار جهنم. وقوله: ﴿**أمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كالمُفْسِدِينَ فِي الأرْضِ**﴾ يقول: أنجعل الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿**كالمُفْسِدِينَ فِي الأرْضِ**﴾ يقول: كالذين يشركون بالله ويعصُونه ويخالفون أمره ونهيه ﴿**أمْ نَجْعَلُ المُتَّقِينَ**﴾ يقول: الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه، فحذروا معاصيه ﴿**كالفُجّارِ**﴾ يعني: كالكفار المنتهكين حرمات الله. وقوله: ﴿**كِتابٌ أنْزَلْناهُ إلَيْكَ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وهذا القرآن ﴿**كِتابٌ أنْزَلْناهُ إلَيْكَ**﴾ يا محمد ﴿**مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ**﴾ يقول: ليتدبَّروا حُجَج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القرّاء: ﴿**لِيَدَّبَّرُوا**﴾ بالياء، يعني: ليتدبَّر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد. وقرأه أبو جعفر وعاصم «لِتَدَّبَّرُوا آياتِهِ» بالتاء، بمعنى: لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك.

وأولى القراءتين عندنا بالصواب في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب ﴿**وَليَتَذَكَّرَ أُولُو الألْبابِ**﴾ يقول: وليعتبر أولو العقول والحِجَا ما في هذا الكتاب من الآيات، فيرتدعوا عما هم عليه مقيمين من الضلالة، وينتهوا إلى

ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿أُولُوا الألْبابِ﴾ قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿أُولُوا الألْبابِ﴾ قال: أولو العقول من الناس.

وقد بيَّنا ذلك فيما مضى قبل بشواهده، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿وَوَهَبْنا لدَاوُدَ سُلَيمانَ﴾ ابنه ولداً ﴿نَعْمَ العَبْدُ﴾ يقول: نعم العبد سليمان ﴿إنَّهُ أوَّابٌ﴾ يقول: إنه رجاع إلى طاعة الله توّاب إليه مما يكرهه منه. وقيل: إنه عُنِي به أنه كثير الذكر لله والطاعة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿نِعْمَ العَبْدُ إنَّهُ أوَّابٌ﴾ قال: الأوّاب: المسبِّح.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿نَعْمَ العَبْدُ إنَّهُ أوَّابٌ﴾ قال: كان مطيعاً لله كثير الصلاة.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿نَعْمَ العَبْدُ إنَّهُ أوَّابٌ﴾ قال: المسبِّح.

والمسبِّح قد يكون في الصلاة والذكر. وقد بيَّنا معنى الأوّاب، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته هاهنا.

وقوله: ﴿إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعَشِيّ الصَّافناتُ الجِيادُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنه توّاب إلى الله من خطيئته التي أخطأها، إذ عرض عليه بالعشيّ الصافنات فإذ من صلة أوّاب، والصافنات: جمع الصافن من الخيل، والأنثى: صافنة، والصافن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بين يديه، ويثني طرف سُنْبك إحدى رجليه، وعند آخرين: الذي يجمع يديه. وزعم الفراء أن الصافن: هو

القائم، يقال منه: صَفَنَتِ الخيلُ تَصْفِن صُفُوناً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**الصَّافِنَاتُ الجِيادُ**﴾ قال: صُفُون الفرس: رَفْعُ إحدى يديه حتى يكون على طرف الحافر.

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: صَفَنَ الفرسُ: رفع إحدى يديه حتى يكون على طرف الحافر.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيادُ**﴾ يعني: الخيل، وصُفونها: قيامها وبَسْطها قوائمها.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: الصافنات، قال: الخيل.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**الصَّافِنَاتُ الجِيادُ**﴾ قال: الخيل أخرجها الشيطان لسليمان، من مَرْج من مروج البحر. قال: الخيل والبغال والحمير تَصْفِن، والصَّفْن[1] أن تقول على ثلاث، وترفع رجلاً واحدة حتى يكون طرف الحافر على الأرض.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الصافنات: الخيل، وكانت لها أجنحة.

وأما الجياد، فإنها السِّراع، واحدها: جواد، كما:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: الجياد: قال: السِّراع.

وذُكر أنها كانت عشرين فرساً ذوات أجنحة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن أبيه، عن إبراهيم التيمي، في قوله: ﴿**إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيادُ**﴾ قال: كانت عشرين فرساً ذات أجنحة.

---

(١) لم نجد «الصفن» بسكون الفاء مصدراً لصفنت الخيل، وإنما مصدره الصفون مثل جلس يجلس جلوساً، وهو القياس، لأن الفعل لازم، والصفن: مصدر للمتعدي.

وقوله: ﴿فَقالَ إِنّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبّي حتى تَوَارَتْ بالحِجابِ﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره: فَلهِيَ عن الصلاة حتى فاتته، فقال: إني أحببت حبّ الخير. ويعني بقوله: ﴿فَقالَ إِنّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ﴾: أي أحببت حباً للخير، ثم أضيف الحبّ إلى الخير، وعنى بالخير في هذا الموضع الخيل والعرب فيما بلغني تسمي الخيل الخير، والمال أيضاً يسمونه الخير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿فَقالَ إِنّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ﴾: أي المال والخيل، أو الخير من المال.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن السُدِّيّ ﴿قالَ إِنّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ﴾ قال: الخيل.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿إِنّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ﴾ قال: المال.

وقوله: ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبّي﴾ يقول: إني أحببت حبّ الخير حتى سهوت عن ذكر ربي وأداء فريضته. وقيل: إن ذلك كان صلاة العصر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبّي﴾ عن صلاة العصر.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبّي﴾ قال: صلاة العصر.

**حدثنا** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أبو زرعة، قال: ثنا حيوة بن شريح، قال: ثنا أبو صخر، أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول: سمعت أبا الصَّهباء البكري يقول: سألت عليّ ابن أبي طالب، عن الصلاة الوسطى، فقال: هي العصر، وهي التي فتن بها سليمان بن داود.

وقوله: ﴿حتى تَوَارَتْ بالحِجابِ﴾ يقول: حتى توارت الشمس بالحجاب، يعني: تغيبت في مغيبها.

**كما حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ميكائيل، عن داود بن أبي هند، قال:

قال ابن مسعود، في قوله: ﴿إِنّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبّي حتى تَوَارَتْ بالحِجابِ﴾ قال: توارت الشمس من وراء ياقوتة خضراء، فخُضرة السماء منها.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿حتى تَوَارَتْ بالحجابِ﴾ حتى دَلَكَتْ براح. قال قتادة: فوالله ما نازعته بنو إسرائيل ولا كابروه، ولكن ولوه من ذلك ما ولاه الله.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿حتى تَوَارَتْ بالحجابِ﴾ حتى غابت.

وقوله: ﴿رُدُّوها عَلَيَّ﴾ يقول: ردّوا عليّ الخيل التي عرضت عليّ، فشغلتني عن الصلاة، فكُروها عليّ.

**كما حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿رُدُّوها عَلَيَّ﴾ قال: الخيل.

وقوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ والأعْناقِ﴾ يقول: فجعل يمسح منها السوق، وهي جمع الساق، والأعناق.

واختلف أهل التأويل في معنى مسح سليمان بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها، فقال بعضهم: معنى ذلك أنه عقرها وضرب أعناقها، من قولهم: مَسَحَ علاوته: إذا ضرب عنقه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ والأعْناقِ﴾ قال: قال الحسن: قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك، قال قولهما فيه، يعني قتادة والحسن قال: فَكَسف عراقيبها، وضرب أعناقها.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوق والأعْناقِ﴾ فضرب سوقها وأعناقها.

**حدثنا** محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، عن عوف، عن الحسن، قال: أمر بها فعُقرت.

وقال آخرون: بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حُبًّا لها.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ والأعْناقِ﴾ يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حبا لها.

وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية، لأن نبيّ الله ﷺ لم يكن إن شاء الله ليعذّب حيواناً بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر أليها.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد ابتَلينا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً شيطاناً متمثلاً بإنسان، ذكروا أن اسمه صخر. وقيل: إن اسمه آصَف. وقيل: إن اسمه آصر. وقيل: إن اسمه حبقيق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وألْقَينا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً**﴾ قال: هو صخر الجنّيّ تمثَّل على كرسيه جسداً.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ وألْقَينا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أنابَ**﴾ قال: الجسد: الشيطان الذي كان دفع إليه سليمان خاتمه، فقذفه في البحر، وكان مُلك سليمان في خاتمه، وكان اسم الجنيّ صخراً.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا مبارك، عن الحسن ﴿**وألْقَينا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً**﴾ قال: شيطاناً.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير ﴿**وألْقَينا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً**﴾ قال: شيطاناً.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وألْقَينا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً**﴾ قال: شيطاناً يقال له آصر.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً**﴾ قال: شيطاناً يقال له آصف، فقال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان وذهب مُلكه، وقعد آصف على

كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهنّ، وأنكرنه قال: فكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفوني أطعموني أنا سليمان، فيكذّبونه، حتى أعطته امرأة يوماً حوتاً يطيب بطنه، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه مُلكه، وفرّ آصف فدخل البحر فاراً.

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه، غير أنه قال في حديثه: فيقول: لو تعرفوني أطعمتموني.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيمانَ وأَلْقَينا على كُرْسِيِهِ جَسَداً ثُمَّ أنابَ**﴾ قال: حدثنا قتادة أن سليمان أمر ببناء بيت المقدس، فقيل له: ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد، قال: فطلب ذلك فلم يقدر عليه، فقيل له: إن شيطاناً في البحر يقال له صخر شبه المارد، قال: فطلبه، وكانت عين في البحر يردها في كلّ سبعة أيام مرّة، فنزح ماؤها وجعل فيها خمر، فجاء يوم وروده فإذا هو بالخمر، فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلاً، قال: ثم رجع حتى عطش عطشاً شديداً، ثم أتاها فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلاً قال: ثم شربها حتى غلبت على عقله، قال: فأري الخاتم أو ختم به بين كتفيه، فذلّ، قال: فكان مُلكه في خاتمه، فأتى به سليمان، فقال: إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت. وقيل لنا: لا يسمعنّ فيه صوت حديد، قال: فأتى ببيض الهدهد، فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد، فدار حولها، فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه، فذهب فجاء بالماس، فوضعه عليه، فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه، فأخذ الماس، فجعلوا يقطعون به الحجارة، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخلها بخاتمه فانطلق يوماً إلى الحمام، وذلك الشيطان صخر معه، وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه، قال: فدخل الحمام، وأعطى الشيطان خاتمه، فألقاه في البحر، فالتقمته سمكة، ونُزع مُلك سليمان منه، وألقى على الشيطان شبه سليمان؛ قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره، وسلِّط على مُلك سليمان كله غير نسائه؛ قال: فجعل يقضي بينهم؛ وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا: لقد فُتِن نبيّ الله، وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطّاب في القوّة، فقال: والله لأجربنه؛ قال: فقال له: يا نبيّ الله، وهو لا يرى إلاّ أنه نبيّ الله، أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة، فيدع الغُسْل عمداً حتى تطلع الشمس، أترى عليه بأساً؟ قال: لا، قال: فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جنيّ ولا طير إلاّ سجد له، حتى انتهى إليهم (وأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً) قال: هو الشيطان صخر.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيمَانَ**﴾ قال: لقد ابتلينا ﴿**وأَلْقَينا على كُرْسِيِهِ جَسَداً**﴾ قال: الشيطان حين جلس على

كرسيه أربعين يوماً؛ قال: كان لسليمان مِئة امرأة، وكانت امرأة منهنّ يقال لها جرادة، وهي آثر نسائه عنده، وآمنهن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه، ولم يأتمن عليه أحداً من الناس غيرها، فجاءته يوماً من الأيام، فقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحبّ أن تَقضي له إذا جاءك، فقال لها: نعم، ولم يفعل، فابتُلي وأعطاها خاتمه، ودخل المخرج، فخرج الشيطان في صورته، فقال لها: هاتي الخاتم، فأعطته، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعد، فسألها أن تعطيه خاتمه، فقالت ألم تأخذه قبل؟ قال: لا، وخرج مكانه تائهاً؛ قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً. قال: فأنكر الناس أحكامه، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم، فجاؤا حتى دخلوا على نسائه، فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد، ذهب عقله، وأنكرنا أحكامه. قال: فبكى النساء عند ذلك، قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوه، فأحدقوا به، ثم نشروا التوراة، فقرؤوا؛ قال: فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر، فابتلعه حوت من حيتان البحر. قال: وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع، وقد اشتدّ جوعه، فاستطعمهم من صيدهم، قال: إني أنا سليمان، فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجَّه، فجعل يغسل دمه وهو على شاطىء البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه، فقالوا: بئس ما صنعت حيث ضربته، قال: إنه زعم أنه سليمان، قال: فأعطوه سمكتين مما قد مَذِر عندهم، ولم يشغله ما كان به من الضرر، حتى قام إلى شطّ البحر، فشقّ بطونهما، فجعل يغسل ٧، فوجد خاتمه في بطن إحداهما، فأخذه فلبسه، فردّ الله عليه بهاءه ومُلكه، وجاءت الطير حتى حامت عليه، فعرف القوم أنه سليمان، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا، فقال: ما أحمدكم على عذركم، ولا ألومكم على ما كان منكم، كان هذا الأمر لا بدّ منه، قال: فجاء حتى أتى مُلكه، فأرسل إلى الشيطان فجيء به، وسخرٌ له الريح والشياطين يومئذٍ، ولم تكن سخرت له قبل ذلك، وهو قوله: ﴿وَهَبْ لي مُلْكاً لا يَنْبَغي لأحَدٍ مِنْ بَعْدي، إنَّك أنْتَ الوَهَّابُ﴾ قال: وبعث إلى الشيطان، فأتى به، فأمر به فجعل في صندوق من حديد، ثم أطبق عليه فأقفل عليه بقفل، وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به، فألقى في البحر، فهو فيه حتى تقوم الساعة، وكان اسمه حبقيق.

وقوله: ﴿ثُمَّ أنابَ﴾ سليمان، فرجع إلى مُلكه من بعد ما زال عنه مُلكه فذهب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل:

## ذكر من قال ذلك

حُدِّثت عن المحاربي، عن عبد الرحمن، عن جُوَيبر، عن الضحاك، في قوله: ﴿ثُمَّ أنابَ﴾ قال: دخل سليمان على امرأة تبيع السمك، فاشترى منها سمكة، فشقّ بطنها، فوجد خاتمه، فجعل لا يمرّ على شجر ولا حجر ولا شيء إلاّ سجد له، حتى أتى مُلكه وأهله، فذلك قوله:

﴿ثُمَّ أَنابَ﴾ يقول: ثم رجع.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد،، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ثُمَّ نابَ﴾ وأقبل، يعني سليمان.

قوله: ﴿قالَ رَبِّ اغْفِرْ لي وَهَبْ لي مُلْكاً لا يَنْبَغي لأَحدٍ مِنْ بَعْدي﴾ يقول تعالى ذكره: قال سليمان راغباً إلى ربه: ربّ استر عليّ ذنبي الذي أذنبت بيني وبينك، فلا تعاقبني به ﴿وَهَبْ لي مُلْكا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ لا يسلبنيه أحد كما سلبنيه قبل هذه الشيطان.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿قالَ رَبِّ اغْفِرْ لي وَهَبْ لي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ يقول: ملكاً لا أُسْلَبُهُ كما سُلبتُه.

وكان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله: ﴿لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدي﴾ إلى أن لا يكون لأحد من بعدي، كما قال ابن أحمر:

مـا أُمُّ غُـفْـرٍ عـلـى دعْـجـاءَ ذي عَـلَـقٍ ... يَـنْفى القَـراميدَ عـنـهـا الأعْـصَـمُ الـوَقِـلُ
فـي رأسِ حَـلْـقـاءَ مِـن عَـنْـقـاءَ مُـشْـرِفـة ... لا يَـنْـبَـغـي دُونَـهـا سَـهْـلٌ ولا جَـبَـلُ(١)

بمعنى: لا يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها.

وقوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾ يقول: إنك وهاب ما تشاء لمن تشاء بيدك خزائن كلّ شيء تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت.

## القول في تأويل قوله تعالى

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾

---

(١) البيتان لابن أحمر الباهلي. أنشد أولهما صاحب «اللسان» في (دعج، علق) وأنشد الثاني في (علق)، وقال: دعجاء: هضبة عن أبي عبيدة. والغفر، بضم أوله وفتحه: ولد الأروية، والأنثى بالهاء والقراميد في البيت: أولاد الوعول. والقرمود: ذكر الوعول: والقراميد في غير هذا: الصخور وطوابيق الدار والحمامات. وبناء مقرمد: مبني بالآجر أو الحجارة. والأعصم: الوعل الذي في ذراعيه أو أحدهما بياض. والوعل بكسر العين وضمها: الذي يسرع في الصعود في الجبل. وهضبة حلقاء مصمتة ملساء، لانبات فيها. ويقال: هضبة معنقة وعنقاء: إذا كانت مرتفعة طويلة في السماء. ولا ينبغي: أي لا يكون مثلها في سهل أو جبل. وهذا محل الشاهد في البيتين، وهو مثل قوله تعالى: ﴿هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾. قال أبو عبيدة وأنشد البيتين (الورقة ٢١٤) لا ينبغي أن يكون فوقها سهل ولا جبل أعز منها أو أحصن منها» ورواية البيت الثاني في «اللسان» علق: لا يبتغي تحريف. وقد مر هذا البيت في شواهد المؤلف مرتين في الجزء (١٦/ ٨٤، ١٣١) اهـ.

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٤٠)﴾

يقول تعالى ذكره: فاستجبنا له دعاءه، فأعطيناه مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده **﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾** مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة **﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾** يعني: رِخوة لينة، وهي من الرخاوة.

كما حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا عوف، عن الحسن، أن نبيّ الله سليمان ﷺ لما عرضت عليه الخيل، فشغله النظر إليها عن صلاة العصر **﴿حتى تَوَارَتْ بالحِجابِ﴾** فغضب لله، فأمر بها فعُقرت، فأبدله الله مكانها أسرع منها، سخر الريح تجري بأمره رُخاء حيث شاء، فكان يغدو من إيلياء، ، ويقيل بقَزْوين، ثم يروح من قزوين ويبيت بكابُل.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: **﴿وَهَبْ لي مُلْكا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدي﴾** فإنه دعا يوم دعا ولم يكن في مُلكه الريح، وكلّ بنّاء وغوّاص من الشياطين، فدعا ربه عند توبته واستغفاره، فوهب الله له ما سأل، فتمّ مُلكه.

واختلف أهل التأويل في معنى الرخاء، فقال فيه بعضهم: نحو الذي قلنا فيه.

**ذكر من قال ذلك.**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله **﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً﴾** قال: طَيِّبة.

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بنحوه.

**حدثني** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرّيحَ تَجْرِي بأمْره رُخاءً حَيْثُ أصَابَ﴾** قال: سريعة طيبة، قال: ليست بعاصفة ولا بطيئة.

**حدثني** يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿رُخاءً﴾** قال: الرخاء اللينة.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قرّة، عن الحسن، في قوله: **﴿رُخاءً حَيْثُ أصَابَ﴾** قال: ليست بعاصفة، ولا الهيِّنة بين ذلك رُخاء.

وقال آخرون: معنى ذلك مطيعة لسليمان.

**ذكر من قال ذلك**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿رُخاءً﴾ يقول: مُطيعة له.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿تَجْرِي بِأَمْرِه رُخاءً﴾ قال: يعني بالرُّخاء: المطيعة.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً﴾ قال: مطيعة.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿رُخاءً﴾ يقول: مطيعة.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿رُخاءً﴾ قال طوعا.

وقوله ﴿حَيثُ أَصَابَ﴾ يقول: حيث أراد، من قولهم: أصاب الله بك خيراً: أي أراد الله بك خيراً.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن عليّ عن ابن عباس، قوله: ﴿حَيثُ أَصَابَ﴾ يقول: حيث أراد.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿حَيثُ أَصَابَ﴾ يقول: حيث أراد، انتهى عليها.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿حَيثُ أَصَابَ﴾ قال: حيث شاء.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله، قال: ثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿حَيثُ أَصَابَ﴾ قال: حيث أراد.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿حَيثُ أَصَابَ﴾ قال: إلى حيث أراد.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ قال: حيث أراد.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أي حيث أراد.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ قال: حيث أراد.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ قال: حيث أراد.

وقوله: ﴿والشَّياطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وغَوَّاصٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا له الشياطين فلسلطناه عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيِّه منها يستعملها فيما شاء من أعماله من بنّاء وغوّاص، فالبُناة منها يصنعون محاريب وتماثيل والغاصَة يستخرجون له الحُلِيّ من البحار وآخرون ينحتون له جِفانا وقدوراً، والمَرَدة في الأغلال مُقَرّنون.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿والشَّياطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وغَوَّاصٍ﴾ قال: يعلمون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، وغوّاص يستخرجون الحليّ من البحر ﴿وآخَرِينَ مُقَرّنينَ في الأَصْفادِ﴾ قال: مردة الشياطين في الأغلال.

**حُدثت** عن المحاربيّ، عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿والشَّياطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ﴾ قال: لم يكن هذا في مُلك داود، أعطاه الله مُلك داود وزاده الريح ﴿والشَّياطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وغَوَّاصٍ وآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ في الأَصْفادِ﴾ يقول: في السلاسل.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله: ﴿الأَصْفادِ﴾ قال: تجمع اليدين إلى عنقه، والأصفاد: جمع صَفَد وهي الأغلال.

وقوله: ﴿هَذَا عَطاؤُنا فامْنُنْ أوْ أمْسِكْ بغَيْرِ حِسابٍ﴾.

اختلف أهل التأويل في المشار إليه بقوله: ﴿هَذَا﴾ من العطاء، وأيّ عطاء أريد بقوله: عَطاؤنا، فقال بعضهم: عني به الملك الذي أعطاه الله.

**ذكر من قال ذلك**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿هَذَا عَطاؤُنا فامْنُنْ أوْ أمْسِكْ بغَيْرِ حِسابٍ﴾ قال: قال الحسن: الملك الذي أعطيناك فأعط ما شئت وامنع ما شئت.

**حُدثت** عن المحاربي، عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿هَذَا عَطاؤُنا﴾ هذا ملكنا.

وقال آخرون: بل عَنَى بذلك تسخيره له الشياطين، وقالوا: ومعنى الكلام هذا الذي أعطيناك من كلّ بناء وغوّاص من الشياطين وغيرهم عطاؤنا.

**ذكر من قال ذلك**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿هَذَا عَطَاؤُنا فامْنُنْ أوْ أمْسِكْ بغيْرِ حِسابٍ﴾** قال: هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك أو سرِّح من شئت منهم تتخذ عنده يداً، اصنع ما شئت.

وقال آخرون: بل ذلك ما كان أوتي من القوّة على الجماع.

**ذكر من قال ذلك**

**حُدثت** عن أبي يوسف، عن سعيد بن طريف، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان سليمان في ظهره ماءُ مِئَة رجل، وكان له ثلاث مئة امرأة وتسع مِئَة سُرِّيَّة **﴿هَذَا عَطَاؤُنا فَامْنُنْ أوْ أمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾**.

وأولى الأقوالِ في ذلك عندي بالصواب القولُ الذي ذكرناه عن الحسن والضحاك من أنه عنى بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره، وذلك أنه جلّ ثناؤه ذكر ذلك عُقَيب خبره عن مسألة نبيه سليمان صلوات الله وسلامه عليه إياه مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، فأخبر أنه سخر له ما لم يُسَخَّر لأحد من بني آدم، وذلك تسخيره له الريح والشياطين على ما وصفت، ثم قال له عزّ ذكره: هذا الذي أعطيناك من المُلك، وتخسيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا، ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك **﴿فامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ بغَيْرِ حِسابٍ﴾**.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **﴿فامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ بغَيْرِ حِسابٍ﴾** فقال بعضهم: عَنَى ذلك: فأعط من شئت ما شئت من المُلك الذي آتيناك، وامنع من شئت منه ما شئت، لا حساب عليك في ذلك.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن **﴿فامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾** المُلك الذي أعطيناك، فأعط ما شئت وامنع ما شئت، فليس عليك تَبِعة ولا حساب.

**حُدثت** عن المحاربيّ، عن جُوَيبر، عن الضحاك **﴿فَامْنُنْ أوْ أمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾** سأل مُلكا هنيئاً لا يُحاسب به يوم القيامة، فقال: ما أعْطَيْت، وما أمْسَكت، فلا حرج عليك.

**حدثنا** ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة **﴿فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بغيْرِ حِسابٍ﴾** قال: أعط أو أمسك، فلا حساب عليك.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فامْنُنْ**﴾ قال: أعط أو أمسك بغير حساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أَعْتِق من هؤلاء الشياطين الذين سخرناهم لك من الخدمة، أو من الوَثاق ممن كان منهم مُقَرَّنا في الأصفاد مَن شئت واحبس مَنْ شئت فلا حرج عليك في ذلك.

**ذكر من قال ذلك**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ بغيرِ حِسابٍ**﴾ يقول: هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثَاقك وفي عذابك، وسرّح من شئت منهم تتخذ عنده يداً، اصنع ما شئت لا حساب عليك في ذلك.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**فامْنُنْ أوْ أمْسِك بغيرِ حِسابٍ**﴾ يقول: أعتق من الجنّ من شئت، وأمسك من شئت.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدّي، قوله: ﴿**فامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ بغَيرِ حِسابٍ**﴾ قال: تَمُنّ على من تشاء منهم فُتعْتِقُهُ، وتُمسِك من شئت فتستخدمه ليس عليك في ذلك حساب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: هذا الذي أعطيناك من القوّة على الجماع عطاؤنا، فجامع من شئت من نسائك وجواريك ما شئت بغير حساب، واترك جماع من شئت منهنّ.

وقال آخرون: بل ذلك من المقدّم والمؤخر. ومعنى الكلام: هذا عطاؤنا بغير حساب، فامْننْ أو أمسك. وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿**هذا فامْنُنْ أوْ أَمْسِكْ عَطاؤُنا بغَيرِ حِسابٍ**﴾.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول في قوله: ﴿**بغَيرِ حِسابٍ**﴾ وجهان: أحدهما: بغير جزاء ولا ثواب، والآخر: مِنَّةٍ ولا قِلَّةٍ.

والصواب من القول في ذلك ما ذكرته عن أهل التأويل من أن معناه: لا يحاسب على ما أعطى من ذلك المُلك والسلطان.

وإنما قلنا ذلك هو الصواب لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه.

وقوله: ﴿**وإنَّ لَهُ عِندَنا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مآبٍ**﴾ يقول: وإن لسليمان عندنا لقُرْبةً بإنابته إلينا وتوبته وطاعته لنا، وحُسْنَ مآب: يقول: وحسن مرجع ومصير في الآخرة.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾ أي مصير.

إن قال لنا قائل: وما وجه رغبة سليمان إلى ربه في الملك، وهو نبيّ من الأنبياء، وإنما يرغب في الملك أهل الدنيا المؤثِرون لها على الآخرة؟ أم ما وجه مسألته إياه، إذ سأله ذلك مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وما كان يضرّه أن يكون كلّ من بعده يُؤتَى مثلَ الذي أوتي من ذلك؟ أكان به بخل بذلك، فلم يكن من مُلكه، يُعطى ذلك من يُعطاه، أم حسد للناس، كما ذُكر عن الحجاج بن يوسف، فإنه ذكر أنه قرأ قوله: ﴿**وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي**﴾ فقال: إن كان لحسوداً، فإن ذلك ليس من أخلاق الأنبياء؟ قيل: أما رغبته إلى ربه فيما يرغب إليه من المُلك، فلم تكن إن شاء الله به رغبةٌ في الدنيا، ولكن إرادةٌ منه أن يعلم منزلته من الله في إجابته فيما رغب إليه فيه، وقبوله توبته، وإجابته دعاءه.

وأما مسألته ربه مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، فإنا قد ذكرنا فيما مضى قبلُ قولَ من قال: إن معنى ذلك: هب لي مُلكاً لا أسلبه كما سلِبتُه قبل. وإنما معناه عند هؤلاء: هب لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أن يَسلُبنيه. وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى: لا ينبغي لأحد سواي من أهل زماني، فيكون حجة وعَلَما لي على نبوّتي وأني رسولك إليهم مبعوث، إذ كانت الرسل لا بدّ لها من أعلام تفارق بها سائر الناس سواهم ويتجه أيضاً لأن يكون معناه: وهب لي مُلكا تخُصُّني به، لا تعطيه أحداً غيري تشريفاً منك لي بذلك، وتكرمة، لتبين منزلتي منك به من منازل من سواي، وليس في وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج في معنى ذلك شيء.

## القول في تاويل قوله تعالى

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿**وَاذْكُرْ**﴾ أيضاً يا محمد ﴿**عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ**﴾ مستغيثا به فيما نزل به من البلاء: يا ربّ ﴿**إِنِّي مَسَّنِيَ الشَّيطانُ بِنُصْبٍ**﴾ فاختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**بِنُصْبٍ**﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار خلا أبي جعفر القارىء ﴿**بِنُصْبٍ**﴾ بضم النون وسكون الصاد، وقرأ ذلك أبو جعفر: بضم النون والصاد كليهما. وقد حُكي عنه بفتح النون والصاد، والنُّصْب والنَّصَب بمنزلة الحُزْن والحَزَن، والعُدم والعَدَم، والرُّشْد والرَّشَد، والصُّلْب والصَّلَب. وكان الفرّاء يقول: إذا ضُمّ أوّله لم يثقل، لأنهم جعلوهما على سِمَتين: إذا فتحوا أوّله ثقّلوا، وإذا ضموا أوّله خفّفوا. قال: وأنشدني بعض العرب:

لَئِنْ بَعَثَتْ أُمُّ الحُمَيْدَيْنِ مائِراً لَقَدْ غَنِيَتْ في غَيرِ بُؤْسٍ ولا جُحدَ(١)

من قولهم: جَحِد عيشه: إذا ضاق واشتدّ؛ قال: فلما قال جُحْد خَفَّف. وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين: النُّصْب من العذاب. وقال العرب: تقول: أنصبني عذّبني وبرّح بي. قال: وبعضهم يقول: نَصَبَني، واستشهد لقيله ذلك بقول بشر بن أبي خازم:

تَعَنَّاكَ نَصْبٌ مِن أُمَيْمَةَ مُنْصِبُ كَذِي الشَّجْوِ لَمَّا يَسْلُه وسيَذْهَبُ(٢)

وقال: يعني بالنَّصْب: البلاء والشرّ؛ ومنه قوله نابغة بني ذُبيان:

كِلِيني لِهَمٍّ يا أمَيْمَةُ ناصِبِ وَلَيْلٍ أُقاسِيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ(٣)

قال: والنَّصَب إذا فُتحت وحُرّكت حروفها كانت من الإعياء. والنَّصْب إذا فُتح أوله وسكن ثانيه: واحد أنصاب الحرم، وكلّ ما نصب علماً؛ وكأن معنى النُّصب في هذا الموضع: العلة التي نالته في جسده والعناء الذي لاقى فيه، والعذاب في ذهاب ماله.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار، وذلك الضمّ في النون والسكون في الصاد.

وأما التأويل فبنحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل.

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٢٨٠). قال: وقوله «بنصب وعذاب»: اجتمعت القراءَ على ضم النون من نصب وتخفيفها (أي الكلمة بتسكين وسطها)، وذكروا أن أبا جعفر المدني قرأ: «بنصب وعذاب» بنصب النون والصاد. وكلاهما في التفسير واحد. وذكروا أنه المرض، وما أصابه من العناء فيه. والنصب بمنزلة الحزن والحزن، والعدم والعدم، والرشد والرشد، والصلب والصلب: إذا خفف ضم أوله ولم يثقل لأنهم جعلوها على سمتين إذا فتحوا أوله ثقلوا وإذا ضموا أوله خففوا قال: وأنشدني بعض العرب:

«لئن بعثت أم الحميدين.....

البيت». قال: والعرب تقول: جحد عيشهم جحداً: إذا ضاق واشتد. فلما قال جحد، وضم أوله خفف. فابن على هذا ما رأيت من هاتين اللغتين. ا هـ. قلت: والمائر الذي يجلب الميرة.

(٢) البيت لبشر بن أبي خازم «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (الورقة ٢١٥) قال: بنصب وعذاب»: قال بشر بن أبي خازم:

«..........

البيت». وقال النابغة:

«كليني لهم يا أميمة ناصب.....

البيت» ثم قال بعد البيتين: تقول العرب: أنصبني: أي عذبني وبرح بي. وبعضهم يقول نصبني. والنصب: إذا فتحت وحركت حروفها، كانت من الإعياء. والنصب إذا فتح أولها وأسكن ثانيها: واحد أنصاب الحرم، وكل شيء نصبته وجعلته علماً. يقال: لأنصبنك نصب العود.

(٣) البيت للنابغة الذبياني «مختار الشعر الجاهلي» بشرح مصطفى السقا طبعة الحلبي (ص - ١٥٩) قال شارحه: كليني: دعيني. وأميمة بالفتح (والأحسن بالضم): منادى قال الخليل: من عادة العرب أن تنادي المؤنث بالترخيم، فلما لم يرخم هنا (بسبب الوزن) أجراها على لفظها مرخمة، وأتى بها بالفتح. وناصب: متعب. وبطيء الكواكب: أي لا تغور كواكبه، وهو كناية عن الطول، لأن الشاعر كان قلقاً. ا هـ. وقد تقدم ذكر البيت في شرحه الذي قبله، عن أبي عبيدة لأن موضع الشاهد فيهما مشترك.

**ذكر من قال ذلك**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ**﴾ حتى بلغ ﴿**بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾ ذهاب المال والأهل، والضرّ الذي أصابه في جسده، قال: ابتُلِي سبع سنين وأشهراً مُلقى على كُناسة لبني إسرائيل تختلف الدوابّ في جسده، ففرّج الله عنه، وعظّم له الأجر، وأحسن عليه الثناء.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**مَسَّنِيَ الشَّيطان بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾ قال: نصب في جسدي، وعذاب في مالي.

**حُدثت** عن المحاربيّ، عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيطانُ بِنُصْبٍ**﴾ يعني: البلاء في الجسد ﴿**وَعَذَابٍ**﴾ قوله: ﴿**وَما أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾.

وقوله: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ**﴾ ومعنى الكلام: إذ نادى ربه مستغيثا به، أنى مسني الشيطان ببلاء في جسدي، وعذاب بذهاب مالي وولدي، فاستجبنا له، وقلنا له: اركض برجلك الأرض: أي حرّكها وادفعها برجلك، والركض: حركة الرجل، يقال منه: ركضت الدابة، ولا تركض ثوبك برجلك.

وقيل: إن الأرض التي أُمر أيوب أن يركضها برجله: الجابية.

**ذكر من قال ذلك**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ...**﴾ الآية، قال: ضرب برجله الأرض: أرضاً يقال لها الجابية.

وقوله: ﴿**هَذَا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وشَرَابٌ**﴾ ذُكر أنه نبعت له حين ضرب برجله الأرض عينان، فشرب من إحداهما، واغتسل من الأخرى.

**ذكر من قال ذلك**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ضرب برجله الأرض، فإذا عينان تنبعان، فشرب من إحداهما، واغتسل من الأخرى.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾ قال: فركض برجله، فانفجرت له عين، فدخل فيها واغتسل، فأذهب الله عنه كلّ ما كان من البلاء.

**حدثني** بشر بن آدم، قال: ثنا أبو قُتيبة، قال: ثنا أبو هلال، قال: سمعت الحسن، في قول الله ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ**﴾ فركض برجله، فنبعت عين فاغتسل منها، ثم مشى نحوا من أربعين ذراعاً، ثم ركض برجله، فنبعت عين، فشرب منها، فذلك قوله: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾ وعنى بقوله: ﴿**مُغْتَسَلٌ**﴾: ما يُغْتَسل به من الماء، يقال منه: هذا مُغْتسل، وغَسُول للذي يُغتسل به من الماء. وقوله: ﴿**وَشَرابٌ**﴾ يعني: ويشرب منه، والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلاً.

## القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ**﴾ وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك والصواب من القول عندنا فيه في سورة الأنبياء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. فتأويل الكلام: فاغتسل وشرب، ففرّجنا عنه ما كان فيه من البلاء، ووهبنا له أهله، من زوجة وولد ﴿**وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنّا**﴾ له ورأفة ﴿**وَذِكْرَى**﴾ يقول: وتذكيراً لأولي العقول، ليعتبروا بها فيتعظوا. وقد:

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني نافع بن يزيد، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ نَبِيَّ اللّهِ أيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بَلاؤُهُ ثَمانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ القَرِيبُ والبَعِيدُ، إلاّ رَجُلانِ مِنْ إخْوَانِهِ كانا مِنْ أخَصّ إخْوَانِهِ بِهِ، كانا يَغْدُوَانِ إلَيْهِ وَيَرُوحانِ، فَقالَ أحَدُهُما لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللّهِ لَقَدْ أذْنَبَ أيُّوبُ ذَنْباً ما أذْنَبَهُ أحَدٌ مِنَ العالَمِينَ، قال لَهُ صَاحِبُهُ: وَما ذَاكَ؟ قال: من ثَمانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللّهُ فَيَكْشِفَ ما بِهِ فَلَمَّا رَاحا إلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حتى ذَكَرَ ذلكَ لَهُ، فَقالَ أيُّوبُ: لا أدْرِي ما تَقُولُ، غَيرَ أنَّ اللّهَ يَعْلَمُ أنّي كُنْتُ أمُرُّ عَلى الرَّجُلَيْنِ يَتَنازَعانِ فَيَذْكُرانِ اللّهَ، فأرْجِعُ إلى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُما كَراهِيَةَ أنْ يُذْكَرَ اللّهُ إلاّ فِي حَقّ قال: وكانَ يَخْرُجُ إلى حاجَتِهِ، فإذَا قَضَاها أمْسَكَتِ امْرأتُهُ بِيَدِهِ حتى يَبْلُغَ فَلَما كانَ ذاتَ يَوْم أبْطَأَ عَلَيْها، وَأُوحِيَ إلى أيُّوبَ فِي مَكانِهِ: أنِ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ، فاسْتَبْطَأَتْهُ، فَتَلَقَّتْهُ تَنْظُرُ، فأقْبَلَ عَلَيْها قَدْ أذْهَبَ اللّهُ ما بِهِ مِنَ البَلاءِ، وَهُوَ عَلى أحْسَنِ ما كانَ فَلَمَّا رَأتْهُ قالَتْ: أيْ بارَكَ اللّهُ فِيكَ، هَلْ رأيْتَ نَبِيَّ اللّهِ هَذَا المُبْتَلي، فَوَاللّهِ على ذلكَ ما رأيْتُ أحَداً أشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إذْ كانَ صَحِيحاً؟ قالَ: فإنّي أنا هُوَ قال: وكانَ لَهُ أنْدَرانِ: أنْدَرٌ لِلْقَمْحِ، وأنْدَرٌ للشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللّهُ سَحابَتَيْنِ، فَلَمَّا كانَتْ إحْدَاهُما على أنْدَرِ القَمْحِ، أفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حتى فاضَ، وأفرَغَتِ الأُخْرَى في أنْدَرِ الشَّعِيرِ الوَرِق حتى فاضَ».

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَوَهَبْنا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾** قال: قال الحسن وقتادة: فأحياهم الله بأعيانهم، وزادهم مثلهم.

**حدثني** محمد بن عوف، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا صفوان، قال: ثنا عبد الرحمن ابن جُبَير، قال: لما ابتُلِي نبيّ الله أيوب ﷺ بماله وولده وجسده، وطُرح في مَزْبلة، جعلت امرأته تخرج تكسب عليه ما تطعمه، فحسده الشيطان على ذلك، وكان يأتي أصحاب الخبز والشويّ الذين كانوا يتصدّقون عليها، فيقول: اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم، فإنها تعالج صاحبها وتلمسه بيدها، فالناس يتقذّرون طعامكم من أجل أنها تأتيكم وتغشاكم على ذلك وكان يلقاها إذا خرجت كالمحزون لمَا لقي أيوب، فيقول: لَجَّ صاحبك، فأبى إلا ما أتى، فوالله لو تكلم بكلمة واحدة لكشف عنه كلّ ضرّ، ولرجع إليه ماله وولده، فتجيء، فتخبر أيوب، فيقول لها: لقيك عدوّ الله فلقنك هذا الكلام ويلَك، إنما مثلك كمثل المرأة الزانية إذا جاء صديقها بشيء قبلته وأدخلته، وإن لم يأتها بشيء طردته، وأغلقت بابها عنه لما أعطانا الله المال والولد آمنا به، وإذا قبض الذي له منا نكفر به، ونبدّل غيره إن أقامني الله من مرضي هذا لأجلدنّك مئةً، قال: فلذلك قال الله: **﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ﴾**.

وقوله: **﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾** يقول: وقلنا لأيوب: خذ بيدك ضغثاً، وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرُّطْبة، وكملء الكفّ من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق ومنه قول عوف بن الخَرِع:

وأسْفَلَ مِنّي نَهْدَةٌ قَدْ رَبَطْتُها وألْقَيْتُ ضِغْثاً مِن خَلاً متَطَيِّبِ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثني عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية عن عليّ عن ابن عباس، قوله: **﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾** يقول: حُزْمة.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

---

(١) البيت لعوف بن الخرع «مجاز القرآن» لأبي عبيدة «مجاز القرآن» لأبي عبيدة الورقة (٢١٥ ـ ب) ويؤيده أنه في «معجم الشعراء»: عوف بن عطية بن الخرع، وكذا في «التاج». قال أبو عبيدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ وما أشبه ذلك، قال عوف بن الخرع:

«وأسفل مني......

البيت». وفي اللسان وفرس نهد جسيم مشرف وقيل النهد الضخم القوي والأنثى نهدة. والخلا: الرطب من الحشيش (مثل البرسيم، أو هو البرسيم).

ابن عباس، قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ﴾ قال: أمر أن يأخذ ضغثاً من رطبة بقدر ما حلف عليه فيضرب به.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، في قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾ قال: عيداناً رطبة.

**حدثنا** أبو هشام الرِّفاعيّ، قال: ثنا يحيى، عن إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر، عن أبيه، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾ قال: هو الأَثْل.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَخُذْ بِيَدكَ ضِغْثاً﴾... الآية، قال: كانت امرأته قد عَرَضت له بأمر، وأرادها إبليس على شيء، فقال: لو تكلمت بكذا وكذا، وإنما حملها عليها الجزع، فحلف نبيّ الله: لئِن اللّهُ شفاه ليجلِدّنها مئة جلدة قال: فأُمِر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيباً، والأصل تكملة المِئَة، فضربها ضَربة واحدة، فأبرّ نبيُّ الله، وخَفَّف الله عن أمَتِهِ، والله رحيم.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾ يعني: ضِغْثاً من الشجر الرَّطْب، كان حلف على يمين، فأخذ من الشجر عدد ما حلف عليه، فضرب به ضَرْبة واحدة، فبرّت يمينه، وهو اليوم في الناس يمين أيوب، من أخذ بها فهو حسن.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ﴾ قال: ضِغْثاً واحداً من الكلأ فيه أكثر من مِئة عود، فضرب به ضربة واحدة، فذلك مِئة ضربة.

**حدثني** محمد بن عوف، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا صفوان، قال: ثنا عبد الرحمن بن جُبَير ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغثاً فاضْرِبْ بِهِ﴾ يقول: فاضرب زوجتك بالضِّغْث، لتَبرّ في يمينك التي حلفت بها عليها أن تضربها ﴿وَلا تَحْنَثْ﴾ يقول: ولا تحنَثْ في يمينك.

وقوله: ﴿إنَّا وَجَدْناهُ صَابِراً نِعْمَ العَبْدُ﴾ يقول: إنا وجدنا أيوب صابراً على البلاء، لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله، والدخول في معصيته ﴿نِعْمَ العَبْدُ إنَّهُ أوَّابٌ﴾ يقول: إنه على طاعة الله مقبل، وإلى رضاه رَجّاع.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ

ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿عِبادَنا﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿وَاذْكُرْ عِبادَنا﴾ على الجمع غير ابن كثير، فإنه ذكر عنه أنه قرأه: «وَاذْكُرْ عَبْدَنا» على التوحيد، كأنه يوجه الكلام إلى أن إسحاق ويعقوب من ذرّيّة إبراهيم، وأنهما ذُكِرا من بعده.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، سمع ابن عباس يقرأ: «وَاذْكُرْ عَبْدَنا إبْرَاهِيمَ» قال: إنما ذكر إبراهيم، ثم ذُكِر ولده بعده.

والصواب عندنا من القراءة في ذلك، قراءة من قرأه على الجمع، على أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب بيان عن العباد، وترجمة عنه، لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿أُولي الأَيْدي والأَبْصَارِ﴾ ويعني بالأيدي: القوّة، يقول: أهل القوّة على عبادة الله وطاعته. ويعني بالأبصار: أنهم أهل أبصار القلوب، يعني به: أولي العقول[1] للحقّ.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم في ذلك نحواً مما قلنا فيه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿أُولي الأَيْدِي﴾ يقول: أولي القوّة والعبادة، والأبْصَارِ يقول: الفقه في الدين.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أُولي الأَيْدي والأَبْصَارِ﴾ قال: فُضّلوا بالقوّة والعبادة.

**حدثني** محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور أنه قال في هذه الآية ﴿أُولي الأَيْدِي﴾ قال: القوّة.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحن، عن القاسم بن أبي بَزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿أُولي الأَيْدِي﴾ قال: القوّة في أمر الله.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد ﴿أُولي الأَيْدِي﴾ قال: الأيدي: القوّة في أمر الله، ﴿والأبصار﴾: العقول.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أُولي الأَيْدي والأَبْصَارِ﴾

(١) لعل العبارة قد سقط منها كلمة. «والأبصار». كما يفهم مما قبله، ومما يجيء.

قال: القوّة في طاعة الله، ﴿والأبصار﴾: قال: البصر في الحقّ.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**أُولي الأَيْدِي والأَبْصَارِ**﴾ يقول: أعطوا قوّة في العبادة، وبصراً في الدين.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**أُولي الأَيْدِي والأَبْصَارِ**﴾ قال: الأيدي: القوّة في طاعة الله، والأبصار: البصر بعقولهم في دينهم.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿**أُولي الأَيْدِي والأَبْصَارِ**﴾ قال: الأيدي: القوّة، والأبصار: العقول.

فإن قال لنا قائل: وما الأيدي من القوّة، والأيدي إنما هي جمع يد، واليد جارحة، وما العقول من الأبصار، وإنما الأبصار جمع بصر؟ قيل: إن ذلك مثل، وذلك أن باليد البطش، وبالبطش تُعرف قوّة القويّ، فلذلك قيل للقويّ: ذويَدٍ وأما البصر، فإنه عنى به بصر القلب، وبه تنال معرفة الأشياء، فلذلك قيل للرجل العالم بالشيء: بصير به. وقد يُمكن أن يكون عَني بقوله: ﴿**أولي الأَيْدِي**﴾: أولي الأيدي عند الله بالأعمال الصالحة، فجعل الله أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا أيدياً لهم عند الله تمثيلاً لها باليد، تكون عند الرجل الآخر.

وقد ذُكر عن عبد الله أنه كان يقرؤه: «أُولي الأَيْدِ» بغير ياء، وقد يُحتمل أن يكون ذلك من التأييد، وأن يكون بمعنى الأيدي، ولكنه أسقط منه الياء، كما قيل: ﴿**يَوْمَ يُنادِي المُنادِ**﴾ بحذف الياء. وقوله عَزّ وجلّ: ﴿**إنَّا أخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: إنا خصصناهم بخاصة: ذكرى الدار.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**بخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة: «بُخالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ» بإضافة خالصة إلى ذكرى الدار، بمعنى: أنهم أخلصوا بخالصة الذكرى، والذكرى إذا قُرىء كذلك غير الخالصة، كما المتكبر إذا قُرىء: «على كلّ قلب متكبر» بإضافة القلب إلى المتكبر، هو الذي له القلب وليس بالقلب. وقرأ ذلك عامة قرّاء العراق: ﴿**بخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**﴾ بتنوين قوله: ﴿**خالِصَةٍ**﴾ وردّ ذكرى عليها، على أن الدار هي الخالصة، فردّوا الذكر وهي معرفة على خالصة، وهي نكرة، كما قيل: لشرّ مآب: جهنم، فردّ جهنم وهي معرفة على المآب وهي نكرة.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قَرَأَةِ الأمصار، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقد اختلف أهل التأويل، في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: إنا أخلصناهم بخالصةٍ هي

ذكرى الدار: أي أنهم كانوا يُذَكِّرون الناس الدار الآخرة، ويدعونهم إلى طاعة الله، والعمل للدار الآخرة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾** قال: بهذه أخلصهم الله، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله.

وقال آخرون: معنى ذلك أن أخلصهم بعملهم للآخرة وذكرهم لها.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ بن الحسن الأزدي، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، في قوله: **﴿إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾** قال: بذكر الآخرة فليس لهم همّ غيرها.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَة ذِكْرَى الدَّارِ﴾** قال: بذكرهم الدار الآخرة، وعملهم للآخرة.

وقال آخرون: معنى ذلك: إنا أخلصناهم بأفضلِ ما في الآخرة وهذا التأويل على قراءة من قرأه بالإضافة. وأما القولان الأوّلان فعلى تأويل قراءة من قرأه بالتنوين.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «إِنَّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ» قال: بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به، وأعطيناهم إياه قال: والدار: الجنة، وقرأ: **﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ﴾** قال: الجنة، وقرأ: **﴿وَلَنِعْمَ دَارُ المُتَّقِينَ﴾** قال: هذا كله الجنة، وقال: أخلصناهم بخير الآخرة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خالصة عُقْبَى الدار.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن شريك، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبَير **﴿بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ﴾** قال: عُقبى الدار.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: بخالصة أهل الدار.

**ذكر من قال ذلك:**

**حُدثت** عن ابن أبي زائدة، عن ابن جُرَيج، قال: ثني ابن أبي نجيح، أنه سمع مجاهداً يقول: **﴿بِخالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ﴾** هم أهل الدار وذو الدار، كقولك: ذو الكلاع، وذو يَزَن.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يتأوّل ذلك على القراءة بالتنوين ﴿**بِخالِصَةٍ**﴾ عمل في ذكر الآخرة.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك على قراءة من قرأه بالتنوين أن يقال: معناه: إنا أخلصناهُمْ بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، فعملوا لها في الدنيا، فأطاعوا الله وراقبوه وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضاً الدعاء إلى الله وإلى الدار الآخرة، لأن ذلك من طاعة الله، والعمل للدار الآخرة، غير أن معنى الكلمة ما ذَكَرْت. وأما على قراءة من قرأه بالإضافة، فأن يقال: معناه: إنا أخلصناهم بخالصة ما ذكر في الدار الآخرة فلمَّا لم تُذْكر «في» أضيفت الذكرى إلى الدار كما قد بيَّنا قبل في معنى قوله: ﴿**لا يَسْأَمُ الإنْسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ**﴾، وقوله: ﴿**بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعاجِهِ**﴾. وقوله: ﴿**وإنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأخيْارِ**﴾ يقول: وإن هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الأخيار، الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا إلى خلقنا.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: واذكر يا محمد إسماعيل واليسع وذا الكِفل، وما أبلَوْا في طاعة الله، فتأسَّ بهم، واسلك منهاجَهم في الصبر على ما نالك في الله، والنفاذ لبلاغ رسالته. وقد بيَّنا قبل من أخبار إسماعيل واليسع وذا الكفل فيما مضى من كتابنا هذا ما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. والكِفْل في كلامِ العرب: الحظّ والجَدّ.

وقوله: ﴿**هَذَا ذِكْرٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد ذكر لك ولقومك، ذكرناك وإياهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**هَذَا ذِكْرٌ**﴾ قال: القرآن.

وقوله: ﴿**وَإنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مآبٍ**﴾ يقول: وإن للمتقين الذين اتَّقَوْا الله فخافوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، لحسنَ مَرْجع يرجعون إليه في الآخرة، ومَصِير يصيرون إليه. ثم أخبر تعالى ذكره عن ذلك الذي وعدهم من حُسن المآب ما هو، فقال: ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ**﴾.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ قال: لحسن منقلب.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١﴾.

قوله تعالى ذكره: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾: بيان عن حسن المآب، وترجمة عنه، ومعناه: بساتينُ إقامة. وقد بيَّنا معنى ذلك بشواهده، وذكرنا ما فيه من الاختلاف فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ قال: سأل عمر كعباً ما عَدَن؟ قال: يا أمير المؤمنين، قصور في الجنة من ذهب يسكنها النبيون والصدّيقون والشهداء وأئمةُ العدل.

وقوله: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾ يعني: مفتحة لهم أبوابها وأدخلت الألف واللام في الأبواب بدلاً من الإضافة، كما قيل: ﴿فإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾ بمعنى: هي مَأواه وكما قال الشاعر:

مَـا وَلَـدَتْـكُـمْ حَـيَّـةُ ابْـنَـةُ مـالِـكٍ    سِـفَـاحـاً وَمـا كـانَـتْ أحـادِيـثَ كـاذِبِ
وَلَـكِـنْ نَـرَى أقْـدَامَـنـا فِـي نِـعـالِـكُـمْ    وآنُـفَـنـا بـيـنَ الـلِّـحَـى والـحَـوَاجِـبِ[(١)]

بمعنى: بين الحاكم وحواجبكم ولو كانت الأبواب جاءت بالنصب لم يكن لحناً، وكان نصبه على توجيه المفتحة في اللفظ إلى جنات، وإن كان في المعنى للأبواب، وكان كقول الشاعر:

وَمـا قَـوْمِـي بِـثَـعْـلَـبَـةَ بْـنِ سَـعْـدٍ    وَلا بِـفَـزَارَةَ الـشُّـعْـرَ الـرِّقَـابـا[(٢)]

---

(١) البيتان من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٢٨١) على أن قوله تعالى: ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾، لأن المعنى مفتحة لهم أبوابها. والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة ومنه قوله: «فإن الجحيم هي المأوى» فالمعنى والله أعلم: مأواه. ومثله قول الشاعر:

«مـا ولـدتـكـم حـيـة ربـعـيـة. . . .

البيتين». فمعناه ونرى آنفنا بين الحاكم وحواجبكم في الشبه. ا هـ. وحية ابنة مالك: قبيلة. وسفاحاً: زنا. واللحى: جمع لحية.

(٢) البيت للحارث بن ظالم المري من قصيدة من الوافر قالها لما هرب من النعمان بن المنذر، فلحق بقريش. انظر «فرائد القلائد» في «مختصر شرح الشواهد» للعيني (ص ـ ٢٦٤) والرواية فيه «الشعر دون ألف بعد الراء. =

ثم نوّنت مفتحة، ونصبت الأبواب.

فإن قال لنا قائل: وما في قوله: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾ من فائدة خبر حتى ذكر ذلك؟ قيل: فإن الفائدة في ذلك إخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها، بمعاناة بيدٍ ولا جارحة، ولكن بالأمر فيما ذُكر.

**كما حدثنا** أحمد بن الوليد الرملي، قال: ثنا ابن نفيل، قال: ثنا ابن دعيج، عن الحسن، في قوله: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾ قال: أبواب تكلم، فتكلم: انفتحي، انغلقي.

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيها يَدْعُونَ فِيها بِفاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرابٍ﴾ يقول: متكئين في جنات عدن، على سُرر يدعون فيها بفاكهة، يعني بثمار من ثمار الجنة كثيرة، وشراب من شرابها.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: عند هؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف في هذه الآية من إسكانهم جنات عدن ﴿قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾ يعني: نساء قصرت أطرافهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم، ولا يمددن أعينهن إلى سواهم.

**كما حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَعِنْدَهُمْ قاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ قال: قصرن طرفهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿قاصِرات الطَّرْفِ﴾ قال:

---

= قال: والشاهد في الشعر الرقابا» فإنه مثل «الحسن الوجه بنصب الوجه» على أنه شبيه بالمفعول به لأن الشعر جمع أشعر، كثير شعد الجسد، صفة مشبهة. وأنشد الفراء البيت في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٨١) مع الشاهد السابق، وقال في قوله تعالى: ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾: وقال: ولو قال: «مفتحة لهم الأبواب» (بنصب الأبواب) على أن تجعل المفتحة في اللفظ للجنان، وفي المعنى للأبواب، فيكون مثل قول الشاعر:

ما قومي بثعلبة بن سعد ... ولا بفزارة الشعري رقابا

ولم يأت الفراء في كلامه بجواب لو... أي لكان وجهاً. و «**الخلاصة**» أن في لفظة «الأبواب» من قوله تعالى: ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ وجهان من الإعراب: الرفع على أن نائب فاعل، أي مفتحة لهم أبوابها. والنصب على أن نائب الفاعل ضمير راجع إلى الجنات، وتنصب الأبواب على أنه شبيه بالمفعول به. وكذلك في قوله: «الشعر الرقابا» النصب فيه على أنه شبيه بالمفعول به لأنه فعله «شعر» لازم لا ينصب المفعول به وعلى رواية «الشعر رقاباً»: تنصب رقابه على أنه تمييز. وانظر معمول اسم المفعول ومعمول الصفة المشبهة في التصريح والأشموني.

قصَرن أبصارهنّ وقلوبهنّ وأسماعهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم.

وقوله: ﴿أَتْرَابٌ﴾ يعني: أسنان واحدة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بين أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿قاصِرَاتُ الطَّرْفِ أتْرابٌ﴾ قال: أمثال.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَتْرَابٌ﴾ سن واحدة.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿أَتْرَابٌ﴾ قال: مستويات. قال: وقال بعضهم: متواخيات لا يتباغضن، ولا يتعادين، ولا يتغايرن، ولا يتحاسدن.

وقوله: ﴿هَذَا ما تُوعَدُون لِيوْمِ الحِسابِ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي يعدكم الله في الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم في الآخرة.

**كما حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿هَذَا ما تُوعَدُونَ لِيَوْم الحِسابِ﴾ قال: هو في الدنيا ليوم القيامة.

وقوله: ﴿إنَّ هَذَا لَرِزْقُنا ما لَهُ مِنْ نَفادٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في جنَّات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب، والقاصرات الطرف، ومكنّاهم فيها من الوصول إلى اللذَّات وما اشتهته فيها أنفسهم لرزقنا، رزقناهم فيها كرامة منا لهم ﴿ما لَهُ مِنْ نَفادٍ﴾ يقول: ليس له عنهم انقطاع ولا له فناء، وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها، فأكلوها، عادت مكانها أخرى مثلها، فذلك لهم دائم أبداً، لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه في الدنيا، فانقطع بالفناء، ونَفِد بالإنفاد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿إنَّ هَذَا لَرِزْقُنا مالَهُ مِنْ نَفادٍ﴾ قال: رزق الجنة، كلما أُخذ منه شيء عاد مثله مكانه، ورزق الدنيا له نفاد.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ما لَهُ مِنْ نَفادٍ﴾: أي ما له انقطاع.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿هَذَا﴾: الذي وصفت لهؤلاء المتقين: ثم استأنف جلّ وعزّ الخبر عن الكافرين به الذين طَغَوا عليه وبَغَوا، فقال: ﴿وإنَّ للطَّاغِينَ﴾ وهم الذين تمّردوا على ربهم، فعَصَوا أمره مع إحسانه إليهم ﴿لَشَرَّ مآبٍ﴾ يقول: لشرّ مرجع ومصير يصيرون إليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا.

**كما حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وإنَّ للطَّاغِينَ لَشرَّ مآبٍ﴾ قال: لشرّ مُنقَلَبٍ.

ثم بين تعالى ذكره: ما ذلك الذي إليه ينقلبون ويصيرون في الآخرة، فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها﴾ فترجم عن جهنم بقوله: ﴿لَشَرَّ مآبٍ﴾ ومعنى الكلام: إن للكافرين لشرَّ مَصِير يصيرون إليه يوم القيامة، لأن مصيرهم إلى جهنم، وإليها منقلبهم بعد وفاتهم ﴿فَبِئْسَ المِهادُ﴾ يقول تعالى ذكره: فبئس الفراش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم.

وقوله: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا حميم، وهو الذي قد أُغلي حتى انتهى حرّه، وغساق فليذوقوه فالحميم مرفوع بهذا، وقوله: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ معناه التأخير، لأن معنى الكلام ما ذكرت، وهو: هذا حميم وغسّاق فليذوقوه. وقد يتجه إلى أن يكون هذا مكتفياً بقوله فليذوقوه ثم يُبْتدأ فيقال: حميمٌ وغَسّاق، بمعنى: منه حميم ومنه غَسّاق كما قال الشاعر:

حتى إذا ما أضاءَ الصُّبْحُ في غَلَسٍ ... وَغُودِرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ وَمَحْصُودُ[1]

وإذا وُجِّه إلى هذا المعنى جاز في هذا النصب والرفع. النصب: على أن يُضْمر قبلها لها ناصب، كما قال الشاعر:

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٢٨١) قال في قوله تعالى: ﴿هذا فليذقوه حميم وغساق﴾. رفعت الحميم والغساق بهذا، مقدماً ومؤخراً. والمعنى: هذا حميم وغساق فليذوقوه. وإن شئت جعلته (حميم وغساق): مستأنفاً وجعلت الكلام قبله مكتفياً، كأنه قلت: «هذا فليذوقوه» ثم قلت: منه غساق. كقول الشاعر:

«حتى إذا....

البيت» ا هـ.

زِيـادَتَـنـا نُـعْـمـانُ لا تَـحْـرِمَـنَّـنـا ... تَقِ اللّهَ فِينا والكِتابَ الَّذي تَتْلُو(١)

والرفع بالهاء في قوله: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ كما يقال: الليلَ فبادروه، والليلُ فبادروه.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ قال: الحميم: الذي قد انتهى حَرُّه.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: الحميم دموع أعينهم، تجمع في حياض النار فيسقونه.

وقوله: ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ اختلفت القرّاء في قراءته، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين والشام بالتخفيف: «وَغَسَاقٌ» وقالوا: هو اسم موضوع. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ مشدّدة، ووجهوه إلى أنه صفة من قولهم: غَسَقَ يَغْسِقُ غُسُوقاً: إذا سال، وقالوا: إنما معناه: أنهم يُسْقَون الحميم، وما يسيل من صديدهم.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وإن كان التشديد في السّين أتمّ عندنا في ذلك، لأن المعروف ذلك في الكلام، وإن كان الآخر غير مدفوعة صحته.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: هو ما يَسيل من جلودهم من الصديد والدم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ قال: كنا نحدّث أن الغَسَّاق: ما يسيل من بين جلده ولحمه.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: الغسّاق: الذي يسيل من أعينهم من دموعهم، يُسْقَونه مع الحميم.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، قال: الغسّاق: ما يسيل من سُرْمهم، وما يسقط من جلودهم.

---

(١) هذا البيت لعبد الله بن همام السلولي «**اللسان**»: وفي يخاطب النعمان بن بشير الأنصاري، وكان قد ولي الكوفة لمعاوية، وكان معاوية قد زاد أناساً في أعطياتهم عشرة، فأنفذ النعمان، وترك بعضهم لأنهم جاءوا بكتب بعدما فرغ من الحملة، وكان ابن همام ممن تخلف، فكلمه فأبى عليه: فقال ابن همام قصيدة يرققه عليه، ويتشفع بالأنصار، ويمدح معاوية. وقوله «زيادتنا» منصوب بفعل محذوف يفسره الفعل المؤكد بالنون. لأنه يعمل فيما قبله، كما قال الرضي: والفعل المؤكد يروى: لا تنسبنها، ويروى لا تحرمننا انظر «**شرح شواهد الشافية**» للرضي (ص ـ ٤٩٧).

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿**الغسَّاق**﴾: الصديد الذي يجمع من جلودهم مما تصهَرهم النار في حياض يجتمع فيها فيُسقونه.

**حدثني** يحيى بن عثمان بن صالح السهميّ، قال: ثني أبي، قال: ثنا ابن لَهيعة، قال: ثني أبو قبيل أنه سمع أبا هبيرة الزيادي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: أيّ شيء الغسَّاق؟ قالوا: الله أعلم، فقال عبد الله بن عمرو: هو القَيْح الغليظ، لو أن قطرة منه تُهرَاق في المغرب لأنتنت أهل المشرق، ولو تُهَراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب.

**قال** يحيى بن عثمان، قال أبي: ثنا ابن لَهِيعة مرّة أخرى، فقال: ثنا أبو قبيل، عن عبد الله ابن هبيرة، ولم يذكر لنا أبا هبيرة.

**حدثنا** ابن عوف، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا صفوان، قال: ثنا أبو يحيى عطية الكلاعيّ، أن كعباً كان يقول: هل تدرون ما غَسَّاق؟ قالوا: لا والله، قال: عين في جهنم يسيل إليها حُمَةُ كلِّ ذات حُمَةٍ من حية أو عقرب أو غيرها، فيستنقع فيؤتي بالآدمي، فيغْمَس فيها غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام. حتى يتعلَّق جلده في كعبه وعقبيه، وينجَرّ لحمه كجرّ الرجل ثوبه.

وقال آخرون: هو البارد الذي لا يُستطاع من برده.

**ذكر من قال ذلك:**

**حُدثت** عن يحيى بن أبي زائدة، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿**وغسَّاق**﴾ قال: بارد لا يُسْتطاع، أو قال: برد لا يُسْتطاع.

**حدثني** عليّ بن عبد الأعلى، قال: ثنا المحاربيّ، عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿**هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وغَسَّاقٌ**﴾ قال: يقال: الغسَّاق: أبرد البرد، ويقول آخرون: لا بل هو أنتن النَّتْن.

وقال آخرون: بل هو المُنْتِن.

**ذكر من قال ذلك:**

**حُدثت** عن المسيب، عن إبراهيم النكري، عن صالح بن حيان، عن أبيه، عن عبد الله بن بُرَيدة، قال: الغسَّاق: المنتن، وهو بالطُّخارية(١).

---

(١) لعله يريد بالطخارية: المنسوبة إلى طخارستان، بضم أوله، وهو إقليم من بلاد العجم، شرقي جرجان. يريد أن لفظة «غساق» ليست عربية الأصل.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عمرو بن الحارث، عن درّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخُدريّ، أن النبيّ ﷺ قال: «لَوْ أنَّ دَلْواً مِنْ غَسَّاقٍ يُهَراقُ فِي الدُّنْيا لأَنْتَنَ أهْلَ الدُّنْيا».

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو ما يسيل من صديدهم، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الْغُسُوق، وإن كان للآخر وجه صحيح.

وقوله: ﴿**وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة ﴿**وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ**﴾ على التوحيد، بمعنى: هذا حميم وغساق فليذوقوه، وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع، كما يقال: لك عذاب من فلان: ضروب وأنواع وقد يحتمل أن يكون مراداً بالأزواج الخبر عن الحميم والغسّاق، وآخر من شكله، وذلك ثلاثة، فقيل أزواج، يراد أن ينعت بالأزواج تلك الأشياء الثلاثة. وقرأ ذلك بعضُ المكيين وبعض البصريين: «وأُخَرُ» على الجماع، وكأن من قرأ ذلك كذلك كان عنده لا يصلح أن يكون الأزواج وهي جمع نعتاً لواحد، فلذلك جمع أُخَر، لتكون الأزواج نَعْتاً لها والعرب لا تمنع أن ينعَت الاسم إذا كان فعلاً بالكثير والقليل والاثنين كما بيَّنا، فتقول: عذاب فلان أنواع، ونوعان مختلفان.

وأعجب القراءتين إليّ أن أقرأ بها: ﴿**وآخَرُ**﴾ على التوحيد، وإن كانت الأخرى صحيحة لاستفاضة القراءة بها في قرّاء الأمصار وإنما اخترنا التوحيد لأنه أصحّ مخرجاً في العربية، وأنه في التفسير بمعنى التوحيد. وقيل إنه الزَّمهرير.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن مُرّة، عن عبد الله ﴿**وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ**﴾ قال الزمهرير.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن مرة، عن عبد الله، بمثله.

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا معاوية، عن سفيان، عن السديّ، عمن أخبره عن عبد الله بمثله، إلا أنه قال: عذاب الزمهرير.

**حدثنا** محمد قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، عن مرّة الهمداني، عن عبد الله بن مسعود، قال: هو الزمهرير.

**حُدثت** عن يحيى بن أبي زائدة، عن مبارك بن فضالة، عن الحسن، قال: ذكر الله

العذاب، فذكر السلاسل والأغلال، وما يكون في الدنيا، ثم قال: ﴿**وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ**﴾ قال: وآخر لم ير في الدنيا.

وأما قوله: ﴿**مِنْ شَكْلِهِ**﴾ فإن معناه: من ضربه، ونحوه يقول الرجل للرجل: ما أنت من شكلي، بمعنى: ما أنت من ضربي بفتح الشين. وأما الشِّكْل فإنه من المرأة ما عَلَّقَتْ مما تتحسن به، وهو الدَّلُّ أيضاً منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ**﴾ يقول: من نحوه.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ**﴾ من نحوه.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ**﴾ قال: من كلّ شَكْلِ ذلك العذاب الذي سمّى الله، أزواج لم يسمها الله، قال: والشَّكل: الشبيه.

وقوله: ﴿**أزْوَاجٌ**﴾ يعني: ألوان وأنواع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿**وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أزْوَاجٌ**﴾ قال: ألوان من العذاب.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أزْوَاجٌ**﴾ زوج زوج من العذاب.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أزْوَاجٌ**﴾ قال: أزواج من العذاب في النار.

وقوله: ﴿**هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ**﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**هَذَا فَوْجٌ**﴾ هذا فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار، وذلك دخول أمة من الأمم الكافرة بعد أمة ﴿**لا مرحباً بهم**﴾، وهذا خبر من الله عن قيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحِم للفوج المقتحَم فيها عليهم، لا مرحباً بهم، ولكن الكلام اتصل فصار كأنه قول واحد، كما قيل: ﴿**يُرِيدُ أنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**﴾ فاتصل قول فرعون بقول مَلَئه، وهذا كما قال تعالى ذكره مخبراً عن أهل النار: ﴿**كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها**﴾.

ويعني بقولهم: ﴿لا مَرْحَباً بِهِمْ﴾ لا اتَّسعت بهم مداخلُهم، كما قال أبو الأسود:

لا مَـرْحَـبٌ وَادِيـكَ غَـيـرُ مُـضَـيَّـقِ(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ في النار ﴿لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ﴾... حتى بلغ: ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ قال: هؤلاء التبَّاع يقولون للرؤوس.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَباً بِهِمْ﴾ قال: الفوج: القوم الذين يدخلون فوجاً بعد فوج، وقرأ: ﴿كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي كانت قبلها. وقوله: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ يقول: إنهم واردو النار وداخلوها. ﴿قالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ﴾ يقول: قال الفوج الواردون جهنم على الطاغين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم لهم: بل أنتم أيها القوم لا مرحباً بكم: أي لا اتسعت بكم أما كنكم، ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا﴾ يعنون: أنتم قدمتم لنا سُكنى هذا المكان، وصلّي النار بإضلالكم إيانا، ودعائكم لنا إلى الكفر بالله، وتكذيب رُسله، حتى ضللنا باتباعكم، فاستوجبنا سكنى جهنم اليوم، فذلك تقديمهم لهم ما قدموا في الدنيا من عذاب الله لهم في الآخرة ﴿فَبِئْسَ الْقَرارُ﴾ يقول: فبئس المكان يُسْتَقَرّ فيه جهنم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾.

وهذا أيضاً قول الفوج المقتحم على الطاغين، وهم كانوا أتباع الطاغين في الدنيا، يقول جلّ ثناؤه: وقال الأتباع: ﴿رَبَّنا مَنْ قَدَّمَ لَنا هَذَا﴾ يعنون: من قدّم لهم في الدنيا بدعائهم إلى العمل الذي يوجب لهم النار التي وردوها، وسُكنى المنزل الذي سكنوه منها. ويعنون بقولهم ﴿هَذَا﴾: العذاب الذي وردناه ﴿فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً في النَّارِ﴾ يقولون: فأضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها، وهذا أيضاً من دعاء الأتباع للمتبوعين.

---

(١) هذا شطر بيت لأبي الأسود الدؤلي، ذكره أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢١٢) من مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٥٩ قال عند قوله تعالى: ﴿لا مرحباً بهم﴾: تقول العرب للرجل: «لا مرحباً بك» أي لا رحبت عليك، أيي لا اتسعت. قال أبو الأسود: «لا مرحب واديك غير مضيق» ولم أجده في ترجمته في «**الأغاني**» ولا في «**معجم ياقوت**».

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝٦٢ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الطاغون الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم في هذه الآيات، وهم فيما ذُكر أبو جهل والوليد بن المُغيرة وذووهما: ﴿ما لَنا لا نَرَى رِجالاً﴾ يقول: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالاً ﴿كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ﴾ يقول: كنا نعدّهم في الدنيا من أشرارنا، وعنوا بذلك فيما ذُكر صُهَيْباً وخَبَّاباً وبِلالاً وسَلْمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: **﴿ما لَنا لا نَرَى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرارِ﴾** قال: ذاك أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة، وذكر أناساً صُهيباً وَعمَّاراً وخبَّاباً، كنَّا نعدّهم من الأشرار في الدنيا.

**حدثنا** أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثاً يذكر عن مجاهد في قوله: **﴿وَقالُوا ما لَنا لا نَرَى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأشْرارِ﴾** قال: قالوا: أي سَلْمان؟ أين خَبَّاب؟ أين بِلال؟.

وقوله: **﴿أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِياً﴾** اختلفت القرّاء في قراءته، فقرأته عامة قرّاء المدينة والشام وبعض قرّاء الكوفة: **﴿أَتَّخَذْناهُمْ﴾** بفتح الألف من أتخذناهم، وقطعها على وجه الاستفهام، وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة، وبعض قرّاء مكة بوصل الألف من الأشرار: «اتَّخَذْناهُمْ». وقد بيَّنا فيما مضى قبلُ، أن كلّ استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ، فإن العرب تستفهم فيه أحياناً، وتُخرجه على وجه الخبر أحياناً.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالوصل على غير وجه الاستفهام، لتقدّم الاستفهام قبلَ ذلك في قوله: **﴿ما لَنا لا نَرَى رِجالاً كُنَّا﴾** فيصير قوله: «اتَّخَذْناهُمْ» بالخبر أولى وإن كان للاستفهام وجه مفهوم لما وصفتُ قبلُ من أنه بمعنى التعجب.

وإذ كان الصواب من القراءة في ذلك ما اخترنا لما وصفنا، فمعنى الكلام: وقال الطاغون: ما لنا لا نرى سَلْمان وبِلالاً وخَبَّاباً الذين كنَّا نعدّهم في الدنيا أشراراً، اتخذناهم فيها سُخرياً نهزأ بهم فيها معنا اليوم في النار؟.

وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول: من كسر السين من السِّخْرِي، فإنه يريد به الهُزء، يريد يسخر به، ومن ضمها فإنه يجعله من السُّخْرَة، يستسخِرونهم: يستذِلُّونهم، أزاغت عنهم أبصارنا وهم معنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد ﴿**أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ**﴾ يقول: أهم في النار لا نعرف مكانهم؟.

**وحُدثت** عن المحاربيّ، عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿**وَقالُوا ما لَنا لا نَرىَ رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ**﴾ قال: هم قوم كانوا يسخَرون من محمد وأصحابه، فانطُلِق به وبأصحابه إلى الجنة وذُهِبَ بهم إلى النار فـ﴿**قالُوا ما لَنا لا نَرَى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأشْرارِ أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصارُ**﴾ يقولون: أزاغت أبصارنا عنهم فلا ندري أين هم؟.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا**﴾ قال: أخطأناهم ﴿**أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ**﴾ ولا نراهم؟.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَقالُوا ما لَنا لا نَرَى رِجالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأشْرَارِ**﴾ قال: فقدوا أهل الجنة ﴿**أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا**﴾ في الدنيا ﴿**أَمْ زَاغَت عَنْهُمُ الأبْصَارُ**﴾ وهم معناه في النار.

وقوله: ﴿**إنَّ ذلكَ لَحَقّ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار، ولعْن بعضهم بعضاً، ودعاء بعضهم على بعض في النار لحقّ يقين، فلا تشكُّوا في ذلك، ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار. وقوله: ﴿**تَخاصُمُ**﴾ ردّ على قوله: ﴿**لَحَقٌّ**﴾. ومعنى الكلام: إن تخاصم أهل النار الذي أخبرتكم به لحقّ.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله: ﴿**أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ**﴾ إلى: بل زاغت عنهم.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إنَّ ذلكَ لَحَقٌّ تخاصُمُ أهْلِ النَّارِ**﴾ فقرأ: ﴿**تاللَّهِ إنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العالَمِينَ**﴾، وقرأ: ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً...**﴾ حتى بلغ: ﴿**إنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ**﴾ قال: إن كنتم تعبدوننا كما تقولون إن كنا عن عبادتكم لغافلين، ما كنا نسمع ولا نبصر، قال: وهذه الأصنام، قال: هذه خصومة أهل النار، وقرأ: ﴿**وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ قال: وضلّ عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون في الدنيا.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ (٦٦)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي قومك: ﴿إِنَّمَا أنا مُنْذِرٌ﴾ لكم يا معشر قريش بين يدي عذاب شديد، أنذركم عذاب الله وسخطه أن يحلّ بكم على كفركم به، فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة ﴿وَما مِنْ إِلَهٍ إلاَّ اللّهُ الوَاحِدُ القهَّارُ﴾ يقول: وما من معبود تصلح له العبادة، وتنبغي له الربوبية، إلا الله الذي يدين له كلّ شيء، ويعبدهُ كلّ خلق، الواحد الذي لا ينبغي أن يكون له في ملكه شريك، ولا ينبغي أن تكون له صاحبة، القهار لكلّ ما دونه بقدرته، ربّ السموات والأرض، يقول: مالك السموات والأرض وما بينهما من الخلق يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الإله الذي لا إله سواه، لا الذي لا يملك شيئاً، ولا يضرّ، ولا ينفع. وقوله: ﴿العَزِيزُ الغَفَّارُ﴾ يقول: العزيز في نقمته من أهل الكفر به، المدّعين معه إلهاً غيره، الغفّار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه، فأناب إلى الإيمان به، والطاعة له بالانتهاء إلى أمره ونهيه.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك المكذّبيك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن، القائلين لك فيه: إن هذا إلا اختلاق ﴿هُوَ نَبأٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: هذا القرآن خبر عظيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** عبد الأعلى بن واصل الأسدي، قال: ثنا أبو أُسامة، عن شبل بن عباد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ قال: القرآن.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا هشام، عن ابن سيرين، عن شريح، أن رجلاً قال له: أتقضي عليّ بالنبأ؟ قال: فقال له شريح: أوَ لَيْس القرآن نبأ؟ قال: وتلا هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ نَبأٌ عَظِيمٌ﴾ قال: وقَضى عليه.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿قُلْ هُو نَبأٌ عَظِيمٌ

أَنتُمْ عَنهُ مُعْرِضُونَ﴾ قال: القرآن. وقوله: ﴿أَنتُمْ عَنهُ مُعْرِضُونَ﴾ يقول: أنتم عنه منصرفون لا تعملون به، ولا تصدّقون بما فيه من حجج الله وآياته.

وقوله: ﴿ما كانَ لِيَ مِنْ عِلْم بالمَلإِ الأَعْلَى﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: ﴿ما كانَ لِيَ من علم بالمَلأ الأعلى إذْ يَختَصِمُونَ﴾ في شأن آدم من قبل أن يوحي إليَّ ربّي فيعلمني ذلك، يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده، لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعاينته، ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ما كانَ لِيَ مِنْ عِلْم بالمَلإِ الأَعْلَى إذْ يَختَصِمُونَ﴾ قال: الملأ الأعلى: الملائكة حين شووروا في خلق آدم، فاختصموا فيه، وقالوا: لا تجعل في الأرض خليفة.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿بالمَلإِ الأَعْلَى إذْ يَختَصِمونَ﴾ هو: ﴿إذْ قالَ رَبُّكَ للْمَلائِكَةِ إنّي جاعِلٌ فِي الأرْضِ خَلِيفَةً﴾.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ما كانَ لِيَ مِنْ عِلْم بالمَلإِ الأعْلى﴾ قال: هم الملائكة، كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة: ﴿إنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾. . . حتى بلغ ﴿ساجِدِينَ﴾، وحين قال: ﴿إنّي جاعِلٌ فِي الأرْضِ خَلِيفَةً. . .﴾ حتى بلغ ﴿وَيَسْفِكَ الدّماءَ﴾، ففي هذا اختصم الملأ الأعلى.

وقوله: ﴿إنْ يُوحَى إليَّ إلاَّ أنَّمَا أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قريش: ما يوحي الله إليّ علم ما لا علم لي به، من نحو العلم بالملأ الأعلى واختصامهم في أمر آدم إذا أراد خَلقه، إلا لأني إنما أنا نذير مبين «فإنما» على هذا التأويل في موضع خفض على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذي ذكرنا لا بد له من حرف خافض، فسواءٌ إسقاط خافضه منه وإثباته. وإما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب إذا أسقط منه الخافض، فإنه على مذهبه نصب، وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر، وهو أن يكون معناه: ما يوحي الله إلى إنذاركم. وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى، كانت «أنما» في موضع رفع، لأن الكلام يصير حينئذٍ بمعنى: ما يوحَى إليّ إلا الإنذار.

قوله: ﴿**إلا أنما أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ يقول: إلا أني نذير لكم مُبِين لكم إنذاره إياكم. وقيل: إلا أنما أنا، ولم يقل: إلا أنما أنك، والخبر من محمد عن الله، لأن الوحْي قول، فصار في معنى الحكاية، كما يقال في الكلام: أخبروني أني مسيء، وأخبروني أنك مسيء بمعنى واحد، كما قال الشاعر:

رَجُلانِ مِنْ ضَبَّةَ أخْبَرَانا أنَّا رأيْنا رَجُلاً عُرْيانا[1]

بمعنى: أخبرانا أنهما رأيا، وجاز ذلك لأن الخبر أصله حكاية.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

وقوله: ﴿**إذْ قالَ رَبُّكَ**﴾ من صلة قوله: ﴿**إذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾، وتأويل الكلام: ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون حين قال ربك يا محمد ﴿**لِلْمَلائِكَةِ إنّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ**﴾ يعني بذلك خلق آدم.

وقوله: ﴿**فإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي**﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا سوّيت خلقه، وعَدَّلْت صورته، ونفخت فيه من روحي، قيل: عنى بذلك: ونفخت فيه من قُدرتي.

**ذكر من قال ذلك:**

**حُدثت** عن المسيب بن شريك، عن أبي روق، عن الضحاك ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي**﴾ قال: من قدرتي.

﴿**فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ**﴾ يقول: فاسجدوا له وخِرّوا له سُجّداً. وقوله: ﴿**فَسَجدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أجمَعُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: فلما سوّى الله خلق ذلك البشر، وهو آدم، ونفخ فيه من روحه،

---

(١) هذا البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٨٢) قال: وقوله «إن يوحي إلى إلا أنما أنا نذير مبين»: إن شئت جعلت «أنما» في موضع رفع (نائب فاعل بيوحي) كأنك قلت: ما يوحي إلي إلا الإنذار، وإن شئت جعلت المعنى: ما يوحي إلى لأني نبي ونذير. فإذا ألقيت اللام كان موضع «إنما» نصباً، ويكون في هذا الموضع ما يوحى إلى إلا أنك نذير مبين، لأن المعنى حكاية، كما تقول في الكلام: أخبروني أني مسيء، وأخبروني أنك مسيء. وهو كقوله:

«رجلان من ضبة.....

البيت». والمعنى: أخبرانا أنهما رأيا، فجاز ذلك لأن أصله الحكاية ا هـ.

سجد له الملائكة كلهم أجمعون، يعني بذلك: الملائكة الذين هم في السموات والأرض ﴿**إلاَّ إبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ**﴾ يقول: غير إبليس، فإنه لم يسجد، استكبر عن السجود له تعظماً وتكبراً ﴿**وكانَ مِنَ الكافِرِينَ**﴾ يقول: وكان بتعظُّمه ذلك، وتكبره على ربه ومعصيته أمره، ممن كفر في علم الله السابق، فجحد ربوبيته، وأنكر ما عليه الإقرار له به من الإذعان له بالطاعة، كما:

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: قال أبو بكر في: ﴿**إلاَّ إبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرِينَ**﴾ قال: قال ابن عباس: كان في علم الله من الكافرين.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**قالَ**﴾ الله لإبليس، إذ لم يسجد لآدم، وخالف أمره: ﴿**يا إبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ**﴾ يقول: أيّ شيء منعك من السجود ﴿**لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ يقول: لخلق يديَّ يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه، كما:

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: أخبرني عبيد المكتب، قال: سمعت مجاهداً يحدّث عن ابن عمر، قال: خلق الله أربعة بيده: العرش، وعَدْن، والقلم، وآدم، ثم قال لكلّ شي كن فكان.

وقوله: ﴿**أسْتَكْبَرْتَ**﴾ يقول لإبليس: تعظَّمت عن السجود لآدم، فتركت السجود له استكباراً عليه، ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك ﴿**أمْ كُنْتَ مِنَ العالِينَ**﴾ يقول: أم كنت كذلك من قبل ذا علوّ وتكبُّر على ربك ﴿**قالَ أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: قال إبليس لربه: فعلت ذلك فلم أسجد للذي أمرتني بالسجود له لأني خير منه وكنت خيراً لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين، والنار تأكل الطين وتُحرقه، فالنار خير منه، يقول: لم أفعل ذلك استكباراً عليك، ولا لأني كنت من العالين، ولكني فعلته من أجل أني أشرف منه وهذا تقريع من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد ﷺ، وأبوا الانقياد له، واتباع ما جاءهم به من عند الله استكباراً عن أن يكونوا تبعاً لرجل منهم حين قالوا: ﴿**أأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا وهَلْ هَذَا إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ فقصّ عليهم تعالى ذكره قصة إبليس وإهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه، من أجل أنه خلق من نار، وخلق آدم من طين، حتى صار شيطاناً رجيماً، وحقت عليه من الله لعنته، محذّرهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد، وتكذيبهم إياه فيما جاءهم به من عند الله حسداً، وتعظماً من اللعن والسخط ما استحقه إبليس بتكبره عن السجود لآدم.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لإبليس: ﴿فاخْرُجْ مِنْها﴾ يعني من الجنة ﴿فإنَّكَ رَجِيمٌ﴾ يقول: فإنك مرجوم بالقوم، مشتوم ملعون، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿فاخْرُجْ مِنها فإنَّكَ رَجِيمٌ﴾ قال: والرجيم: اللعين.

**حُدثت** عن المحاربيّ، عن جُوَيبر، عن الضحاك بمثله.

وقوله: ﴿وَإنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ يقول: وإن لك طردي من الجنة ﴿إلى يَوْمِ الدّينِ﴾ يعني: إلى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم ﴿قال رَبّ فأنْظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبليس لربه: ربّ فإذ لعنتني، وأخرجتني من جنتك ﴿فأنْظِرْنِي﴾ يقول: فأخّرني في الأجل، ولا تهلكني ﴿إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يقول: إلى يوم تَبْعَثُ خلقك من قبورهم.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله لإبليس: فإنك ممن أنظرته إلى يوم الوقت المعلوم، وذلك الوقت الذي جعله الله أجلاً لهلاكه. وقد بيّنت وقت ذلك فيما مضى على اختلاف أهل العلم فيه وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أجمَعِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبليس: فبعزّتك: أي بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك ﴿لأغْوِينَّهُمْ أجمَعِينَ﴾ يقول: لأضلّنّ بني آدم أجمعين ﴿إلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ﴾ يقول: إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمتَه من إضلالي، فلم تجعل لي عليه سبيلاً، فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿قالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِينَّهُمْ أجمَعِينَ﴾ قال: عَلِم عدوّ الله أنه ليست له عزّة.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ

أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**قالَ فالحَقُّ والحَقَّ أقُولُ**﴾ فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين برفع الحقّ الأوّل، ونصب الثاني. وفي رفع الحقّ الأوّل إذا قُرىء كذلك وجهان: أحدهما رفعه بضمير لله الحقّ، أو أنا الحقّ وأقول الحقّ. والثاني: أن يكون مرفوعاً بتأويل قوله: ﴿**لأَمْلأَنَّ**﴾ فيكون معنى الكلام حينئذٍ: فالحقّ أن أملأ جهنم منك، كما يقول: عزمة صادقة لآتينك، فرفع عزمة بتأويل لآتينك، لأن تأويله أن آتيك، كما قال: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ**﴾ فلا بدّ لقوله: ﴿**بَدَا لَهُمْ**﴾ من مرفوع، وهو مضمر في المعنى. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين بنصب الحقّ الأوّل والثاني كليهما، بمعنى: حقاً لأملأن جهنم والحقّ أقول، ثم أدخلت الألف واللام عليه، وهو منصوب، لأن دخولهما إذا كان كذلك معنى الكلام وخروجهما منه سواء، كما سواء قولهم: حمداً لله، والحمد لله عندهم إذا نصب. وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه الإغراء بمعنى: الزموا الحقّ، واتبعوا الحقّ، والأوّل أشبه لأن خطاب من الله لإبليس بما هو فاعل به وبتُبّاعه.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، لصحة معنييهما.

وأما الحقّ الثاني، فلا اختلاف في نصبه بين قرّاء الأمصار كلهم، بمعنى: وأقول الحقّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن الأعمش، عن مجاهد، في قوله: ﴿**فالحَقُّ والحَقَّ أقُولُ**﴾ يقول الله: أنا الحقُّ، والحقَّ أقول.

**وحُدثت** عن ابن أبي زائدة، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿**فالحَقُّ والحَقَّ أقُولُ**﴾ يقول الله: الحقّ مني، وأقول الحقّ.

**حدثنا** أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: ثنا أبان ابن تغلب، عن طلحة اليامي، عن مجاهد، أنه قرأها ﴿**فالحَقُّ**﴾ بالرفع ﴿**والحَقَّ أقُولُ**﴾ نصباً وقال: يقول الله: أنا الحقّ، والحقّ أقول.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**الحَقُّ والحَقَّ أقُولُ**﴾ قال: قسم أقسم الله به.

وقوله: ﴿**لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ**﴾ يقول لإبليس: لأملأنّ جهنم منك وممن تبعك من بني آدم

أجمعين. وقوله: ﴿قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيهِ مِنْ أجْرٍ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك، القائلين لك ﴿أأُنْزِلَ عَلَيهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا﴾: ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذي أتيتكم به من عند الله أجراً، يعني ثواباً وجزاء ﴿وما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ﴾ يقول: وما أنا ممن يتكلف تخرُّصَه وافتراءه، فتقولون: ﴿إنْ هَذَا إلاَّ إفْكٌ افْتَراهُ﴾ و ﴿إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلاَقٌ﴾ كما:

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قُلْ ما أسألُكُمْ عَلَيهِ مِنْ أجْرٍ وَما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ﴾ قال: لا أسألكم على القرآن أجراً تعطوني شيئاً، وما أنا من المتكلفين أتخرّص وأتكلف ما لم يأمرني الله به.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين من قومك: ﴿إنْ هُوَ﴾ يعني: ما هذا القرآن ﴿إلاَّ ذِكْرٌ﴾ يقول: إلا تذكير من الله ﴿للعالَمِينَ﴾ من الجنّ والإنس، ذكرهم ربهم إرادة استنقاذ من آمن به منهم من الهَلَكة. وقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبأَهُ بَعحدَ حِينٍ﴾ يقول: ولتعلمنّ أيها المشركون بالله من قُرَيش نبأه، يعني: نبأ هذا القرآن، وهو خبره، يعني حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبأَهُ﴾ قال: صدق هذا الحديث نبأ ما كذّبوا به. وقيل: ﴿نبأه﴾ حقيقة أمر محمد ﷺ أنه نبيّ.

ثم اختلفوا في مدة الحِين الذي ذكره الله في هذا الموضع: ما هي، وما نهايتها؟ فقال بعضهم: نهايتها الموت.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾: أي بعد الموت وقال الحسن: يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين.

وقال بعضهم: كانت نهايتها إلى يوم بدر.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ قال: يوم بدر.

وقال بعضهم: يوم القيامة. وقال بعضهم: نهايتها القيامة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ قال: يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذّبوا به بعد حين من الدنيا وهو يوم القيامة. وقرأ: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ قال: وهذا أيضاً الآخرة يستقرّ فيها الحقّ، ويبطُل الباطل.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذّبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حدّ منه لذلك الحين بحدّ، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته، ووضوح صحته في الدنيا، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر، وقبل ذلك، ولا حدّ عند العرب للحين، لا يُجاوَز ولا يقصر عنه. فإذ كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصحّ من أن يطلَق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت. وبنحو الذين قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أيوب، قال: قال عكرمة: سُئِلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا إلى حين، فقلت: إن من الحين حيناً لا يُدرك، ومن الحين حِينٌ يُدرك، فالحين الذي لا يُدرك قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾، والحين الذي يُدرك قوله: ﴿تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإِذْنِ رَبِّها﴾ وذلك من حين تُصْرَم النخلة إلى حين تُطْلِع، وذلك ستة أشهر.

## آخر تفسير سورة صۤ

# (٩٢) سورة الزمر مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ﴾ الذي نزّلناه عليك يا محمد ﴿مِنَ اللّهِ العَزِيزِ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿الحَكِيمِ﴾ في تدبيره خلقه، لا من غيره، فلا تكوننّ في شكّ من ذلك ورفع قوله: ﴿تَنْزِيلُ﴾ بقوله: ﴿مِنَ اللّهِ﴾. وتأويل الكلام: من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب. وجائز رفعه بإضمار هذا، كما قيل: ﴿سُورَةٌ أنزَلْناها﴾ غير أن الرفع في قوله: ﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ﴾ بما بعده، أحسن من رفع سورة بما بعدها، لأن تنزيل، وإن كان فعلاً، فإنه إلى المعرفة أقرب، إذ كان مضافاً إلى معرفة، فحسن رفعه بما بعده، وليس ذلك بالحسن في «سُورَةٌ»، لأنه نكرة.

وقوله: ﴿إنَّا أنْزَلْنا إلَيْكَ الكِتابَ بالحَقّ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا أنزلنا إليك يا محمد الكتاب، يعني بالكتاب: القرآن ﴿بالحقّ﴾ يعني بالعدل يقول: أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحقّ والعدل، ومن ذلك الحقّ والعدل أن تعبد الله مخلِصاً له الدين، لأن الدين له لا للأوثان التي لا تملك ضرّاً ولا نفعاً. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿الكِتابَ﴾ قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إنَّا أنْزَلْنا إلَيْكَ الكِتابَ بالحَقّ﴾ يعني: القرآن.

وقوله: ﴿فاعْبُدِ اللّهِ مُخْلِصاً لَهُ الدّينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فاخشع لله يا محمد بالطاعة، وأخلص له الألوهة، وأفرده بالعبادة، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكاً، كما فَعَلَتْ عَبَدة الأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص، عن شمر، قال: يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات، فيقول ربّ العزّة جلّ وعزّ: صَلَّيت يوم كذا وكذا، ليقال: صلَّى فلان أنا الله لا إله إلا أنا، لي الدين الخالص. صمتَ يوم كذا وكذا، ليقال: صام فلان أنا الله لا آله إلا أنا لي الدين الخالص، تصدّقت يوم كذا وكذا، ليقال: تصدّق فلان أنا الله لا إله إلا أنا لي الدين الخالص فما يزال يمحو شيئاً بعد شيء حتى تبقى صحيفته ما فيها شيء، فيقول ملكاه: يا فلان، ألغير الله كنت تعمل.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، أما قوله: **﴿مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾** فالتوحيد، والدين منصوب بوقوع مخلصاً عليه.

وقوله: **﴿ألا لِلّهِ الدِّينُ الخالِصُ﴾** يقول تعالى ذكره: ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له، خالصة لا شرك لأحد معه فيها، فلا ينبغي ذلك لأحد، لأن كل ما دونه ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيئاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قالَ أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ألا لِلّهِ الدِّينُ الخالِصُ﴾** شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللّهِ زُلْفَى﴾** يقول تعالى ذكره: والذين اتخذوا من دون الله أولياء يَتَولَّونهم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيها الآلهة إلا لتقربونا إلى الله زُلْفَى، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا وهي فيما ذُكر في قراءة أبيّ: «ما نَعْبُدُكُمْ»، وفي قراءة عبد الله: «قالُوا ما نَعْبُدُهُمْ» وإنما حسُن ذلك لأن الحكاية إذا كانت بالقول مضمراً كان أو ظاهراً، جعل الغائب أحياناً كالمخاطب، ويترك أخرى كالغائب، وقد بيَّنت ذلك في موضعه فيما مضى.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: هي في قراءة عبد الله: «قالُوا ما نَعْبُدُهُمْ».

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ**

**لِيُقَرِّبُونا إلى اللّهِ زُلْفَى﴾** قال: قريش تقوله للأوثان، ومن قَبْلَهم يقوله للملائكة ولعيسى ابن مريم ولعزَير.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللّهِ زُلْفَى﴾** قالوا: ما نعبد هؤلاء إلا ليقرّبونا، إلا ليشفعُوا لنا عند الله.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبونا إلى اللّهِ زُلْفَى﴾** قال: هي منزلة.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللّهِ زُلْفَى﴾**.

وقوله: **﴿وَلَوْ شاءَ الله ما أشْرَكُوا﴾** يقول سبحانه: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبونا إلى الله زُلْفَى﴾** قال: قالوا هم شفعاؤنا عند الله، وهم الذين يقرّبوننا إلى الله زلفى يوم القيامة للأوثان، والزلفى: القُرَب.

وقوله: **﴿إنَّ اللّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: إن الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا في الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة، فيما هم فيه يختلفون في الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها، بأن يُصْلِيَهم جميعاً جهنم، إلا من أخلص الدين لله، فوحده، ولم يشرك به شيئاً.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿إنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي﴾** إلى الحقّ ودينه الإسلام، والإقرار بوحدانيته، فيوفقه له **﴿مَنْ هُوَ كاذِبٌ﴾** مفتر على الله، يتقوّل عليه الباطل، ويضيف إليه ما ليس من صفته، ويزعم أن له ولداً افتراء عليه، كفار لنعمه، جحود لربوبيته. وقوله: **﴿لَوْ أرَادَ اللّهُ أنْ يَتَّخِذَ وَلِداً﴾** يقول تعالى ذكره: لو شاء الله اتخاذ ولد، ولا ينبغي له ذلك، لاصطفى مما يخلق ما يشاء، يقول:

لاختار من خلقه ما يشاء. وقوله: ﴿سُبْحانَهُ هُوَ اللّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ يقول: تنزيهاً لله عن أن يكون له ولد، وعما أضاف إليه المشركون به من شركهم ﴿هُوَ اللّهُ﴾ يقول: هو الذي يَعْبده كلّ شيء، ولو كان له ولد لم يكن له عبداً، يقول: فالأشياء كلها له ملك، فأنى يكون له ولد، وهو الواحد الذي لا شريك له في مُلكه وسلطانه، والقهار لخلقه بقدرته، فكل شيء له متذلِّل، ومن سطوته خاشع.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّرُ ۝٥﴾

يقول تعالى ذكره واصفاً نفسه بصفتها: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ بالحَق يَكُوّرُ اللَّيْلَ على النهارِ وَيُكَوّرُ النَّهارَ على اللَّيلِ﴾ يقول: يغشّي هذا على هذا، وهذا على هذا، كما قال ﴿يُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيلَ عَلى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلى اللَّيلِ﴾ يقول: يحمل الليل على النهار.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيلَ على النَّهارِ﴾ قال: يدهوره.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيلَ على النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ على اللَّيلِ﴾ قال: يَغْشَي هذا هذا، ويَغْشَي هذا هذا.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيلَ على النَّهارِ ويُكَوِّرُ النَّهارَ على اللَّيلِ﴾ قال: يجيء بالنهار ويذهب بالليل، ويجيء بالليل، ويذهب بالنهار.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيلَ على

**النَّهارِ ويُكَوِّرُ النَّهارَ على اللَّيلِ﴾** حين يذهب بالليل ويكوّر النهار عليه، ويذهب بالنهار ويكوّر الليل عليه.

وقوله: **﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ﴾** يقول تعالى ذكره: وسخر الشمس والقمر لعباده، ليعلموا بذلك عدد السنين والحساب، ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم **﴿كُلّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾** يقول: **﴿كُلّ﴾** ذلك يعني الشمس والقمر **﴿يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾** يعني إلى قيام الساعة، وذلك إلى أن تكوّر الشمس، وتنكدر النجوم. وقيل: معنى ذلك: أن لكل واحد منهما منازل، لا تعدوه ولا تقصر دونه **﴿ألا هُوَ العَزِيزُ الغَفَّارُ﴾** يقول تعالى ذكره: ألا إن الله الذي فعل هذه الأفعال وأنعم على خلقه هذه النعم هو العزيز في انتقامه ممن عاداه، الغفار لذنوب عباده التائبين إليه منها بعفوه لهم عنها.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿خَلَقَكُمْ﴾** أيها الناس **﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** يعني من آدم **﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنها زَوْجَها﴾** يقول: ثم جعل من آدم زوجه حواء، وذلك أن الله خلقها من ضِلَع من أضلاعه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** يعني آدم، ثم خلق منها زوجها حواء، خلقها من ضلع من أضلاعه.

فإن قال قائل: وكيف قيل: خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها؟ وإنما خلق ولد آدم من آدم وزوجته، ولا شك أن الوالدين قبل الولد، فإن في ذلك أقوالاً: أحدها أن يقال: قيل ذلك لأنه رُوي عن رسول الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فأَخْرَج كُلَّ نَسَمَةٍ هِيَ كائِنَةٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ، ثُمَّ أسْكَنَهُ بَعْدَ ذلكَ الجَنَّةَ، وَخَلَقَ بَعْدَ ذلكَ حَوَّاءَ مِنْ ضِلْعٍ مِنْ أضْلاعِهِ» فهذا قول. والآخر: أن العرب ربما أخبر الرجل منهم عن رجل بفعلين، فيردّ الأول منهما في المعنى بثم، إذا كان من خبر المتكلم، كما يقال: قد بلغني ما كان منك اليوم، ثم ما كان منك أمس أعجب، فذلك نسق من خبر المتكلم. والوجه الآخر: أن يكون خلقه الزوج مردوداً على واحدها، كأنه قيل: خلقكم من نفس وحدها ثم جعل منها زوجها، فيكون في واحدة معنى:

خلقها وحدها، كما قال الراجز:

أَعْـدَدْتَـهُ لِـلْـخَـصْـمِ ذِي الـتَّـعَـدِّي ... كَـوَّحْـتَـهُ مِـنْـكَ بِـدُونِ الـجَـهْـدِ[1]

بمعنى: الذي إذا تعدى كوحته، ومعنى: كوّحته: غلبته.

والقول الذي يقوله أهل العلم أولى بالصواب، وهو القول الأوّل الذي ذكرت أنه يقال: إن الله أخرج ذرّية آدم من صلبه قبل أن يخلق حوّاء، وبذلك جاءت الرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، والقولان الآخران على مذاهب أهل العربية.

وقوله: ﴿**وأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأنعام ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الإبل زوجين، ومن البقر زوجين، ومن الضأن اثنين، ومن المعْز اثنين، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ**﴾، كما:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**مِنَ الأنْعامِ ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ**﴾ قال: من الإبل والبقر والضأن والمعز.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وأنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأنعام ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ**﴾ من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، من كلّ واحد زوج.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك

---

(١) البيتان من الرجز أنشدهما صاحب «**اللسان**» في «كوح» شاهداً على أن كوحه بمعنى رده. وقال الأزهري: التكويح التغليب، وأنشد أبو عمرو:

«أعـــددتـــه لـــلـــخـــصـــم...

البيت». وهو أيضاً من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٨٣). قال: في تفسير قوله تعالى: ﴿خلقكم من نسفس واحدة ثم جعل منه زوجها﴾. يقول القائل: كيف قال: ﴿خلقكم﴾ لبني آدم ثم قال: «ثم جعل منها زوجها»، والزوج مخلوق قبل الولد؟ ففي ذلك وجهان من العربية. أحدهما أن العرب إذا خبرت عن رجل بفعلين ردوا الآخر بثم إذا كان هو الآخر في المعنى. وربما جعلوا «ثم» فيما معناه التقديم، ويجعلون «ثم» من خبر المتكلم. من ذلك أن تقول: قد بلغني ما صنعت يومك هذا، ثم ما صنعت أمس أعجب، فهذا نسق من خبر المتكلم. وتقول: قد أعطيتك اليوم شيئاً، ثم الذي أعطيتك أمس أكثر. فهذا من ذلك. والوجه الآخر أن تجعل خلقة الزوج مردوداً على واحدة كأنه قال خلقكم من نفس وحدها، ثم جعل منها زوجها، ففي «واحدة» معنى خلقها واحد. قال: أنشدني بعض العرب:

أعـــددتـــه لـــلـــخـــصـــم...

البيت. ومعناه: الذي إذا تعدى كوحته. وكوحته: غلبته ا هـ.

يقول في قوله: ﴿وأنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأنْعامِ ثَمانِيَةَ أزْوَاجٍ﴾ يعني من المعز اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الإبل اثنين.

وقوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يقول تعالى ذكره: يبتدىء خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق، وذلك أنه يحدث فيها نطفة، ثم يجعلها علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم يكسو العظام لحماً، ثم يُنشئه خلقاً آخر، تبارك الله وتعالى، فذلك خلقه إياه خلقاً بعد خلق، كما:

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سماك، عن عكرمة ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْد خَلْقٍ﴾ قال: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ قال: نطفة، ثم ما يتبعها حتى تمّ خلقه.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم لحماً، ثم أنبت الشعر، أطوار الخلق.

**حدثنا** هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة في قوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ قال: يعني بخلق بعد الخلق، علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ قال: يكونون نطفاً، ثم يكونون علقاً، ثم يكونون مضغاً، ثم يكونون عظاماً، ثم ينفخ فيهم الروح.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ خلق نطفة، ثم علقة، ثم مضغة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يخلقكم في بطون أمهاتكم من بعد خلقه إياكم في ظهر آدم، قالوا: فذلك هو الخلق من بعد الخلق.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ قال: خلقاً في البطون من بعد الخلق الأوّل الذي خلقهم في ظهر آدم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي قاله عكرمة ومجاهد، ومن قال في ذلك مثل قولهما، لأن الله جلّ وعزّ أخبر أنه يخلقنا خلقاً من بعد خلق في بطون أمهاتنا في ظلمات ثلاث، ولم يخبر أنه يخلقنا في بطون أمهاتنا من بعد خلقنا في ظهر آدم، وذلك نحو قوله: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً...﴾** الآية.

وقوله: **﴿في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾** يعني: في ظلمة البطْن، وظلمة الرّحِمِ، وظُلمة المَشِيَمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة **﴿فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾** قال: الظلمات الثلاث: البطن، والرحم، والمَشيمة.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سماك، عن عكرمة **﴿فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾** قال: البطن، والمشيمة، والرحم.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه عن ابن عباس **﴿فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾** قال: يعني بالظلمات الثلاث: بطن أمه، والرحم، والمَشِيمة.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾** قال: البطن، والرحم والمَشِيمة.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾** المَشِيمة، والرحم، والبطن.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾** قال: ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم، وظلمة البطن.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾** قال: المشيمة في الرحم، والرحم في البطن.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: **﴿فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾**: الرحم، والمشيمة، والبطن، والمشيمة التي تكون على الولد إذا خرج، وهي من الدواب السَّلي.

وقوله: ﴿ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعل هذه الأفعال أيها الناس هو ربكم، لا من لا يجلب لنفسه نفعاً، ولا يدفع عنها ضرّاً، ولا يسوق إليكم خيراً، ولا يدفع عنكم سوءً من أوثانكم وآلهتكم.

وقوله: ﴿لَهُ المُلْكُ﴾ يقول جلّ وعزّ: لربكم أيها الناس الذي صفته ما وصف لكم، وقُدرته ما بين لكم المُلك، مُلك الدنيا والآخرة وسلطانهما لا لغيره فأما ملوك الدنيا فإنما يملك أحدهم شيئاً دون شيء، فإنما له خاص من المُلك. وأما المُلك التام الذي هو المُلك بالإطلاق فلله الواحد القهار.

وقوله: ﴿لا إلَهَ إلاّ هُوَ فَأنّي تُصْرَفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا ينبغي أن يكون معبود سواه، ولا تصلح العبادة إلا له ﴿فأنّى تُصْرَفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأنى تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم، الذي هذه الصفة صفته، إلى عبادة من لا ضر عنده لكم ولا نفع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فأنّى تُصْرَفُونَ﴾ قال: كقوله: ﴿تُؤْفَكُونَ﴾.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿فَأنّى تُصْرَفُونَ﴾ قال للمشركين: أنى تصرف عقولكم عن هذا؟

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿إنْ تَكْفُرُوا فإنَّ اللّهَ غَنيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبادِهِ الكُفْرَ﴾ فقال بعضهم: ذلك لخاص من الناس، ومعناه: إن تكفروا أيها المشركون بالله، فإن الله غني عنكم، ولا يرضى لعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته الكفر.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** علي قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿إنْ تَكْفُرُوا فإنَّ اللّهَ غَنِيٌ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبادِهِ الكُفْرَ﴾ يعني الكفار الذين لم يرد الله أن يطهر

قلوبهم، فيقولوا: لا إله إلا الله، ثم قال: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبادِهِ الكُفْرَ﴾ وهم عباده المخلصون الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيهِمْ سُلْطانٌ﴾ فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله وحَبَّبها إليهم.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبادِهِ الكُفْرَ﴾ قال: لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا.

وقال آخرون: بل ذلك عام لجميع الناس، ومعناه: أيها الناس إن تكفروا، فإن الله غني عنكم، ولا يرضى لكم أن تكفروا به.

والصواب من القول في ذلك ما قال الله جلّ وعزّ: إن تكفروا بالله أيها الكفار به، فإن غنيّ عن إيمانكم وعبادتكم إياه، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى: ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، كما يقال: لست أحب الظلم، وإن أحببت أن يظلم فلان فلاناً فيعاقب.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يقول: وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرض شكركم له، وذلك هو إيمانهم به وطاعتهم إياه، فكنى عن الشكر ولم يُذكر، وإنما ذكر الفعل الدالّ عليه، وذلك نظير قوله: ﴿الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُم إِيماناً﴾ بمعنى: فزادهم قول الناس لهم ذلك إيماناً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ قال: إن تطيعوا يرضه لكم.

وقوله: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ يقول: لا تأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرها، ولا تؤاخذ إلا بإثم نفسها، يُعْلِم عزّ وجلّ عباده أن على كلّ نفس ما جنت، وأنها لا تؤاخذ بذنب غيرها.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ قال: لا يؤخذ أحد بذنب أحد.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم بعد اجتراحكم في الدنيا ما اجترحتم من صالح وسيىء، وإيمان وكفر أيها الناس، إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم، ﴿فينبئكم﴾ يقول: فيخبركم بما كنتم في الدنيا تعملونه من خير وشرّ، فيجازيكم على كلّ ذلك جزاءكم، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بما يستحقه يقول عزّ وجلّ لعباده: فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم في الدنيا بما لا يرضاه منكم فتهلكوا، فإنه لا يخفى عليه عمل عامل منكم.

وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بذاتِ الصُّدُورِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لا يخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مما لا تُدركه أعينكم، فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار. وإنما يعني جلّ وعزّ بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء، وأنه مُحصٍ على عباده أعمالهم، ليجازيهم بها كي يتقوه في سرّ أمورهم وعلانيتها.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا مسّ الإنسان بلاء في جسده من مرض، أو عاهة، أو شدّة في معيشته، وجهد وضيق ﴿دَعا رَبَّهُ﴾ يقول: استغاث بربه الذي خلقه من شدّة ذلك، ورغب إليه في كشف ما نزل به من شدّة ذلك. وقوله: ﴿مُنِيباً إِلَيْهِ﴾ يقول: تائباً إليه مما كان من قبل ذلك، عليه من الكفر به، وإشراك الآلهة والأوثان به في عبادته، راجعاً إلى طاعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنْسانَ ضُرٌّ﴾ قال: الوجع والبلاء والشدّة ﴿دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ﴾ قال: مستغيثاً به.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم إذا منحه ربه نعمة منه، يعني عافية، فكشف عنه ضرّه، وأبدله بالسقم صحة، وبالشدة رخاء. والعرب تقول لكلّ من أعطى غيره من مال أو غيره: قد خوّله ومنه قول أبي النجم العِجْلِيّ:

أعْطَى فَلَم يَبْخَلْ ولَمْ يُبَخَّلِ كُومَ الذُّرَا مِنْ خَوَلِ المُخَوَّلِ[1]

---

(١) البيت لأبي النجم العجلي الراجز المشهور «اللسان»: خول. وهو يمدح إنساناً أنه أعطى من سأله النوق السمينة العالية السنام والذرا: جمع ذروة، وهو أعلى الشيء. وهي مما خوله الله ومنحه، وكان عطاؤه كثيراً، فلم يبخل به، ولم ينسبه أحد إلى البخل. والبيت من شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ٢١٦)، عند قوله تعالى: ﴿ثم إذا خوله نعمة منه﴾ كل مال لك، وكل شيء أعطيته فقد خولته؛ قال أبو النجم:
«أعطى فلم يبخل....
البيت».

وحدثت عن أبي عُبيدة معمر بن المثنى أنه قال: سمعت أبا عمرو يقول في بيت زُهَيْر:

هُنالِكَ إنْ يُسْتَخْوَلُوا المَالَ يُخوِلوا وإنْ يُسْأَلُوا يُعْطوا وَإنْ يَيْسِرُوا يُغْلوا(١)

قال معمر: قال يونس: إنما سمعناه:

هُنالكَ إنْ يُسْتَخْبَلُوا المَالَ يُخْبِلوا(٢)

قال: وهي بمعناها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿ثُمَّ إذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾: إذا أصابته عافية أو خير.

وقوله: ﴿نَسِيَ ما كانَ يَدْعُو إلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: ترك دعاءه الذي كان يدعو إلى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضرّ ﴿وَجَعَلَ لِلّهِ أنْداداً﴾ يعني: شركاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿نَسِيَ﴾ يقول: ترك، هذا في الكافر خاصة.

ولـ«ما» التي في قوله: ﴿نَسِيَ ما كانَ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون بمعنى الذي، ويكون معنى الكلام حينئذٍ: ترك الذي كان يدعوه في حال الضرّ الذي كان به، يعني به الله تعالى ذكره، فتكون «ما» موضوعة عند ذلك موضع «مَنْ» كما قيل: ﴿وَلا أنْتُمْ عابِدُونَ ما أعْبُدُ﴾ يعني به الله، وكما قيل: ﴿فانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾. والثاني: أن يكون بمعنى المصدر على ما ذكرت. وإذا كانت بمعنى المصدر، كان في الهاء التي في قوله: ﴿إلَيْهِ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون من ذكر ما. والآخر: من ذكر الربّ.

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى المزني «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا (ص ـ ٢٣٩) والرواية فيه «يستخلبوا» في موضع يستخولوا قال في «**اللسان**» والاستخوال أيضاً منل الاستخبال، من أخبلته المال: إذا أعرته ناقة لينتفع بألبانها وأوبارها، أو فرساً يغزو عليه. ومنه قول زهير:

«هنالك إن يستخولوا المال. . . .

البيت». ومعنى ييسروا: يقامروا. ويغلوا: يختاروا سمان الإبل بالثمن الغالي، ويقامورا عليها. والبيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (٢١٦ ب) قال: وسمعت أبا عمرو يقول في بيت زهير:

«هنالك. . . .

الخ»: قال يونس: إنما سمعنا: «هنالك إن يستخبلوا المال». أي يخبلوا وهو بمعناها.

(٢) تقدم الكلام على رواية هذا الشطر من بيت زهير بن أبي سلمى في الشاهد الذي قبله.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾ يقول: وجعل لله أمثالاً وأشباها.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي جعلوها فيه له أنداداً، قال بعضهم: جعلوها له أنداداً في طاعتهم إياه في معاصي الله.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾ قال: الأنداد من الرجال: يطيعونهم في معاصي الله.

وقال آخرون: عنى بذلك أنه عبد الأوثان، فجعلها لله أنداداً في عبادتهم إياها.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عَنَى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان، فجعل له الأوثان أنداداً، لأن ذلك في سياق عتاب الله إياهم له على عبادتها.

وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يقول: ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده، والإقرار به، والدخول في الإسلام. وقوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لفاعل ذلك: تمتع بكفرك بالله قليلاً إلى أن تستوفي أجلك، فتأتيك منيتك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصحَابِ النَّارِ﴾: أي إنك من أهل النار الماكثين فيها.

وقوله: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾: وعيد من الله وتهدُّدٌ.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿أَمَّنْ﴾ فقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وعامة الكوفيين: «أَمَنْ» بتخفيف الميم ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان: أحدهما أن يكون الألف في «أمَن» بمعنى الدعاء، يراد بها: يا من هو قانت آناء الليل، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بيا، فتقول: أزيد أقبِلْ، ويا زيد أَقبِلْ ومنه قول أوس بن حجر:

أَبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍ     إلاَّ يَدٌ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ[1]

(١) تقدم الاستشهاد بالبيت في الجزء (١٤/ ١١٠) وشرحناه شرحاً مفصلاً، فراجعه ثمة. والبيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٢٨٤) وموضع الاستشهاد به في الموضع أن العرب تنادي بالهمزة، كما تنادي بيا. قال الفراء: عند قوله تعالى: ﴿أم من هو قانت آناء الليل﴾ قرأها يحيى بن وثاب بالتخفيف. وذكر ذلك عن =

وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام: قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلاً، إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً إنك من أهل الجنة، ويكون في النار عمى للفريق الكافر عند الله من الجزاء في الآخرة، الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن، إذ كان معلوماً اختلاف أحوالهما في الدنيا، ومعقولاً أن أحدهما إذا كان من أصحاب النار لكفره بربه أن الآخر من أصحاب الجنة، فحذف الخبر عما له، اكتفاء بفهم السامع المراد منه من ذكره، إذ كان قد دلّ على المحذوف بالمذكور. والثاني: أن تكون الألف التي في قوله: «أمَّنْ» ألف استفهام، فيكون معنى الكلام: أهذا كالذي جعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله، ثم اكتفى بما قد سبق من خبر الله عن فريق الكفر به من أعدائه، إذ كان مفهوماً المراد بالكلام، كما قال الشاعر:

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ ... سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا[1]

فحذف لدفعناه وهو مراد في الكلام إذ كان مفهوماً عند السامع مراده. وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: ﴿أَمَّنْ﴾ بتشديد الميم، بمعنى: أم من هو؟ ويقولون: إنما هي ﴿أَمَّنْ﴾ استفهام اعترض في الكلام بعد كلام قد مضى، فجاء بأم فعلى هذا التأويل يجب أن يكون جواب الاستفهام متروكاً من أجل أنه قد جرى الخبر عن فريق الكفر، وما أعدّ له في

---

= نافع وحمزة، وفسروها: يريد: يا من هو قانت، وهو وجه حسن. العرب تدعو بألف كما يدعون بيا، فيقولون: يا زيد أقبل، وأزيد أقبل؛ قال الشاعر:

«أبني لبيني....

البيت» وقال آخر:

«أضمر بن ضمرة....

البيت». وهو كثير في الشعر، فيكون المعنى مردوداً بالدعاء، كالمنسوق، لأنه ذكر الناسي الكافر، ثم قص قصة الصالح بالنداء، كما تقول في الكلام: فلان لا يصلي ولا يصوم، فيامن يصلي ويصوم أبشر. فهذا هو معناه. وقد تكون الألف استفهاماً، بتأويل أم، لأن العرب قد تضع «أم» في موضع الألف، إذا سبقها كلام، وقد وصفت من ذلك ما يكتفي به، فيكون المعنى أمن هو قانت؟ كالأول الذي ذكر بالنسيان والكفر. ومن قرأها بالتشديد، فإنه يريد معنى الألف وهو الوجه: أم تجعل «أم» إذا كانت مردودة على معنى قد سبق، قلتها بأم. وقد قرأها الحسن وعاصم وأبو جعفر المدني، يريدون: «أم من هو» فقد تبين في الكلام أنه مضمر قد جرى معناه في أول الكلمة، إذ ذكر الضال، ثم ذكر المهتدي بالاستفهام فهو دليل على أنه يريد: أهذا مثل هذا؟ أو أهذا أفضل؟ ومن لم يعرف مذاهب العرب، ويتبين له المعنى في هذا وشبهه، لم يكتف ولم يشتف ا هـ.

(١) تقدم الاستشهاد بالبيت وشرحناه مفصلاً في الجزء (١٢/١٨) فراجعه ثمة وقد أورده الفراء في **«معاني القرآن»** (الورقة ٢٨٤) بعقب كلامه الذي نقلناه عنه في الشاهد السابق على هذا، قال ألا ترى قول الشاعر:

«فأقسم لو شيء أتانا رسوله....

البيت» أن معناه: لو أتانا رسول غيرك لدفعناه، فعلم المعنى ولم يظهر. وجرى قوله: «أفمن شرح الله صدره للإسلام» على مثل هذا

الآخرة، ثم أتبع الخبر عن فريق الإيمان، فعلم بذلك المراد، فاستغني بمعرفة السامع بمعناه من ذكره، إذ كان معقولاً أن معناه: هذا أفضل أم هذا؟.

والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان قرأ بكل واحدة علماء من القرّاء مع صحة كلّ واحدة منهما في التأويل والإعراب، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين، والصواب من القول عندنا فيما مضى قبل في معنى القانت، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع غير أنا نذكر بعض أقوال أهل التأويل في ذلك في هذا الموضع، ليعلم الناظر في الكتاب اتفاق معنى ذلك في هذا الموضع وغيره، فكان بعضهم يقول: هو في هذا الموضع قراءة القارىء قائماً في الصلاة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا يحيى، عن عبيد الله، أنه قال: أخبرني نافع، عن ابن عمر، أنه كان إذا سُئل عن القنوت، قال: لا أعلم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القيام، وقرأ: ﴿**أمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وقائماً**﴾.

وقال آخرون: هو الطاعة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ**﴾ يعني بالقنوت: الطاعة، وذلك أنه قال: ﴿**ثُمَّ إذَا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إذَا أنْتُمْ تَخْرُجُونَ...**﴾ إلى ﴿**كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ**﴾ قال: مطيعون.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**أمَّنْ هُو قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائماً**﴾ قال: القانت: المطيع.

وقوله: ﴿**آناءَ اللَّيْلِ**﴾ يعني: ساعات الليل، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**أمَّنْ هُوَ قانتٌ آناءَ اللَّيْلِ**﴾ أوّله، وأوسطه، وآخره.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**آناءَ اللَّيْلِ**﴾ قال: ساعات الليل.

وقد مضى بياننا عن معنى الآناء بشواهده، وحكاية أقوال أهل التأويل فيها بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿ساجِداً وَقائماً﴾ يقول: يقنت ساجداً أحياناً، وأحياناً قائماً، يعني: يطيع والقنوت عندنا الطاعة، ولذلك نصب قوله: ﴿ساجِداً وَقائماً﴾ لأن معناه: أمَّن هو يقنت آناء الليل ساجداً طوراً، وقائماً طوراً، فهما حال من قانت. وقوله: ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ﴾ يقول: يحذر عذابَ الآخرة، كما:

**حدثنا** عليّ بن الحسن الأزديّ. قال: ثنا يحيى بن اليمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ﴾ قال: يحذر عقاب الآخرة، ويرجو رحمة ربه، يقول: ويرجو أن يرحمه الله فيدخله الجنة.

وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخبطون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيراً، ولا يخافون بسيِّئها شراً؟ يقول: ما هذان بمتساويين. وقد رُوي عن أبي جعفر محمد بن علي في ذلك ما:

**حدثني** محمد بن خلف، قال: ثني نصر بن مزاحم، قال: ثنا سفيان الجريري، عن سعيد بن أبي مجاهد، عن جابر، عن أبي جعفر، رضوان الله عليه ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ قال: نحن الذين يعلمون، وعدوُّنا الذين لا يعلمون.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبابِ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يعتبر حجج الله، فيتعظ، ويتفكر فيها، ويتدبرها أهلُ العقول والحجى، لا أهل الجهل والنقص في العقول.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لعبادي الذين آمنوا: ﴿يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله، وصدقوا رسوله ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ بطاعته واجتناب معاصيه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنيا حَسَنَةٌ﴾.

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: للذين أطاعوا الله حسنة في هذه الدنيا وقال «في» من صلة حسنة، وجعل معنى الحسنة: الصحة والعافية.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنيا حَسَنَةٌ**﴾ قال: العافية والصحة.

وقال آخرون «في» من صلة أحسنوا، ومعنى الحسنة: الجنة.

وقوله: ﴿**وأرْضُ اللّهُ وَاسِعَةٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: وأرض الله فسيحة واسعة، فهاجروا من أرض الشرك إلى دار الإسلام، كما:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وأرْضُ اللهِ وَاسعَةٌ**﴾ فهاجروا واعتزلوا الأوثان.

وقوله: ﴿**إنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أجْرَهُمْ بغَيرِ حسابٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب يقول: ثوابهم بغير حساب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أجْرَهُمْ بغَيْرِ حسابٍ**﴾ لا والله ما هنا كُم مِكيال ولا ميزان.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**إنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أجْرَهُمْ بَغيرِ حسابٍ**﴾ قال: في الجنة.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: إن الله أمرني أن أعبده مُفْرِداً له الطاعة، دون كلّ ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد ﴿**وأُمِرْتُ لإنْ أكُونَ أوَّلَ المُسْلِمِينَ**﴾: يقول: وأمرني ربي جلّ ثناؤه بذلك، لأن أكون بفعل ذلك أوّل من أسلم منكم، فخضع له بالتوحيد، وأخلص له العبادة، وبرىء من كلِّ ما دونه من الآلهة. وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إنّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ رَبّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾: يقول تعالى ذكره: قال يا محمد لهم إني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته، مخلصاً له الطاعة، ومفرده بالربوبية. ﴿**عذابَ يومٍ عَظِيمٍ**﴾: يعني عذاب يوم القيامة، ذلك هو اليوم الذي يعظم هو له.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك: الله أعبد مخلصاً، مفرداً له طاعتي وعبادتي، لا أجعل له في ذلك شريكاً، ولكني أُفرده بالألوهة، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة، فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام، وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه، فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك إذا لقيتم ربكم.

وقوله: ﴿**قُلْ إنَّ الخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: إن الهالكين الذين غَبَنوا أنفسهم، وهلكت بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل، وقد كان لهم في الدنيا أهلون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قُلْ إنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ وأهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ قال: هم الكفار الذين خلقهم الله للنار، وخلق النار لهم، فزالت عنهم الدنيا، وحرّمت عليهم الجنة، قال الله: ﴿**خَسرَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ**﴾.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**قُلْ إنَّ الخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ وأهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ قال: هؤلاء أهل النار، خسروا أنفسهم في الدنيا، وخسروا الأهلين، فلم يجدوا في النار أهلاً، وقد كان لهم في الدنيا أهل.

**حُدثت** عن ابن أبي زائدة، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، قال: غبنوا أنفسهم وأهليهم، قال: يخسرون أهليهم، فلا يكون لهم أهل يرجعون إليهم، ويخسرون أنفسم، فيهلكون في النار، فيموتون وهم أحياء فيخسرونهما.

وقوله: ﴿**ألا ذلكَ هُو الخُسْرانُ المُبِينُ**﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك هلاكها هو الخسران المبين، يقول تعالى ذكره: هو الهلاك الذي يبين لمن عاينه وعلمه أنه الخسران.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ

(١٦) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨)﴾.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الخاسرين يوم القامة في جهنم: ﴿**مِنْ فَوقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ**﴾ وذلك كهيئة الظلل المبنية من النار ﴿**وَمِنْ تَحتِهِمْ ظُلَلٌ**﴾ يقول: ومن تحتهم من النار ما يعلوهم، حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللاً، وذلك نظير قوله جلّ ثناؤه لَهُمْ: ﴿**مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ**﴾ يغشاهم مما تحتهم فيها من المهاد.

وقوله: ﴿**ذلكَ يخَوِّفُ اللّهُ بِهِ عبادَهُ يا عبادِ فاتَّقُونِ**﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتكم أيها الناس به، مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب، تخويف من ربكم لكم، يخوّفكم به لتحذروه، فتجتنبوا معاصيه، وتنيبوا من كفركم إلى الإيمان به، وتصديق رسوله، واتباع أمره ونهيه، فتنجوا من عذابه في الآخرة ﴿**فاتَّقُونِ**﴾ يقول: فاتقوني بأداء فرائضي عليكم، واجتناب معاصيّ، لتنجوا من عذابي وسخطي.

وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ**﴾: أي اجتنبوا عبادة كلّ ما عُبد من دون الله من شيء. وقد بيَّنا معنى الطاغوت فيما مضى قبل بشواهد ذلك، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وذكرنا أنه في هذا الموضع: الشيطان، وهو في هذا الموضع وغيره بمعنى واحد عندنا. ذكر من قال ما ذكرنا في هذا الموضع:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ قال: الشيطان.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أنْ يَعْبُدُوها**﴾ قال: الشيطان.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أنْ يَعْبُدُوها**﴾ قال: الشيطان هو هاهنا واحد وهي جماعة.

والطاغوت على قول ابن زيد هذا واحد مؤنث، ولذلك قيل: أن يعبدوها. وقيل: إنما أُنثت لأنها في معنى جماعة.

وقوله: ﴿**وأنابُوا إلى اللّهِ**﴾ يقول: وتابوا إلى الله ورجعوا إلى الإقرار بتوحيده، والعمل بطاعته، والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وأنابُوا إلى اللّهِ**﴾: وأقبلوا إلى الله.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**وأنابُوا إلى اللّهِ**﴾ قال: أجابوا إليه.

وقوله: ﴿**لَهُمُ البُشْرَى**﴾ يقول: لهم البشرى في الدنيا بالجنة في الآخرة ﴿**فَبَشّرْ عِبادِ الّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ**﴾ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين، فيتبعون أرشده وأهداه، وأدله على توحيد الله، والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَيَتَّبِعُونَ أحْسَنَهُ**﴾ وأحسنه طاعة الله.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**فَيَتَّبِعُونَ أحْسَنَهُ**﴾ قال: أحسن ما يؤمرون به فيعملون به.

وقوله: ﴿**أُولَئِكَ الّذِينَ هَداهُمُ اللّهُ**﴾ يقول تعالى ذكره: الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين هداهم الله، يقول: وفقهم الله للرشاد وإصابة الصواب، لا الذين يُعْرِضون عن سماع الحقّ، ويعبدون ما لا يضرّ، ولا ينفع. وقوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الألْبابِ**﴾ يعني: أولو العقول والحجا.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في رهط معروفين وحّدوا الله، وبرئوا من عبادة كل ما دون الله قبل أن يُبعث نبيّ الله، فأنزل الله هذه الآية على نبيه يمدحهم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَالّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ أنْ يَعْبُدُوها...**﴾ الآيتين، حدثني أبي أن هاتين الآيتين نزلتا في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو، وأبي ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسيّ، نزل فيهم: ﴿**وَالّذِينَ اجْتَنَبُوا الطّاغُوتَ أنْ يَعْبُدُوها**﴾ في جاهليتهم ﴿**وأنابُوا إلى اللّهِ لَهُمُ البُشْرَى فَبَشّرْ عِبادِ الّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أحْسَنَهُ**﴾ لا إله إلا الله، أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبيّ ﴿**وأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الألْبابِ**﴾.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ﴾: أفمن وجبت عليه كلمة العذاب في سابق علم ربك يا محمد بكفره به، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيه كَلِمَةُ العَذَابِ﴾ بكفره.

وقوله: ﴿أَفأنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أفأنت تنقذ يا محمد من هو في النار من حق عليه كلمة العذاب، فأنت تنقذه فاستغنى بقوله: ﴿تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ عن هذا. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: هذا مما يراد به استفهام واحد، فيسبق الاستفهام إلى غير موضعه، فيردّ الاستفهام إلى موضعه الذي هو له. وإنما المعنى والله أعلم: أفأنت تنقذ من في النار من حقَّت عليه كلمة العذاب. قال: ومثله من غير الاستفهام: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إذا مِتُّمْ وكُنْتُمْ تُراباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرجُونَ﴾ فردّد «أنكم» مرّتين. والمعنى والله أعلم: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم ومثله قوله: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ويُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ العَذَابِ﴾. وكان بعضهم يستخطىء القول الذي حكيناه عن البصريين، ويقول: لا تكون في قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ كناية عمن تقدم، لا يقال: القوم ضربت من قام، يقول: المعنى: ألتجرئة أفأنت تُنقذ من في النار منهم. وإنما معنى الكلمة: أفأنت تهدي يا محمد من قد سبق له في علم الله أنه من أهل النار إلى الإيمان، فتنقذه من النار بالإيمان؟ لست على ذلك بقادر.

وقوله: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه، لهم في الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علاليّ بعضها فوق بعض ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ﴾ يقول تعالى ذكره: تجري من تحت أشجار جناتها الأنهار. وقوله: ﴿وَعَدَ اللّهُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وعدنا هذه الغرف التي من فوقها غرف مبنية في الجنة، هؤلاء المتقين ﴿لا يُخْلِفُ اللّهُ المِيعادَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: والله لا يخلفهم وعده، ولكنه يوفي بوعده.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً﴾ وهو المطر ﴿فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الأرْضِ﴾ يقول: فأجراه عيوناً في الأرض واحدها ينبوع، وهو ما جاش من الأرض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن جابر، عن الشعبيّ، في قوله: ﴿فَسَلَكَهُ يَنابِيعَ فِي الأرْضِ﴾ قال: كلّ ندى وماء في الأرض من السماء نزل.

**قال:** ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن جابر، عن الحسن بن مسلم بن بيان، قال: ثم أنبت بذلك الماء الذي أنزله من السماء فجعله في الأرض عيوناً زرعاً ﴿مُخْتَلِفاً ألْوَانُهُ﴾ يعني: أنواعاً مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرّاً﴾ يقول: ثم ييبس ذلك الزرع من بعد خُضرته، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخضر وذوي: هاجت الأرض، وهاج الزرع.

وقوله: ﴿فَتَراه مُصْفَرّاً﴾ يقول: فتراه من بعد خُضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر، وكذلك الزرع إذا يبس أصفر ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً﴾ والحُطام: فتات التبن والحشيش، يقول: ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابساً فُتاتاً متكسراً.

وقوله: ﴿إنَّ فِي ذلكَ لَذِكْرَى لأُولي الألْبابِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعل الله ذلك كالذي وصف لذكرى وموعظة لأهل العقول والحجا يتذكرون به، فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذّر عليه إحداث ما شاء من الأشياء، وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض، وإحياء من هلكَ من خلقه من بعد مماته وإعادته من بعد فنائه، كهيئته قبل فَنائه، كالذي فُعِل بالأرض التي أنزل عليها من بعد موتها الماء، فأنبت بها الزرعَ المختلف الألوان بقدرته.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أفمن فَسَح الله قلبه لمعرفته، والإقرار بوحدانيته، والإذعان لربوبيته، والخضوع لطاعته ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ يقول: فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين، بتنوير الحقّ في قلبه، فهو لذلك لأمر الله متبع، وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه، كمن أقسى الله قلبه، وأخلاه من ذكره، وضيَّقه عن استماع الحق، واتِّباع الهدى، والعمل بالصواب؟ وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه، وجوابَ الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام، إذ ذكر أحد الصنفين، وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ يعني: كتاب الله، هو المؤمن به يأخذ، وإليه ينتهي.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ قال: وسع صدره للإسلام، والنور: الهُدَى.

**حُدثت** عن ابن أبي زائدة عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ قال: ليس المنشرح صدره مثل القاسي قلبه.

قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: فويل للذين جَفَت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت، يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره، مذكِّراً به عباده، فلم يؤمن به، ولم يصدّق بما فيه. وقيل: ﴿مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ والمعنى: عن ذكر الله، فوضعت «من» مكان «عن»، كما يقال في الكلام: أتخمت من طعام أكلته، وعن طعام أكلته بمعنى واحد.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله في ضلال مُبين، لمن تأمَّله وتدبَّره بفهم أنه في ضلال عن الحقّ جائر.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً﴾ يعني به القرآن ﴿مُتَشَابِهاً﴾ يقول: يشبه بعضه بعضاً، لا اختلاف فيه، ولا تضادّ، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً**﴾... الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف.

**حدثنا** محمَّد قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**كِتاباً مُتَشابِهاً**﴾ قال: المتشابه: يشبه بعضه بعضاً.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿**كِتاباً مُتَشابِهاً**﴾ قال: يشبه بعضه بعضاً، ويصدّق بعضه بعضاً، ويدلّ بعضه على بعض.

وقوله: ﴿**مَثانِيَ**﴾ يقول: تُثنّي فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحُجَج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ**﴾ قال: ثنى الله فيه القضاء، تكون السورة فيها الآية في سورة أخرى آية تشبهها، وسُئل عنها عكرمة[1].

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ**﴾ قال: في القرآن كله.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**مَثانِيَ**﴾ قال: ثَنَى الله فيه الفرائض، والقضاء، والحدود.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**مَثانِيَ**﴾ قال: كتاب الله مثاني، ثَنَى فيه الأمرَ مراراً.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله: ﴿**مَثَانِيَ**﴾ قال: كتاب الله مثاني، ثَنَى فيه الأمر مراراً.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**مَثَانِيَ**﴾ ثنى في غير مكان.

---

(١) الذي في الدر: وسئل عنها عكرمة، فقال: ثني الله فيه القضاء.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿مَثانِيَ﴾ مردَّد، ردّد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء في أمكنة كثيرة.

وقوله: ﴿تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: تقشعرّ من سمَاعه إذا تُلي عليهم جلودُ الذين يخافون ربهم ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللّهِ﴾ يعني إلى العمل بما في كتاب الله، والتصديق به.

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أن أصحابه سألوه الحديث. ذكر الرواية بذلك:

**حدثنا** نصر بن عبد الرحمن الأَوْديّ، قال: ثنا حَكام بن سلم، عن أيوب بن موسى، عن عمرو المَلَئي عن ابن عباس، قالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؟ قال: فنزلت: ﴿اللّهُ نَزَّلَ أحْسَنَ الحَدِيثِ﴾.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أيوب بن سيار أبي عبد الرحمن، عن عمرو بن قيس، قال: قالوا: يا نبيّ الله، فذكر مثله.

﴿ذلكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي يصيب هؤلاء القوم الذين وصفت صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشعرار جلودهم، ثم لينها ولين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك، ﴿هُدَى اللّهِ﴾ يعني: توفيق الله إياهم وفَّقهم له ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ﴾ يقول: يهدي تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده.

وقد يتوجَّه معنى قوله: ﴿ذلكَ هُدَى﴾ إلى أن يكون ذلك من ذكر القرآن، فيكون معنى الكلام: هذا القرآن بيان الله يهدي به من يشاء، يوفق للإيمان به من يشاء.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هادٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يخذلْه الله عن الإيمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه، فيضله عنه، فَما له من هاد يقول: فما له من مُوَفِّق له، ومسدد يسدده في اتباعه.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في صفة اتقاء هذا الضالّ بوجهه سُوء العذاب، فقال بعضهم: هو أن يُرْمَى به في جهنم مكبوباً على وجهه، فذلك اتقاؤه إياه.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ العَذَابِ**﴾ قال: يَخِرّ على وجهه في النار، يقول: هو مثل ﴿**أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمناً يَوْمَ القِيامَةِ**﴾.

وقال آخرون: هو أن ينطلق به إلى النار مكتوفاً، ثم يرمَى به فيها، فأوّل ما تمسّ النار وجهه وهذا قول يُذكر عن ابن عباس من وجه كرهت أن أذكره لضعف سنده وهذا أيضاً مما ترك جوابه استغناء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه عنه. ومعنى الكلام: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير، أم من ينعم في الجنان؟.

وقوله: ﴿**وَقِيلَ للظَّالِمِينَ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾ يقول: ويقال يومئذٍ للظالمين أنفسهم بإكسابهم إياها سخط الله. ذوقوا اليوم أيها القوم وَبالَ ما كنتم في الدنيا تكسبون من معاصي الله.

وقوله: ﴿**كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قُريش من الأمم الذين مضوا في الدهور الخالية رسلهم ﴿**فَأَتاهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعَرُونَ**﴾ يقول: فجاءهم عذاب الله من الموضع الذي لا يشعرون: أي لا يعلمون بمجيئه منه.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذّبوا رسلهم الهوان في الدنيا، والعذاب قبل الآخرة، ولم ينظرهم إذ عتوا عن أمر ربهم ﴿**وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ**﴾ يقول: ولعذاب الله إياهم في الآخرة إذا أدخلهم النار، فعذّبهم بها، أكبر من العذاب الذي عذّبهم به في الدنيا، لو كانوا يعلمون يقول: لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد مثّلنا لهؤلاء المشركين بالله من كلّ مثل من أمثال القرون للأمم الخالية، تخويفاً منّا لهم وتحذيراً ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ يقول: ليتذكروا فينزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله.

وقوله: ﴿قُرآناً عَرَبِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل قرآناً عربياً ﴿غيرَ ذِي عِوَجٍ﴾ يعني: ذي لبس، كما:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا رقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿قُرآناً عَرَبِيًّا غيرَ ذِي عِوَجٍ﴾: غير ذي لبس.

ونصب قوله: ﴿قُرآناً عَرَبِيًّا﴾ على الحال من قوله: هذا القرآن، لأن القرآن معرفة، وقوله ﴿قُرآناً عَرَبِيًّا﴾ نكرة.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقول: جعلنا قرآناً عربياً إذ كانوا عرباً، ليفهموا ما فيه من المواعظ، حتى يتقوا ما حذّرهم الله فيه من بأسه وسطوته، فينيبوا إلى عبادته وإفراد الألوهة له، ويتبرّؤوا من الأنداد والآلهة.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: مثَّل الله مثلاً للكافر بالله الذي يعبد آلهة شَتَّى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبُد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلاً لهذا الكافر رجلاً فيه شركاء. يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شَكس: إذا كان سيىء الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه ومِلْكه فيه، ورجلاً سَلَماً لرجل، يقول: ورجلاً خُلُوصاً لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله، لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَرَجُلاً سَلَماً﴾ فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والبصرة: «وَرَجُلاً سالِمَاً» وتأوّلوه بمعنى: رجلاً خالصاً لرجل. وقد رُوي ذلك أيضاً عن ابن عباس.

**حدثنا** أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن جرير بن حازم، عن حميد، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قرأها: «سالِمَاً لِرَجُلٍ» يعني بالألف، وقال: ليس فيه لأحد شيء.

وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة: ﴿وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ﴾ بمعنى: صلحاً[1].

---

(١) قائل هذا: هو أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (مصورة جامعة القاهرة رقم ٢٦٣٩٠ الورقة ١٥٩).

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب وذلك أن السَّلَم مصدر من قول القائل: سَلِمَ فلان لله سَلَماً[1] بمعنى: خَلَص له خُلوصاً، تقول العرب: ربح فلان في تجارته رِبْحاً ورَبَحاً[2]، وسَلِم سِلْماً وسَلَماً[3] وسلامة، وأن السالم من صفة الرجل، وسلم مصدر من ذلك. وأما الذي توهمه من رغب من قراءة ذلك سَلَماً من أن معناه صلحاً، فلا وجه للصلح في هذا الموضع، لأن الذي تقدم من صفة الآخر، إنما تقدّم بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشيء من الأشياء، فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد لا شريك له، ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: «رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ وَرَجُلاً سالِماً لِرَجُلٍ» قال: هذا مثل إله الباطل وإله الحقّ.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ﴾** قال: هذا المشرك تتنازعه الشياطين، لا يقرّبه بعضهم لبعض «وَرَجُلاً سالِماً لِرَجُلٍ» قال: هو المؤمن أخلص الدعوة والعبادة.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ﴾**... إلى قوله: **﴿بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** قال: الشركاء المتشاكسون: الرجل الذي يعبد آلهة شتى كلّ قوم يعبدون إلهاً يرضونه ويكفرون بما سواه من الآلهة، فضرب الله هذا المثل لهم، وضرب لنفسه مثلاً، يقول: رجلا سَلِمَ لرجل يقول: يعبدون إلهاً واحداً لا يختلفون فيه.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ﴾** قال: مثل لأوثانهم التي كانوا يعبدون.

---

(١) لم أجد في «**اللسان**» (سلم لله سلماً) بالتحريك، بالمعنى الذي أورده المؤلف هنا.

(٢) في «**اللسان**»: ربح: الربح (بالكسر)، والربح (بالتحريك)، والرباح (بفتح الراء): النماء في التجر ا هـ. قلت: وعلى هذا فهما مصدران كما قال المؤلف. وقال: قال ابن الأعرابي: الربح والربح، مثل البدل والبدل. وقال الجوهري: مثل شبه وشبه: هو اسم ما ربحه.

(٣) ضبط الثاني في اللسان ضبط قلم، بفتح السين وسكون اللام، عن أبي إسحاق الزجاج، على أنه قراءة، ولعله خطأ من الناسخ.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتشاكِسُونَ وَرَجُلاً سالِماً لِرَجُلٍ» قال: أرأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون كلهم سيىء الخلق، ليس منهم واحد إلا تلقاه آخذاً بطرف من مال لاستخدامه أسواؤهم، والذي لا يملكه إلا واحد، فإنما هذا مثل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة، وجعلوا لها في أعناقهم حقوقاً، فضربه الله مثلاً لهم، وللذي يعبده وحده **﴿هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً الحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾**. وفي قوله: «وَرَجُلاً سالِمَاً لِرَجُلٍ» يقول: ليس معه شرك.

وقوله: **﴿هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً﴾** يقول تعالى ذكره: هل يستوي مثلُ هذا الذي يخدمُ جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدم واحداً لا ينازعه فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه، وإذا أخطأ صفح له عن خطئه، يقول: فأيّ هذين أحسن حالاً وأروح جسماً وأقلّ تعباً ونصباً؟ كما:

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس **﴿هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً الحَمْدَ لِلّهِ بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** يقول: من اختُلف فيه خير، أم من لم يُخْتلَف فيه؟.

وقوله: **﴿الحَمْدِ لِلّهِ﴾** يقول: الشكر الكامل، والحمدُ التامّ لله وحده دون كلّ معبود سواه. وقوله: **﴿بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** يقول جل ثناؤه: وما يستوي هذا المشترك فيه، والذي هو منفرد ملكه لواحد، بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان، فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله. وقيل: **﴿هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلاً﴾** ولم يقل: مثلين لأنهما كلاهما ضُربا مثلاً واحداً، فجرى المثل بالتوحيد، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿وَجَعَلْنا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ آيَةً﴾** إذ كان معناهما واحداً في الآية. والله أعلم.

# محتوى الجزء الثالث والعشرين من تفسير الطبري


| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| | **تفسير سورة يسٓ** | |
| ٢٨ | وما أنزلنا على قومه من بعده ........ | ٥ |
| ٢٩ | إن كانت إلاّ صيحة واحدة .......... | ٥ |
| ٣٠ | يا حسرة على العباد ما يأتيهم ........ | ٦ |
| ٣١ | ألم يروا كم أهلكنا قبلهم ............ | ٧ |
| ٣٢ | وإن كلّ لما جميع لدينا محضرون ... | ٧ |
| ٣٣ | وآية لهم الأرض الميتة أحييناها ..... | ٨ |
| ٣٤ | وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ........................ | ٨ |
| ٣٥ | ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم | ٩ |
| ٣٦ | سبحان الذي خلق الأزواج كلها ..... | ٩ |
| ٣٧ | وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ....... | ٩ |
| ٣٨ | والشمس تجري لمستقرّ لها .......... | ٩ |
| ٣٩ | والقمر قدّرناه منازل .................. | ١٠ |
| ٤٠ | لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر | ١٠ |
| ٤١ | وآية لهم أنا حملنا ذُرِّيَّتهم في الفلك المشحون ........................ | ١٣ |
| ٤٢ | وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ...... | ١٤ |
| ٤٤ | إلاّ رحمة منا ومتاعاً إلى حين ...... | ١٤ |
| ٤٥ | وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم .... | ١٧ |
| ٤٦ | وما تأتيهم من آية من آيات ربهم ..... | ١٧ |
| ٤٧ | وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله .. | ١٨ |
| ٤٨ | ويقولون متى هذا الوعد ............ | ١٨ |
| ٤٩ | ما ينظرون إلاّ صيحة واحدة ......... | ١٨ |
| ٥٠ | فلا يستطيعون توصية ............... | ١٨ |
| ٥١ | ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث ........................ | ٢٠ |
| ٥٢ | قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا .... | ٢٠ |
| ٥٣ | إن كانت إلاّ صيحة واحدة .......... | ٢٠ |
| ٥٤ | فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ............ | ٢٣ |
| ٥٥ | إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ........................ | ٢٣ |
| ٥٦ | هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك ........................ | ٢٦ |
| ٥٧ | لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون ...... | ٢٦ |
| ٥٨ | سلام قولاً من ربّ رحيم ........... | ٢٦ |
| ٥٩ | وامتازوا اليوم أيها المجرمون ........ | ٢٩ |
| ٦٠ | ألم أعهد إليكم يا بني آدم ........... | ٢٩ |
| ٦١ | وأن أعبدوني هذا صراط مستقيم .... | ٢٩ |
| ٦٢ | ولقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً .......... | ٣٠ |
| ٦٣ | هذه جهنم التي كنتم تدعون ......... | ٣٠ |
| ٦٤ | اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ...... | ٣٠ |
| ٦٥ | اليوم نختم على أفواههم ............. | ٣٠ |
| ٦٦ | ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ....... | ٣١ |
| ٦٧ | ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم .. | ٣١ |
| ٦٨ | ومن نعمره ننكسه في الخلق ........ | ٣٤ |
| ٦٩ | وما علمناه الشعر .................... | ٣٤ |
| ٧٠ | لينذر من كان حياً .................... | ٣٤ |
| ٧١ | أو لم يروا أنا خلقنا لهم ............. | ٣٥ |
| ٧٢ | وذللناها لهم فمنها ركوبهم .......... | ٣٦ |
| ٧٣ | ولهم فيها منافع ومشارب ........... | ٣٦ |
| ٧٤ | واتخذوا من دون الله آلهة ........... | ٣٦ |
| ٧٥ | لا يستطيعون نصرهم ................ | ٣٧ |
| ٧٦ | فلا يحزنك قولهم ................... | ٣٧ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ٧٧ | أو لم ير الإنسان أنا خلقناه ............ | ٣٨ |
| ٧٨ | وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ......... | ٣٨ |
| ٧٩ | قل يحييها الذي أنشأها ................. | ٣٨ |
| ٨٠ | الذي جعل لكم من الشجر الأخضر | ٣٩ |
| ٨١ | أو ليس الذي خلق السموات ......... | ٣٩ |
| ٨٢ | إنما أمره إذا أراد شيئاً ..................... | ٤٠ |
| ٨٣ | فسبحان الذي بيده ملكوت ........... | ٤٠ |


## تفسير سورة الصافات


| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | والصافات صفا ........................... | ٤١ |
| ٢ | فالزّجرات زجراً ........................... | ٤١ |
| ٣ | فالتاليات ذكراً ............................ | ٤١ |
| ٤ | إن إلٰهكم لواحد ........................... | ٤٢ |
| ٥ | ربّ السموات والأرض وما بينهما .. | ٤٢ |
| ٦ | إنا يزنا السماء الدنيا ..................... | ٤٣ |
| ٧ | وحفظاً من كلّ شيطان مارد ........... | ٤٣ |
| ٨ | لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ......... | ٤٣ |
| ٩ | دحوراً ولهم عذاب واصب ............ | ٤٣ |
| ١٠ | إلاّ من خطف الخطفة .................. | ٤٣ |
| ١١ | فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً ................ | ٥٠ |
| ١٢ | بل عجبت ويسخرون ..................... | ٥٠ |
| ١٣ | وإذا ذكروا لا يذكرون .................. | ٥٣ |
| ١٤ | وإذا رأوا آية يستسخرون ............... | ٥٣ |
| ١٥ | وقالوا إن هذا إلاّ سحر مبين .......... | ٥٤ |
| ١٦ | أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً .............. | ٥٤ |
| ١٧ | أو آباؤنا الأولون ........................... | ٥٤ |
| ١٨ | قل نعم وأنتم داخرون .................... | ٥٤ |
| ١٩ | فإنما هي زجرة واحدة .................... | ٥٤ |
| ٢٠ | وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين .......... | ٥٥ |
| ٢١ | هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذّبون ........................... | ٥٥ |
| ٢٢ | احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ...... | ٥٦ |
| ٢٣ | من دون الله ................................ | ٥٦ |
| ٢٤ | وقفوهم إنهم مسؤولون ................ | ٥٧ |
| ٢٥ | ما لكم لا تناصرون ...................... | ٥٧ |
| ٢٦ | بل هم اليوم مستسلمون ............... | ٥٧ |
| ٢٧ | وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . | ٥٧ |
| ٢٨ | قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ... | ٥٩ |
| ٢٩ | قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ............ | ٥٩ |
| ٣٠ | وما كان لنا عليكم من سلطان ....... | ٥٩ |
| ٣١ | فحقّ علينا قول ربنا ........................ | ٦٠ |
| ٣٢ | فأغويناكم إنا كنا غاوين .................. | ٦٠ |
| ٣٣ | فإنهم يومئذٍ في العذاب مشتركون ... | ٦٠ |
| ٣٤ | إنا كذلك تفعل بالمجرمين ........... | ٦٠ |
| ٣٥ | إنهم كانوا إذا قيل لهم .................. | ٦١ |
| ٣٦ | ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا ............. | ٦١ |
| ٣٧ | بل جاء بالحق وصدق المرسلين .... | ٦١ |
| ٣٨ | إنكم لذائقوا العذاب الأليم ............ | ٦٢ |
| ٣٩ | وما تجزون إلاّ ما كنتم تعملون ...... | ٦٢ |
| ٤٠ | إلاّ عباد الله المخلصين ................. | ٦٢ |
| ٤١ | أولئك لهم رزق معلوم .................. | ٦٢ |
| ٤٢ | فواكه وهم مكرمون ..................... | ٦٣ |
| ٤٣ | في جنات النعيم ........................... | ٦٣ |
| ٤٤ | على سرر متقابلين ........................ | ٦٣ |
| ٤٥ | يطاف عليهم بكأس من معين ........ | ٦٣ |
| ٤٦ | بيضاء لذّة للشاربين ...................... | ٦٣ |
| ٤٧ | لا فيها غوزل ولا هم عنها يُنزَفون .. | ٦٣ |
| ٤٨ | وعندهم قاصرات الطرف عين ...... | ٦٧ |
| ٤٩ | كأنهنّ بيض مكنون ....................... | ٦٧ |
| ٥٠ | فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .. | ٦٧ |
| ٥١ | قال قائل منهم إني كان لي قرين ..... | ٧٠ |
| ٥٢ | يقول أئنك لمن المصدقين ............ | ٧٠ |
| ٥٣ | أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ............. | ٧٠ |
| ٥٤ | قال هل أنتم مطلعون .................... | ٧٢ |
| ٥٥ | فاطلع فرآه في سواء الجحيم ........ | ٧٢ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ٥٦ | قال تالله إن كدت لتردين ................ | ٧٢ |
| ٥٧ | ولولا نعمة ربي لكنمت من المحضرين ........................ | ٧٢ |
| ٥٨ | أفما نحن يميتين ........................ | ٧٥ |
| ٥٩ | إلاّ موتتنا الأولى ........................ | ٧٥ |
| ٦٠ | إنّ هذا لهو الفوز العظيم ............. | ٧٥ |
| ٦١ | لمثل هذا فليعمل العاملون ........... | ٧٥ |
| ٦٢ | أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم ..... | ٧٥ |
| ٦٣ | إنا جعلناها فتنة للظالمين .............. | ٧٥ |
| ٦٤ | إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم . | ٧٥ |
| ٦٥ | طلعها كأنه رءوس الشياطين .......... | ٧٥ |
| ٦٦ | فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ........................ | ٧٥ |
| ٦٧ | ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم .... | ٧٧ |
| ٦٨ | ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ........ | ٧٧ |
| ٦٩ | إنهم ألفوا آباءهم ضآلين .............. | ٧٧ |
| ٧٠ | فهم على آثارهم يهرعون ............ | ٧٧ |
| ٧١ | ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأوّلين ........ | ٧٩ |
| ٧٢ | ولقد أرسلنا فيهم منذِرين ............. | ٧٩ |
| ٧٣ | فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين ..... | ٧٩ |
| ٧٤ | إلاّ عباد الله المخلصين ............... | ٧٩ |
| ٧٥ | ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ..... | ٨٠ |
| ٧٦ | ونجيناه وأهله من الكرب العظيم .... | ٨٠ |
| ٧٧ | وجعلنا ذريته هم الباقين ............... | ٨٠ |
| ٧٨ | وتركنا عليه في الآخرين ............... | ٨١ |
| ٧٩ | سلاح على نوح في العالمين ........ | ٨١ |
| ٨٠ | إنا كذلك نجزي المحسنين ........... | ٨١ |
| ٨١ | إنه من عبادنا المؤمنين ................ | ٨١ |
| ٨٢ | ثم أغرقنا الآخرين ...................... | ٨١ |
| ٨٣ | وإنّ من شيعته لإبراهيم ................ | ٨٢ |
| ٨٤ | إذ جاء ربه بقلب سليم ................. | ٨٢ |
| ٨٥ | إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون؟ ..... | ٨٢ |
| ٨٦ | أئفكا آلهة دون الله تريدون؟ .......... | ٨٢ |
| ٨٧ | فما ظنكم بربّ العالمين .............. | ٨٣ |
| ٨٨ | فنظر نظرة في النجوم ................. | ٨٣ |
| ٨٩ | فقال إني سقيم ......................... | ٨٣ |
| ٩٠ | فتولوا عنه مدبرين ..................... | ٨٣ |
| ٩١ | فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون؟ ... | ٨٣ |
| ٩٢ | مالكم لا تنطقون ...................... | ٨٣ |
| ٩٣ | فراغ عليهم ضرباً باليمين .............. | ٨٦ |
| ٩٤ | فأقبلوا إليه يزفون ...................... | ٨٦ |
| ٩٦٥ | قال أتعبدون ما تنحتون ............... | ٨٦ |
| ٩٦ | والله خلقكم وما تعملون .............. | ٨٦ |
| ٩٧ | قالوا ابنوا له بنياناً ...................... | ٨٩ |
| ٩٨ | فأرادوا به ميداً فجعلناهم الأسفلين .. | ٨٩ |
| ٩٩ | وقال إني ذاهب إلى ربي ............... | ٨٩ |
| ١٠٠ | ربّ هب لي نم الصالحين .............. | ٨٩ |
| ١٠١ | فبشرناه بغلام حليم ..................... | ٩١ |
| ١٠٢ | فلما بلغ معه السعي ..................... | ٩١ |
| ١٠٣ | فلما أسلما وتله للجبين ................ | ٩٤ |
| ١٠٤ | وناديناه أن يا إبراهيم .................. | ٩٤ |
| ١٠٥ | قد صدّقت الرؤيا ........................ | ٩٤ |
| ١٠٦ | إن هذا لهو البلاء المبين ............... | ٩٤ |
| ١٠٧ | وفديناه بذبح عظيم ..................... | ٩٦ |
| ١٠٨ | وتركنا عليه في الآخرين ............... | ٩٦ |
| ١٠٩ | سلام على إبراهيم ...................... | ٩٦ |
| ١١٠ | كذلك نجزى المحسنين ................ | ٩٦ |
| ١١١ | إنه من عبادنا المؤمنين ................ | ٩٦ |
| ١١٢ | وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين . | ١٠٥ |
| ١١٣ | وباركنا عليه وعلى إسحاق ........... | ١٠٥ |
| ١١٤ | ولقد مننا على موسى هارون ........ | ١٠٦ |
| ١١٥ | ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ......................................... | ١٠٦ |
| ١١٦ | ونصرناهم فكانوا هم الغالبين ........ | ١٠٦ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ١١٧ | وآتيناهما الكتاب المستبين | ١٠٧ |
| ١١٨ | وهديناهما الصراط المستقيم | ١٠٧ |
| ١١٩ | وتركنا عليهما في الآخرين | ١٠٧ |
| ١٢٠ | سم على موسى وهارون | ١٠٧ |
| ١٢١ | إنَّا كذلك نجزي المحسنين | ١٠٧ |
| ١٢٢ | إنهما من عبادنا المؤمنين | ١٠٧ |
| ١٢٣ | وإن إلياس لمن المرسلين | ١٠٨ |
| ١٢٤ | إذ قال لقومه ألا تتقون | ١٠٨ |
| ١٢٥ | أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين | ١٠٨ |
| ١٢٦ | الله ربكم وربّ آبائكم الأوّلين | ١٠٨ |
| ١٢٧ | فكذّبوه فإنهم لمحضرون | ١٠٨ |
| ١٢٨ | إلاّ عباد الله المخلصين | ١٠٨ |
| ١٢٩ | وتركنا عليه في الآخرين | ١٠٨ |
| ١٣٠ | سلام على إلياسين | ١٠٩ |
| ١٣١ | إنا كذلك نجزي المحسنين | ١٠٩ |
| ١٣٢ | إنه من عبادنا المؤمنين | ١٠٩ |
| ١٣٣ | وإن لوطاً لمن المرسلين | ١١٥ |
| ١٣٤ | إذ نجيناه وأهله أجمعين | ١١٥ |
| ١٣٥ | إلاّ عجوزاً في الغابرين | ١١٥ |
| ١٣٦ | ثم دمرنا الآخرين | ١١٥ |
| ١٣٧ | وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين | ١١٦ |
| ١٣٨ | وبالليل أفلا تعقلون | ١١٦ |
| ١٣٩ | وإن يونس لمن المرسلين | ١١٦ |
| ١٤٠ | إذ أبق إلى الفلك المشحون | ١١٦ |
| ١٤١ | فساهم فكان من المدحضين | ١١٦ |
| ١٤٢ | فالتقمه الحوت وهو مليم | ١١٦ |
| ١٤٣ | فلولا أنه كان من المسبحين | ١١٨ |
| ١٤٤ | للبث في بطنه إلى يوم يبعثون | ١١٨ |
| ١٤٥ | فنبذناه بالعراء وهو سقيم | ١١٨ |
| ١٤٦ | وأنبتنا عليه شجرة من يقطين | ١١٨ |
| ١٤٧ | وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون | ١٢٣ |
| ١٤٨ | فآمنوا فمتعناهم إلى حين | ١٢٣ |
| ١٤٩ | فاستفتهم ألربك البنات | ١٢٤ |
| ١٥٠ | أم خلقنا الملائكة إناثاً | ١٢٦ |
| ١٥١ | ألا إنهم من إفكهم ليقولون | ١٢٦ |
| ١٥٢ | ولد الله وإنهم لكاذبون | ١٢٦ |
| ١٥٣ | اسطفى البنات على البنين | ١٢٦ |
| ١٥٤ | مالكم كيف تحكمون | ١٢٦ |
| ١٥٥ | أفلا تذكرون | ١٢٦ |
| ١٥٦ | أم لكم سلطان مبين | ١٢٦ |
| ١٥٧ | فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين | ١٢٦ |
| ١٥٨ | وجعلوا بينه وبينم الجنة نسباً | ١٢٧ |
| ١٥٩ | سبحان الله عما يصفون | ١٢٧ |
| ١٦٠ | إلاّ عباد الله المخلصين | ١٢٧ |
| ١٦١ | فإنكم وما تعبدون | ١٢٨ |
| ١٦٢ | ما أنتم عليه بفاتنين | ١٢٨ |
| ١٦٣ | إلاّ من هو صال الجحيم | ١٢٨ |
| ١٦٤ | وما منا إلاّ له مقام معلوم | ١٢٨ |
| ١٦٥ | وإنا لنحن الصافون | ١٣٢ |
| ١٦٦ | وإنا لنحن المسبحون | ١٣٢ |
| ١٦٧ | وإن كانوا ليقولون | ١٣٢ |
| ١٦٨ | ل أن عندنا ذكراً من الأوّلين | ١٣٢ |
| ١٦٩ | لكنا عباد الله المخلصين | ١٣٢ |
| ١٧٠ | فكفروا به فسوف يعلمون | ١٣٤ |
| ١٧١ | ولقد سبقت كلمتنا | ١٣٤ |
| ١٧٢ | إنهم لهم المنصورون | ١٣٤ |
| ١٧٣ | وإن جندنا لهم الغالبون | ١٣٤ |
| ١٧٤ | فتولّ عنهم حتى حين | ١٣٥ |
| ١٧٥ | وأبصر فسوف يبصرون | ١٣٥ |
| ١٧٦ | أفبعذابنا يستعجلون؟ | ١٣٥ |
| ١٧٧ | فإذا نزل بساحتهم | ١٣٥ |
| ١٧٨ | وتولّ عنهم حتى حين | ١٣٧ |
| ١٧٩ | وأبصر فسوف يبصرون | ١٣٧ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ١٨٠ | سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون . | ١٣٧ |
| ١٨١ | وسلام على المرسلين ................ | ١٣٧ |
| ١٨٢ | والحمد لله ربّ العالمين ............ | ١٣٧ |


## تفسير سورة صٓ


| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | صٓ والقرآن ذي الذكر .................. | ١٣٨ |
| ٢ | بل الذين كفروا في عزّة وشقاق ...... | ١٣٨ |
| ٣ | كم أهلكنا من قبلهم من قرن ......... | ١٤١ |
| ٤ | وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ........ | ١٤٦ |
| ٥ | أجعل الآلهة إلٓهاً واحداً ............... | ١٤٧ |
| ٦ | وانطلق الملأ منهم أن امشوا .......... | ١٤٨ |
| ٧ | ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ...... | ١٤٨ |
| ٨ | أأنزل عليه الذكر من بيننا .............. | ١٥١ |
| ٩ | أم عندهم خزائن رحمة ربك .......... | ١٥١ |
| ١٠ | أم لهم ملك السموات والأرض ...... | ١٥٢ |
| ١١ | جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب .. | ١٥٢ |
| ١٢ | كذبت قبلهم قوم نوح وعاد .......... | ١٥٣ |
| ١٣ | وثمود وقوم لوط ......................... | ١٥٣ |
| ١٤ | إن كلّ إلاّ كذب الرسل ................ | ١٥٣ |
| ١٥ | وما ينظر هؤلاء إلاّ صيحة ............ | ١٥٥ |
| ١٦ | وقالوا ربنا عجل لنا قطنا ............. | ١٥٥ |
| ١٧ | اصبر على ما يقولون .................. | ١٦٠ |
| ١٨ | إنا سخرنا الجبال معه ................. | ١٦٠ |
| ١٩ | والطير محشورة كلّ له أوّاب .......... | ١٦٠ |
| ٢٠ | وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة .......... | ١٦٠ |
| ٢١ | وهل أتاك نبأ الخصم .................. | ١٦٥ |
| ٢٢ | إذ غدخلوا على داود ففزع منهم ..... | ١٦٦ |
| ٢٣ | إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة . | ١٦٩ |
| ٢٤ | قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك ....... | ١٧٠ |
| ٢٥ | فغفرنا له ذلك ........................... | ١٧٧ |
| ٢٦ | يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض | ١٧٨ |
| ٢٧ | وما خلقنا السماء والأرض ........... | ١٧٩ |
| ٢٨ | أم نجعل الذين آمنوا .................... | ١٧٩ |
| ٢٩ | كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته | ١٧٩ |
| ٣٠ | ووهبنا لداود سليمان نعم العبد ...... | ١٨٠ |
| ٣١ | إذ عرض عليك بالعشي الصافنات .. | ١٨٠ |
| ٣٢ | فقال إني أحببت حبّ الخير .......... | ١٨٠ |
| ٣٣ | ردّوها عليّ فطفق مسحاً ............... | ١٨٠ |
| ٣٤ | ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه | ١٨٤ |
| ٣٥ | قال ربّ اغفر لي وهب لي ملكاً .... | ١٨٤ |
| ٣٦ | فسخرنا له الريح تجري بأمره ........ | ١٨٧ |
| ٣٧ | والشياطين كلّ بناء وغوّاص .......... | ١٨٧ |
| ٣٨ | وآخرين مقرنين في الأصفاد .......... | ١٨٨ |
| ٣٩ | هذا عطاؤنا فامنن ........................ | ١٨٨ |
| ٤٠ | وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب .... | ١٨٨ |
| ٤١ | واذكر عبدنا أيوب ..................... | ١٩٣ |
| ٤٢ | اركض برجلك هذا مغتسل بارد ..... | ١٩٣ |
| ٤٣ | ووهبنا له أهله ومثلهم معهم .......... | ١٩٦ |
| ٤٤ | وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ......... | ١٩٦ |
| ٤٥ | واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ........ | ١٩٨ |
| ٤٦ | إنا أخصلناهم بخالصة ذكرى الدار .. | ١٩٩ |
| ٤٧ | وأنهم عندنا لمن تالمصطفين الأخيار | ١٩٩ |
| ٤٨ | واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل .. | ٢٠٢ |
| ٤٩ | هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب ... | ٢٠٢ |
| ٥٠ | حنات عدن مفتحة لهم الأبواب ..... | ٢٠٣ |
| ٥١ | متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة ....... | ٢٠٣ |
| ٥٢ | وعندهم قاصرات الطرف أتراب ..... | ٢٠٤ |
| ٥٣ | هذا ما توعدون ليوم الحساب ....... | ٢٠٤ |
| ٥٤ | إن هذا لرزقنا ماله من نفاد .......... | ٢٠٤ |
| ٥٥ | هذا وإن للطاغين لشرّ مآب .......... | ٢٠٦ |
| ٥٦ | جهنم يصلونها فبئس المهاد .......... | ٢٠٦ |
| ٥٧ | هذا فليذوقوه حميم وغساق .......... | ٢٠٦ |
| ٥٨ | وآخر من سكله أزواج ................ | ٢٠٦ |
| ٥٩ | هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم | ٢٠٦ |
| ٦٠ | قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم .......... | ٢٠٦ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ٦١ | قالوا ربنا من قدّم لنا هذا .............. | ٢١١ |
| ٦٢ | وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً .......... | ٢١٢ |
| ٦٣ | أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار ........................ | ٢١٢ |
| ٦٤ | إن ذلك لحقّ تخاصم أهل النار ..... | ٢١٢ |
| ٦٥ | قل إنما أنا منذر ........................ | ٢١٤ |
| ٦٦ | ربّ السموات والأرض وما بينهما .. | ٢١٤ |
| ٦٧ | قل هو نبأ عظيم ........................ | ٢١٤ |
| ٦٨ | أنت عنه معرضون ..................... | ٢١٤ |
| ٦٩ | ما كان لي من علم بالملأ الأعلى .... | ٢١٤ |
| ٧٠ | إن يوحي إليّ إلاّ أنما أنا نذير مبين .. | ٢١٤ |
| ٧١ | إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً | ٢١٦ |
| ٧٢ | فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي ... | ٢١٦ |
| ٧٣ | فسجد الملائكة كلهم أجمعون ...... | ٢١٦ |
| ٧٤ | إلاّ إبليس استكبر وكان من الكافرين | ٢١٦ |
| ٧٥ | قال يا إبليس ما منعك أن تسجد .... | ٢١٧ |
| ٧٦ | قال أنا خير منه خلقتني من نار ...... | ٢١٧ |
| ٧٧ | قال فاخرج منها فإنك رجيم .......... | ٢١٨ |
| ٧٨ | وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ..... | ٢١٨ |
| ٧٩ | قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون .... | ٢١٨ |
| ٨٠ | قال فإنك من المنظرين ................ | ٢١٨ |
| ٨١ | إلى يوم الوقت المعلوم ................ | ٢١٨ |
| ٨٢ | قال فبعزّتك لأغوينهم أجمعين ...... | ٢١٨ |
| ٨٣ | إلاّ عبادك منهم المخلصين ........... | ٢١٨ |
| ٨٤ | قال فالحقّ والحقّ أقول ................ | ٢١٨ |
| ٨٥ | لأملأنّ جهنم منك ...................... | ٢١٨ |
| ٨٦ | قل ما أسألكم عليه من أجر .......... | ٢١٩ |
| ٨٧ | إن هو إلاّ ذكر للعالمين ............... | ٢٢٠ |
| ٨٨ | ولتعلمنّ نبأه بعد حين ................ | ٢٢٠ |


## تفسير سورة الزُّمَر


| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . | ٢٢٢ |
| ٢ | إنا أنزلنا إليك الكتاب ................. | ٢٢٢ |
| ٣ | ألا لله الدين الخالص .................. | ٢٢٤ |
| ٤ | لو أآاد الله أن يتخذ ولداً ............. | ٢٢٤ |
| ٥ | خلق السموات والأرض بالحقّ ...... | ٢٢٥ |
| ٦ | خلقكم من نفس واحدة .............. | ٢٢٦ |
| ٧ | إن تكفروا فإن الله غنيّ عنكم ........ | ٢٣٠ |
| ٨ | وإذا مسّ الإنسان ضرّ دعا ربه ....... | ٢٣٢ |
| ٩ | أمن هو قانت آناء الليل ............... | ٢٣٤ |
| ١٠ | قل يا عباد الذين آمنوا ................ | ٢٣٧ |
| ١١ | قل أني أمرت أن أعبد الله ............ | ٢٣٨ |
| ١٢ | وأمرت أن أكون أوّل المسلمين ...... | ٢٣٨ |
| ١٣ | قل إني أخاف إن عصيت ربي ....... | ٢٣٨ |
| ١٤ | قل الله أعبد مخلصاً له ديني ......... | ٢٣٩ |
| ١٥ | فاعبدوا ما شئتم من دونه ........... | ٢٣٩ |
| ١٦ | لهم من فوقهم ظلل من النار ......... | ٢٤٠ |
| ١٧ | والذين اجتنبوا الطاغوت .............. | ٢٤٠ |
| ١٨ | لهم الذين يستمعون القول ............ | ٢٤٠ |
| ١٩ | أفمن حقّ عليه كلمة العذاب ......... | ٢٤٢ |
| ٢٠ | لكن الذين اتقوا ربهم ................. | ٢٤٢ |
| ٢١ | ألم تر أن الله أنزل من السماء ....... | ٢٤٣ |
| ٢٢ | أفمن شرح الله صدره للإسلام ...... | ٢٤٣ |
| ٢٣ | الله نزّل أحسن الحديث كتاباً ......... | ٢٤٤ |
| ٢٤ | أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب ...... | ٢٤٦ |
| ٢٥ | كذب الذين من قبلهم ................. | ٢٤٦ |
| ٢٦ | فأذاقهم الله الخزى في الحياة الدنيا . | ٢٤٧ |
| ٢٧ | ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن ... | ٢٤٧ |
| ٢٨ | قرآناً عربياً غير ذي عوج .............. | ٢٤٧ |
| ٢٩ | ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء ..... | ٢٤٨ |

جامع البيان
عن تأويل آي القرآن

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

# تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

**الجزء الرابع والعشرون**

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت ـ لبنان ـ شارع دكاش ـ هاتف: ٢٧٢٦٥٢ ـ ٢٧٢٦٥٥ ـ ٢٧٢٧٨٢ ـ ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ ـ ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

# ٣٩ سورة الزمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنك يا محمد ميت عن قليل، وإن هؤلاء المكذّبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون ﴿ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ يقول: ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم، ويفصل بين جميعكم بالحقّ.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: عنى به اختصام المؤمنين والكافرين، واختصام المظلوم والظالم. ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ يقول: يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهتدي الضالّ، والضعيف المستكبر.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال: أهل الإسلام وأهل الكفر.

**حدثني** ابن البرقي، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا ابن الدراوردي، قال: ثني محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أينكر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ فقال النبي ﷺ: «نَعَمْ حتى يُؤدَّى إلى كُلِّ ذي حَقٍّ حَقُّهُ».

وقال آخرون: بل عُني بذلك اختصام أهل الإسلام. ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، عن ابن عمر، قال: نزلت علينا هذه الآية وما ندري ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة، فقلنا: هذا الذي وعدنا ربُّنا أن نختصم فيه ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا ابن عون، عن إبراهيم، قال: لما نزلت: ﴿إِنكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ...﴾ الآية، قالوا: ما خصومتنا بيننا ونحن إخوان، قال: فلما قُتل عثمان بن عفان، قالوا: هذه خصومتنا بيننا.

**حُدثت** عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال: هم أهل القبلة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: عُني بذلك: إنك يا محمد ستموت، وإنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومحقوكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يؤخذ لكلٍّ منكم ممن لصاحبه قبله حق حقُّه.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأن الله عمّ بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ خطاب جميع عباده، فلم يخصص بذلك منهم بعضاً دون بعض، فذلك على عمومه على ما عمه الله به وقد تنزل الآية في معنى، ثم يكون داخلاً في حكمها كلّ ما كان في معنى ما نزلت به.

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وكَذَّبَ بالصّدْقِ إِذْ جاءَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن من خلق الله أعظم فرية ممن كذب على الله، فادّعى أن له ولداً وصاحبه، أو أنه حرَّم ما لم يحرمه من المطاعم ﴿وكَذَّبَ بالصّدْقِ إِذْ جاءَهُ﴾ يقول: وكذّب بكتاب الله إذ أنزله على محمد، وابتعثه الله به رسولاً، وأنكر قول لا إله إلا الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وكَذَّبَ بالصّدْق إذ جاءَهُ﴾: أي بالقرآن وقوله: ﴿أَلَيسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً للْكافِرِينَ﴾ يقول تبارك وتعالى: أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله، وامتنع من تصديق محمد ﷺ، واتباعه على ما يدعوه إليه مما أتاه به من عند الله من التوحيد، وحكم القرآن؟

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾

اختلف أهل التأويل في الذي جاء بالصدق وصدّق به، وما ذلك، فقال بعضهم: الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ. قالوا: والصدق الذي جاء به: لا إله إلا الله، والذي صدّق به أيضاً، هو رسول الله ﷺ. ذكر من قال ذلك:

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَالَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ﴾** يقول: من جاء بلا إله إلا الله **﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾** يعني: رسوله.

وقال آخرون: الذي جاء بالصدق: رسول الله ﷺ، والذي صدّق به: أبو بكر رضي الله عنه. ذكر من قال ذلك:

**حدثني** أحمد بن منصور، قال: ثنا أحمد بن مصعد المروزي، قال: ثنا عمر بن إبراهيم بن خالد، عن عبد الملك بن عمير، عن أسيد بن صفوان، عن عليّ رضي الله عنه، في قوله: **﴿وَالَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ﴾** قال: محمد ﷺ، وصدّق به، قال: أبو بكر رضي الله عنه.

وقال آخرون: الذي جاء بالصدق: رسول الله ﷺ، والصدق: القرآن، والمصدقون به: المؤمنون.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَالَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ﴾** قال: هذا رسول الله ﷺ جاء بالقرآن، وصدّق به المؤمنون.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَالَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ﴾** رسول الله ﷺ، وصدّق به المسلمون.

وقال آخرون: الذي جاء بالصدق جبريل، والصدق: القرآن الذي جاء به من عند الله، وصدّق به رسول الله ﷺ.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿وَالَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾** محمد ﷺ.

وقال آخرون: الذي جاء بالصدق: المؤمنون، والصدق: القرآن، وهم المصدّقون به.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد قوله: **﴿وَالَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾** قال: الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة، فيقولون: هذا الذي أعطيتمونا فاتبعنا ما فيه.

**قال:** ثنا حكام، عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد ﴿**وَالَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ**﴾ قال: هم أهل القرآن يجيئون به يوم القيامة يقولون: هذا الذي أعطيتمونا، فاتبعنا ما فيه.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره عنى بقوله: ﴿**وَالَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ**﴾ كلّ من دعا إلى توحيد الله، وتصديق رسله، والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ من بين رسل الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن، وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدّق به: المؤمنون بالقرآن، من جميع خلق الله كائناً من كان من نبيّ الله وأتباعه.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن قوله تعالى ذكره: ﴿**وَالَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ**﴾ عُقيب قوله: ﴿**فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ على اللَّهِ، وَكَذَّبَ بالصِّدْقِ إذْ جاءَهُ**﴾ وذلك ذمّ من الله للمفترين عليه، المكذّبين بتنزيله ووحيه، الجاحدين وحدانيته، فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين، وهم الذين دعوهم إلى توحيد الله، ووصفه بالصفة التي هو بها، وتصديقهم بتنزيل الله ووحيه، والذين هم كانوا يوم نزلت هذه الآية، رسول الله ﷺ وأصحابه ومن بعدهم، القائمون في كل عصر وزمان بالدعاء إلى توحيد الله، وحكم كتابه، لأن الله تعالى ذكره لم يخصّ وصفه بهذه الصفة التي في هذه الآية على أشخاص بأعيانهم، ولا على أهل زمان دون غيرهم، وإنما وصفهم بصفة، ثم مدحهم بها، وهي المجيء بالصدق والتصديق به، فكل من كان كذلك وصفه فهو داخل في جملة هذه الآية إذا كان من بني آدم.

ومن الدليل على صحة ما قلنا أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود: «والَّذِينَ جاءُوا بالصِّدْقِ وصدَّقُوا بِهِ» فقد بين ذلك من قراءته أن الذي من قوله ﴿**وَالَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ**﴾ لم يعن بها واحد بعينه، وأنه مراد بها جِمَاعُ ذلك صفتهم، ولكنها أخرجت بلفظ الواحد، إذ لم تكن مؤقتة. وقد زعم بعض أهل العربية من البصريين، أن «الذي» في هذا الموضع جُعل في معنى جماعة بمنزلة «مَن». ومما يؤيد ما قلنا أيضاً قوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ**﴾ فجُعل الخبر عن «الذي» جماعاً، لأنها في معنى جماع. وأما الذين قالوا: عني بقوله: ﴿**وَصَدَّقَ بِهِ**﴾: غير الذي جاء بالصدق، فقول بعيد من المفهوم، لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان التنزيل: والذي جاء بالصدق، والذي صدق به أولئك هم المتقون فكانت تكون «الذي» مكرّرة مع التصديق، ليكون المصدق غير المصدق فأما إذا لم يكرّر، فإن المفهوم من الكلام، أن التصديق من صفة الذي جاء بالصدق، لا وجه للكلام غير ذلك. وإذا كان ذلك كذلك، وكانت «الذي» في معنى الجماع بما قد بيّنا، كان الصواب من القول في تأويله ما بيّنا.

وقوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الأوثان والأنداد، وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، فخافوا عقابه، كما:

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ يقول: اتقوا الشرك.

وقوله: ﴿**لَهُمْ ما يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: لهم عند ربهم يوم القيامة، ما تشتهيه أنفسهم، وتلذه أعينهم ﴿**ذلكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي لهم عند ربهم، جزاء من أحسن في الدنيا فأطاع الله فيها، وأتمر لأمره، وانتهى عما نهاه فيها عنه.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٣٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: وجزى هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم، كي يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال، فيما بينهم وبين ربهم، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة مما اجترحوا من السيئات فيها ﴿**وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ**﴾ يقول: ويثيبهم ثوابهم ﴿**بِأَحْسَنِ الَّذِي كانُوا**﴾ في الدنيا ﴿**يَعْمَلُونَ**﴾ مما يرضى الله عنهم دون أسوئها، كما:

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿**وَالَّذِي جاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾: أي[1] ولهم ذنوب، أي ربّ نعم ﴿**لَهُمْ**﴾ فيها ﴿**ما يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلك جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ويَجزيَهُم أجْرَهُمْ بأَحْسَنِ الَّذي كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾، وقرأ: ﴿**إنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾... إلى أن بلغ ﴿**وَمَغْفِرَةٌ**﴾ لئلا ييأس من لهم الذنوب أن لا يكونوا منهم ﴿**وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾، وقرأ: ﴿**إنَّ الْمُسْلمينَ والمُسْلِمات...**﴾ إلى آخر الآية.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ (٣٧)﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بكافٍ عَبْدَهُ**﴾ فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قرّاء

---

(١) في الأصل: ألهم ذنوب، وهو استفهام لا معنى له في هذا المقام، وقد أصلحناه على هذا النحو، ليتفق مع ما تضمنه الحديث.

أهل الكوفة: «أَلَيْسَ اللَّهُ بكافٍ عِبادَهُ» على الجماع، بمعنى: أليس الله بكاف محمداً وأنبياءه من قبله ما خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض قرّاء الكوفة: ﴿بكافٍ عَبْدَهُ﴾ على التوحيد، بمعنى: أليس الله بكاف عبده محمداً.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأةِ الأمصار. فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب لصحة مَعْنَيَيْهما واستفاضة القراءة بهما في قَرَأةِ الأمصار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدّيّ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بكافٍ عِبدَهُ﴾ يقول: محمد ﷺ.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكافٍ عَبدَهُ﴾ قال: بلى، والله ليكفينه الله ويعزّه وينصره كما وعده.

وقوله: ﴿ويُخَوّفُونَكَ بالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ويخوّفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء، ببراءتك منها، وعيبك لها، والله كافيك ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ويُخَوّفُونَكَ بالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ الآلهة، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى شعب بسُقام ليكسر العزّى، فقال سادِنُها، وهو قيّمها: يا خالد أنا أحذّركها، إن لها شدّة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشّم أنفها.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿ويُخَوفُونَكَ بالَّذِينَ مِنَ دُونِهِ﴾ يقول: بآلهتهم التي كانوا يعبدون.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ويُخَوّفُونَكَ بالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ قال: يخوّفونك بآلهتهم التي من دونه.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هادٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يخذله الله فيضلّه عن طريق الحق وسبيل الرشد، فما له سواه من مرشد ومسدّد إلى طريق الحقّ، وموفّق للإيمان بالله، وتصديق رسوله، والعمل بطاعته ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلّ﴾ يقول: ومن يوّفّقه الله للإيمان به، والعمل بكتابه، فما له من مضلّ، يقول: فما له من مزيغ يزيغه عن الحقّ الذي هو عليه إلى

الارتداد إلى الكفر ﴿أَلَيسَ اللَّهُ بعَزِيزٍ ذِي انْتِقام﴾ يقول جل ثناؤه: أليس الله يا محمد بعزيز في انتقامه من كفرة خلقه، ذي انتقام من أعدائه الجاحدين وحدانيته.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الأوثان والأصنام: مَنْ خلق السموات والأرض؟ ليقولنّ: الذي خلقهنّ الله فإذا قالوا ذلك، فقل: أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة ﴿إنْ أرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍ﴾ يقول: بشدة في معيشتي، هل هنَّ كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟ ﴿أوْ أرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ يقول: إن أرادني ربي أن يصيبني سعة في معيشتي، وكثرة مالي، ورخاء وعافية في بدني، هل هن ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه. والمعنى: فإنهم سيقولون لا، فقل: حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كلّ شيء سواه، فإنه الكافي، وبيده الضرّ والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ﴿عَلَيْه يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ﴾ يقول: على الله يتوكل من هو متوكل، وبه فليثق لا بغيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَئِنْ سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ حتى بلغ ﴿كاشِفاتُ ضُرِّهِ﴾ يعني: الأصنام ﴿أوْ أرَادَنِي برَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ﴾.

واختلفت القراء في قراءة ﴿كاشِفاتُ ضُرِّهِ﴾ و ﴿مُمْسِكاتُ رَحْمَتِه﴾، فقرأه بعضهم بالإضافة وخفض الضر والرحمة، وقرأه بعض قراء المدينة وعامة قرّاء البصرة بالتنوين، ونصب الضر والرحمة.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما قراءتان مشهورتان، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وهو نظير قوله: ﴿كَيْد الكافِرِينَ﴾ في حال الإضافة والتنوين.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك، الذي اتخذوا الأوثان والأصنام آلهة يعبدونها من دون الله اعملوا أيها القوم على تمكنكم من العمل الذي تعملون ومنازلكم، كما:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿عَلى مَكانَتِكُمْ﴾** قال: على ناحيتكم **﴿إنّي عامِلٌ﴾** كذلك على تؤدة على عمل من سلف من أنبياء الله قبلي **﴿فَسَوْفَ تَعْلَمونَ﴾** إذا جاءكم بأس الله، من المحقّ منا من المبطل، والرشيد من الغويّ.

وقوله: **﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ﴾** يقول تعالى ذكره: من يأتيه عذاب يخزيه، ما أتاه من ذلك العذاب، يعني: يذلّه ويهينه **﴿وَيحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾** يقول: وينزل عليه عذاب دائم لا يفارقه.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبياناً للناس بالحقّ **﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾** يقول: فمن عمل بما في الكتاب الذي أنزلناه إليك واتبعه فلنفسه، يقول: فإنما عمل بذلك لنفسه، وإياها بغى الخير لا غيرها، لأنه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة، والنجاة من النار. **﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾** يقول: ومن جار عن الكتاب الذي أنزلناه إليك، والبيان الذي بيّناه لك، فضل عن قصد المحجة، وزال عن سواء السبيل، فإنما يجور على نفسه، وإليها يسوق العطب والهلاك، لأنه يكسبها سخط الله، وأليم عقابه، والخزي الدائم. **﴿وَما أنْتَ عَلَيهِمْ بوَكِيل﴾** يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد على من أرسلتك إليه من الناس برقيب ترقب أعمالهم، وتحفظ عليهم أفعالهم، إنما أنت رسول، وإنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَما أنْتَ عَلَيهِمْ بوَكِيلٍ﴾** أي بحفيظ.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**﴾ قال: بحفيظ.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن الدلالة على أن الألوهة لله الواحد القهار خالصة دون كلّ ما سواه، أنه يميت ويحيي، ويفعل ما يشاء، ولا يقدر على ذلك شيء سواه فجعل ذلك خبراً نبههم به على عظيم قُدرته، فقال: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها**﴾ فيقبضها عند فناء أجلها، وانقضاء مدة حياتها، ويتوفى أيضاً التي لم تمت في منامها، كما التي ماتت عند مماتها ﴿**فَيُمْسِكُ التي قَضَى عَلَيْها المَوْتَ**﴾. ذُكر أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فيتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده وحبسها، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى أجل مسمى وذلك إلى انقضاء مدة حياتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جُبير، في قوله: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها...**﴾ الآية. قال: يجمع بين أرواح الأحياء، وأرواح الأموات، فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويُرسل الأخرى إلى أجسادها.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها**﴾ قال: تقبض الأرواح عند نيام النائم، فتقبض روحه في منامه، فتلقى الأرواح بعضها بعضاً: أرواح الموتى وأرواح النيام، فتلتقي فتساءل، قال: فيخلّي عن أرواح الأحياء، فترجع إلى أجسادها، وتريد الأخرى أن ترجع، فيحبس التي قضى عليها الموت، ويرسِلُ الأخرى إلى أجل مسمى، قال: إلى بقية آجالها.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى**

**الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها والتي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها﴾** قال: فالنوم وفاة **﴿فَيُمْسِكُ التي قَضَى عَلَيْها المَوْتَ ويُرْسِلُ الأُخْرَى﴾** التي لم يقبضها **﴿إلى أجَلٍ مُسَمًّى﴾**.

وقوله: **﴿إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: إن في قبض الله نفس النائم والميت وإرساله بعدُ نَفْسَ هذا ترجع إلى جسمها، وحبسه لغيرها عن جسمها لعبرةً وعظة لمن تفكر وتدبر، وبياناً له أن الله يحيي من يشاء من خلقه إذا شاء، ويميت من شاء إذا شاء.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

**﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)﴾**

يقول تعالى ذكره: أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التي يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله في حاجاتهم. وقوله: **﴿قُلْ أوَلَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم: أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً، ولا يعقلون شيئاً، قل لهم: إن تكونوا تعبدونها لذلك، وتشفع لكم عند الله، فأخلصوا عبادتكم لله، وأفردوه بالألوهة، فإن الشفاعة جميعاً له، لا يشفع عنده إلا من أذن له، ورضي له قولاً، وأنتم متى أخلصتم له العبادة، فدعوتموه، وشفعكم **﴿لهُ مُلكُ السمواتِ والأرضِ﴾**، يقول: له سلطان السموات والأرض ومُلكها، وما تعبدون أيها المشركون من دونه ملك له يقول: فاعبدوا الملك لا المملوك الذي لا يملك شيئاً. **﴿ثُمَّ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** يقول: ثم إلى الله مصيركم، وهو معاقبكم على إشراككم به، إن متم على شرككم.

ومعنى الكلام: لله الشفاعة جميعاً، له مُلك السموات والأرض، فاعبدوا المالك الذي له مُلك السموات والأرض، الذي يقدر على نفعكم في الدنيا، وعلى ضرّكم فيها، وعند مرجعكم إليه بعد مماتكم، فإنكم إليه ترجعون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿أم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعاء﴾** الآلهة **﴿قُلْ أوَلَوْ كانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً﴾** الشفاعة.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً﴾** قال: لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا أفرد الله جلّ ثناؤه بالذكر، فدعي وحده، وقيل لا إله إلا الله، اشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات. وعني بقوله: ﴿اشْمأَزَّتْ﴾: نفرت من توحيد الله. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يقول: وإذا ذُكر الآلهة التي يدعونها من دون الله مع الله، فقيل: تلك الغرانيق العُلى، وإن شفاعتها لترتجى، إذ الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُوءْمِنُونَ بالآخِرَةِ﴾: أي نفرت قلوبهم واستكبرت ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ الآلهة ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿اشْمأَزَّتْ﴾ قال: انقبضت، قال: وذلك يوم قرأ عليهم «النجم» عند باب الكعبة.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ قوله: ﴿اشْمأَزَّتْ﴾ قال: نفرت ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أوثانهم.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد، الله خالق السموات والأرض ﴿عالِمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ﴾ الذي لا تراه الأبصار، ولا تحسه العيون والشهادة الذي تشهده أبصار خلقه، وتراه أعينهم ﴿أنْتَ تَحْكُمُ بينَ عِبادِكَ﴾ فتفصل بينهم بالحقّ يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم ﴿فيما كانُوا فِيهِ﴾ في الدنيا ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ من القول فيك، وفي عظمتك وسلطانك، وغير ذلك من اختلافهم بينهم، فتقضي يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين الذين إذا ذكرت وحدك اشمأزّت قلوبهم، وإذا ذكر مَنْ دونك استبشروا بالحقّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**فاطِرَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ**﴾ فاطر: قال خالق. وفي قوله ﴿**عالِمَ الغَيْبِ**﴾ قال: ما غاب عن العباد فهو يعلمه، ﴿**وَالشَّهادَةِ**﴾: ما عرف العباد وشهدوا، فهو يعلمه.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة، وهم الذين ظلموا أنفسهم ﴿**ما في الأرض جَمِيعاً**﴾ في الدنيا من أموالها وزينتها ﴿**وَمِثْلَهُ مَعَهُ**﴾ مضاعفاً، فقبل ذلك منهم عوضاً من أنفسهم، لفدوا بذلك كله أنفسهم عوضاً منها، لينجو من سوء عذاب الله، الذي هو معذّبهم به يومئذ ﴿**وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ**﴾ يقول: وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه، الذي كان أعدّه لهم، ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعدّه لهم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة ﴿**سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا**﴾ من الأعمال في الدنيا، إذ أعطوا كتبهم بشمائلهم ﴿**وَحاقَ بِهِمْ ما كانوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ ووجب عليهم حينئذ، فلزمهم عذاب الله الذي كان نبيّ الله ﷺ في الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم، فكانوا به يسخرون، إنكاراً أن يصيبهم ذلك، أو ينالهم تكذيباً منهم به، وأحاط ذلك بهم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فإذا أصاب الإنسان بؤس وشدّة دعانا مستغيثاً بنا من جهة ما أصابه من الضرّ، ﴿**ثُمَّ إذَا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا**﴾ يقول: ثم إذا أعطيناه فرجا مما كان فيه من الضرّ، بأن أبدلناه بالضرّ رخاء وسعة، وبالسقم صحة وعافية، فقال: إنما أعطيت الذي أعطيت من الرخاء والسعة في

المعيشة، والصحة في البدن والعافية، على علم عندي[1]، يعني على علم من الله بأني له أهل لشرفي ورضاه بعملي (عندي) يعني: فيما عندي، كما يقال: أنت محسن في هذا الأمر عندي: أي فيما أظنّ وأحسب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا**﴾ حتى بلغ ﴿**عَلَى عِلْمٍ**﴾ عندي[1]: أي على خير عندي.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا**﴾ قال: أعطيناه.

وقوله: ﴿**أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾: أي على شرف أعطانيه.

وقوله: ﴿**بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: بل عطيتنا إياهم تلك النعمة من بعد الضرّ الذي كانوا فيه فتنة لهم يعني بلاء ابتليناهم به، واختباراً اختبرناهم به ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ**﴾ لجهلهم، وسوء رأيهم ﴿**لا يَعْلَمُونَ**﴾ لأي سبب أعطوا ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ**﴾: أي بلاء.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾

يقول تعالى ذكره: قد قال هذه المقالة يعني قولهم: لنعمة الله التي خولهم وهم مشركون: أوتيناه على علم عندنا ﴿**الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾ يعني: الذين من قبل مشركي قُرَيش من الأمم الخالية لرسلها، تكذيباً منهم لهم، واستهزاء بهم. وقوله: ﴿**فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ يقول: فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله واستهزائهم بهم ما كانوا يكسبون من الأعمال، وذلك عبادتهم الأوثان. يقول: لم تنفعهم خدمتهم إياها، ولم تشفع آلهتهم لهم عند الله حينئذ، ولكنها أسلمتهم وتبرأت منهم. وقوله: ﴿**فأَصَابَهُمْ سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا**﴾ يقول: فأصاب الذين

(١) سقام كغراب: واد بالحجاز، حمته قريش للعزى، يضاهئون به حرم الكعبة ا هـ من «**معجم ياقوت**».

قالوا هذه المقالة من الأمم الخالية، وبال سيئات ما كسبوا من الأعمال، فعوجلوا بالخزي في دار الدنيا، وذلك كقارون الذي قال حين وعظ ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلى عِلْم عِنْدِي فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُون اللَّهِ وَما كانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ**﴾ يقول الله جل ثناؤه: ﴿**وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَوِلاَءِ**﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: والذين كفروا بالله يا محمد من قومك، وظلموا أنفسهم وقالوا هذه المقالة سيُصِيبُهُمْ أيضاً وبال ﴿**سيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا**﴾ كما أصاب الذين من قبلهم بقيلهموها ﴿**وَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ**﴾ يقول: وما يفوتون ربهم ولا يسبقونه هرباً في الأرض من عذابه إذا نزل بهم، ولكنه يصيبهم ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِد لِسُنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾ ففعل ذلك بهم، فأحلّ بهم خزيه في عاجل الدنيا فقتلهم بالسيف يوم بدر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿**قَدْ قَالَها الَّذِينَ مِنَ قَبْلِهِمْ**﴾ الأمم الماضية ﴿**وَالَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ من هؤلاء، قال: من أمة محمد ﷺ.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أو لم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم، فقالوا: إنما أوتيناه على علم منا، أن الشدة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله، دون كلّ من سواه، يبسط الرزق لمن يشاء، فيوسعه عليه، ويقدر ذلك على من يشاء من عباده، فيضيقه، وأن ذلك من حجج الله على عباده، ليعتبروا به ويتذكروا، ويعلموا أن الرغبة إليه والرهبة دون الآلهة والأنداد. ﴿**إِنّ فِي ذلك لآياتٍ**﴾ يقول: إن في بسط الله الرزق لمن يشاء، وتقتيره على من أراد الآيات، يعني: دلالات وعلامات ﴿**لِقَوْمِ يُوءْمِنُونَ**﴾ يعني: يصدّقون بالحقّ، فيقرّون به إذا تبيّنوه وعلموا حقيقته أن الذي يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواه. **القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بهذه الآية، فقال بعضهم: عني بها قوم من أهل الشرك، قالوا لما دعوا إلى الإيمان بالله: كيف نؤمن وقد أشركنا وزنينا، وقتلنا النفس التي حرّم الله، والله يعد فاعل ذلك النار، فما ينفعنا مع ما قد سلف منا الإيمان، فنزلت هذه الآية.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿**قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**﴾ وذلك أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أنه من عبد الأوثان، ودعا مع الله إلها آخر، وقتل النفس التي حرّم الله لم يغفر له، فكيف نهاجر ونسلم، وقد عبدنا الآلهة، وقتلنا النفس التي حرّم الله ونحن أهل الشرك؟ فأنزل الله: ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**﴾ يقول: لا تيأسوا من رحمتي، إن الله يغفر الذنوب جميعاً وقال: ﴿**وأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ وأَسْلِمُوا لَهُ**﴾ وإنما يعاتب الله أولي الألباب وإنما الحلال والحرام لأهل الإيمان، فإياهم عاتب، وإياهم أمر إن أسرف أحدهم على نفسه، أن لا يقنط من رحمة الله، وأن ينيب ولا يبطىء بالتوبة من ذلك الإسراف، والذنب الذي عمل وقد ذكر الله في سورة آل عمران المؤمنين حين سألوا الله المغفرة، فقالوا: ﴿**رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَإسْرافَنا فِي أمْرِنا وَثَبِّتْ أقْدامَنا**﴾ فينبغي أن يعلم أنهم قد كانوا يصيبون الإسراف، فأمرهم بالتوبة من إسرافهم.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ**﴾ قال: قتل النفس في الجاهلية.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت هذه الآيات الثلاث بالمدينة في وحشيّ[1] وأصحابه ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، قال: قال زيد بن أسلم، في قوله: ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**﴾ قال: إنما هي للمشركين.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ**﴾ حتى بلغ ﴿**الذُّنُوبَ جَمِيعاً**﴾ قال: ذكر لنا أن أناساً أصابوا ذنوباً عظاماً في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أشفقوا أن لا يُتاب عليهم، فدعاهم الله بهذه الآية: ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ**﴾.

---

(١) قوله (عندي): أضافه المؤلف إلى معنى الآية، لمجيئه في حديث قتادة بعده بقليل. وليس في الآية في هذا الموضع لفظة «عندي»، وإنما هي في آية القصص، إذا جاء في لسان قارون: (قال إنما أوتيته على علم عندي).

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قوله: ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ**﴾ قال: هؤلاء المشركون من أهل مكة، قالوا: كيف نجيبك وأنت تزعم أنه من زنى، أو قتل، أو أشرك بالرحمن كان هالكاً من أهل النار؟ فكلّ هذه الأعمال قد عملناها فأنزلت فيهم هذه الآية: ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ**﴾.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ...**﴾ الآية قال: كان قوم مسخوطين في أهل الجاهلية، فلما بعث الله نبيه قالوا: لو أتينا محمداً ﷺ فآمنا به واتبعناه فقال بعضهم لبعض: كيف يقبلكم الله ورسوله في دينه؟ فقالوا: ألا نبعث إلى رسول الله ﷺ رجلاً؟ فلما بعثوا، نزل القرآن: ﴿**قُل يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿**فأكُونَ مِنَ المُحْسِنِين**﴾.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن الشعبيّ، قال: تجالس شتير بن شكل ومسروق فقال شتير: إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك، وإما أن أحدّث فتصدّقني فقال مسروق: لا بل حدّث فأصدّقك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية فرجاً في القرآن ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**﴾ فقال مسروق: صدقت.

وقال آخرون: بل عُني بذلك أهل الإسلام، وقالوا: تأويل الكلام: إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء، قالوا: وهي كذلك في مصحف عبد الله، وقالوا: إنما نزلت هذه الآية في قوم صدّهم المشركون عن الهجرة وفتنوهم، فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن ابن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال يعني عمر: كنا نقول: ما لمن افتتن من توبة وكانوا يقولون ما الله بقابل منا شيئاً، تركنا الإسلام ببلاء أصابنا بعد معرفته، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله فيهم: ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ...**﴾ الآية، قال عمر: فكتبتها بيدي، ثم بعثت بها إلى هشام بن العاص، قال هشام: فلما جاءتني جعلت أقرؤها ولا أفهمها، فوقع في نفسي أنها أنزلت فينا لما كنا نقول، فجلست على بعيري، ثم لحقت بالمدينة.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن

عمر، قال: إنما أنزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر من المسلمين، كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذّبوا، فافتتنوا كنا نقول: لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عُذّبوه، فنزلت هؤلاء الآيات، وكان عمر بن الخطاب كاتباً قال: فكتبها بيده ثم بعث بها إلى عَيَّاش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، إلى أولئك النفر، فأسلموا وهاجروا.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا يونس، عن ابن سيرين، قال: قال علي رضي الله عنه: أي آية في القرآن أوسع؟ فجعلوا يذكرون آيات من القرآن: **﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾** ونحوها، فقال علي: ما في القرآن آية أوسع من: **﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ...﴾** إلى آخر الآية.

**حدثنا** أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي سعيد الأزدي، عن أبي الكنود، قال: دخل عبد الله المسجد، فإذا قاصّ يذكر النار والأغلال، قال: فجاء حتى قام على رأسه، فقال ما يذكِّرُ أتقنط الناس **﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ...﴾** الآية.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن القرظي أنه قال في هذه الآية: **﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾** قال: هي للناس أجمعين.

**حدثني** زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا ابن لهيعة، عن أبي قنبل، قال: سمعت أبا عبد الرحمن المزني يقول: ثني أبو عبيد الرحمن الجلائي، أنه سمع ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أُحِبُّ أنَّ لي الدُّنْيا وَما فِيها بِهَذِهِ الآيَةِ»: **﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ...﴾** الآية، فقال رجل: يا رسول الله، ومن أشرك؟ فسكت النبي ﷺ، ثم قال: «ألا وَمَنْ أَشْرَكَ، ألا وَمَنْ أَشْرَكَ» ثلاث مَرّات.

وقال آخرون: نزل ذلك في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار، فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** ابن البرقي، قال: ثنا عمرو بن أبي سلمة، قال: ثنا أبو معاذ الخراساني، عن مقاتل بن حيان، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كنا معشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول: إنه ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة، حتى نزلت هذه الآية **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا**

**تبْطِلوا أعمالَكُمْ﴾** فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر والفواحش، قال: فكنا إذا رأينا من أصاب شيئاً منها قلنا: قد هلك، حتى نزلت هذه الآية **﴿إنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾** فلما نزلت هذه الآية كففنا عن القول في ذلك، فكنا إذا رأينا أحداً أصاب منها شيئاً خفنا عليه، وإن لم يصب منها شيئاً رجونا له.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الإيمان والشرك، لأن الله عمّ بقوله **﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسْرَفُوا على أنْفُسِهِمْ﴾** جميع المسرفين، فلم يخصص به مسرفاً دون مسرف.

فإن قال قائل: فيغفر الله الشرك؟ قيل: نعم إذا تاب منه المشرك. وإنما عني بقوله **﴿إنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذنُوبَ جَمِيعاً﴾** لمن يشاء، كما قد ذكرنا قبل، أن ابن مسعود كان يقرؤه: وأن الله قد استثنى منه الشرك إذا لم يتب منه صاحبه، فقال: إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فأخبر أنه لا يغفر الشرك إلا بعد توبة بقوله: **﴿إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً﴾** فأما ما عداه فإن صاحبه في مشيئة ربه، إن شاء تفضل عليه، فعفا له عنه، وإن شاء عدل عليه فجازاه به.

وأما قوله: **﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾** فإنه يعني: لا تيأسوا من رحمة الله. كذلك:

**حدثني** محمد بن سعد قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس.

وقد ذكرنا ما في ذلك من الروايات قبل فيما مضى وبيّنا معناه.

وقوله: **﴿إنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾** يقول: إن الله يستر على الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها **﴿إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** بهم، أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها. **القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره: وأقبلوا أيها الناس إلى ربكم بالتوبة، وارجعوا إليه بالطاعة له، واستجيبوا له إلى ما دعاكم إليه من توحيده، وإفراد الألوهة له، وإخلاص العبادة له، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ﴾**: أي أقبلوا إلى ربكم.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدّي ﴿**وأنِيبُوا**﴾ قال: أجيبوا.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ**﴾ قال: الإنابة: الرجوع إلى الطاعة، والنزوع عما كانوا عليه، ألا تراه يقول: ﴿**مُنِيبِينَ إلَيْهِ وَاتَّقُوهُ**﴾.

وقوله: ﴿**وأَسْلِمُوا لَهُ**﴾ يقول: واخضعوا له بالطاعة والإقرار بالدين الحنيفي ﴿**مِنْ قَبْلِ أنْ يأْتِيَكُمُ العَذابُ**﴾ من عنده على كفركم به ﴿**ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**﴾ يقول: ثم لا ينصركم ناصر، فينقذكم من عذابه النازل بكم.

وقوله: ﴿**وَاتَّبِعُوا أحْسَنَ ما أُنْزِلَ إلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم في تنزيله، واجتنبوا ما نهاكم فيه عنه، وذلك هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا.

فإن قال قائل: ومن القرآن شيء وهو أحسن من شيء؟ قيل له: القرآن كله حسن، وليس معنى ذلك ما توهمت، وإنما معناه: واتبعوا مما أنزل إليكم ربكم من الأمر والنهي والخبر، والمثل، والقصص، والجدل، والوعد، والوعيد أحسنه أن تأتمروا لأمره، وتنتهوا عما نهى عنه، لأن النهي مما أنزل في الكتاب، فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه، فذلك وجهه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**واتَّبِعُوا أحْسَنَ ما أُنْزِلَ إلَيْكمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ يقول: ما أمرتم به في الكتاب ﴿**مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَكُمُ العَذابُ**﴾.

وقوله: ﴿**مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَكُمُ العَذابُ بَغْتَةً**﴾ يقول: من قبل أن يأتيكم عذاب الله فجأة ﴿**وأنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ يقول: وأنتم لا تعلمون به حتى يغشاكم فجأة.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأنيبوا إلى ربكم، وأسلموا له ﴿**أنْ تَقُولَ نَفْسٌ**﴾ بمعنى لئلا تقول نفس: ﴿**يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللَّهِ**﴾، وهو نظير قوله: ﴿**وألْقَى فِي الأرْضِ رَوَاسِي أنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ بمعنى: أن لا تميد بكم، فإنه، إذ كان ذلك معناه، في موضع نصب.

وقولهُ: ﴿**يا حَسْرَتا**﴾ يعني أن تقول: يا ندما، كما:

**حدثني** محمد بن الحسين، قال: ثني أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله: ﴿**يا حَسْرَتا**﴾ قال: الندامة.

والألف في قوله ﴿**يا حَسْرَتا**﴾ هي كناية المتكلم، وإنما أريد: يا حسرتي ولكن العرب تحوّل الياء في كناية اسم المتكلم في الاستغاثة ألفاً، فتقول: يا ويلتا، ويا ندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء، وربما قيل: يا حسرة على العباد، كما قيل: يا لهف، ويا لهفاً عليه وذكر الفراء أن أبا ثَرْوانَ أنشده:

تَـزُورُونَـهـا وَلا أزُورُ نِـسـاءَكُـمْ ... أَلَـهْـفِ لأَوْلادِ الإمـاء الـحَـوَاطِـبِ(١)

خفضاً كما يخفض في النداء إذا أضافه المتكلم إلى نفسه، وربما أدخلوا الهاء بعد هذه الألف، فيخفضونها أحياناً، ويرفعونها أحياناً وذكر الفراء أن بعض بني أسد أنشد:

يـا رَبِّ يـا رَبَّـاهِ إيَّـاكَ أَسَـلْ ... عَـفْـرَاءَ يـا رَبَّـاهُ مِـنْ قَـبْـلِ الأَجَـلْ(٢)

---

(١) البيت لأبي ثروان العكلي. وهو من شواهد في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٨٥) قال: وقوله «يا حسرتا، يا ويلتا» مضاف إلى المتكلم: يحول العرب الياء إلى الألف في كل كلام كان معناه الاستغاثة، يخرج على لفظ الدعاء. وربما قالوا: يا حسرة، كما قالوا: يا لهف على فلان، ويالهفا عليه. قال: أنشدني أبو ثروان العكلي:

«تـزورونـهـا ولا أزور......

البيت». ا هـ. فخفض كما يخفض المنادي إذا أضافه المتكلم إلى نفسه، والإماء: الجواري من الرقيق يتخذن والعمل عند ساداتهن واحدها أمة. والحواطب: جمع حاطبة، وهي التي ترسل في جمع الحطب للوقو. واللهف بسكون الهاء وفتحها: الأسف والحزن والغيظ.

(٢) البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٨٦) وقال بعد كلامه الذي نقلناه في الشاهد السابق في إعراف المضاف إلى ياء المتكلم بعد حذف الياء، أو قلبها ألفاً: وربما أدخلت العرب الهاء (التي للسكت) بعد الألف التي في «حسرتا» فيخفضونها مرة، ويرفعونها. قال: أنشدني أبو فقعس لبعض بني أسد:

«يـا رب يـا ربـاه إيـاك أسـل.....

البيتين» فخفض. قال: وأنشدني أبو فقعس:

يـا مَـرْحَـبـاهُ بِـحِـمـارِ نـاهِـيَـهْ ... إذا أَتَـى قَـرَّبْـتُـهُ لـلـسَّـانِـيَـهْ

والخفض أكثر في كلام العرب إلا في قولهم: ياهناه، وياهنيتاه،، والرفع في هذا أكثر من الخفض، لأنه كثر في الكلام فكأنه حرف واحد مدعو (أي كأن اللفظ كله صار كلمة واحدة في النداء). وفي «**خزانة الأدب الكبرى**» للبغدادي (٣/ ٢٦٣) وهذا من رجز أورده أبو محمد الأسود الأعرابي في ضالة الأديب، ولم ينسبه إلى أحد. وفيها أيضا: وقال الزمخشري في المفصل: وحق هاء السكت أن تكون ساكنة، وتحريكها لحن، نحن ما في إصلاح المنطق لابن السكيت، من قوله:

يـا مـرحـبـاه بـحـمـار نـاجـيـه

مما لا معرج عليه للقياس، واستعمال الفصحاء ومعذرة من قال ذلك: أنه أجرى الوصل مجرى الوقف، مع تشبيه هاء الوقف بهاء الضمير ا هـ.

خفضاً، قال: والخفض أكثر في كلامهم، إلا في قولهم: يا هَناه، ويا هَنْتاه، فإن الرفع فيهما أكثر من الخفض، لأنه كثير في الكلام، حتى صار كأنه حرف واحد.

وقوله: ﴿**على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾ يقول: على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿**يا حَسْرَتَا على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾ يقول: في أمر الله.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾ قال: في أمر الله.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾ قال: تركت من أمر الله.

وقوله: ﴿**وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾ يقول: وإن كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾ قال: فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله، قال: هذا قول صنف منهم.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾ يقول: من المستهزئين بالنبي ﷺ وبالكتاب، وبما جاء به.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾.

يقول تعالى ذكره: وأنيبوا إلى ربكم أيها الناس، وأسلموا له، أن لا تقول نفس يوم القيامة: يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله، في أمر الله، وأن لا تقول نفس أخرى: لو أن الله هداني

للحقّ، فوفقني للرشاد لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه، أو أن لا تقول أخرى حين ترى عذاب الله فتعاينه ﴿لَوْ أَنَّ لي كَرَّةً﴾ تقول: لو أن لي رجعة إلى الدنيا ﴿فأكُونَ مِنَ المُحْسِنينَ﴾ الذين أحسنوا في طاعة ربهم، والعمل بما أمرتهم به الرسل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ...﴾ الآية، قال: هذا قول صنف منهم ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي...﴾ الآية، قال: هذا قول صنف آخر: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ...﴾ الآية، يعني بقوله ﴿لَوْ أَنَّ لي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا، قال: هذا صنف آخر.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ قال: أخبر الله ما العباد قائلوه قبل أن يقولوه، وعملهم قبل أن يعملوه، قال: ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي...﴾ إلى قوله: ﴿فأكُونَ مِنَ المُحْسِنينَ﴾ يقول: من المهتدين، فأخبر الله سبحانه أنهم لو رُدّوا لم يقدروا على الهدي، وقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وأَبْصَارَهُمْ﴾ كما لم يؤمنوا به أول مرة، قال: ولو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى، كما حلنا بينهم وبينه أول مرة وهم في الدنيا.

وفي نصب قوله ﴿فأكُونَ﴾ وجهان أحدهما: أن يكون نصبه على أنه جواب لو والثاني: على الرد على موضع الكرة، وتوجيه الكرة في المعنى إلى: لو أن لي أن أكر، كما قال الشاعر:

فَمَا لَكَ مِنْهَا غَيْرُ ذِكْرى وَحَسْرَةٍ ... وَتَسْأَلَ عَنْ رُكْبَانِهَا أَيْنَ يَمَّمُوا؟[1]

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٢٨٦) من مخطوطة الجامعة والشاهد في قوله «وتسأل» إذا يجوز فيه النصب بتقدير «أن» لعطف الفعل على اسم صريح، مثل قول ميسون بنت بحدل الكلبية زوج معاوية: «ولبس عباءة وتقر عيني» أي وأن تقرعيني: ويجوز فيه أن يرفع لأنه لم تظهر قبله «أن» قال الفراء: قوله «لو أن لي كرة فأكون من المحسنين»: النصب في قوله: «فأكون»: جواب للو. وإن شئت مردوداً على تأويل «أن» تضميرها في الكثرة، كما يقولون: لو أن لي أن أكر فأكون. ومثله مما نصب على إضمار أن قوله «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب، أو يرسل» المعنى - والله أعلم - ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ولو رفع «فيوحى» إذ لم يظهر أن قبله ولا معه، كان صواباً. وقد قرأ به بعض القراء. وأنشدني بعض القراء: «فما لك منها غير ذكرى وحسرة» البيت. وقال الكسائي: سمعت من العرب: «ما هي إلا ضربة من الأسد، فيحطم ظهره أي برفع الفعل ونصبه» ا هـ.

فنصب تسأل عطفاً بها على موضع الذكرى، لأن معنى الكلام: فمالك[١] (. . .) بيرسلَ على موضع الوحي في قوله: ﴿إلاَّ وَحْياً﴾.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مكذباً للقائل: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾، وللقائل: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فأكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾: ما القول كما تقولون ﴿بَلَى قَدْ جاءَتْكَ﴾ أيها المتمني على الله الرد إلى الدنيا لتكون فيها من المحسنين ﴿آياتِي﴾ يقول: قد جاءتك حججي من بين رسول أرسلته إليك، وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير ﴿فَكَذَّبْتَ﴾ بآياتي ﴿واسْتَكْبَرْتَ﴾ عن قبولها واتباعها ﴿وكُنْتُ مِنَ الكافِرِينَ﴾ يقول: وكنت ممن يعمل عمل الكافرين، ويسنّ بسنتهم، ويتبع منهاجهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: يقول الله ردّا لقولهم، وتكذيباً لهم، يعني لقول القائلين: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدانِي﴾، والصنف الآخر: ﴿بَلى قَدْ جاءَتْكَ إياتي. . .﴾ الآية.

وبفتح الكاف والتاء من قوله ﴿قَدْ جاءَتْكَ آياتِي فَكَذَّبْتَ﴾ على وجه المخاطبة للذكور، قرأه القرّاء في جميع أمصار الإسلام. وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قرأ ذلك بكسر جميعه على وجه الخطاب للنفس، كأنه قال: أن تقول نفس: يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله، بلى قد جاءتكِ أيتها النفس آياتي، فكذّبتِ بها، أجرى الكلامِ كله على النفس، إذا كان ابتداء الكلام بها جرى، والقراءة التي لا أستجيز خلافها، ما جاءت به قرّاء الأمصار مجمعة عليه، نقلاً عن رسول الله ﷺ، وهو الفتح في جميع ذلك.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرَى﴾ يا محمد هؤلاء ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا على اللَّهِ﴾ من قومك

---

(١) في الكلام سقط من الناسخ، ولعل الأصل: فما لك غير أن تذكر وتسأل: ونظيره (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من رواء حجاب أو يرسل) فعطف بيرسل. . . الخ.

فزعموا أن له ولداً، وأن له شريكاً، وعبدوا آلهة من دونه ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ والوجوه وإن كانت مرفوعة بمسودة، فإن فيها معنى نصب، لأنها مع خبرها تمام ترى، ولو تقدّم قوله مسودّة قبل الوجوه، كان نصباً، ولو نصب الوجوه المسودّة ناصب في الكلام لا في القرآن، إذا كانت المسودّة مؤخرة كان جائزاً، كما قال الشاعر:

ذَرِينِي إنَّ أمْرَكِ لَنْ يُطاعَا … وَما ألْفَيْتَنِي حِلْمِي مُضاعَا[1]

فنصب الحلم والمضاع على تكرير ألفيتني، وكذلك تفعل العرب في كلّ ما احتاج إلى اسم وخبر، مثل ظنّ وأخواتها وفي «مسودّة» للعرب لغتان: مسودّة، ومسوادّة، وهي في أهل الحجاز يقولون فيما ذكر عنهم: قد اسوادّ وجهه، واحمارّ، واشهابّ. وذكر بعض نحويي البصرة عن بعضهم أنه قال: لا يكون أفعالّ إلا في ذي اللون الواحد نحو الأشهب، قال: ولا يكون في نحو الأحمر، لأن الأشهب لون يحدث، والأحمر لا يحدث.

وقوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ يقول: أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده، والانتهاء إلى طاعته فيما أمره ونهاه عنه.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: وينجي الله من جهنم وعذابها، الذين اتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا، بمفازتهم: يعني بفوزهم، وهي مفعلة منه. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل، وإن خالفت ألفاظ بعضهم اللفظة التي قلناها في ذلك

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، في قوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ

---

(١) البيت لعدي بن زيد، كما قال الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٨٦ من مخطوطة الجامعة) وهو من أبيات الكتاب لسيبويه (١/ ٨٧) ومن شواهد «**خزانة الأدب الكبرى**» للبغدادي (٢/ ٣٦٨) وموضع الشاهد فيه: أن قوله «حلمي» بدل اشتمال من الياء في «ألفيتني». قال ابن جنى في إعراب الحماسة: «إنما يجوز البدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب، إذا كان بدل البعض أو بدل الاشتمال، نحو قولك: عجبت منك عقلك، وضربتك رأسك ا هـ. وقال في «**الخزانة**» والبيت نسبه سيبويه لرجل من خثعم أو بجيلة، وتبعه ابن السراج في أصوله. وعزاه الفراء والزجاج، إلى عدي بن زيد العبادي. وهو الصحيح، وكذلك قال صاحب الحماسة البصرية وأورد من القصيدة بعده أبياتاً ا هـ.

الَّذِينَ اتَّقَوا بِمفَازَتِهِمْ﴾ قال: بفضائلهم.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمفَازَتِهِمْ﴾ قال: بأعمالهم، قال: والآخرون يحملون أوزارهم يوم القيامة ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بغَيرِ عِلْمٍ ألا ساءَ ما يَزِرُونَ﴾.

واختلفت القراء في ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة، وبعض قراء مكة والبصرة: ﴿بِمفَازَتِهِمْ﴾ على التوحيد. وقرأته عامة قراء الكوفة: «بِمفَازَاتِهِمْ» على الجماع.

والصواب عندي من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، لاتفاق معنييهما والعرب توحد مثل ذلك أحياناً وتجمع بمعنى واحد، فيقول أحدهم: سمعت صوت القوم، وسمعت أصواتهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ﴾، ولم يقل: أصوات الحمير، ولو جاء ذلك كذلك كان صواباً.

وقوله: ﴿لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يمس المتقين من أذى جهنم شيء، وهو السوء الذي أخبر جل ثناؤه أنه لن يمسهم، ولا هم يحزنون يقول: ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا، إذ صاروا إلى كرامة الله ونعيم الجنان.

وقوله: ﴿اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وهُوَ على كل شيءٍ وَكِيلٌ﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي له الألوهة من كل خلقه الذي لا تصلح العبادة إلا له، خالق كل شيء، لا ما لا يقدر على خلق شيء، وهو على كل شيء وكيل يقول: وهو على كل شيء قيم بالحفظ والكلاءة.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: له مفاتيح خزائن السموات والأرض، يفتح منها على من يشاء، ويمسكها عمن أحب من خلقه واحدها: مقليد. وأما الإقليد: فواحد الأقاليد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿مَقالِيدُ السَّمَوَاتِ والأرضِ﴾ مفاتيحها.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**لَهُ مَقالِيدُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ**﴾ أي مفاتيح السموات والأرض.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله: ﴿**لَهُ مَقالِيدُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ**﴾ قال: خزائن السموات والأرض.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿**لَهُ مَقالِيدُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ**﴾ قال: المقاليد: المفاتيح، قال: له مفاتيح خزائن السموات والأرض.

وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها، أولئك هم المغبونون حظوظهم من خير السموات التي بيده مفاتيحها، لأنهم حرموا ذلك كله في الآخرة بخلودهم في النار، وفي الدنيا بخذلانهم عن الإيمان بالله عزّ وجلّ.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركي قومك، الداعيك إلى عبادة الأوثان: ﴿**أَفَغَيرَ اللَّهِ**﴾ أيها الجاهلون بالله ﴿**تَأْمُرُونّي**﴾ أن ﴿**أَعْبُدُ**﴾ ولا تصلح العبادة لشيء سواه.

واختلف أهل العربية في العامل، في قوله ﴿**أَفَغَيْرَ**﴾ النصب، فقال بعض نحويي البصرة: قل أفغير الله تأمروني، يقول: أفغير الله أعبد تأمروني، كأنه أراد الإلغاء، والله أعلم، كما تقول: ذهب فلأن(١) يدري، جعله على معنى: فما يدري. وقال بعض نحويي الكوفة: «غير» منتصبة بأعبد، وأن تحذف وتدخل، لأنها علم للاستقبال، كما تقول: أريد أن أضرب، وأريد أضرب، وعسى أن أضرب، وعسى أضرب، فكانت في طلبها الاستقبال، كقولك: زيداً سوف أضرب، فلذلك حُذفت وعمل ما بعدها فيما قبلها، ولا حاجة بنا إلى اللغو.

وقوله: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أوحي إليك يا

---

(١) كذا في الأصل، وهو غير واضح. وقد وضح الشوكاني في «**فتح القدير**» (٤/ ٤٦١) عامل النصب في «غير» توضيحاً شافياً فراجعه، ولعل أصل العبارة:

«ذهـــب فـــلا أن يـــدري»

...... الخ.

محمد ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسل ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ يقول: لئن أشركت بالله شيئاً يا محمد، ليبطلنّ عملك، ولا تنال به ثواباً، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم ومعنى الكلام: ولقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبطنّ عملك، ولتكونن من الخاسرين، وإلى الذين من قبلك، بمعنى: وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحى إليك منه، فاحذر أن تشرك بالله شيئاً فتهلك.

ومعنى قوله: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ ولتكونن من الهالكين بالإشراك بالله إن أشركت به شيئاً.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تعبد ما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته، بل الله فاعبد دون كلّ ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد ﴿وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لله على نعمته عليك بما أنعم من الهداية لعبادته، والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان. ونصب اسم الله بقوله ﴿فاعْبُدْ﴾ وهو بعده، لأنه رد كلام، ولو نصب بمضمر قبله، إذا كانت العرب تقول: زيد فليقم، وزيداً فليقم، رفعاً ونصباً، الرفع على فلينظر زيد، فليقم، والنصب على انظروا زيداً فليقم، كان صحيحاً جائزاً.

وقوله: ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما عظَّم الله حقّ عظمته، هؤلاء المشركون بالله، الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ قال: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم، فمن آمن أن الله على كلّ شيء قدير، فقد قدر الله حقّ قدره، ومن لم يؤمن بذلك، فلم يقدر الله حقّ قدره.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهِ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما عظَّموا الله حقّ عظمته.

وقوله: ﴿والأرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضته في يوم القيامة ﴿والسَّمَوَاتُ﴾ كلها ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ فالخبر عن الأرض متناه عند قوله: يوم القيامة،

والأرض مرفوعة بقوله ﴿قَبْضَتُهُ﴾، ثم استأنف الخبر عن السموات، فقال: ﴿والسَّمَوَاتُ مَطْوِياتٌ بيَمِينِهِ﴾ وهي مرفوعة بمطويات.

ورُوي عن ابن عباس وجماعة غيره أنهم كانوا يقولون: الأرض والسموات جميعاً في يمينه يوم القيامة. ذكر الرواية بذلك:

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿والأرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ﴾ يقول: قد قبض الأرضين والسموات جميعاً بيمينه، ألم تسمع أنه قال: ﴿مَطْوِياتٌ بِيَمِينِهِ﴾ يعني: الأرض والسموات بيمينه جميعاً، قال ابن عباس: وإنما يستعين بشماله المشغولة يمينه.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، قال: ما السموات السبع، والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم،

**قال:** ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، قال: ثنا النضر بن أنس، عن ربيعة الجُرْسي، قال: ﴿والأرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قال: ويده الأخرى خلو ليس فيها شيء.

**حدثني** عليّ بن الحسن الأزديّ، قال: ثنا يحيى بن يمان، عن عمار بن عمرو، عن الحسن، في قوله: ﴿والأرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ﴾ قال: كأنها جوزة بقضها وقضيضها.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿والأرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ﴾ يقول: السموات والأرض مطويات بيمينه جميعاً.

وكان ابن عباس يقول: إنما يستعين بشماله المشغولة يمينه، وإنما الأرض والسموات كلها بيمينه، وليس في شماله شيء.

**حدثنا** الربيع، قال: ثنا ابن وهب، قال: أخبرني أُسامة بن زيد، عن أبي حازم، عن عبد الله بن عمر، أنه رأى رسول الله ﷺ، على المنبر يخطب الناس، فمر بهذه الآية: ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «يَأْخُذُ السَّمَوَاتِ والأرْضِينَ السَّبْعَ فَيَجْعَلُها في كَفِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ بِهِما كَمَا يَقُولُ الغُلامُ بالكُرَةِ: أنا اللَّهُ الوَاحِدُ، أنا اللَّهُ العَزِيزُ» حتى لقد رأينا المنبر وإنه ليكاد أن يسقط به.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، قال: ثني منصور وسليمان، عن إبراهيم،

عن عبيدة السَّلْماني، عن عبد الله، قال: جاء يهوديّ إلى النبيّ ﷺ فقال: يا محمد إن الله يمسك السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والخلائق على أصبع، ثم يقول: أنا الملك قال: فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة عن عبد الله، قال: فضحك النبيّ ﷺ تعجباً وتصديقاً.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، عن منصور، عن خيثمة بن عبد الرحمن، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا عند رسول الله ﷺ، حين جاءه حبر من أحبار اليهود، فجلس إليه، فقال له النبيّ ﷺ: «حَدِّثْنا»، قال: إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة، جعل السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والماء والشجر على أصبع، وجميع الخلائق على أصبع ثم يهزهنّ ثم يقول: أنا الملك، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لما قال، ثم قرأ هذه الآية: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. . .﴾** الآية».

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، نحو ذلك.

**حدثني** سليمان بن عبد الجبار، وعباس بن أبي طالب، قالا: ثنا محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدنية عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، قال: مرّ يهوديّ بالنبيّ ﷺ وهو جالس، فقال: «يا يَهُوديُّ حَدِّثْنا»، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذه، والأرض على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه، فأنزل الله **﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه. . .﴾** الآية.

**حدثني** أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم أبلغك أن الله يحمل الخلائق على أصبع، والسموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والثرى على أصبع؟ قال فضحك النبيّ ﷺ حتى بدت نواجذه، فأنزل الله **﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ. . .﴾** إلى آخر الآية.

وقال آخرون: بل السموات في يمينه، والأرضون في شماله.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** عليّ بن داود، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: أخبرنا ابن أبي حازم، قال: ثني أبو حازم، عن عبيد الله بن مِقْسَم، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: رأيت رسول الله ﷺ وهو على

المنبر يقول: «يَأْخُذُ الجَبَّارُ سَمَوَاتِهِ وأرْضِهِ بِيَدَيْهِ» وقبض رسول الله ﷺ يديه، وجعل يقبضهما ويبسطهما، قال: ثمّ يَقُولُ: «أنا الرَّحْمَنُ أنا المَلِكُ، أيْنَ الجَبَّارُونَ، أيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟» وتمايل رسول الله ﷺ عن يمينه، وعن شماله، حتى نظرت إلى المنبر يتحركّ من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقطٌ هو برسول الله ﷺ؟.

**حدثني** أبو علقمة الفروي عبد الله بن محمد، قال: ثني عبد الله بن نافع، عن عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن عبيد بن عمير، عن عبد الله بن عمر، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَأْخُذُ الجَبَّارُ سَمَوَاتِهِ وأرْضَهُ بيَدِهِ»، وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها، ثم يقول: «أنا الجَبَّارُ، أنا المَلِكُ، أين الجَبَّارُونَ، أيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟» قال: ويميل رسول الله ﷺ عن يمينه وعن شماله، حتى نظرت إلى المنبر يتحركّ من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟».

**حدثني** الحسن بن علي بن عياش الحمصي، قال: ثنا بشر بن شعيب، قال: أخبرني أبي، قال: ثنا محمد بن مسلم بن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الأرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَطْوِي السموات بيمينه، ثُمَّ يَقُولُ: أنا المَلِكُ أيْنَ مُلُوكُ الأرْضِ؟».

**حُدثت** عن حرملة بن يحيى، قال: ثنا إدريس بن يحيى القائد، قال: أخبرنا حيوة، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني نافع مولى ابن عمر، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ الأرْضَ يَوْمَ القيامَةِ بِيَدِهِ، وَيَطْوِي السَّماءَ بِيَمينِهِ وَيَقُولُ: أنا المَلِكُ».

**حدثني** محمد بن عون، قال: ثنا أبو المغيرة، قال: ثنا ابن أبي مريم، قال: ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعي عن أبي أيوب الأنصاري، قال: أتى رسول الله ﷺ حبرٌ من اليهود، قال: أرأيت إذ يقول الله في كتابه: ﴿**والأرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القيامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِهِ**﴾ فأين الخلق عند ذلك؟ قال: «هُمْ فِيها كَرَقْمِ الكِتابِ».

**حدثنا** إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا أبو أسامة، قال: ثنا عمرو بن حمزة، قال: ثني سالم، عن أبيه، أنه أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَوَاتِ فيأْخُذُهُنَّ بِيَمِينِهِ وَيَطْوِي الأرْضَ فَيأْخُذُها بِشمالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أنا المَلِكُ أيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أينَ المُتَكَبِّرُونَ؟».

وقيل: إن هذه الآية نزلت من أجل يهودي سأل رسول الله ﷺ عن صفة الرب.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن محمد، عن سعيد، قال:

أتى رهط من اليهود نبي الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه؟ فغضب النبي ﷺ حتى انتُقِع لونه، ثم ساورهم غضباً لربه فجاءه جبريل فسكنه، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه، قال: يقول الله تبارك وتعالى: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾** فلما تلاها عليهم النبيّ ﷺ قالوا: صف لنا ربك كيف خلقه، وكيف عضده، وكيف ذراعه؟ فغضب النبي ﷺ أشد من غضبه الأول، ثم ساورهم، فأتاه جبريل فقال مثل مقالته، وأتاه بجواب ما سألوه عنه **﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: تكلمت اليهود في صفة الربّ، فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا، فأنزل الله على نبيه ﷺ: **﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾** ثم بيَّن للناس عظمته فقال: **﴿والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾**، فجعل صفتهم التي وصفوا الله بها شركاً.

وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة **﴿والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾** يقول في قدرته نحو قوله: **﴿وَما مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ﴾**: أي وما كانت لكم عليه قدرة وليس الملك لليمين دون سائر الجسد، قال: وقوله **﴿قَبْضَتُهُ﴾** نحو قولك للرجل: هذا في يدك وفي قبضتك. والأخبار التي ذكرناها عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه وغيرهم، تشهد على بطول هذا القول.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة، عن حبيب بن أبي عمرة، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن عائشة، قالت: سألت رسول الله ﷺ، عن قوله **﴿والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ﴾** فأين الناس يومئذ؟ قال: عَلى الصِّراطِ».

وقوله سبحانه وتعالى: **﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** يقول تعالى ذكره تنزيهاً وتبرئة لله، وعلوّاً وارتفاعاً عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد، القائلون لك: اعبد الأوثان من دون الله، واسجد لألهتنا.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ونفخ إسرافيل في القرن، وقد بيّنا معنى الصور فيما مضى بشواهده، وذكرنا اختلاف أهل العلم فيه، والصواب من القول فيه بشواهده، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله ﴿**فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ**﴾ يقول: مات، وذلك في النفخة الأولى، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَنُفِخَ فِي الصورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فَي الأَرْضِ**﴾ قال: مات.

وقوله: ﴿**إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بالاستثناء في هذه الآية، فقال بعضهم عنى به جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّموَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ قال جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

**حدثني** هارون بن إدريس الأصمّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا الفضل بن عيسى، عن عمه يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ في الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ فقيل: من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله؟ قال: «جبرائيل وميكائيلَ، ومَلَكُ المَوْتِ، فإِذَا قَبَضَ أَرْوَاحَ الخَلائِقِ قالَ: يا مَلَكَ المَوْتِ مَنْ بَقِي؟ وَهُوَ أَعْلَمُ قال: يَقُولُ: سُبْحانَكَ تَبَارَكْتَ رَبّي ذَا الجَلالِ والإِكْرَام، بَقِيَ جِبْرِيلُ وميكائيلُ وَمَلَكُ المَوْتِ قالَ: يَقُولُ يا مَلَك المَوْتِ خُذْ نَفْسَ مِيكائِيلَ قالَ: فَيَقَعُ كالطَّوْدِ العَظِيم، قالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يا مَلَكَ المَوْتِ مَنْ بَقِي؟ فَيَقُول: سُبْحانَكَ رَبّي يا ذَا الجَلالِ والإِكْرَام، بَقِيَ جِبْريلُ وَمَلَكُ المَوْتِ، قال: فَيَقُولُ: يا مَلَكَ المَوْتِ مُتْ، قالَ: فَيَمُوتُ قالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يا جِبريلُ مَنْ بَقِيَ؟ قالَ: فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: سُبْحانَكَ رَبّي يا ذَا الجَلال والإِكْرام، بَقِي جِبْرِيلُ، وَهُوَ مِنَ اللَّهِ بالمَكانِ الَّذِي هُوَ بِهِ قال: فَيَقُولُ يا جِبْرِيلُ لا بُدَّ مِنْ مَوْتَةٍ قالَ: فَيَقَعُ ساجِداً يَخْفِقُ بِجَناحَيْهِ يَقُولُ: سُبْحانَكَ رَبّي تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ يا ذَا الجَلالِ والإِكْرامِ، أَنْتَ الباقي وجِبْرِيلُ المَيِّت الفاني: قال: ويأْخُذُ رُوحَهُ في الحلْقَةِ التي خُلِقَ مِنْها، قالَ: فَيَقَعُ على مِيكائِيلَ أَنَّ فَضْلَ خَلْقِهِ على خَلْقِ مِيكائِيلَ كَفَضْلِ الطَّوْدِ العَظِيمِ عَلى الظَّرْبِ[1] مِنَ الظِّرابِ».

وقال آخرون: عنى بذلك الشهداء.

(١) في «اللسان»: الظرب: الجبل المنبسط. وقيل: هو الجبل الصغير، وقيل: الروابي الصغار. والجمع: ظراب.

**حدثني** محمد بن المثنى، قال: ثني وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة عن عمارة، عن ذي حجر اليحمدي، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿**فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ قال: الشهداء ثنية الله حول العرش، متقلدين السيوف.

وقال آخرون: عنى بالاستثناء في الفزع: الشهداء، وفي الصعق: جبريل، وملك الموت، وحملة العرش.

**ذكر من قال ذلك، والخبر الذي جاء فيه عن رسول الله ﷺ:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا المحاربي عبد الرحمن بن محمد، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن يزيد، عن رجل من الأنصار، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنْفَخُ في الصُّور ثَلاث نَفَخاتٍ: الأُولى: نَفْخَة الفَزَعِ، والثَّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصَّعْقِ، والثَّالِثَةُ: نَفْخَةُ الْقِيام لِرَبِّ العالَمِينَ تَبارَكَ وَتَعالى يأْمُرُ اللَّهُ إسْرَافِيلَ بالنَّفْخَةِ الأُولى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَتَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وأَهْلُ الأرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ» قال أبو هريرة: يا رسولَ الله، فمن استثنىٰ حين يقول: ﴿**ففَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ قال: «أُولَئِكَ الشُّهَداءُ، وإنَّما يَصلُ الفَزَعُ إلى الأحْياءِ، أُولَئِكَ أحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَقاهُمُ اللَّهُ فَزَعَ ذلكَ اليَوْمِ وأمَّنَهُمْ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ إسْرافِيلَ بنَفْخَةِ الصَّعْقِ، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الصَّعْقِ، فَيَصْعَقُ أهْلُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ فإذا هُمْ خامِدُونَ، ثُمَّ يأتي مَلَكُ المَوْتِ إلى الجَبَّارِ تَبارَكَ وَتَعالى فَيَقُولُ: يا رَبِّ قَدْ ماتَ أهْلُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ إلاَّ مَنْ شِئْتَ، فَيَقُولُ لَهُ وَهُوَ أعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقُولُ: بَقِيتَ أنْتَ الحَيَّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيَ جِبْرِيلَ وَمِيكائِيلُ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اسْكُتْ إنِّي كَتَبْتُ المَوْتَ على مَنْ كانَ تَحْتَ عَرْشِي ثُمَّ يأتي مَلَكُ المَوْتِ فَيَقُولُ: يا رَب قَدْ ماتَ جِبْرِيلُ وَمِيكائِيلُ فَيقولُ اللَّهُ وَهُوَ أعْلَمُ: فَمَنْ بَقِيَ؟ فَيَقولُ: بَقِيتَ أنتَ الحيَّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَبَقِيَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ، وَبَقِيتُ أنا، فَيَقُولُ اللَّهُ: فَلْيَمُتْ حَمَلَةُ العَرْشِ، فَيَمُوتُونَ وَيأْمُرُ اللَّهُ تعالى العَرْشَ فَيَقْبِضُ الصُّورَ. فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ قَدْ ماتَ حَمَلَةُ عَرْشِكَ فَيَقُولُ: مَنْ بَقِي؟ وَهُوَ أعْلَمُ، فَيَقُولُ: بَقِيت أنْتَ الحَيَّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَبَقِيتُ أنا، قال: فَيَقُولُ اللَّهُ: أنْتَ مِنْ خَلقِي خَلَقْتُكَ لِمَا رأيْتُ، فَمُتْ لا تَحْيَ، فَيَمُوتُ».

وهذا القول الذي رُوي في ذلك عن رسول الله ﷺ أولى بالصحة، لأن الصعقة في هذا الموضع: الموت. والشهداء وإن كانوا عند الله أحياء كما أخبر الله تعالى ذكره فإنهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك.

وإنما عنى جلّ ثناؤه بالاستثناء في هذا الموضع، الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق، لا من الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك

من قد هلك، وذاق الموت قبل وقت نفخة الصعق، وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك، فذاق الموت من قبل ذلك، لأنه ممن لا يصعق في ذلك الوقت إذا كان الميت لا يجدّد له موت آخر في تلك الحال. وقال آخرون في ذلك ما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ﴾** قال الحسن: يستثني الله وما يدع أحداً من أهل السموات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت؟ قال قتادة: قد استثنى الله، والله أعلم إلى ما صارت ثنيته. قال: ذُكر لنا أن نبيّ الله قال: «أتانِي مَلَكٌ فَقالَ: يا مُحَمَّدُ اخْتَرْ نَبِياً مَلِكاً، أوْ نَبِيًّا عَبْداً فَأَوْمأَ إليَّ أنْ تَوَاضَعْ، قال: نَبِيًّا عَبْداً، قال: فأُعْطِيتُ خَصْلَتَيْنِ: أنْ جُعِلْتُ أوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرْضَ، وأوَّلَ شافِعٍ، فَأَرْفَعُ رأسِي فأجِدُ مُوسَى آخِذاً بالعَرْشِ، فاللَّهُ أعْلَمُ أصَعِقَ بَعْدَ الصَّعْقَةِ الأُولى أمْ لا؟».

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا عبدة بن سليمان، قال: ثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال يهودي بسوق المدينة: والذي اصطفى موسى على البشر قال: فرفع رجل من الأنصار يده، فصكّ بها وجهه، فقال: تقول هذا وفينا رسولُ الله ﷺ؟ فقال رسول الله ﷺ: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ، فَأكُونُ أنا أوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رأسَهُ، فإذا مُوسَى آخِذٌ بقائمَةٍ مِنْ قَوَائمِ العَرْشِ فَلا أدْرِي أرَفَعَ رأسهُ قَبْلي، أوْ كانَ مِمَّنْ استثنى الله».

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن الحسن، قال: قال النبيّ ﷺ: «كأنّي أنْفُضُ رأسِي مِنَ التُّرَابِ أوَّلَ خارِجٍ، فَألْتَفِتُ فَلا أرَى أحَداً إلاَّ مُوسَى مُتَعَلِّقاً بالعَرْشِ، فَلا أدْرِي أمِمَّنِ اسْتَثْنى اللَّهُ أنْ لا تُصِيبَهُ النَّفْخَةُ أوْ بُعِث قَبْلِي».

وقوله: **﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: ثم نُفخ في الصور نفخة أخرى والهاء التي في «فيه» من ذكر الصور، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾** قال: في الصور، وهي نفخة البعث.

وذُكر أن بين النفختين أربعين سنة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بَينَ النَّفْخَتَيْنِ أرْبَعُونَ» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبَيْتُ قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت «ثُمَّ يُنَزِّلُ اللَّهُ مِن السَّماءِ ماءً

فَتَنْبِتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، قالَ: وَلَيسَ مِنَ الإنسانِ شَيْءٌ إلاَّ يَبْلَى، إلاَّ عَظْماً وَاحِداً، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيامَةِ».

**حدثنا** يحيى بن واضح، قال: ثنا البلخي بن إياس، قال: سمعت عكرمة يقول في قوله **﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ...﴾** الآية، قال: الأولى من الدنيا، والأخيرة من الآخرة.

**حدثنا** بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فإذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ﴾** قال نبيّ الله: «بَينَ النَّفْخَتَيْنِ أرْبَعُونَ» قال قال أصحابه: فما سألناه عن ذلك، ولا زادنا على ذلك، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة. وذُكر لنا أنه يبعث في تلك الأربعين مطر يقال له مطر الحياة، حتى تطيب الأرض وتهتزّ، وتنبت أجساد الناس نباتَ البقل، ثم ينفخ فيه الثانية **﴿فإذا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾** قال: ذُكر لنا أن معاذ بن جبل، سأل نبيّ الله ﷺ: كيف يُبعث المؤمنون يوم القيامة؟ قال: «يُبْعَثُونَ جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلينَ بني ثَلاثِينَ سَنَةً».

وقوله: **﴿فإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾** يقول: فإذا من صعق عند النفخة التي قبلها وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتاً قبل ذلك قيام من قبورهم وأماكنهم من الأرض أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿فإذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُون﴾** قال: حين يبعثون.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأضاءت الأرض بنور ربها، يقال: أشرقت الشمس: إذا صفت وأضاءت، وأشرقت: إذا طلعت، وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وأشْرَقَتِ الأرْضُ بنُورِ رَبِّها﴾** قال: فما يتضارُّون في نوره إلا كما يتضارّون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وأشْرَقَتِ الأرْضُ بنُورِ رَبِّها**﴾ قال: أضاءت.

وقوله: ﴿**وَوُضِعَ الكِتَابُ**﴾ يعني: كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَوُضِعَ الكِتَابُ**﴾ قال: كتاب أعمالهم.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَوُضِعَ الكِتابُ**﴾ قال: الحساب.

وقوله: ﴿**وَجِيءَ بالنَّبِيِّينَ والشُّهدَاءِ**﴾ يقول: وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم، وردّت عليهم في الدنيا، حين أتتهم رسالة الله والشهداء، يعني بالشهداء: أمة محمد ﷺ، يستشهدهم ربهم على الرسل، فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التي أرسلهم بها ربهم إلى أممها، إذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله، والشهداء: جمع شهيد، وهذا نظير قول الله: ﴿**وكَذلكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ على النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ وقيل: عُني بقوله: ﴿**الشُّهدَاءِ**﴾: الذين قتلوا في سبيل الله وليس لما قالوا من ذلك في هذا الموضع كبير معنى، لأن عقيب قوله: ﴿**وَجِيءَ بالنَّبِيِّينَ والشهدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقّ**﴾، وفي ذلك دليل واضح على صحة ما قلنا من أنه إنما دعى بالنبيين والشهداء للقضاء بين الأنبياء وأممها، وأن الشهداء إنما هي جمع شهيد، الذين يشهدون للأنبياء على أممهم كما ذكرنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**وَجِيءَ بالنَّبِيِّينِ وَالشُّهدَاءِ**﴾ فإنهم ليشهدون للرسل بتبليغ الرسالة، وبتكذيب الأمم إياهم.

ذكر من قال ما حكينا قوله من القول الآخر:

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَجِيءَ بالنَّبِيِّينَ والشهدَاءِ**﴾: الذين استشهدوا في طاعة الله.

وقوله: ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقّ**﴾ يقول تعالى ذكره: وقضي بين النبيين وأممها بالحقّ، وقضاؤه بينهم بالحق، أن لا يحمل على أحد ذنب غيره، ولا يعاقب نفساً إلا بما كسبت.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشرّ، وهو أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة أو معصية، ولا يعزب عنه علم شيء من ذلك، وهو مجازيهم عليه يوم القيامة، فمثيبٌ المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بما أساء.

وقوله: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ**﴾ يقول: وحُشر الذين كفروا بالله إلى ناره التي أعدّها لهم يوم القيامة جماعات، جماعة جماعة، وحزباً حزباً، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿**زُمَراً**﴾ قال: جماعات.

وقوله: ﴿**حتى إذَا جاءُوها فُتِحَتْ أبْوابُها**﴾ السبعة ﴿**وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها**﴾ قوّامها: ﴿**ألَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ**﴾ يعني: كتاب الله المنزل على رسله وحججه التي بعث بها رسله إلى أممهم ﴿**وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءِ يَوْمِكُمْ هَذا**﴾ يقول: ويُنْذِرُونكم ما تلقون في يومكم هذا وقد يحتمل أن يكون معناه: وينذرونكم مصيركم إلى هذا اليوم. قالوا: بلى: يقول: قال الذين كفروا مجيبين لخزنة جهنم: بلى قد أتتنا الرسل منا، فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم ﴿**وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ على الكافِرِينَ**﴾ يقول: قالوا: ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به علينا بكفرنا به، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلَكِنِ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ على الكافِرِينَ**﴾ بأعمالهم.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ: ﴿**ادْخُلُوا أبْوَابَ جَهَنَّمَ**﴾ السبعة على قدر منازلكم فيها ﴿**خالِدِينَ فِيها**﴾ يقول: ماكثين فيها لا يُنقلون عنها إلى غيرها. ﴿**فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبرين**﴾ يقول: فبئس مسكن المتكبرين على الله في الدنيا، أن يوحدوه ويفردوا له الألوهة، جهنم يوم القيامة.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: وحُشر الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه في الدنيا، وأخلصوا له فيها الألوهة، وأفردوا له العبادة، فلم يشركوا في عبادتهم إياه شيئاً ﴿**إلى الجَنَّةِ زُمَراً**﴾ يعني جماعات، فكان سوق هؤلاء إلى منازلهم من الجنة وفداً على ما قد بيَّنا قبل في سورة مريم على نجائب من نجائب الجنة، وسوق الآخرين إلى النار دعًّا ووِرداً، كما قال الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقد ذكر ذلك في أماكنه من هذا الكتاب. وقد:

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ زُمَراً**﴾، وفي قوله: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُمْ إلى الجَنَّةِ زُمَراً**﴾ قال: كان سوق أولئك عنفاً وتعباً ودفعاً، وقرأ: يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا قال: يدفعون دفعاً، وقرأ: ﴿**فَذلِكَ الَّذي يَدُعُّ اليَتِيمَ**﴾ قال: يدفعه، وقرأ ﴿**ونَسُوقُ المُجْرِمينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْداً**﴾ و ﴿**ونَحْشُرُ المُتَّقِينَ إلى الرَّحْمَنِ وَفْداً**﴾ ثم قال: فهؤلاء وفد الله.

**حدثنا** مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا شريك بن عبد الله، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه قوله: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ إلى الجَنَّةِ زُمَراً**﴾ حتى إذا انتهوا إلى بابها، إذا هم بشجرة يخرج من أصلها عينان، فعمدوا إلى إحداهما، فشربوا منها كأنما أمروا بها، فخرج ما في بطونهم من قذر أو أذى أو قذى، ثم عمدوا إلى الأخرى، فتوضّؤا منها كأنما أُمروا به، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تشعث رؤوسهم بعدها أبداً ولن تبلى ثيابهم بعدها، ثم دخلوا الجنة، فتلقتهم الولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون، فيقولون: أبشر، أعدّ الله لك كذا، وأعدّ لك كذا وكذا، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه جندل اللؤلؤ الأحمر والأصفر والأخضر، يتلألأ كأنه البرق، فلولا أن الله قضى أن لا يذهب بصره لذهب، ثم يأتي بعضهم إلى بعض أزواجه، فيقول: أبشري قد قدم فلان ابن فلان، فيسميه باسمه واسم أبيه، فتقول: أنت رأيته، أنت رأيته فيستخفها الفرح حتى تقوم، فتجلس على أسكفة بابها، فيدخل فيتكىء على سريره، ويقرأ هذه الآية: ﴿**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهَذا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أنْ هَدانا اللَّهُ...**﴾ الآية.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: ذكر أبو إسحاق عن

الحارث، عن عليّ رضي الله عنه قال: يساقون إلى الجنة، فينتهون إليها، فيجدون عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان تجريان، فيعمدون إلى إحداهما، فيغتسلون منها، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلن تشعث رؤوسهم بعدها أبداً، ولن تغبر جلودهم بعدها أبداً، كأنما دهنوا بالدهان ويعمدون إلى الأخرى، فيشربون منها، فيذهب ما في بطونهم من قذى أو أذى، ثم يأتون باب الجنة فيستفتحون، فيفتح لهم، فتتلقاهم خزنة الجنة فيقولون ﴿**سلامٌ عَلَيْكم ادْخُلوا الجَنَّةَ بِما كنتم تَعْمَلُونَ**﴾ قال: وتتلقاهم الولدان المخلدون، يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم إذا جاء من الغيبة، يقولون: أبشر أعدّ الله لك كذا، وأعدّ لك كذا، فينطلق أحدهم إلى زوجته، فيبشرها به، فيقول: قدم فلان باسمه الذي كان يسمى به في الدنيا، وقال: فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها، وتقول: أنت رأيته، أنت رأيته؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيجيء حتى يأتي منزله، فإذا أصوله من جندل اللؤلؤ من بين أصفر وأحمر وأخضر، قال: فيدخل فإذا الأكواب موضوعة، والنمارق مصفوفة، والزرابيّ مبثوثة قال: ثم يدخل إلى زوجته من الحور العين، فلولا أن الله أعدّها له لالتمع بصره من نورها وحسنها قال: فاتكأ عند ذلك ويقول: ﴿**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهَذَا وَما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدانا اللَّهُ**﴾ قال: فتناديهم الملائكة: ﴿**أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، قال: ذكر السديّ نحوه أيضاً، غير أنه قال: لهو أهدى إلى منزله في الجنة منه إلى منزله في الدنيا، ثم قرأ السديّ: ﴿**وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَها لَهُمْ**﴾.

واختلف أهل العربية في موضع جواب «إذا» التي في قوله ﴿**حتى إذَا جاءُوها**﴾ فقال بعض نحويي البصرة: يقال إن قوله ﴿**وَقالَ لَهُم خَزَنَتُها**﴾ في معنى: قال لهم، كأنه يلغي الواو، وقد جاء في الشعر شيء يشبه أن تكون الواو زائدة، كما قال الشاعر:

فَـإذَا وَذلِـكَ يـا كُـبَـيْـشَـةُ لَـمْ يَـكُـنْ ... إلاَّ تَـوَهُّـمَ حـالِـمٍ بِـخَـيـالِ[1]

فيشبه أن يكون يريد: فإذا ذلك لم يكن. قال: وقال بعضهم: فأضمر الخبر، وإضمار الخبر

---

(١) هذا البيت لم نقف على قائله. استشهد به المؤلف عند قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاءوها وفتحت﴾ على أن الواو زائدة في قوله تعالى: ﴿وفتحت أبوابها﴾ كزيادتها في قول الشاعر:

«فـإذا وذلـك»

لأن الشاعر يريد:

«فـإن ذلـك»

بدون واو.

أيضاً أحسن في الآية، وإضمار الخبر في الكلام كثير. وقال آخر منهم: هو مكفوف عن خبره، قال: والعرب تفعل مثل هذا قال عبد مَناف بن ربع في آخر قصيدة:

حتى إذَا أسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدِهِ شَلاً كما تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدا(١)

وقال الأخطل في آخر القصيدة:

خَلا أنَّ حيًّا مِنْ قُرَيْشٍ تَفَضَّلوا على النَّاسِ أوْ أنَّ الأكارِمَ نَهْشَلا(٢)

وقال بعض نحويِّي الكوفة: أدخلت في حتى إذا وفي فلما، الواو في جوابها وأخرجت، فأما من أخرجها فلا شيء فيه، ومن أدخلها شبه الأوائل بالتعجب، فجعل الثاني نسقاً على الأوّل، وإن كان الثاني جواباً كأنه قال: أتعجب لهذا وهذا.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: الجواب متروك، وإن كان القول الآخر غير مدفوع، وذلك أن قوله: ﴿وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فادْخُلُوها خالِدِينَ﴾ يدلّ على أن في الكلام متروكاً، إذ كان عقيبه ﴿وَقالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ﴾ وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: حتى إذا جاؤوا وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، دخلوها وقالوا: الحمد لله الذي صدقنا وعده. وعنى بقوله ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾: أمنة من الله لكم أن ينالكم بعدُ مكروه أو أذى. وقوله ﴿طِبْتُمْ﴾ يقول: طابت أعمالكم في الدنيا، فطاب اليوم مثواكم. وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

**حدثنا** محمد بن عمر، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿طِبْتُمْ﴾ قال: كنتم طيبين في طاعة الله.

---

(١) البيت لعبد مناف بن ربع الهذلي «**اللسان**» جمل. و «**خزانة الأدب الكبرى**» للبغدادي (٣/ ١٧٠) شاهد على أن جواب إذ عند الرضى شارح كافية ابن الحاجب محذوف لتفخيم الأمر. (وقد تقدم الاستشهاد به على هذا وغيره في الجزء ١٤/ ٩) فراجعه ثمة. وفي «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (الورقة ٢١٧) قال: وقوله «حتى إذا جاءوها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين». مكفوف عن خبره (أي محذوف خبره) والعرب تفعل مثل هذا. قال عبد مناف:

«حتى إذا أسلكوهم...

البيت». وفي «**خزانة الأدب**» للبغدادي (٣/ ١٧١) وقال في «**الصحاح**» إذا زائدة. أو يكون قد كف عن خبره، لعلم السامع ا هـ. ورد قوله بأن إذا اسم، الاسم لا يكون لغوا. ا هـ.

(٢) البيت للأخطل، قاله أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٢١٧) وذكر البيت بعقب البيت الذي قبله، ولم يبين موضع الشاهد فيه وهو قوله:

«أو أن المكارم نهشلا.....»

فلم يذكر خبر أن الثانية، كما لم يذكر جواب «إذا» في بيت عبد مناف قبله، والعرب تفعل ذلك إذا كان مفهوماً من السياق. وتقدير المحذوف في هذا البيت: أو أن الأكارم نهشلا تفضلوا على الناس.

وقوله: ﴿وَقالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ﴾ يقول: وقال الذين سيقوا زمراً ودخلوها: الشكر خالص لله الذي صدقنا وعده، الذي كان وعدناه في الدنيا على طاعته، فحققه بإنجازه لنا اليوم، ﴿وأوْرَثَنا الأرْضَ﴾ يقول: وجعل أرض الجنة التي كانت لأهل النار لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا، فدخلوها، ميراثاً لنا عنهم، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وأوْرَثَنا الأرْضَ﴾ قال: أرض الجنة.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وأوْرَثَنا الأرْضَ﴾ أرض الجنة.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وأوْرَثَنا الأرْضَ﴾ قال: أرض الجنة، وقرأ: ﴿أنَّ الأرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

وقوله: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيثُ نَشاءُ﴾ يقول: نتخذ من الجنة بيتاً، ونسكن منها حيث نحبّ ونشتهي، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيثُ نَشاءُ﴾ ننزل منها حيث نشاء.

وقوله: ﴿فَنِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ﴾ يقول: فنعم ثواب المطيعين لله، العاملين له في الدنيا الجنة لمن أعطاه الله إياها في الآخرة.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد الملائكة محدقين من حول عرش الرحمن، ويعني بالعرش: السرير.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَتَرَى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ﴾ محدقين.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَتَرَى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ

**حَوْلِ العَرْشِ﴾** قال: محدقين حول العرش، قال: العرش: السرير.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «مِنْ» في قوله: **﴿حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ﴾** والمعنى: حافِّين حول العرش.

وفي قوله: **﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾** فقال بعض نحويي البصرة: أدخلت «مِنْ» في هذين الموضعين توكيداً، والله أعلم، كقولك: ما جاءني من أحد وقال غيره: قبل وحول وما أشبههما ظروف تدخل فيها «مِنْ» وتخرج، نحو: أتيتك قبل زيد، ومن قبل زيد، وطفنا حولك ومن حولك، وليس ذلك من نوع: ما جاءني من أحد، لأن موضع «مِنْ» في قولهم: ما جاءني من أحد رفع، وهو اسم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن «مِنْ» في هذه الأماكن، أعني في قوله **﴿مِنْ حَوْلِ العَرْشِ﴾** ومن قبلك، وما أشبه ذلك، وإن كانت دخلت على الظروف فإنها بمعنى التوكيد.

وقوله: **﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾** يقول: يصلون حول عرش الله شكراً له والعرب تدخل الباء أحياناً في التسبيح، وتحذفها أحياناً، فتقول: سبح بحمد الله، وسبح حَمْدَ الله، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى﴾**، وقال في موضع آخر: **﴿فَسَبِّحْ باسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾**.

وقوله: **﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقِّ﴾** يقول: وقضى الله بين النبيين الذين جيء بهم، والشهداء وأممها بالعدل، فأسكن أهل الإيمان بالله، وبما جاءت به رسله الجنة. وأهل الكفر به، ومما جاءت به رسله النار. **﴿وَقِيلَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالِمينَ﴾** يقول: وختمت خاتمة القضاء بينهم بالشكر للذي ابتدأ خلقهم الذي له الألوهية، ومُلك جميع ما في السموات والأرض من الخلق من ملك وجنّ وإنس، وغير ذلك من أصناف الخلق. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَيُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ. . .﴾** الآية كلها، قال: فتح أوّل الخلق بالحمد لله، فقال: الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وختم بالحمد فقال: **﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقّ وَقِيلَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالِمينَ﴾**.

**آخر تفسير سورة الزُّمَر**

# (٤٠) سورة غافر مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿حمٓ﴾ فقال بعضهم: هو حروف مقطعة من اسم الله الذي هو الرحمن الرحيم، وهو الحاء والميم منه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عبد الله بن أحمد بن شبُّويه المروَزي، قال: ثنا عليّ بن الحسن، قال: ثني أبي، عن يزيد، عن عكرمة، عن ابن عباس: الر، وحم، ون، حروف الرحمن مقطعة.

وقال آخرون: هو قسم أقسمه الله، وهو اسم من أسماء الله.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: ﴿حمٓ﴾: قسم أقسمه الله، وهو اسم من أسماء الله.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله ﴿حمٓ﴾: من حروف أسماء الله.

وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿حمٓ﴾ قال: اسم من أسماء القرآن.

وقال آخرون: هو حروف هجاء.

وقال آخرون: بل هو اسم، واحتجوا لقولهم ذلك بقول شريح بن أوفى العبسي:

يُذَكِّرُنِي حامِيمَ والرُّمْحُ شاجِرٌ فَهَلاَّ تَلا حم قَبْلَ التَّقَدُّمِ[1]

ويقول الكُمَيت:

وَجَدْنا لَكُمْ فِي آلِ حامِيم آيَةً تَأَوَّلَها مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ[2]

**وحُدثت** عن معمر بن المثنى أنه قال: قال يونس، يعني الجرمي: ومن قال هذا القول فهو منكَر عليه، لأن السورة ﴿حمٓ﴾ ساكنة الحروف، فخرجت مخرج التهجي، وهذه أسماء سور خرجت متحركات، وإذا سميت سورة بشيء من هذه الأحرف المجزومة دخلهُ الإعراب.

والقول في ذلك عندي نظير القول في أخواتها، وقد بيَّنا ذلك، في قوله: ﴿الٓمٓ﴾، ففي ذلك كفاية عن إعادته في هذا الموضع، إذ كان القول في حم، وجميع ما جاء في القرآن على هذا الوجه، أعني حروف التهجي قولاً واحداً.

---

(١) البيت لشريح بن أوفى العبسي، كما قال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (٢١٧ ب) وكما في «**اللسان**» حمم وقال: وأنشده غير أبي عبيد للأشتر النخعي. وقال: قال ابن مسعود: «آل حاميم» ديباج القرآن. قال الفراء: هو كقولك آل فلان وآل فلان. وقال الجوهري: أما قول العامة «الحواميم» فليس من كلام العرب. قال أبو عبيدة: «الحواميم» سور في القرآن، على غير قياس، وأنشد:

وبالطَّوَاسِينِ الَّتي قَدْ ثُلِّثَتْ وبالحَوَامِيمِ الَّتي قَدْ سُبِّعَتْ

قال: والأول أن تجمع «بذوات حاميم». وأنشد أبو عبيد في «حاميم» لشريح بن أوفى العبسي:

«يذكرني حاميم....

البيت» قال: وأنشده غيره للأشتر النخعي. والضمير في «يذكرني»: هو لمحمد بن طلحة، وقتله الأشتر أو شريح. (أي في يوم الجمل) ا هـ.

(٢) البيت للكميت بن زيد الأسدي «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة (٢١٨ ـ ١) وديوانه طبعة الموسوعات بالقاهرة ١٨ وآل حاميم وذوات حاميم: السور التي أولها «حم» نص الحريري في درة الغواص، على أنه يقال: آل حاميم، وذوات حاميم، وآل طسم، ولا يقال: حواميم ولا طواسيم ا هـ. والآية هي قوله تعالى في سورة الشورى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى». وفي سورة الأحزاب من غير آل حاميم: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» والتقى: الساكت عن التفضيل، والمعرب: الناطق به، ورواية البيت في «**مجاز القرآن**».

وجَدْنَا لَكُمْ في آلِ حمَ آيَةً وفي غَيْرِها آيٌ وآيٌ يُعَرِّبُ

ثم قال: قال يونس: من قال بهذا القول، فهو منكر عليه، لأن السورة «حم» ساكنة الحروف، فخرجت مخرج حروف التهجي وهذه أسماء سور خرجن متحركات؛ وإذا سميت سورة بشيء من هذه الأحرف المجزومة (كذا)، دخلها الإعراب. ا هـ. وقول المؤلف: يعني الجرمي: نبهنا عليه فيما مضى، لأن الجرمي اسمه صالح بن إسحاق أبو عمر.

وقوله: ﴿تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ يقول الله تعالى ذكره: من الله العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بما يعملون من الأعمال وغيرها تنزيل هذا الكتاب فالتنزيل مرفوع بقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾.

وفي قوله: ﴿غافِرِ الذَّنْبِ﴾ وجهان أحدهما: أن يكون بمعنى يغفر ذنوب العباد، وإذا أريد هذا المعنى، كان خفض غافر وقابل من وجهين، أحدهما من نية تكرير «من»، فيكون معنى الكلام حينئذ: تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، من غافر الذنب، وقابل التوب، لأن غافر الذنب نكرة، وليس بالأفصح أن يكون نعتاً للمعرفة، وهو نكرة، والآخر أن يكون أجرى في إعرابه، وهو نكرة على إعراب الأوّل كالنعت له، لوقوعه بينه وبين قوله: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ وهو معرفة. وقد يجوز أن يكون أتبع إعرابه وهو نكرة إعراب الأوّل، إذا كان مدحاً، وكان المدح يتبع إعرابه ما قبله أحياناً، ويعدل به عن إعراب الأوّل أحياناً بالنصب والرفع كما قال الشاعر:

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ ... سَمُّ العُدَاةِ وآفَةُ الجُزْرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الأُزُرْ[(١)]

وكما قال جلّ ثناؤه ﴿وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ ذُو العَرْشِ المَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ فرفع فعّالٌ وهو نكرة محضة، وأتبع إعراب الغفور الودود والآخر: أن يكون معناه: أن ذلك من صفته تعالى، إذ كان لم يزل لذنوب العباد غفوراً من قبل نزول هذه الآية وفي حال نزولها، ومن بعد ذلك، فيكون عند ذلك معرفة صحيحة ونعتاً على الصحة. وقال: ﴿غافِرِ الذَّنْبِ﴾ ولم يقل الذنوب، لأنه أريد به الفعل، وأما قوله: ﴿وَقابِلِ التَّوْبِ﴾ فإن التوب قد يكون جمع توبة، كما يجمع الدَّومة دَوماً والعَومة عَوماً من عومة السفينة، كما قال الشاعر:

عَوْمَ السَّفِينَ فَلَمَّا حالَ دُونَهُمُ[(٢)] ... وقد يكون مصدر تاب يتوب توباً.

وقد:

**حدثني** محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، قال:

---

(١) البيتان لخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مثد الضبعي، وابنها علقمة بن بشر وجماعة من قومها قتلوا في معركة «خزانة الأدب الكبرى» للبغدادي (٢/٣٠٦) ومحل الشاهد في البيتين أنه يجوز قطع نعت المعرفة بالواو، فقولها: والطيبون نعت مقطوع بالواو من قومي، للمدح والتعظيم، بجعله خبر مبتدأ محذوف، أي هم الطيبون. وقوله «النازلين» مقطوع فالنصب، مع أنه نعت لقومي المرفوع. وإنما نصب بفعل مقدر أي أمدح أو أعني، أو نحوهما، واستشهد بهما المؤلف (الطبري) على أن قوله تعالى: ﴿غافر الذنب﴾ نعت للفظ «الله» المجرور بمن، ويجوز في هذا النعت الجر على الإتباع، كما يجوز فيه القطع بالنصب، بتقدير فعل: أي أخص غافر الذنب، أو بالرفع، بتقدير مبتدأ: أي هو غافر الذنب.

(٢) هذا صدر بيت لم نعرف قائله، ولا عجزه. استشهد به المؤلف على أن التوب في قوله تعالى: ﴿قابل التوب﴾: قد يكون جمع توبة كما يجمع الدومة دوماً، والعومة عوماً، من عوم السفينة.

جاء رجل إلى عمر، فقال: إني قتلت، فهل لي من توبة؟ قال: نعم، اعمل ولا تيأس، ثم قرأ: ﴿حم تَنْزِيلُ الكِتابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ﴾.

وقوله: ﴿شَدِيد العقابِ﴾ يقول تعالى ذكره: شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له، فلا تتكلوا على سعة رحمته، ولكن كونوا منه على حذر، باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، فإنه كما أن لا يؤيس أهل الإجرام والآثام من عفوه، وقبول توبة من تاب منهم من جرمه، كذلك لا يؤمنهم من عقابه وانتقامه منهم بما استحلوا من محارمه، وركبوا من معاصيه.

وقوله: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ يقول: ذي الفضل والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه يقال منه: إن فلاناً لذو طَوْل على أصحابه، إذا كان ذا فضل عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو الصالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ يقول: ذي السعة والغنى.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ الغنى.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾: أي ذي النعم.

وقال بعضهم: الطَّول: القدرة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ قال: الطول القدرة، ذاك الطول.

وقوله: ﴿لا إلَهَ إلاَّ هوَ إلَيْهِ المَصِيرُ﴾ يقول: لا معبود تصلح له العبادة إلا الله العزيز العليم، الذي صفته ما وصف جلّ ثناؤه، فلا تعبدوا شيئاً سواه ﴿إلَيْهِ المَصِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: إلى الله مصيركم ومرجعكم أيها الناس، فإياه فاعبدوا، فإنه لا ينفعكم شيء عبدتموه عند ذلك سواه.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ

لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها، إلا الذين جحدوا توحيده.

وقوله: ﴿فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ في البِلادِ﴾ يقول جلّ ثناؤه: فلا يخدعك يا محمد تصرّفهم في البلاد وبقاؤهم ومكثهم فيها، مع كفرهم بربهم، فتحسب أنهم إنما أمهلوا وتقلبوا، فتصرّفوا في البلاد مع كفرهم بالله، ولم يعاجلوا بالنقمة والعذاب على كفرهم لأنهم على شيء من الحق فإنا لم نمهلهم لذلك، ولكن ليبلغ الكتاب أجله، ولتحقّ عليهم كلمة العذاب، عذاب ربك، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي البِلادِ﴾ أسفارهم فيها، ومجيئهم وذهابهم.

ثم قصّ على رسول الله ﷺ قصص الأمم المكذّبة رسلها، وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسله على مثل الذي عليه قومه الذين أرسل إليهم، وإنه أحلّ بهم من نقمته عند بلوغهم أمدهم بعد إعذار رسله إليهم، وإنذارهم بأسه ما قد ذكر في كتابه إعلاماً منه بذلك نبيه، أن سنته في قومه الذين سلكوا سبيل أولئك في تكذيبه وجداله سنته من إحلال نقمته بهم، وسطوته بهم، فقال تعالى ذكره: كذبت قبل قومك المكذّبين لرسالتك إليهم رسولاً، المجادليك بالباطل قوم نوح والأحزاب من بعدهم، وهم الأمم الذين تحزّبوا وتجمّعوا على رسلهم بالتكذيب لها، كعاد وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مَدْيَن وأشباههم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ والأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ قال: الكفار.

وقوله: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وهمت كلّ أمة من هذه الأمم المكذبة رسلها، المتحزّبة على أنبيائها، برسولهم الذي أُرسل إليهم ليأخذوه فيقتلوه، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: أي ليقتلوه، وقيل برسولهم وقد قيل: كلّ أمة، فوجّهت الهاء والميم إلى الرجل دون لفظ الأمة، وقد ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله «برسولها»، يعني برسول الأمة.

وقوله: ﴿وجَادَلُوا بالباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ﴾ يقول: وخاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة ليبطلوا بجدالهم إياه وخصومتهم له الحقّ الذي جاءهم به من عند الله، من الدخول في

طاعته، والإقرار بتوحيده، والبراءة من عبادة ما سواه، كما يخاصمك كفار قومك يا محمد بالباطل.

وقوله: ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: فأخذت الذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب من عندي، فكيف كان عقابي إياهم، ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة، ولمن بعدهم عظة؟ وأجعل ديارهم ومساكنهم منهم خلاء، وللوحوش ثواء. وقد:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقَابِ﴾ قال: شديد والله.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكما حقّ على الأمم التي كذّبت رسلها التي قصصت عليك يا محمد قصصها عذابي، وحلّ بها عقابي بتكذيبهم رسلهم، وجدالهم إياهم بالباطل، ليدحضوا به الحقّ، كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك، الذين يجادلون في آيات الله.

وقوله: ﴿أَنَّهُمْ أصحَابُ النَّارِ﴾ اختلف أهل العربية في موضع قوله ﴿أَنَّهُمْ﴾، فقال بعض نحويّ البصرة: معنى ذلك: حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار: أي لأنهم، أو بأنهم، وليس أنهم في موضع مفعول ليس مثل قولك: أحققت أنهم لو كان كذلك كان أيضاً أحققت، لأنهم. وكان غيره يقول: «أنهم» بدل من الكلمة، كأنه أحقت الكلمة حقاً أنهم أصحاب النار.

والصواب من القول في ذلك، أن قوله «أنهم» ترجمة عن الكلمة، بمعنى: وكذلك حقّ عليهم عذاب النار، الذي وعد الله أهل الكفر به.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الذين يحملون عرش الله من ملائكته، ومن حول عرشه، ممن يحفّ به من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: يصلون لربهم بحمده وشكره ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يقول: ويقرّون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ

**آمَنُوا﴾** يقول: ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقرّوا بمثل إقرارهم من توحيد الله، والبراءة من كلّ معبود سواه ذنوبهم، فيعفوها عنهم، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾** لأهل لا إله إلا الله.

وقوله: **﴿رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾**، وفي هذا الكلام محذوف، وهو يقولون ومعنى الكلام ويستغفرون للذين آمنوا يقولون: يا ربنا وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً. ويعني بقوله: **﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحمَةً وَعِلْماً﴾**: وسعت رحمتك وعلمك كلّ شيء من خلقك، فعلمت كلّ شيء، فلم يخف عليك شيء، ورحمت خلقك، ووسعتهم برحمتك.

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب الرحمة والعلم، فقال بعض نحويي البصرة: انتصاب ذلك كانتصاب لك مثله عبداً، لأنك قد جعلت وسعت كلّ شيء، وهو مفعول له، والفاعل التاء، وجاء بالرحمة والعلم تفسيراً، وقد شغلت عنهما الفعل كما شغلت المثل بالهاء، فلذلك نصبته تشبيهاً بالمفعول بعد الفاعل وقال غيره: هو من المنقول، وهو مفسر، وسعت رحمته وعلمه، ووسع هو كلّ شيء رحمة، كما تقول: طابت به نفسي، وطبت به نفساً، وقال: أمالك مثله عبداً، فإن المقادير لا تكون إلا معلومة مثل عندي رطل زيتاً، والمثل غير معلوم، ولكن لفظه لفظ المعرفة والعبد نكرة، فلذلك نصب العبد، وله أن يرفع، واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر:

مـا فـي مَـعَـدّ والـقَـبـائِـلِ كُـلِّـهـا ... قَـحْـطـانَ مِـثْـلُـكَ وَاحِـدٌ مَـعْـدودُ[١]

وقال: رد «الواحد» على «مثل» لأنه نكرة، قال: ولو قلت: ما مثلك رجل، ومثلك رجل، ومثلك رجلاً، جاز، لأن مثل يكون نكرة، وإن كان لفظها معرفة.

وقوله: **﴿فاغْفِرِ لِلَّذِينَ تابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾** يقول: فاصفح عن جرم من تاب من الشرك بك من عبادك، فرجع إلى توحيدك، واتبع أمرك ونهيك، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿فاغْفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا﴾** من الشرك.

وقوله: **﴿واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾** يقول: وسلكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه، ولزموا المنهاج

---

(١) لم أقف على قائله. واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ وقد اختلف أهل العربية في نصب رحمة. . . . الخ. والشاهد في البيت قوله «مثلك واحد»؛ فيجوز في «واحد» أن يرد على «مثلك» بطريق البدل منه ويجوز أيضاً أن يكون تفسيراً: أي تمييزا لمثل، لأنه وإن كان معرفة في لفظه، فهو نكرة في معناه، فاحتاج من أجل ذلك إلى التفسير (التمييز) مثل قولك؛ لك مثله أرضاً، وعندي فدان أرضاً، ورطل زيتاً لأن المقادير لا تكون إلا معلومة، و قوله «مثلك» في معنى ألفاظ المقادير. وأما نصب رحمة في الآية، فقد بينه المؤلف.

الذي أمرتهم بلزومه، وذلك الدخول في الإسلام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾**: أي طاعتك.

وقوله: **﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ﴾** يقول: واصرف عن الذين تابوا من الشرك، واتبعوا سبيلك عذاب النار يوم القيامة.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن دعاء ملائكته لأهل الإيمان به من عبادة، تقول: يا **﴿رَبَّنا وأدخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾** يعني: بساتين إقامة **﴿التي وَعَدْتَهُمْ﴾** يعني التي وعدت أهل الإنابة إلى طاعتك أن تدخلهموها **﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وأزْوَاجِهِمْ وَذُرِّياتِهِمْ﴾** يقول: وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا **﴿واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾** جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم، فعمل بما يرضيك عنه من الأعمال الصالحة في الدنيا، وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة، وإن لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله إياه، كما:

**حدثنا** أبو هشام، قال: ثنا يحيى بن يمان العجلي، قال: ثنا شريك، عن سعيد، قال: يدخل الرجل الجنة، فيقول: أين أبي، أين أمي، أين ولدي، أين زوجتي، فيقال: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة ثم قرأ **﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ التي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وأزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾**.

فمن إذن، إذ كان ذلك معناه، في موضع نصب عطفاً على الهاء والميم في قوله **﴿وأدْخِلْهِمْ﴾** وجائز أن يكون نصباً على العطف على الهاء والميم في وعدتهم **﴿إنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾** يقول: إنك أنت يا ربنا العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبيره خلقه.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره بقوله مخبراً عن قيل ملائكته: وقِهم: اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي

كانوا أتوها قبل توبتهم وإنابتهم، يقولون: لا تؤاخذهم بذلك، فتعذّبهم به ﴿وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ يقول: ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة، فقد رحمته، فنجيه من عذابك ﴿وذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ لأنه من نجا من النار وأدخل الجنة فقد فاز، وذلك لا شك هو الفوز العظيم. وبنحو الذي قلنا في معنى السيئات قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾: أي العذاب.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا معمر بن بشير، قال: ثنا ابن المبارك، عن معمر، عن قتادة، عن مطرف، قال: وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة، وأغشّ العباد للعباد الشياطين، وتلا: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ. . .﴾ الآية.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال مطرف: وجدنا أغشّ عباد الله لعباد الله الشياطين، ووجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين كفروا بالله ينادون في النار يوم القيامة إذا دخلوها، فمقتوا بدخولهموها أنفسهم حين عاينوا ما أعدّ الله لهم فيها من أنواع العذاب، فيقال لهم: لَمَقْتُ الله إياكم أيها القوم في الدنيا، إذ تدعون فيها للإيمان بالله فتكفرون، أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حلّ بكم من سخط الله عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿لَمَقْتُ الله أكْبَرُ﴾ قال: مقتوا أنفسهم حين رأوا أعمالهم، ومقت الله إياهم في الدنيا، إذ يدعون إلى الإيمان، فيكفرون أكبر.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أنْفُسَكُمْ إذْ تُدْعَونَ إلى الإيمانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ يقول: لمقت الله أهل الضلالة

حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا، فتركوه، وأبوا أن يقبلوا، أكبرُ مما مقتوا أنفسهم، حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدّي قوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أنْفُسَكُمْ**﴾ في النار ﴿**إذْ تَدْعُونَ إلى الإيمانِ**﴾ في الدنيا ﴿**فَتَكْفُرُونَ**﴾.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ...**﴾ الآية، قال: لما دخلوا النار مقتوا أنفسهم في معاصي الله التي ركبوها، فنُودوا: إن مقت الله إياكم حين دعاكم إلى الإسلام أشدّ من مقتكم أنفسكم اليوم حين دخلتم النار.

واختلف أهل العربية في وجه دخول هذه اللام في قوله: ﴿**لَمَقْتُ اللَّهِ أكْبَرُ**﴾ فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة: هي لام الابتداء، كأن ينادون يقال لهم، لأن في النداء قول قال: ومثله في الإعرابِ يقال: لزيد أفضل من عمرو. وقال بعض نحوييّ الكوفة: المعنى فيه: ينادون إن مقت الله إياكم، ولكن اللام تكفي من أن تقول في الكلام: ناديت أنّ زيداً قائم، قال: ومثله قوله: ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حتى حِينٍ**﴾ اللام بمنزلة «إن» في كلّ كلام ضارع القول مثل ينادون ويخبرون، وأشباه ذلك.

وقال آخر غيره منهم: هذه لام اليمين، تدخل مع الحكاية، وما ضارع الحكاية لتدلّ على أن ما بعدها ائتناف. قال: ولا يجوز في جوابات الأيمان أن تقوم مقام اليمين، لأن اللام كانت معها النون أو لم تكن، فاكتفى بها من اليمين، لأنها لا تقع إلا معها.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: دخلت لتؤذن أن ما بعدها ائتناف وأنها لام اليمين.

وقوله: ﴿**رَبَّنا أمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ**﴾ قد أتينا عليه في سورة البقرة، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع، ولكنا نذكر بعض ما قال بعضهم فيه.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**أمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ**﴾ قال: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بدّ منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان.

**وحُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**أمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ**﴾ هو قول الله ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللَّهِ وكُنْتُمْ أمْوَاتاً فأحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إلَيْهِ تُرْجِعُونَ**﴾.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿رَبَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ﴾ قال: هو كقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللَّهِ وكُنتُمْ أَمْوَاتاً. . .﴾ الآية.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، في قوله: ﴿أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ﴾ قال: هي كالتي في البقرة ﴿وكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

**حدثني** أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن أبي مالك في هذه الآية ﴿أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ﴾ قال: خلقتنا ولم نكن شيئاً ثم أمتنا، ثم أحييتنا.

**حدثني** يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، في قوله: ﴿أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ﴾ قالوا: كانوا أمواتاً فأحياهم الله، ثم أماتهم، ثم أحياهم.

وقال آخرون فيه ما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ﴾ قال: أميتوا في الدنيا، ثم أحيوا في قبورهم، فسئلوا أو خوطبوا، ثم أميتوا في قبورهم، ثم أحيوا في الآخرة.

وقال آخرون في ذلك ما:

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿رَبَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ﴾ قال: خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق، وقرأ: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهورِهِمْ ذُرِيَّتَهُمْ﴾، فقرأ حتى بلغ ﴿المُبْطِلُونَ﴾ قال: فنسّاهم الفعل، وأخذ عليهم الميثاق، قال: وانتزع ضلعاً من أضلاع آدم القصرى، فخلق منه حوّاء، ذكره عن النبيّ ﷺ، قال: وذلك قول الله: ﴿يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً﴾. قال: بث منهما بعد ذلك في الأرحام خلقاً كثيراً، وقرأ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ قال: خلقاً بعد ذلك، قال: فلما أخذ عليهم الميثاق، أماتهم ثم خلقهم في الأرحام، ثم أماتهم، ثم أحياهم يوم القيامة، فذلك قول الله: ﴿رَبَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ فاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا﴾، وقرأ قول الله: ﴿وأَخَذْنا مِنْهُم مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ قال: يومئذ، وقرأ قول الله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنا وأَطَعْنا﴾.

وقوله: ﴿فاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا﴾ يقول: فأقررنا بما عملنا من الذنوب في الدنيا ﴿فَهَلْ إلى خُرُوج مِنْ سَبِيلٍ﴾ يقول: فهل إلى خروج من النار لنا سبيل، لنرجع إلى الدنيا، فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَهَلْ إلى خُرُوجِ مِنْ سَبِيلٍ﴾: فهل إلى كرّة إلى الدنيا.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

**﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾.**

وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر من ذكره عليه وهو: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون ﴿بأنَّهُ إذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَه كَفَرْتُمْ﴾، فأنكرتم أن تكون الألوهة له خالصة، وقلتم ﴿أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَها وَاحداً﴾.

﴿وإنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ يقول: وإن يجعل لله شريك تصدّقوا من جعل ذلك له ﴿فالحُكْمُ لِلَّهِ العَلِيّ الكَبِيرِ﴾ يقول: فالقضاء لله العليّ على كل شيء، الكبير الذي كلّ شيء دونه متصاغراً له اليوم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

**﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.**

يقول تعالى ذكره: الذي يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً﴾ يقول ينزّل لكم من أرزاقكم من السماء بإدرار الغيث الذي يخرج به أقواتكم من الأرض، وغذاء أنعامكم عليكم ﴿وَما يَتَذَكَّرُ إلاَّ مَنْ يُنِيبُ﴾ يقول: وما يتذكر حجج الله التي جعلها أدلة على وحدانيته، فيعتبر بها ويتعظ، ويعلم حقيقة ما تدلّ عليه، إلا من ينيب، يقول: إلا من يرجع إلى توحيده، ويقبل على طاعته، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿إلاَّ مَنْ يُنِيبُ﴾ قال: من يقبل إلى طاعة الله.

وقوله: ﴿فادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين به، فاعبدوا الله أيها المؤمنون له، مخلصين له الطاعة غير مشركين به شيئاً مما دونه ﴿وَلَوْ كَرِهَ

**الكافِرُون﴾** يقول: ولو كره عبادتكم إياه مخلصين له الطاعة الكافرون المشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأنداد.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هو رفيع الدرجات ورفع قوله: **﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ﴾** على الابتداء ولو جاء نصباً على الردّ على قوله: فادعوا الله، كان صواباً. **﴿ذُو العَرْشِ﴾** يقول: ذو السرير المحيط بما دونه.

وقوله: **﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾** يقول: ينزل الوحي من أمره على من يشاء من عباده.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُني به الوحي.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أمْرِهِ﴾** قال: الوحي من أمره.

وقال آخرون: عُني به القرآن والكتاب.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** هارون بن إدريس الأصمّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ، عن جُوَيبر، عن الضحاك في قوله: **﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾** قال: يعني بالروح: الكتاب ينزله على من يشاء.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾**، وقرأ: **﴿وكَذَلِكَ أوْحَيْنا إلَيْكَ رُوحاً مِنْ أمْرِنا﴾** قال: هذا القرآن هو الروح، أوحاه الله إلى جبريل، وجبريل روح نزل به على النبيّ ﷺ، وقرأ: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ قال: فالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه هي الروح، ليُنذر بها ما قال الله يوم التلاق، **﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفًّا﴾**، قال: الروح: القرآن، كان أبي يقوله، قال ابن زيد: يقومون له صفاً بين السماء والأرض حين ينزل جلّ جلاله.

وقال آخرون: عُني به النبوّة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، وفي قول الله: ﴿**يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ**﴾ قال: النبوّة على من يشاء.

وهذه الأقوال متقاربات المعاني، وإن اختلفت ألفاظ أصحابها بها.

وقوله: ﴿**لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ**﴾ يقول: لينذر من يلقي الروح عليه من عباده من أمر الله بإنذاره من خلقه عذاب يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، وهو يوم التلاق، وذلك يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله: ﴿**يَوْمَ التَّلاقِ**﴾ من أسماء يوم القيامة، عظمه الله، وحذّره عباده.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يَوْمَ التَّلاقِ**﴾: يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، والخالق والخلق.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿**يَوْمَ التَّلاق**﴾ تلتقي أهل السماء وأهل الأرض.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿**يَوْمَ التَّلاقِ**﴾ قال: يوم القيامة. قال: يوم تتلاقى العباد.

وقوله: ﴿**يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفَى على اللَّهِ منْهُمْ شَيْءٌ**﴾ يعني بقوله ﴿**يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ**﴾ يعني المنذرين الذين أرسل الله إليهم رسله لينذروهم وهم ظاهرون يعني للناظرين لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر، ولا يستر بعضهم عن بعض ساتر، ولكنهم بقاع صفصف لا أمْتَ فيه ولا عوج. و «هم» من قوله: ﴿**يَوْمَ هُمْ**﴾ في موضع رفع بما بعده، كقول القائل: فعلت ذلك يوم الحجاج أمير.

واختلف أهل العربية في العلة التي من أجلها لم تخفض هم بيوم وقد أضيف إليه؟ فقال بعض نحويي البصرة: أضاف يوم إلى هم في المعنى، فلذلك لا ينوّن اليوم، كما قال: ﴿**يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّار يُفْتَنُونَ**﴾ وقال: ﴿**هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ**﴾ ومعناه: هذا يوم فتنتهم، ولكن لما ابتدأ بالاسم، وبنى عليه لم يقدر على جرّه، وكانت الإضافة في المعنى إلى الفتنة، وهذا إنما يكون إذا كان اليوم في معنى إذ، وإلا فهو قبيح ألا ترى أنك تقول: ليتك زمن زيدٌ أمير: أي إذ زيد أمير، ولو قلت: ألقاك زمن زيد أمير، لم يحسن. وقال غيره: معنى ذلك: أن الأوقات جعلت بمعنى إذ وإذا،

فلذلك بقيت عل نصبها في الرفع والخفض والنصب، فقال: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾ فنصبوا، والموضع خفض، وذلك دليل على أنه جعل موضع الأداة، ويجوز أن يعرب بوجوه الإعراب، لأنه ظهر ظهور الأسماء ألا ترى أنه لا يعود عليه العائد كما يعود على الأسماء، فإن عاد العائد نوّن وأعرب ولم يضف، فقيل: أعجبني يوم فيه تقول، لما أن خرج من معنى الأداة، وعاد عليه الذكر صار اسماً صحيحاً. وقال: وجائز في إذ أن تقول: أتيتك إذ تقوم، كما تقول: أتيتك يوم يجلس القاضي، فيكون زمناً معلوماً، فأما أتيتك يوم تقوم فلا مؤنة فيه وهو جائز عند جميعهم، وقال: وهذه التي تسمى إضافة غير محضة.

والصواب من القول عندي في ذلك، أن نصب يوم وسائر الأزمنة في مثل هذا الموضع نظير نصب الأدوات لوقوعها مواقعها، وإذا أعربت بوجوه الإعراب، فلأنها ظهرت ظهور الأسماء، فعوملت معاملتها.

وقوله: ﴿لا يَخْفَى على اللَّهِ مِنهُمْ﴾ أي ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿شَيْءٌ﴾. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لاَ يَخْفَى على الله مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ ولكنهم برزوا له يوم القيامة، فلا يستترون بجبل ولا مَدَر.

وقوله: ﴿لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ﴾ يعني بذلك: يقول الربّ: لمن الملك اليوم وترك ذكر «يقول» استغناء بدلالة الكلام عليه. وقوله: ﴿لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهّارِ﴾ وقد ذكرنا الرواية الواردة بذلك فيما مضى قبل ومعنى الكلام: يقول الربّ: لمن السلطان اليوم؟ وذلك يوم القيامة، فيجيب نفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ الوَاحِدِ﴾ الذي لا مثل له ولا شبيه ﴿القَهّارِ﴾ لكلّ شيء سواه بقدرته، الغالب بعزّته.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيله يوم القيامة حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب: ﴿اليَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾ يقول: اليوم يثاب كلّ عامل بعمله، فيوفى أجر عمله، فعامل الخير يجزى الخير، وعامل الشر يجزى جزاءه.

وقوله: ﴿لا ظُلْمَ اليَوْمَ﴾ يقول: لا بخس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله في الدنيا، فينقص منه إن كان محسناً، ولا حُمِل على مسيء إثم ذنب لم يعمله فيعاقب عليه ﴿إنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحسابِ﴾ يقول: إن اللَّهَ ذو سرعة في محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التي عملوها في الدنيا

ذُكر أن ذلك اليوم لا يَنتَصِف حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقد فرغ من حسابهم، والقضاء بينهم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه: وأنذر يا محمد مشركي قومك يوم الآزفة، يعني يوم القيامة، أن يُوافُوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة، فيستحقوا من الله عقابه الأليم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**يَوْمَ الآزِفَةِ**﴾ قال: يوم القيامة.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ**﴾ يوم القيامة.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿**وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ**﴾ قال: يوم القيامة.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ**﴾ قال: يوم القيامة، وقرأ: ﴿**أزِفَتِ الآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كاشِفَةٌ**﴾.

وقوله: ﴿**إذِ القُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ كاظِمينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله لدى حناجرهم قد شخصت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم كاظميها، يرومون ردّها إلى مواضعها من صدورهم فلا ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إذِ القُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ**﴾ قال: قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة، فلا هي تخرج ولا تعود إلى أمكنتها.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ كاظِمِينَ﴾** قال: شخصت أفئدتهم عن أمكنتها، فنشبت في حلوقهم، فلم تخرج من أجوافهم فيموتوا، ولم ترجع إلى أمكنتها فتستقرّ.

واختلف أهل العربية في وجه النصب **﴿كاظِمِينَ﴾** فقال بعض نحويي البصرة: انتصابه على الحال، كأنه أراد: إذا القلوب لدى الحناجر في هذه الحال. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: الألف واللام بدل من الإضافة، كأنه قال: إذا قلوبهم لدى حناجرهم في حال كظمهم. وقال آخر منهم: هو نصب على القطع من المعنى الذي يرجع من ذكرهم في القلوب والحناجر، المعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين. قال: فإن شئت جعلت قطعة من الهاء التي في قوله **﴿وأَنْذِرهُمْ﴾** قال: والأوّل أجود في العربية، وقد تقدم بيان وجه ذلك.

وقوله: **﴿ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ﴾** يقول: جلّ ثناؤه: ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم[1] لهم، فيدفع عنهم عظيمَ ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويُجاب فيما سأل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ﴾** قال: من يعنيه أمرهم، ولا شفيع لهم.

وقوله: **﴿يُطاعُ﴾** صلة للشفيع. ومعنى الكلام: ما للظالمين من حميم ولا شفيع إذا شفع أطيع فيما شفع، فأجيب وقبلت شفاعته له.

وقوله: **﴿يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾** يقول جلّ ذكره مخبراً عن صفة نفسه: يعلم ربكم ما خانت أعين عباده، وما أخفته صدورهم، يعني: وما أضمرته قلوبهم يقول: لا يخفى عليه شيء من أمورهم حتى ما يحدّث به نفسه، ويضمره قلبه إذا نظر ماذا يريد بنظره، وما ينوي ذلك بقلبه **﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بالحَقّ﴾** يقول: والله تعالى ذكره يقضي في الذي خانته الأعين بنظرها، وأخفته الصدور عند نظر العيون بالحق، فيجزي الذين أغمضوا أبصارهم، وصرفوها عن محارمه حذارَ الموقف بين يديه، ومسألته عنه بالحُسنى، والذين ردّدوا النظر، وعزمت قلوبهم على مواقعة الفواحش إذا قدَرت، جزاءها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) في «اللسان» حمني: الأمر وأحمني: أهمني. وقال الأزهري: أحمني هذا الأمر واحتممت له، كأنه اهتمام بحميم قريب.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عبد الله بن أحمد المَرْوَزِيّ، قال: ثنا عليّ بن حسين بن واقد، قال: ثني أبي، قال: ثنا الأعمش، قال: ثنا سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿**يَعْلَمُ خائِنَةَ الأعْيُنِ**﴾ إذا نظرت إليها تريد الخيانة أم لا ﴿**وما تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ إذا قدرت عليها أتزني بها أم لا؟ قال: ثم سكت، ثم قال: ألا أخبركم بالتي تليها؟ قلت نعم، قال: ﴿**وَاللَّهُ يَقْضِي بالْحَقّ**﴾ قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة ﴿**إنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ قال الحسن: فقلت للأعمش: حدثني الكلبيّ، إلا أنه قال: إن الله قادر على أن يجزي بالسيئة السيئة، وبالحسنة عشراً. وقال الأعمش: إن الذي عند الكلبيّ عندي، ما خرج مني إلا بحقير.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**يَعْلَمُ خائِنَةَ الأعْيُنِ**﴾ قال: نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**خائِنَةَ الأعْيُنِ**﴾: أي يعلم همزه بعينه، وإغماضه فيما لا يحبّ الله ولا يرضاه.

وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ**﴾ يقول: والأوثان والآلهة التي يعبدها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشيء، لأنها لا تعلم شيئاً، ولا تقدر على شيء، يقول جلّ ثناؤه لهم: فاعبدوا الذي يقدر على كلّ شيء، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجزي محسنكم بالإحسان، والمسيء بالإساءة، لا ما لا يقدر على شيء ولا يعلم شيئاً، فيعرف المحسن من المسيء، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء.

وقوله: ﴿**إنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ يقول: إن الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس، البصير بما تفعلون من الأفعال، محيط بكل ذلك محصيه عليكم، ليجازي جميعكم جزاءه يوم الجزاء.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ**﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة: «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» بالتاء على وجه الخطاب. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بالياء على وجه الخبر.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أو لم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله، المكذّبون رسوله من قريش، في البلاد، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقول: فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم، في الكفر بالله، وتكذيب رسله ﴿كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنهُمْ قُوَّةً﴾ يقول: كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشدّ منهم بطشاً، وأبقى في الأرض آثاراً، فلم تنفعهم شدّة قواهم، وعظم أجسامهم، إذ جاءهم أمر الله، وأخذهم بما أجرموا من معاصيه، واكتسبوا من الآثام، ولكنه أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا ﴿وَما كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ يقول: وما كان لهم من عذاب الله إذ جاءهم، من واق يقيهم، فيدفعه عنهم، كالذي:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَما كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهُ مِنْ وَاقٍ﴾ يقيهم، ولا ينفعهم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلت بهؤلاء الأمم الذين من قبل مشركي قريش من إهلاكناهم بذنوبهم فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله إليهم بالبينات، يعني بالآيات الدالات على حقيقة ما تدعوهم إليه من توحيد الله، والانتهاء إلى طاعته ﴿فَكَفَرُوا﴾ يقول: فأنكروا رسالتها، وجحدوا توحيد الله، وأبوا أن يطيعوا الله ﴿فأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ يقول: فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم ﴿إِنَّهُ قَوِيّ شَدِيدُ العِقابِ﴾ يقول: إن الله ذو قوّة لا يقهره شيء، ولا يغلبه، ولا يعجزه شيء أراده، شديد عقابه من عاقب من خلقه وهذا وعيد من الله مشركي قريش، المكذّبين رسوله محمداً ﷺ يقول لهم جلّ ثناؤه: فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم في تكذيب محمد ﷺ وجحود توحيد الله، ومخالفة أمره ونهيه فيسلك بكم في تعج.يل الهلاك لكم مسلَكهم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ

فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾.

يقول تعالى ذكره مُسَلِّياً نبيه محمد ﷺ، عما كان يلقى من مشركي قومه من قريش، بإعلامه ما لقي موسى ممن أرسل إليه من التكذيب، ومخبره أنه معليه عليهم، وجاعل دائرة السَّوْء على من حادّه وشاقَّة، كسنته في موسى صلوات الله عليه، إذا أعلاه، وأهلك عدوّه فرعون ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا**﴾: يعني بأدلته. ﴿**وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿**وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾: أي عذرمبين.

يقول: وحججه المبينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعوا إليه موسى ﴿**إلى فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَقارُونَ فَقالُوا ساحِرٌ كَذَّابٌ**﴾ يقول: فقال هؤلاء الذين أرسل إليهم موسى لموسى: هو ساحر يسحر العصا، فيرى الناظر إليها أنها حية تسعى، ﴿**كذّاب**﴾ يقول: يكذب على الله، ويزعم أنه أرسله إلى الناس رسولاً.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما جاء موسى هؤلاء الذين أرسله الله إليهم بالحقّ من عندنا، وذلك مجيئه إياهم بتوحيد الله، والعمل بطاعته، مع إقامة الحجة عليهم، بأن الله ابتعثه إليهم بالدعاء إلى ذلك ﴿**قالُوا اقْتُلُوا أبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بالله ﴿**مَعَهُ**﴾ من بني إسرائيل ﴿**وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ**﴾ يقول: واستبقوا نساءهم للخدمة.

فإن قال قائل: وكيف قيل ﴿**فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسَى بالحَقّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ واسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ**﴾، وإنما كان قتل فرعون الولدان من بني إسرائيل حذار المولود الذي كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه، وهلاك قومه، وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبيًا؟ قيل: إن هذا الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى، واستحياء نسائهم، كان أمراً من فرعون وملئه من بعد الأمر الأوّل الذي كان من فرعون قبل مولد موسى، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**فَلَمَّا جاءَهُمْ بالحَقّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا اقْتُلُوا أبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ واسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ**﴾ قال: هذا قتل غير القتل الأوّل الذي كان.

وقوله: ﴿**وَما كَيْدُ الكافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلالٍ**﴾ يقول: وما احتيال أهل الكفر لأهل الإيمان بالله إلا في جور عن سبيل الحقّ، وصدّ عن قصد المحجة، وأخذ على غير هدى.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لملئه: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا ﴿إِنِّي أخاف أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ يقول: إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه بسحره.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿أو أن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسادَ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والشام والبصرة: «وأنْ يُظْهِرَ فِي الأرْضِ الفَسادَ» بغير ألف، وكذلك ذلك في مصاحف أهل المدينة، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: ﴿أَوْ أَنْ﴾ بالألف، وكذلك ذلك في مصاحفهم «يَظْهَرَ فِي الأرْضِ» بفتح الياء ورفع الفساد.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى، وذلك أن الفساد إذا أظهره مظهر كان ظاهراً، وإذا ظهر فبإظهار مظهره يظهر، ففي القراءة بإحدى القراءتين في ذلك دليل واضح على صحة معنى الأخرى. وأما القراءة في: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ﴾ بالألف وبحذفها، فإنهما أيضاً متقاربتا المعنى، وذلك أن الشيء إذا بدل إلى خلافه فلا شكّ أن خلافه المبدل إليه الأوّل هو الظاهر دون المبدل، فسواء عطف على خبره عن خوفه من موسى أن يبدّل دينهم بالواو أو بأو، لأن تبديل دينهم كان عنده ظهور الفساد، وظهور الفساد كان عنده هو تبديل الدين.

فتأويل الكلام إذن: إني أخاف من موسى أن يغير دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يظهر في أرضكم أرض مصر، عبادة ربه الذي يدعوكم إلى عبادته، وذلك كان عنده هو الفساد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

#### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنِّي أخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: أي أمركم الذي أنتم عليه ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فَي الأَرْضِ الفَسادَ﴾ والفساد عنده أن يعمل بطاعة الله.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال موسى لفرعون وملئه: إني استجرت أيها القوم بربي وربكم، من كلّ متكبر عليه، تكبر عن توحيده، والإقرار بألوهيته وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء وإنما خصّ موسى صلوات الله وسلامه عليه، الاستعاذه بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدّقاً، لم يكن للثواب على الإحسان راجياً، ولا للعقاب على الإساءة، وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفاً، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة.

وقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون، غير أنه كان قد آمن بموسى، وكان يُسِرّ إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: هو ابن عمّ فرعون.

ويقال: هو الذي نجا مع موسى، فمن قال هذا القول، وتأوّل هذا التأويل، كان صواباً الوقف إذا أراد القارىء الوقف على قوله: ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾، لأن ذلك خبر متناه قد تمّ.

وقال آخرون: بل كان الرجل إسرائيلياً، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون.

والصواب على هذا القول لمن أراد الوقف أن يجعل وقفه على قوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ لأن قوله: ﴿مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ صلة لقوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ فتمامه قوله: يكتم إيمانه، وقد ذكر أن اسم هذا الرجل المؤمن من آل فرعون: جبريل، كذلك.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي القول الذي قاله السدي من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقّف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله، وقيله ما قال، وقال له: ما أريكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، ولو كان إسرائيلياً لكان حرياً أن يعاجل هذا القائل له، ولملئه ما قال بالعقوبة على قوله، لأنه لم يكن يستنصح بني

إسرائيل، لاعتداده إياهم أعداء له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلاً؟ ولكنه لما كان من ملأ قومه، استمع قوله، وكفّ عما كان همّ به في موسى.

وقوله: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللَّهُ**﴾ يقول: أتقتلون أيها القوم موسى لأن يقول ربي الله؟ فأن في موضع نصب لما وصفت. ﴿**وَقَدْ جاءَكُمْ بالبَيِّناتِ**﴾ يقول: وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك، وتلك البينات من الآيات يده وعصاه، كما:

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿**وَقَدْ جاءَكُمْ بالبَيِّنات مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ بعصاه وبيده.

وقوله: ﴿**وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ**﴾ يقول: وإن يك موسى كاذباً في قيله: إن الله أرسله إليكم يأمركم بعبادته، وترك دينكم الذي أنتم عليه، فإنما إثم كذبه عليه دونكم ﴿**وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعدُكُمْ**﴾ يقول: وإن يك صادقاً في قيله ذلك، أصابكم الذي وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذي أنتم عليه مقيمون، فلا حاجة بكم إلى قتله، فتزيدوا ربكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطاً ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هو مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ يقول: إن الله لا يوفّق للحقّ من هو متعدّ إلى فعل ما ليس له فعله، كذّاب عليه يكذب، ويقول عليه الباطل وغير الحقّ.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الإسراف الذي ذكره المؤمن في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُني به الشرك، وأراد: إن الله لا يهدي من هو مشرك به مفتر عليه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هو مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾: مشرك أسرف على نفسه بالشرك.

وقال آخرون: عنى به من هو قتال سفّاك للدماء بغير حقّ.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هو مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ قال: المسرف: هو صاحب الدم، ويقال: هم المشركون.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن هذا المؤمن أنه عمّ بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هو مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ والشرك من الإسراف، وسفك الدم بغير حقّ من الإسراف، وقد كان مجتمعاً في فرعون الأمران كلاهما، فالحقّ أن يعمّ ذلك كما أخبر جلّ ثناؤه عن قائله، أنه عمّ القول بذلك.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: ﴿**يا قَوْمِ لَكُمُ المُلْكُ اليَوْمَ ظاهِرِينَ في الأرْضِ**﴾ يعني: أرض مصر، يقول: لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين أنتم على بني إسرائيل في أرض مصر ﴿**فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ**﴾ يقول: فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حلّ بنا، وعقوبته إن جاءتنا، قال فرعون ﴿**أُرِيكُمْ إلاَّ ما أرَى**﴾ يقول: قال فرعون مجيباً لهذا المؤمن الناهي عن قتل موسى: ما أريكم أيها الناس من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحاً وصواباً، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. يقول: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحقّ والصواب في أمر موسى وقتله، فإنكم إن لم تقتلوه بدّل دينكم، وأظهر في أرضكم الفساد.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: يا قوم إني أخاف عليكم بقتلكم موسى إن قتلتموه مثل يوم الأحزاب الذين تحزّبوا على رسل الله نوح وهود وصالح، فأهلكهم الله بتجرئهم عليه، فيهلككم كما أهلكهم.

وقوله: ﴿**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ**﴾ يقول: يفعل ذلك بكم فيهلككم مثل سنته في قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم. وقد بيَّنا معنى الدأب فيما مضى بشواهده، المغنية عن إعادته، مع ذكر أقوال أهل التأويل فيه. وقد:

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ**﴾ يقول: مثل حال.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ**﴾ قال: مثل ما أصابهم.

وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾ يعني قوم إبراهيم، وقوم لوط، وهم أيضاً من الأحزاب، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾ قال: هم الأحزاب.

وقوله: ﴿وَما اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: وما أهلك الله هذه الأحزاب من هذه الأمم ظلماً منه لهم بغير جرم اجترموه بينهم وبينه، لأنه لا يريد ظلم عباده، ولا يشاؤه، ولكنه أهلكهم بإجرامهم وكفرهم به، وخلافهم أمره.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذا المؤمن لفرعون وقومه: ﴿وَيا قَوْمِ إنّي أخافُ عَلَيْكُمْ﴾ بقتلكم موسى إن قتلتموه عقاب الله ﴿يَوْمَ التَّنادِ﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿يَوْمَ التَّنادِ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: ﴿يَوْمَ التَّنادِ﴾ بتخفيف الدال، وترك إثبات الياء، بمعنى التفاعل، من تنادي القوم تنادياً، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَنادَى أصحَابُ الجَنَّةِ أصحَابَ النَّارِ أنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قالُوا نَعَمْ﴾ وقال: ﴿وَنَادَى أصحابُ النَّارِ أصْحَابَ الجَنَّةِ أنْ أفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الماءِ﴾ فلذلك تأوّله قارئو ذلك كذلك.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ، قال: ثنا سعيد، عن قتادة أنه قال في هذه الآية ﴿يَوْمَ التَّنادِ﴾ قال: يوم ينادي أهل النار أهل الجنة: أن أفيضوا علينا من الماء.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ويَا قَوْم إنّي أخافُ عَلَيْكُم يَوْمَ التَّنادِ﴾ يوم ينادي أهل الجنة أهل النار ﴿أنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ وينادي أهل النار أهل الجنة ﴿أنْ أفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يَوْمَ التَّنادِ﴾ قال: يوم القيامة ينادي أهل الجنة أهل النار.

وقد رُوي عن رسول الله ﷺ في معنى ذلك على هذه القراءة تأويل آخر على غير هذا الوجه وهو ما:

**حدثنا** به أبو كُرَيب، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ، عن إسماعيل بن رافع المدنيّ، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظيّ، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة،

أن رسول الله ﷺ قال: «يَأْمُرُ اللَّهُ إسْرَافِيلَ بالنَّفْخَةِ الأُولى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفْخَةَ الفَزَعِ، فَفَزِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وأَهْلُ الأرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ويَأْمُرُهُ اللَّهُ أنْ يُدِيمَها وَيُطَوِّلَهَا فَلا يَفْتُرُ، وَهِيَ التي يَقُولُ اللَّهُ: ﴿وَما يَنْظُرُ هَولاءِ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ما لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾، فَيُسَيِّرُ اللَّهُ الجِبالَ فَتَكُونُ سَرَاباً، فَتُرَجُّ الأرْضُ بأهْلِها رَجًّا، وَهِيَ التي يَقُولُ اللَّهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ فَتَكُونُ كالسَّفِينَةِ المُرْتَعَةِ فِي البَحْرِ تَضْرِبُها الأمْوَاجُ تَكْفأُ بأهْلِها، أوْ كالقِنْدِيلِ المُعَلَّقِ بالعَرْشِ تَرُجُّهُ الأرْوَاحُ، فَتَمِيدُ النَّاسَ عَلى ظَهْرِها، فَتَذْهَلُ المَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الحَوَامِلُ، وَتَشِيبُ الوِلْدانُ، وَتَطِيرُ الشَّياطِينُ هارِبَةً حتى تأتِي الأقْطارَ، فَتَلَقَّاها المَلائِكَةُ، فَتَضْرِبُ وُجُوهَها، فَتَرْجِعَ وَيُوَلِّي النَّاسُ مُدْبِرِينَ، يُنادِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ: ﴿يَوْمَ التَّنادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ﴾».

فعلى هذا التأويل معنى الكلام: ويا قوم إني أخاف عليكم يوم ينادي الناس بعضهم بعضاً من فزع نفخة الفزع.

وقرأ ذلك آخرون: «يَوْمَ التَّنادّ» بتشديد الدال، بمعنى: التفاعل من النَّدّ، وذلك إذا هربوا فنَدّوا في الأرض، كما تَنِدّ الإبل: إذا شَرَدَت على أربابها.

**ذكر من قال ذلك كذلك، وذكر المعنى الذي قَصد بقراءته ذلك كذلك:**

**حدثني** موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ، قال: ثنا أبو أسامة، عن الأجلح، قال: سمعت الضحاكَ بن مزاحم، قال: إذا كان يوم القيامة، أمر الله السماء الدنيا فتشقَّقت بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفوا صفاً دون صف، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض نَدّوا فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا وجدوا السبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله: ﴿إنّي أخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ يَوْمَ تولَّونَ مُدْبِرين﴾ وذلك قوله: ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، وقوله: ﴿يا مَعْشَرَ الجِنّ والإنْس إن اسْتَطَعْتُمْ أنْ تَنْفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ فانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ﴾، وذلك قوله: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِي يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالمَلَكُ على أرْجائِها﴾.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله ﴿يَوْمَ التَّنادِ﴾ قال: تَنِدُّون.

ورُوِي عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك: «يَوْمَ التَّنادِي» بإثبات الياء وتخفيف الدال.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار، وهو تخفيف الدال وبغير إثبات

الياء، وذلك أن ذلك هو القراءة التي عليها الحجة مجمعة من قرّاء الأمصار، وغير جائز خلافها فيما جاءت به نقلاً. فإذا كان ذلك هو الصواب، فمعنى الكلام: ويا قوم إني أخاف عليكم يوم ينادي الناس بعضُهم بعضاً، إما من هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله، وفظاعة ما غشيهم من كرب ذلك اليوم، وإما لتذكير بعضهم بعضاً إنجاز الله إياهم الوعد الذي وعدهم في الدنيا، واستغاثة من بعضهم ببعض، مما لقي من عظيم البلاء فيه.

وقوله: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ فتأويله على التأويل الذي ذكرنا من الخبر عن رسول الله ﷺ: يَوْمَ يُوَلّونَ هارِبِينَ فِي الأرْضِ حِذَارَ عَذَابِ اللّهِ وَعِقَابِهِ عِنْدَ مُعايَنَتِهِمْ جَهَنَّمَ.

وتأويله على التأويل الذي قاله قتادة في معنى ﴿يَوْمَ التَّنادِ﴾: يوم تولُّون مُنْصَرِفِينَ عن موقف الحساب إلى جهنم. وبنحو ذلك رُوي الخبر عنه، وعمن قال نحو مقالته في معنى ﴿يَوْمَ التَّنادِ﴾.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾: أي منطلقاً بكم إلى النار.

وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي رُوي عن رسول الله ﷺ، وإن كان الذي قاله قتادة في ذلك غير بعيد من الحقّ، وبه قال جماعة من أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ قال فارّين غير معجزين وقوله مالكم من الله من عاصم يقول مالكم من الله من مانع يمنعكم وناصر ينصركم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

**ذكر من قال ذلك.**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ما لَكُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ﴾: أي من ناصر.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هادٍ﴾ يقول: ومن يخذله الله فلم يوفقه لرشده، فما له من موفِّق يوفقه له.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ

حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ**﴾ قال: قبل موسى.

وقوله: ﴿**فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ**﴾ يقول: فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقني القلوب بحقيقته ﴿**حتى إذَا هَلَكَ**﴾ يقول: حتى إذا مات يوسف قلتم أيها القوم: لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولاً بالدعاء إلى الحق ﴿**وكَذَلكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرفٌ مُرْتابٌ**﴾ يقول: هكذا يصدّ الله عن إصابة الحق وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب، شاك في حقيقة أخبار رسله.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من آل فرعون: ﴿**الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بغَيْرِ سُلْطانٍ أتاهُمْ**﴾ فقوله «الذين» مردود على «من» في قوله ﴿**منْ هُوَ مُسْرِفٌ**﴾. وتأويل الكلام: كذلك يضلّ الله أهل الإسراف والغلوّ في ضلالهم بكفرهم بالله، واجترائهم على معاصيه، المرتابين في أخبار رسله، الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحُجَج ﴿**بغَيْرِ سُلْطَانٍ أتَاهُمْ**﴾ يقول: بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحُجَج التي أتتهم بها الرسل و «الذين» إذا كان معنى الكلام ما ذكرنا في موضع نصب ردّاً على «مَن».

وقوله: ﴿**كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ**﴾ يقول: كبر ذلك الجدال الذي يجادلونه في آيات الله مقتاً عند الله، ﴿**وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بالله وإنما نصب قوله: ﴿**مَقْتاً**﴾ لما في قوله ﴿**كَبُرَ**﴾ من ضمير الجدال، وهو نظير قوله: ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أفْواهِهِمْ**﴾ فنصب كلمة من نصبها، لأنه جعل في قوله: ﴿**كَبُرَتْ**﴾ ضمير قولهم: ﴿**اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً**﴾، وأما من لم يضمر ذلك فإنه رفع الكلمة.

وقوله: ﴿**كَذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ على كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ يقول: كما طبع الله على قلوب

المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده، ويصدّق رسله. جبار: يعني متعظم عن اتباع الحقّ.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار، خلا أبي عمرو بن العلاء، على: ﴿**كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ**﴾ بإضافة القلب إلى المتكبر، بمعنى الخبر عن أن الله طبع على قلوب المتكبرين كلها ومن كان ذلك قراءته، كان قوله «جبار». من نعت «متكبر». وقد رُوي عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك «كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ على قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ».

**حدثني** بذلك ابن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثني حجاج، عن هارون أنه كذلك في حرف ابن مسعود.

وهذا الذي ذُكر عن ابن مسعود من قراءته يحقق قراءة من قرأ ذلك بإضافة قلب إلى المتكبر، لأن تقديم «كل» قبل القلب وتأخيرها بعده لا يغير المعنى، بل معنى ذلك في الحالتين واحد. وقد حُكي عن بعض العرب سماعاً: هو يرجّل شعره يوم كلّ جمعة، يعني: كلّ يوم جمعة. وأما أبو عمرو فقرأ ذلك بتنوين القلب وترك إضافته إلى متكبر، وجعل المتكبر والجبار من صفة القلب.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بإضافة القلب إلى المتكبر، لأن التكبر فعل الفاعل بقلبه، كما أن القاتل إذا قتل قتيلاً وإن كان قتله بيده، فإن الفعل مضاف إليه، وإنما القلب جارحة من جوارح المتكبر. وإن كان بها التكبر، فإن الفعل إلى فاعله مضاف، نظير الذي قلنا في القتل، وذلك وإن كان كما قلنا، فإن الأخرى غير مدفوعة، لأن العرب لا تمنع أن تقول: بطشت يد فلان، ورأت عيناه كذا، وفهم قلبه، فتضيف الأفعال إلى الجوارح، وإن كانت في الحقيقة لأصحابها.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ (٣٦) أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ (٣٧)﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به وزجره عن قتل موسى نبيّ الله وحذره من بأس الله على قيله أقتله ما حذره لوزيره وزير السوء هامان: ﴿**يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحاً لَعَلّي أبْلُغُ الأسْبابَ**﴾ يعني بناءً. وقد بيَّنا معنى الصرح فيما مضى بشواهده بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبابَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الأسباب في هذا الموضع، فقال بعضهم: أسباب السموات: طرقها.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أحمد بن هشام، قال: ثنا عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السديّ، عن أبي صالح ﴿أَسْبابَ السَّمَوَاتِ﴾ قال: طُرُق السموات.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿أَبْلُغُ الأَسْبابَ أَسْبابَ السَّمَوَاتِ﴾ قال: طُرُق السموات.

وقال آخرون: عُني بأسباب السموات: أبواب السموات.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحاً﴾ وكان أوّل من بنى بهذا الآجر وطبخه ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبابَ أَسْبابَ السَّمَوَاتِ﴾: أي أبواب السموات.

وقال آخرون: بل عُني به مَنْزِل السماء.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبابَ أَسْبابَ السَّمَوَاتِ﴾ قال: منزل السماء.

وقد بيَّنا فيما مضى قبل، أن السبب: هو كلّ ما تُسَبِّبَ به إلى الوصول إلى ما يطلب من حبل وسلم وطريق وغير ذلك.

فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: معناه لعلي أبلغ من أسباب السموات أسباباً أتسبب بها إلى رؤية إله موسى، طرقاً كانت تلك الأسباب منها، أو أبواباً، أو منازل، أو غير ذلك.

وقوله: ﴿فأَطَّلِعَ إلى إلَهِ مُوسَى﴾ اختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿فأَطَّلِعَ﴾ فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار: «فأطَّلِعُ» بضم العين: ردّا على قوله: ﴿أَبْلُغُ الأَسْبابَ﴾ وعطفاً به عليه. وذُكر عن حميد الأعرج أنه قرأ ﴿فأَطَّلِعَ﴾ نصباً جواباً للعَلِّي، وقد ذكر الفرّاء أن بعض العرب أنشده:

عَلَّ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَوْ دُولاتِها
يُدِلْنَنا اللَّمَّةَ مِنْ لَمَّاتِها

فَتَسْتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفْرَاتِها[(١)]

فنصب فتستريحَ على أنها جواب للعلّ.

والقراءة التي لا أستجيز غيرها الرفع في ذلك، لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: ﴿وَإِني لأَظُنُّهُ كاذِباً﴾ يقول: وإني لأظنّ موسى كاذباً فيما يقول ويدّعي من أن له في السماء رباً أرسله إلينا.

وقوله: ﴿وكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفَرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ يقول الله تعالى ذكره: وهكذا زين الله لفرعون حين عتا عليه وتمرّد، قبيح عمله، حتى سوّلت له نفسه بلوغ أسباب السموات، ليطلع إلى إله موسى.

وقوله: ﴿وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة: ﴿وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ بضمّ الصاد، على وجه ما لم يُسَمّ فاعله، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ قال: فُعِل ذلك به، زين له سوء عمله، وصُدَّ عن السبيل.

وقرأ ذلك حميد وأبو عمرو وعامة قرّاء البصرة «وَصَدَّ» بفتح الصاد، بمعنى: وأعرض فرعون عن سبيل الله التي ابتُعِث بها موسى استكباراً.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان في قرأة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاَّ في تَبابٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وما احتيال فرعون الذي يحتال للاطلاع إلى إله موسى، إلا في خسار وذهاب مال وغبن، لأنه ذهبت نفقته التي أنفقها على

---

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز. قال الفراء في «**معاني القرآن**» (٢٨٨ مصورة الجامعة) وقوله «لعلى أبلغ الأسباب فأطلع» بالرفع، يرده على قوله «أبلغ». ومن جعله جواباً «للعلى» نصبه وقد قرأ به بعض القراء. قال: وأنشد بعض العرب:

«علـى صـروف الـدهـر....

الأبيات»، فنصب على الجواب بلعل والرجز لم يعلم قائله. وعلى: لغة في لعل. والدولات: جمع دولة في المال. وبالفتح في الحرب. وقيل هما واحد. ويدللنا: من الإدالة وهي الغلبة. واللمة، بالفتح: الشدة. وهي مفعول ثان ليدلننا. والشاهد في «فتستريح» حيث نصب في جواب لعل، الذي هو أداة الترجي. قاله الفراء. وهو الصحيح، لثبوت ذلك في القرآن: «لعله يزكي أو يذكر فتنفعه الذكرى». والزفرات جمع زفرة، وهي المرة من الزفر، وهو أن يملأ الرجل صدره هواء، بالشهيق، ثم يزفر به أي يخرجه ويرمي به، وذلك عند الغم والحزن. والأصل: تحريك الفاء في الجمع، على نحو سجدة وسجدات. وسكن هنا للضرورة.

الصرح باطلاً، ولم ينل بما أنفق شيئاً مما أراده، فذلك هو الخسار والتباب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاَّ فِي تَبابٍ**﴾ يقول: في خُسران.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فِي تَبابٍ**﴾ قال: خَسار.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاَّ فِي تَبابٍ**﴾: أي في ضلال وخسار.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاَّ فِي تَبابٍ**﴾ قال: التَّباب والضَّلال واحد.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن المؤمن بالله من آل فرعون ﴿**وَقالَ الَّذي آمَنَ**﴾ من قوم فرعون لقومه: ﴿**يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ**﴾ يقول: إن اتبعتموني فقبلتم مني ما أقول لكم، بيَّنت لكم طريق الصواب الذي تَرشدُون إذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذي ابتعث به موسى. يقول: ﴿**إنَّمَا هَذِهِ الحيَاةُ الدُّنْيا مَتاعٌ**﴾ يقول لقومه: ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار إلا متاع تستمعون بها إلى أجل أنتم بالغوه، ثم تموتون وتزول عنكم ﴿**وَإنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرارِ**﴾ يقول: وإن الدار الآخرة، وهي دار القرار التي تستقرّون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم، يقول: فلها فاعملوا، وإياها فاطلبوا. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿**وَإنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرارِ**﴾ قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرارِ**﴾ استقرّت الجنة بأهلها، واستقرّت النار بأهلها.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

يقول: من عمل بمعصية الله في هذه الحياة الدنيا، فلا يجزيه الله في الآخرة إلا سيئة مثلها، وذلك أن يعاقبه بها ﴿**وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى**﴾ يقول: ومن عمل بطاعة الله في الدنيا، وأتمر لأمره، وانتهى فيها عما نهاه عنه من رجل أو امرأة، وهو مؤمن بالله ﴿**فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ**﴾ يقول: فالذين يعملون ذلك من عباد الله يدخلون في الآخرة الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَها**﴾ أي شركاً، «السيئة عند قتادة شرك» ﴿**وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً**﴾، أي خيراً ﴿**مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾.

وقوله: ﴿**يُرْزَقُونَ فِيها بغَيْرِ حِسابٍ**﴾ يقول: يرزقهم الله في الجنة من ثمارها، وما فيها من نعيمها ولذّاتها بغير حساب، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**يُرْزَقُونَ فِيها بغَيْرِ حِسابٍ**﴾ قال: لا والله ما هناكم مكيال ولا ميزان.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة: ﴿**مَالِي أدْعُوكُمْ إلَى النَّجاة**﴾ من عذاب الله وعقوبته بالإيمان به، واتباع رسوله موسى، وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه ﴿**وَتَدْعُونَنِي إلى النَّارِ**﴾ يقول: وتدعونني إلى عمل أهل النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**مالِي أدْعُوكُمْ إلى**

**النَّجاةِ﴾** قال: الإيمان بالله.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿مَالِي أدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاة وَتَدْعُونَنِي إلى النَّارِ﴾** قال هذا مؤمن آل فرعون، قال: يدعونه إلى دينهم والإقامة معهم.

وقوله: **﴿تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ باللهِ وأُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾** يقول: وأشرك بالله في عبادته أوثاناً، لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها في عبادة الله، لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل.

وقوله: **﴿وأنا أدْعُوكُمْ إلى العَزِيزِ الغَفَّارِ﴾** يقول: وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممن كفر به، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدوّ له شيء، الغفار لمن تابه إليه بعد معصيته إياه، لعفوه عنه، فلا يضرّه شيء مع عفوه عنه، يقول: فهذا الذي هذه الصفة صفته فاعبدوا، لا ما لا ضرّ عنده ولا نفع.

### القول في تأويل قوله تعالى:

**﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾.**

يقول: حقاً أن الذي تدعونني إليه من الأوثان، ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا ينطق، ولا يفهم شيئاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا﴾** قال: الوثن ليس بشيء.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَلا فِي الآخِرَةِ﴾**: أي لا ينفع ولا يضرّ.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَلا فِي الآخِرَةِ﴾**[(١)].

وقوله: **﴿وأنَّ مَرَدَّنا إلى اللَّهِ﴾** يقول: وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا إلى الله **﴿وأنَّ المُسْرِفِينَ**

---

(١) سقط التفسير في قلم الناسخ، والذي في ابن كثير عنه: «لا يجيب داعيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة» ا هـ.

**هُمْ أصحَابُ النَّارِ﴾** يقول: وإن المشركين بالله المتعدّين حدوده، القتلة النفوس التي حرّم الله قتلها، هم أصحاب نار جهنم عند مرجعنا إلى الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في معنى المسرفين في هذا الموضع، فقال بعضهم: هم سفاكو الدماء بغير حقها.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله: **﴿وإن الْمُسرفين هُمْ أصحابُ النارِ﴾** قال: هم السفاكون الدماء بغير حقها.

**حدثنا﴾**عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد في قول الله **﴿وأنَّ المُسْرِفينَ هُمْ أصحابُ النارِ ﴾**قال: هم السفاكون الدماء بغير حقها.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: **﴿وأنَّ المُسْرِفينَ﴾** قال: السفاكون الدماء بغير حقها، هم أصحاب النار.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وأنَّ المُسْرِفِينَ هُمْ أصحابُ النارِ﴾** قال: سماهم الله مسرفين، فرعون ومن معه.

وقال آخرون: هم المشركون.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، **﴿وأنَّ المُسْرِفينَ هُمْ أصحَابُ النَّارِ﴾**: أي المشركون.

وقد بيّنا معنى الإسراف فيما مضى قَبْلُ بما فيه الكفاية من إعادته في هذا الموضع.

وإنما اخترنا في تأويل ذلك في هذا الموضع ما اخترنا، لأن قائل هذا القول لفرعون وقومه، إنما قصد فرعون به لكفره، وما كان همّ به من قتل موسى، وكان فرعون عالياً عاتياً في كفره بالله سفاكاً للدماء التي كان محرّماً عليه سفكها، وكلّ ذلك من الإسراف، فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل في ذلك.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه: فستذكرون أيها القوم إذا عاينتم عقاب الله قد حلّ بكم، ولقيتم ما لقيتموه صدق ما أقول، وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار، كما:

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ ما أَقُولُ لَكُمْ**﴾، فقلت له: أَوَذلك في الآخرة؟ قال: نعم.

وقوله: ﴿**وأُفَوّضُ أمْرِي إلى اللَّهِ**﴾ يقول: وأسلم أمري إلى الله، وأجعله إليه وأتوكل عليه، فإنه الكافي مَنْ تَوَكّل عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وأُفَوّضُ أمْرِي إلى اللَّهِ**﴾ قال: أجعل أمري إلى الله.

وقوله: ﴿**إنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بالعِبادِ**﴾ يقول: إن الله عالم بأمور عباده، ومن المطيع منهم، والعاصي له، والمستحق جميل الثواب، والمستوجب سَيِّىء العقاب.

وقوله: ﴿**فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا**﴾ يقول تعالى ذكره: فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بإيمانه وتصديق رسوله موسى، مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء، فنجاه منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**سَيِّئات ما مَكَرُوا**﴾ قال: وكان قبطياً من قوم فرعون، فنجا مع موسى، قال: وذكر لنا أنه بين يدي موسى يومئذ يسير ويقول: أين أمرت يا نبيّ الله؟ فيقول: أمامك، فيقول له المؤمن: وهل أمامي إلا البحر؟ فيقول موسى: لا والله ما كَذَبتُ ولا كُذبتُ، ثم يسير ساعة ويقول: أين أمرت يا نبيّ الله؟ فيقول: أمامك، فيقول: وهل أمامي إلا البحر، فيقول: لا والله ما كذبت، ولا كذبت، حتى أتى على البحر فضربه بعصاه، فانفلق اثني عشر طريقاً، لكل سبط طريق.

وقوله: ﴿**وَحاقَ بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذابِ**﴾ يقول: وحل بآل فرعون ووجب عليهم وعُني بآل فرعون في هذا الموضع تبّاعه وأهل طاعته من قومه، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قول الله: ﴿**وَحاقَ بآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذابِ**﴾ قال: قوم فرعون.

وعُني بقوله: ﴿**سُوءُ العَذابِ**﴾: ما ساءهم من عذاب الله، وذلك نار جهنم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مبيناً عن سوء العذاب الذي حلّ بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيها**﴾ إنهم لما هلكوا وغرّقهم الله، جُعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كلّ يوم مرتين ﴿**غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ إلى أن تقوم الساعة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي قيس، عن الهذيل بن شرحبيل، قال: أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو وتروح على النار، وذلك عرضها.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: بلغني أن أرواح قوم فرعون في أجواف طير سود تعرض على النار غدوّا وعشيًّا، حتى تقوم الساعة.

**حدثنا** عبد الكريم بن أبي عمير، قال: ثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي، قال: سمعت الأوزاعيّ وسأله رجل فقال: رحمك الله، رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضاً، فوجاً فوجاً، لا يعلم عددها إلا الله، فإذا كان العشيّ رجع مثلُها سُوْداً، قال: وفَطَنتم إلى ذلك؟ قالوا: نعم، قال: إن تلك الطيور في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوّا وعشيًّا، فترجع إلى وكورها وقد احترقت رياشها، وصارت سوداء، فتنبت عليها من الليل رياش بيض، وتتناثر السود، ثم تغدو، ويُعرضون على النار غدوّا وعشيًّا، ثم ترجع إلى وكورها، فذلك دَأْبها في الدنيا فإذا كان يوم القيامة، قال الله: ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ**﴾ قالوا: وكانوا يقولون: إنهم ستّ مئة ألف مقاتل.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني حرملة، عن سليمان بن حميد، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: ليس في الآخرة ليل ولا نصف نهار، وإنما هو بُكْرة وعشيّ، وذلك في القرآن في آل فرعون ﴿**يُعْرَضُونَ عَلَيها غَدْوَاً وَعَشِياً**﴾ وكذلك قال لأهل الجنة ﴿**لَهمْ رِزْقُهُمْ فيها بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾.

وقيل: عني بذلك: أنهم يعرضون على منازلهم في النار تعذيباً لهم غدوّاً وعشيًّا.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾** قال: يُعرضون عليها صباحاً ومساء، يقال لهم: يا آل فرعون هذه منازلكم، توبيخاً ونقمة وصغاراً لهم.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿غُدُوّاً وَعَشِيّاً﴾** قال: ما كانت الدنيا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوّاً وعشياً. وجائز أن يكون ذلك العرض على النار على نحو ما ذكرناه عن الهذيل ومن قال مثل قوله، وإن يكون كما قال قتادة، ولا خبر يوجب الحجة بأن ذلك المعنيّ به، فلا في ذلك إلا ما دلّ عليه ظاهر القرآن، وهم أنهم يعرضون على النار غدوّا وعشيا، وأصل الغدوّ والعشيّ مصادر جعلت أوقاتاً.

وكان بعض نحويي البصرة يقول في ذلك: إنما هو مصدر، كما تقول: أتيته ظلاماً جعله ظرفاً وهو مصدر. قال: ولو قلت: موعدك غدوة، أو موعدك ظلام، فرفعته، كما تقول: موعدك يوم الجمعة، لم يحسن، لأن هذه المصادر وما أشبهها من نحو سحر لا تجعل إلا ظرفاً قال: والظرف كله ليس بمتمكن وقال نحويو الكوفة: لم يسمع في هذه الأوقات، وإن كانت مصادر، إلا التعريب: موعدك يوم موعدك صباح ورواح، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ﴾** فرفع، وذكروا أنهم سمعوا: إنما الطيلسان شهران[1]، قالوا: ولم يسمع في الأوقات النكرات إلا الرفع إلا قولهم: إنما سخاؤك أحياناً، وقالوا: إنما جاز ذلك لأنه بمعنى: إنما سخاؤك الحين بعد الحين، فلما كان تأويله الإضافة نصب.

وقوله: **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذابِ﴾** اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قرّاء أهل الحجاز والعراق سوى عاصم وأبي عمرو **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾** بفتح الألف من أدخلوا في الوصل والقطع بمعنى: الأمر بإدخالهم النار. وإذا قُرىء ذلك كذلك، كان الآل نصباً بوقوع أدخلوا عليه، وقرأ ذلك عاصم وأبو عمرو: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخُلُوا» بوصل الألف وسقوطها في الوصل من اللفظ، وبضمها إذا ابتدىء بعد الوقف على

(١) الطيلسان: شيء كان يضعه العلماء والكبراء حول أعناقهم وعلى أكتافهم اتقاء البرد. يريد أن مدة لبس الطيلسان شهران.

الساعة، ومن قرأ ذلك كذلك، كان الآل على قراءته نصباً بالنداء، لأن معنى الكلام على قراءته: ادخلو يا آل فرعون أشدّ العذاب.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال إنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. فمعنى الكلام إذن: ويوم تقوم الساعة يقال لآل فرعون: ادخلوا يا آل فرعون أشدّ العذاب، فهذا على قراءة من وصل الألف من ادخلوا ولم يقطع، ومعناه على القراءة الأخرى، ويوم تقوم الساعة يقول الله لملائكته **﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾**.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: **﴿وَأَنْذِرْهُم يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ كاظِمِينَ﴾**، **﴿وإذْ يَتَحاجُونَ في النَّارِ﴾** يقول: وإذ يتخاصمون في النار. وعني بذلك: إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله ﷺ بإنذارهم من مشركي قومه في النار، فيقول الضعفاء منهم وهم المتبعون على الشرك بالله **﴿إنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً﴾** تقول لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة: إنا كنا لكم في الدنيا تبعاً على الكفر بالله **﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مغْنُونَ﴾** اليوم **﴿عَنَّا نَصِيباً مِن النَّارِ﴾** يعنون حظاً فتخففوه عنا، فقد كنا نسارع في محبتكم في الدنيا، ومن قبلكم أتينا، لولا أنتم لكنا في الدنيا مؤمنين، فلم يصبنا اليوم هذا البلاء والتبع يكون واحداً وجماعة في قول بعض نحويي البصرة، وفي قول بعض نحويي الكوفة جمع لا واحد له، لأنه كالمصدر. قال: وإن شئت كان واحده تابع، فيكون مثل خائل وخول، وغائب وغيب.

والصواب من القول في ذلك عندي أنه جمع واحده تابع، وقد يجوز أن يكون واحداً فيكون جمعه أتباع. فأجابهم المتبوعون بما أخبر الله عنهم قال الذين استكبروا، وهم الرؤساء المتبوعون على الضلالة في الدنيا: إنا أيها القوم وأنتم كلنا في هذه النار مخلدون، لا خلاص لنا منها **﴿إنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العِبادِ﴾** بفصل قضائه، فأسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون، ولا هم مما فيه من النعيم منتقلون ورفع قوله **﴿كُلّ﴾** بقوله **﴿فِيها﴾** ولم ينصب على النعت.

وقد اختلف في جواز النصب في ذلك في الكلام. وكان بعض نحويي البصرة يقول: إذا لم

يضف «كلّ» لم يجز الاتباع. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: ذلك جائز في الحذف وغير الحذف، لأن أسماءها إذا حُذفت اكتفي بها منها. وقد بيَّنا الصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال أهل جهنم لخزنتها وقوّامها، استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء، ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجاً ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ لنا ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً﴾ واحداً، يعني قدر يوم واحد من أيام الدنيا ﴿مِنَ العَذَابِ﴾ الذي نحن فيه. وإنما قلنا: معنى ذلك: قدر يوم من أيام الدنيا، لأن الآخرة يوم لا ليل فيه، فيقال: خفف عنهم يوماً واحداً.

وقوله: ﴿قالُوا أوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بالبَيِّناتِ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت خزنة جهنم لهم: أو لم تك تأتيكم في الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله، فتوحدوه وتؤمنوا به، وتتبرءوا مما دونه من الآلهة؟ قالوا: بلى، قد أتتنا رسلنا بذلك.

وقوله: ﴿قالُوا فادْعُوا﴾ يقول جلّ ثناؤه: قالت الخزنة لهم: فادعوا إذن ربكم الذي أتتكم الرسل بالدعاء إلى الإيمان به.

وقوله: ﴿وَما دُعاءُ الكافِرِينَ إلاّ فِي ضَلالٍ﴾ يقول: قد دعوا وما دعاؤهم إلا في ضلال، لأنه دعاء لا ينفعهم، ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

يقول القائل: وما معنى: ﴿إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا﴾ وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثّلوا به، كشعياء ويحيى بن زكريا وأشباههما، ومنهم من همّ بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجياً بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقاً لقومه، وعيسى الذي رفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله، والمؤمنين به في الحياة الدنيا، وهؤلاء أنبياؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت،

وما نصروا على من نالهم بما نالهم به؟ قيل: إن لقوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا﴾ وجهين كلاهما صحيح معناه. أحدهما أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلائناهم على من كذّبنا وإظفارنا بهم، حتى يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة، كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من المُلْك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد ﷺ بإظهاره على من كذّبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادّهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذّبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه، من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه، إذ أهلكهم غرقاً، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذّبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم، كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا على قتلته مَن سلّطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة يحيى، من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به من قتله له وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه. وقد كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك إلى هذا الوجه.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ قول الله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا﴾ قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوماً فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم.

والوجه الآخر: أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين، والمراد واحد، فيكون تأويل الكلام حينئذ: إنا لننصر رسولنا محمداً ﷺ والذين آمنوا به في الحياة الدنيا، ويوم يقود الأشهاد، كما بيّنا فيما مضى أن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع، والمراد واحد إذا لم تنصب للخبر شخصاً بعينه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِين مَعْذِرَتُهُمْ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ﴾ بالياء. وينفع أيضاً بالياء، وقرأ ذلك بعض أهل مكة وبعض قرّاء البصرة: «تَقُومُ» بالتاء، و «تَنْفَعُ» بالتاء.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

وقد بيّنا فيما مضى أن العرب تذكر فعل جمع الرجل وتؤنث إذا تقدم بما أغنى عن إعادته. وعُني بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ﴾ يوم يقوم الأشهاد من الملائكة والأنبياء والمؤمنين على الأمم

المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم، وأن الأمم كذّبتهم. والأشهاد: جمع شهيد، كما الأشراف: جمع شريف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ**﴾ من ملائكة الله وأنبيائه، والمؤمنين به.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ**﴾ يوم القيامة.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ**﴾ قال الملائكة.

وقوله: ﴿**لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا: ﴿**واللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾.

وقوله: ﴿**وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ**﴾ يقول: وللظالمين اللعنة، وهي البُعد من رحمة الله ﴿**وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾ يقول: ولهم مع اللعنة من الله شرّ ما في الدار الآخرة، وهو العذاب الأليم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى**﴾ البيان للحقّ الذي بعثناه به كما آتينا ذلك محمداً فكذّب به فرعون وقومه، كما كذّبت قريش محمداً ﴿**وَأَوْرَثْنا بَنِي إسْرائِيلَ الكِتابَ**﴾ يقول: وأورثنا بني إسرائيل التوراة، فعلّمناهموها، وأنزلناها إليهم ﴿**هُدىً**﴾ يعني بياناً لأمر دينهم، وما ألزمناهم من فرائضها، ﴿**وَذِكْرَى لأُولي الأَلْبابِ**﴾ يقول: وتذكيراً منا لأهل الحجا والعقول منهم بها.

وقوله: ﴿**فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقّ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاصبر يا محمد لأمر ربك، وانفذ لما أرسلك به من الرسالة، وبلّغ قومك ومن أُمرت بإبلاغه ما أنزل إليك، وأيقن بحقيقة وعد الله الذي وعدك من نصرتك، ونصرة من صدّقك وآمن بك، على من كذّبك، وأنكر

ما جئته به من عند ربك، وإن وعد الله حقّ لا خلف له وهو منجز له ﴿**واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ يقول: وسله غفران ذنوبك وعفوه لك عنه ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**﴾ يقول: وصلّ بالشكر منك لربك ﴿**بِالْعَشِيِّ**﴾ وذلك من زوال الشمس إلى الليل ﴿**وَالإبْكَارِ**﴾ وذلك من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. وقد وجه قوم الإبكار إلى أنه من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى، وخروج وقت الضحى، والمعروف عند العرب القول الأوّل.

واختلف أهل العربية في وجه عطف الإبكار والباء غير حسن دخولها فيه على العشيّ، والباء تحسن فيه، فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: وسبح بحمد ربك بالعشيّ وفي الإبكار. وقال: قد يقال: بالدار زيد، يراد: في الدار زيد، وقال غيره: إنما قيل ذلك كذلك، لأن معنى الكلام: صل بالحمد بهذين الوقتين وفي هذين الوقتين، فإدخال الباء في واحد فيهما.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخاصمونك يا محمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات ﴿**بغير سلطان أتاهم**﴾ يقول: بغير حجة جاءتهم من عند الله بمخاصمتك فيها ﴿**إنْ فِي صُدُورِهِمْ إلاّ كِبْرٌ**﴾ يقول: ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك، وقبول الحقّ الذي أتيتهم به حسداً منهم على الفضل الذي آتاك الله، والكرامة التي أكرمك بها من النبوّة ﴿**ما هُمْ بِبالِغِيهِ**﴾ يقول: الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بمُدركيه ولا نائليه، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس بالأمر الذي يدرك بالأمانيّ وقد قيل: إن معناه: إن في صدورهم إلا عظمة ما هم ببالغي تلك العظمة لأن الله مذلُّهم.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثني أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إنَّ فِي صُدُورِهِمْ إلاَّ كِبْرٌ**﴾ قال: عظمة.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ بغَيْرِ سُلْطانٍ أتاهُمْ**﴾ قال: أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي**

**آياتِ اللّهِ بغَيْرِ سُلْطانٍ أتاهُمْ﴾** لم يأتهم بذاك سلطان.

وقوله: **﴿فاستَعِذْ باللّهِ إنّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾** يقول تعالى ذكره: فاستجر بالله يا محمد من شرّ هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، ومن الكبر أن يعرض في قلبك منه شيء **﴿إنّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾** يقول: إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تعمله جوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك. **القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لابتداعُ السموات والأرض وإنشاؤها من غير شيء أعظم أيها الناس عندكم إن كنتم مستعظمي خلق الناس، وإنشائهم من غير شيء من خلق الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئاً، وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينيه، فيتدبرها ويعتبر بها، فيعلم وحدانيته وقُدرته على خلق ما شاء من شيء، ويؤمن به ويصدّق. والبصير الذي يرى بعينيه ما شخص لهما ويبصره، وذلك مَثل للمؤمن الذي يرى بعينيه حجج الله، فيتفكّر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه وقُدرته على خلق ما يشاء يقول جلّ ثناؤه: كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن. **﴿والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصّالحاتِ﴾** يقول جلّ ثناؤه: ولا يستوي أيضاً كذلك المؤمنون بالله ورسوله، المطيعون لربهم، ولا المسيء، وهو الكافر بربه، العاصي له، المخالف أمره **﴿قَلِيلاً ما تَتَذَكَّرُونَ﴾** يقول جلّ ثناؤه: قليلاً ما تتذكرون أيها الناس حجج الله، فتعتبرون وتتعظون يقول: لو تذكرتم آياته واعتبرتم، لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من إنكاركم قدرة الله على إحيائه من فني من خلقه من بعد الفناء، وإعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم، وعلمتم قبح شرككم من تشركون في عبادة ربكم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾** فقرأت ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة: «يَتَذَكَّرُونَ» بالياء على وجه الخبر، وقرأته عامة قرّاء الكوفة: **﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾** بالتاء على وجه الخطاب، والقول في ذلك أن القراءة بهما صواب.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الساعة التي يحيي الله فيها الموتى للثواب والعقاب لجائية أيها الناس لا شكّ في مجيئها يقول: فأيقنوا بمجيئها، وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم، ومجازون بأعمالكم، فتوبوا إلى ربكم ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤمِنُونَ**﴾ يقول: ولكن أكثر قريش لا يصدّقون بمجيئها.

وقوله: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول ربكم أيها الناس لكم ادعوني: يقول: اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك ﴿**أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ يقول: أُجِبْ دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ادعُونِي أَستَجِبْ لَكُمْ**﴾ يقول: وحّدوني أغفر لكم.

**حدثنا** عمرو بن عليّ، قال: ثنا عبد الله بن داود، عن الأعمش، عن زرّ، عن يُسَيْع الحضرمي، عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّعاءُ هُوَ العِبادَةُ». وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُم ادعُونِي أَستَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِي**﴾.

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، والأعمش عن زرّ، عن يُسَيْع الحضرمي، عن النعمان بن بشير، قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «الدُّعاءُ هُوَ العِبادَةُ، ﴿**وقال رَبُّكُمُ ادعُونِي أَستَجِبْ لَكُمْ...**﴾ الآية».

**حدثنا** محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن زرّ، عن يُسَيْع قال أبو موسى: هكذا قال غُندَر، عن سعيد، عن منصور، عن زرّ، عن يُسَيْع، عن النعمان بن بشير قال: قال النبيّ ﷺ: «إنَّ الدُّعاءُ هُوَ العِبادَةُ» ﴿**وَقال رَبُّكُمُ ادعُوني أَستَجِبْ لَكُمْ**﴾.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن زرّ، عن يُسَيْع عن النعمان بن بشير، عن النبيّ ﷺ بمثله.

**حدثنا** الحسن بن عرفة، قال: ثنا يوسف بن العرف الباهلي، عن الحسن بن أبي جعفر، عن محمد بن جحادة، عن يسيع الحضرمي، عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ عِبادَتِي دُعائِي» ثُم تلا هذه الآية: ﴿**وَقالَ رَبُّكُمُ ادعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبادَتِي**﴾ قال: «عَنْ دُعائي».

**حدثنا** عليّ بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا عمارة، عن ثابت، قال: قالت لأنس: يا أبا حمزة أبلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا، بل هو العبادة كلها.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: أخبرنا منصور، عن زر، عن يسيع الحضرمي، عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّعاءُ هُوَ العبادَةُ، ثم قرأ هذه الآية ﴿**وَقالَ رَبُّكُمُ ادعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِي**﴾».

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هاشم بن القاسم، عن الأشجعي، قال: قيل لسفيان: ادع الله، قال: إن ترك الذنوب هو الدعاء.

وقوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبادَتِي**﴾ يقول: إن الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة، وإفراد الألوهة لي ﴿**سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ**﴾ بمعنى: صاغرين. وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الدخر بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقد قيل: إن معنى قوله ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبادَتِي**﴾: إن الذين يستكبرون عن دعائي.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبادَتِي**﴾ قال: عن دعائي.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**داخِرِينَ**﴾ قال: صاغرين.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح الألوهة إلا له، ولا تنبغي العبادة لغيره، الذي صفته أنه جعل لكم أيها الناس الليل سكناً لتسكنوا فيه، فتهدأوا من التصرفّ والاضطراب للمعاش، والأسباب التي كنتم تتصرفون فيها في نهاركم ﴿**والنَّهارَ مُبْصِراً**﴾ يقول: وجعل النهار مبصراً من

اضطرب فيه لمعاشه، وطلب حاجاته، نعمة منه بذلك عليكم ﴿إنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ على النَّاسِ﴾ يقول: إن الله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفء له من الفضل ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ يقول: ولكن أكثرهم لا يشكرونه بالطاعة له، وإخلاص الألوهة والعبادة له، ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس، الله مالككم ومصلح أموركم، وهو خالقكم وخالق كلّ شيء ﴿لا إلَهَ إلاَّ هُوَ﴾ يقول: لا معبود تصلح له العبادة غيره، ﴿فَأنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ يقول: فأيّ وجه تأخذون، وإلى أين تذهبون عنه، فتعبدون سواه؟.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يقول: كذهابكم عنه أيها القوم، وانصرافكم عن الحقّ إلى الباطل، والرشد إلى الضلال، ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الأمم بآيات الله، يعني: بحجج الله وأدلته يكذّبون فلا يؤمنون يقول: فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم، وركبتم محجتهم في الضلال.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٤) هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿اللَّهُ﴾ الذي له الألوهة خالصة أيها الناس ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ﴾ التي أنتم على ظهرها سكان ﴿قَرَاراً﴾ تستقرون عليها، وتسكنون فوقها، ﴿والسَّماءَ بِناءً﴾: بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ يقول: وخلقكم فأحسن خلقكم ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾ يقول: ورزقكم من حلال الرزق، ولذيذات المطاعم والمشارب. وقوله: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فالذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، هو الله الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضرّ، ولا يخلق ولا يرزق ﴿فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾ يقول: فتبارك الله مالك جميع الخلق جنهم وإنسهم، وسائر أجناس الخلق غيرهم ﴿هُوَ

**الحَيّ﴾** يقول: هو الحيّ الذي لا يموت، الدائم الحياة، وكل شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها **﴿لا إلَهَ إلاَّ هُوَ﴾** يقول: لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين، مخلصين له الطاعة، مفردين له الألوهة، لا تشركوا في عبادته شيئاً سواه، من وثن وصنم، ولا تجعلوا له نداً ولا عِدلاً **﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾** يقول: الشكر لله الذي هو مالك جميع أجناس الخلق، من مَلك وجنّ وإنس وغيرهم، لا للآلهة والأوثان التي لا تملك شيئاً، ولا تقدر على ضر ولا نفع، بل هو مملوك، إن ناله نائل بسوء لم يقدر له عن نفسه دفعاً.

وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال: لا إله إلا الله، أن يتبع ذلك: **﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾** تأولاً منهم هذه الآية، بأنها أمر من الله بقيل ذلك.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت أبي، قال: أخبرنا الحسين بن واقد، قال: ثنا الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: من قال لا إله إلا الله، فليقل على إثرها: الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله: **﴿فادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾**.

**حدثنا** عبد الحميد بن بيان السكري[1] قال: ثنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل، عن سعيد بن جبير، قال: «إذا قال أحدكم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فليقل: الحمد لله ربّ العالمين، ثم قال: **﴿فادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾**.

**حدثني** محمد بن عبد الرحمن، قال: ثنا محمد بن بشر، قال: ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن سعيد بن جُبير أنه كان يستحب إذا قال: لا إله إلا الله، يتبعها الحمد لله، ثم قرأ هذه الآية: **﴿هُوَ الحَيُّ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ فادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾**.

**حدثني** محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر، عن سعيد بن جبير، قال: إذ قال أحدكم لا إله إلا الله وحده، فليقل بأثرها: الحمد لله رب العالمين، ثم قرأ **﴿فادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾**.

---

(١) كذا في «**التقريب**» و «**التهذيب**» وفي «**الخلاصة**»: عبد الحميد بن بيان اليشكري، أبو الحسن العطار الواسطي توفي سنة ٢٤٤ هـ.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش **﴿إنّي نُهيتُ﴾** أيها القوم **﴿أنْ أعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** من الآلهة والأوثان **﴿لَمَّا جاءَنِي البَيِّناتُ مِنْ رَبّي﴾** يقول: لما جاءني الآيات الواضحات من عند ربي، وذلك آيات كتاب الله الذي أنزله **﴿وأمِرْتُ أنْ أُسْلِمَ لِرَب العَالَمِينَ﴾** يقول: وأمرني ربي أن أذلّ لربّ كلّ شيء، ومالك كلّ خلق بالخضوع، وأخضع له بالطاعة دون غيره من الأشياء.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره آمراً نبيه محمداً ﷺ بتنبيه مشركي قومه على حججه عليهم في وحدانيته: قل يا محمد لقومك: أُمرت أن أسلم لربّ العالمين الذي صفته هذه الصفات، وهي أنه خلق أباكم آدم **﴿مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ﴾** خلقكم **﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾** بعد أن كنتم نطفاً **﴿ثُمَّ يُخرِجُكُمْ طِفْلاً﴾** من بطون أمهاتكم صغاراً، **﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أشُدَّكُمْ﴾**، فتتكامل قواكم، ويتناهى شبابكم، وتمام خلقكم شيوخاً **﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوفَّى مِنْ قَبْلُ﴾** أن يبلغ الشيخوخة **﴿وَلِتَبْلُغُوا أجَلاً مُسَمّى﴾** يقول: ولتبلغوا ميقاتاً مؤقتاً لحياتكم، وأجلاً محدوداً لا تجاوزونه، ولا تتقدمون قبله **﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** يقول: وكي تعقلوا حجج الله عليكم بذلك، وتتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا إله غيره فعل ذلك.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: **﴿هوَ الَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ﴾** يقول قل لهم: ومن صفته جل ثناؤه أنه هو الذي يحيي من يشاء بعد مماته، ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته و **﴿إذَا قَضَى أمْراً﴾** يقول: وإذا قضى كون أمر من الأمور التي يريد تكوينها **﴿فإنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾** يعني للذي يريد تكوينه كن، فيكون ما أراد تكوينه موجوداً بغير معاناة، ولا كلفة مؤنة.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أنّى يُصْرَفُونَ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، الذين يخاصمونك في حجج الله وآياته ﴿أنّى يُصْرَفُونَ﴾ يقول: أيّ وجه يصرفون عن الحق، ويعدلون عن الرشد، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أنّى يُصْرَفُونَ﴾: أنى يكذبون ويعدلون.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أنّى يُصْرَفُونَ﴾ قال: يُصْرَفُونَ عن الحقّ.

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية، فقال بعضهم: عنى بها أهل القدر.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن بشار ومحمد بن المثنى، قالا: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن داود بن أبي هند، عن محمد بن سيرين، قال: إن لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية، فإني لا أدري فيمن نزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أنى يُصْرَفُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كذَلكَ يُضِلّ اللَّهُ الكافِرِينَ﴾.

**حدثني** عليّ بن سهل، قال: ثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن سفيان، عن داود بن أبي هند، عن ابن سيرين، قال: إن لم يكن أهل القدر الذين يخوضون في آيات الله فلا علم لنا به.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني مالك بن أبي الخير الزيادي، عن أبي قبيل، قال: أخبرني عقبة بن عامر الجهني، أن رسول الله ﷺ قال: «سَيَهْلِكُ مِنْ أُمّتِي أهْلُ الكِتابِ، وأهْلُ اللّبِنِ» فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل الكتاب؟ قال: «قَوْمٌ يَتَعَلَّمُونَ كِتابَ اللَّهِ يُجادِلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا»، فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل اللّبن؟ قال: «قَوْمٌ يَتّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، ويُضَيّعُونَ الصَّلَوَاتِ». قال أبو قبيل: لا أحسب المكذّبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا، وأما أهل اللّبن، فلا أحسبهم إلا أهل العمود[1] ليس عليهم إمام جماعة، ولا يعرفون شهر رمضان.

وقال آخرون: بل عنى به أهل الشرك.

(١) كذا في الأصل، ولم أجد معنى للعمود في «**النهاية**» لابن الأثير، ولعله محرف عن (العمور) بضم العين، جمع عمر، بفتح فسكون وبضمتين، وهو ضرب من النخيل، وهو الحسوق الطويل. يريد أصحاب هذه النخل الملازمين لها، يجادلون في الدين، بلا علم ولا فقه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ أنى يُصْرَفُونَ﴾** قال: هؤلاء المشركون.

والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن زيد وقد بين الله حقيقة ذلك بقوله: **﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بالْكِتَابِ وبِمَا أرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا﴾**.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَـٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذّبوا بكتاب الله، وهو هذا القرآن و«الذين» الثانية في موضع خفض رداً لها على «الذين» الأولى على وجه النعت **﴿وبِمَا أرْسَلْنا بِهِ رُسُلَنا﴾** يقول: وكذّبوا أيضاً مع تكذيبهم بكتاب الله بما أرسلنا به رسلنا من إخلاص العبادة لله، والبراءة مما يعبد دونه من الآلهة والأنداد، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب.

وقوله: **﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إذِ الأغْلالُ في أعْناقِهِمْ والسَّلاسِلُ﴾**، وهذا تهديد من الله المشركين به يقول جلّ ثناؤه: فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، المكذّبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد، وصحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب، حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم. وقرأت قرأة الأمصار: والسلاسلُ، برفعها عطفاً بها على الأغلال على المعنى الذي بيَّنت. وذُكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه «والسَّلاسِلَ يُسْحَبُونَ» بنصب السلاسل في الحميم. وقد حُكي أيضاً عنه أنه كان يقول: إنما هو وهم في السلاسل يسحبون، ولا يجيز أهل العلم بالعربية خفض الاسم والخافض مضمر. وكان بعضهم يقول في ذلك: لو أن متوهّماً قال: إنما المعنى: إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل يسحبون، جاز الخفض في السلاسل على هذا المذهب، وقال: مثله، مما ردّ إلى المعنى، قول الشاعر:

قَدْ سَالَمَ الحَيَّاتُ مِنْهُ القَدَما الأُفْعُوَانَ والشُّجاعَ الأَرْقَما[1]

فنصب الشُّجاع والحيات قبل ذلك مرفوعة، لأن المعنى: قد سالمت رجله الحيات وسالمتها، فلما احتاج إلى نصب القافية، جعل الفعل من القدم واقعاً على الحيات.

والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قراء الأمصار، لإجماع الحجة عليه، وهو رفع السلاسل عطفاً بها على ما في قوله: ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ من ذكر الأغلال.

وقوله: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ يقول: يسحب هؤلاء الذين كذّبوا في الدنيا بالكتاب زبانيةُ العذاب يوم القيامة في الحميم، وهو ما قد انتهى حرّه، وبلغ غايته.

وقوله: ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يقول: ثم في نار جهنم يحرقون، يقول: تسجر بها جهنم: أي توقد بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ قال: يوقد بهم النار.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ قال: يحرقون في النار.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ قال: يسجرون في النار: يوقد عليهم فيها.

وقوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: ثم قيل: أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من

---

(١) البيتان من مشطور الرجز «اللسان»: شجع. قال الشجاع: الحية، وفي الحديث: «يجيء كنز أحدهم يوم القيامة شجاعاً أقرع». وأنشد الأحمر:

«قد سالم الحيات......

البيتين». نصب الشجاع والأفعوان بمعنى الكلام، لأن الحيات إذا سالمت القدم، فقد سالمها القدم، فكأنه قال: سالم القدم الحيات؛ ثم جعل الأفعوان بدلا منها. ا هـ. وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٨٩) نصب الشجاع والحيات قبل ذلك مرفوعة، لأن المعنى قد سالمت رجله الحيات وسالمتها. فلما احتاج إلى نصب القافية، جعل الفعل من القدم واقعاً على الحيات ا هـ.

البلاء والعذاب، فإن المعبود يغيث من عبده وخدمه وإنما يقال هذا لهم توبيخاً وتقريعاً على ما كان منهم في الدنيا من الكفر بالله وطاعة الشيطان، فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا: ضلوا عنا: يقول: عدلوا عنا، فأخذوا غير طريقنا، وتركونا في هذا البلاء، بل ما ضلوا عنا، ولكنا لم نكن ندعو من قبل في الدنيا شيئاً: أي لم نكن نعبد شيئاً يقول الله تعالى ذكره: ﴿**كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الكَافِرِينَ**﴾ يقول: كما أضلّ هؤلاء الذين ضلّ عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم، كذلك يضلّ الله أهل الكفر به عنه، وعن رحمته وعبادته، فلا يرحمهم فينجيهم من النار، ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفرَحُونَ في الأرْضِ بغَيرِ الحَقّ**﴾ هذا الذي فعلنا اليوم بكم أيها القوم من تعذيبنا كم العذاب الذي أنتم فيه، بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا، بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي، وبمرحكم فيها، والمرح: هو الأشر والبطر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**بِمَا كُنتُمْ تَفرَحُونَ في الأرْضِ بغَيرِ الحَقّ**﴾ إلى ﴿**فَبِئْسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ**﴾ قال: الفرح والمرح: الفخر والخُيَلاء، والعمل في الأرض بالخطيئة، وكان ذلك في الشرك، وهو مثل قوله لقارون: ﴿**إذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبّ الفَرِحِينَ**﴾ وذلك في الشرك.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ في الأرْضِ بغَيرِ الحَقّ وبما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ**﴾ قال: تَبْطرون وتأشَرُون.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**تَمْرَحُونَ**﴾ قال: تبطرون.

وقوله: ﴿**ادْخُلُوا أبْوَابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها**﴾ يقول تعالى ذكره لهم: ادخلوا أبواب جهنم السبعة من كلّ باب منها جزء مقسوم منكم ﴿**فَبِئسَ مَثْوَى المُتَكَبِّرِينَ**﴾ يقول: فبئس منزل المتكبرين في الدنيا على الله أن يوحدوه، ويؤمنوا برسله اليوم جهنم.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاصبر يا محمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون في آيات الله التي أنزلناها عليك، وعلى تكذيبهم إياك، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم، والعلو عليهم، وإحلال العقاب بهم، كسنتنا في موسى بن عمران ومن كذّبه **﴿فإمّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾** يقول جلّ ثناؤه: فإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحلّ بهم **﴿أوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾** قبل أن يحلّ ذلك بهم **﴿فَإلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾** يقول: فإلينا مصيرك ومصيرهم، فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحقّ بتخليدنا هم في النار، وإكرامناك بجوارنا في جنات النعيم.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: **﴿وَلَقَدْ أرْسَلْنا﴾** يامحمد **﴿رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ﴾** إلى أممها **﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ﴾** يقول: من أولئك الذين أرسلنا إلى أممهم من قصصنا عليك نبأهم **﴿وَمِنْهُمْ مِنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾** نبأهم. وذُكر عن أنس أنهم ثمانية آلاف. ذكر الرواية بذلك:

**حدثنا** عليّ بن شعيب السمسار، قال: ثنا معن بن عيسى، قال: ثنا إبراهيم بن المهاجر بن مسمار، عن محمد بن المنكدر، عن يزيد بن أبان، عن أنس بن مالك، قال: بُعث النبيّ ﷺ بعد ثمانية آلاف من الأنبياء، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل.

**حدثنا** أبو كُرَيْب قال: ثنا يونس، عن عتبة بن عتيبة البصريّ العبديّ، عن أبي سهل عن وهب بن عبد الله بن كعب بن سور الأزدي، عن سلمان، عن النبي ﷺ قال: «بعث الله أربعة آلاف نبي».

**حدثني** أحمد بن الحسين الترمذي، قال: ثنا آدم بن أبي إياس، قال: ثنا إسرائيل، عن جابر، عن ابن عبد الله بن يحيى، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، في قوله: **﴿مِنْهُمْ مَنْ**

**قَصَصْنا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مِنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾** قال: بعث الله عبداً حبشياً نبياً، فهو الذي لم نقصص عليك.

وقوله: **﴿وَما كانَ لِرَسُولٍ أنْ يَأْتِيَ بآيَةٍ إلاَّ بإذْنِ اللَّهِ﴾** يقول تعالى ذكره: وما جعلنا لرسول ممن أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك، والذين لم نقصصهم عليك إلى أممها أن يأتي قومه بآية فاصلة بينه وبينهم، إلا بإذن الله له بذلك، فيأتيهم بها يقول جلّ ثناؤه لنبيه: فلذلك لم يجعل لك أن تأتي قومك بما يسألونك من الآيات دون إذننا لك بذلك، كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا إلا أن نأذن له به **﴿فإذَا جاءَ أمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بالحَقّ﴾** يعني بالعدل، وهو أن ينجي رسله والذين آمنوا معهم **﴿وخَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلُونَ﴾** يقول: وهلك هنالك الذين أبطلوا في قيلهم الكذب، وافترائهم على الله وادعائهم له شريكاً.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿اللَّهُ﴾** الذي لا تصلح الألوهة إلا له أيها المشركون به من قريش **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأنْعامَ﴾** من الإبل والبقر والغنم والخيل، وغير ذلك من البهائم التي يقتنيها أهل الإسلام لمركب أو لمطعم **﴿لِتَرْكَبُوا مِنْها﴾** يعني: الخيل والحمير **﴿وَمِنْها تَأْكُلُونَ﴾** يعني الإبل والبقر والغنم. وقال: **﴿لِتَرْكَبُوا مِنْها﴾** ومعناه: لتركبوا منها بعضاً ومنها بعضاً تأكلون، فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف.

وقوله: **﴿وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ﴾** وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم، ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين.

وقوله: **﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً في صُدُورِكُمْ﴾** يقول: ولتبلغوا بالحمولة على بعضها، وذلك الإبل حاجة في صدروكم لم تكونوا بالغيها لولا هي، إلا بشقّ أنفسكم، كما قال جلّ ثناؤه: **﴿وَتحْمِلُ أثْقالَكُمْ إلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إلاَّ بِشِقّ الأنْفُسِ﴾**. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً في صُدُورِكُمْ﴾** يعني الإبل تحمل أثقالكم إلى بلد.

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْها حاجَةً في صُدُورِكُمْ**﴾ لحاجتكم ما كانت.

وقوله: ﴿**وَعَلَيْها**﴾ يعني: وعلى هذه الإبل، وما جانسها من الأنعام المركوبة ﴿**وَعَلى الفُلْكِ**﴾ يعني: وعلى السفن ﴿**تُحْمَلُونَ**﴾ يقول نحملكم على هذه في البرّ، وعلى هذه في البحر ﴿**ويُرِيكُمْ آياتِهِ**﴾ يقول: ويريكم حججه، ﴿**فأيَّ آياتِ اللَّهِ تُنْكِرونَ**﴾ يقول: فأي حجج الله التي يريكم أيها الناس. في السماء والأرض تنكرون صحتها، فتكذّبون من أجل فسادها بتوحيد الله، وتدعون من دونه إلهاً.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: أفلم يسر يا محمد هؤلاء المجادلون في آيات الله من مشركي قومك في البلاد، فإنهم أهل سفر إلى الشأم واليمن، رحلتهم في الشتاء والصيف، فينظروا فيما وطئوا من البلاد إلى وقائعنا بمن أوقعنا به من الأمم قبلهم، ويروا ما أحللنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا، وجحودهم آياتنا، كيف كان عقبى تكذيبهم. ﴿**كانوا أكثر منهم**﴾ يقول: كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذّبيك من قريش أكثر عدداً من هؤلاء وأشدّ بطشاً، وأقوى قوّة، وأبقى في الأرض آثاراً، لأنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً ويتخذون مصانع. وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

**حدثني** الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وآثاراً فِي الأرْضِ**﴾ المشي بأرجلهم.

﴿**فَمَا أغْنَى عَنْهُمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ يقول: فلما جاءهم بأسنا وسطوتنا، لم يغن عنهم ما كانوا يعملون من البيوت في الجبال، ولم يدفع عنهم ذلك شيئاً، ولكنهم بادوا جميعاً فهلكوا. وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿**فَمَا أغْنَى عَنْهُمْ**﴾ فأيّ شيء أغنى عنهم وعلى هذا التأويل يجب أن يكون «ما» الأولى في موضع نصب، والثانية في موضع رفع. يقول: فلهؤلاء المجادليك من قومك يا محمد في أولئك معتبر إن اعتبروا، ومتعظ إن اتعظوا، وإن بأسنا إذا حلّ بالقوم المجرمين لم يدفعه دافع، ولم يمنعه مانع، وهو بهم إن لم ينيبوا إلى تصديقك واقع.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِءُونَ (٨٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما جاءت هؤلاء الأمم الذين من قبل قريش المكذّبة رسلها رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم بالبينات، يعني: بالواضحات من حجج الله عزّ وجلّ ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ يقول: فرحوا جهلاً منهم بما عندهم من العلم وقالوا: لن نبعث، ولن يعذّبنا الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ قال: قولهم: نحن أعلم منهم، لن نعذّب، ولن نبعث.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ بجهالتهم.

وقوله: ﴿وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهزِئُونَ﴾ يقول: وحاق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء وسخرية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهزِئُونَ﴾ ما جاءتهم به رسلهم من الحقّ.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ (٨٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما رأت هذه الأمم المكذّبة رسلها بأسنا، يعني عقاب الله الذي وعدتهم به رسُلهم قد حلّ بهم، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فَلَمَّا رأَوْا بأْسَنا﴾ قال: النقمات التي نزلت بهم.

وقوله: ﴿قَالُوا آمَنَّا باللَّهِ وَحْدَهُ﴾ يقول: قالوا: أقررنا بتوحيد الله، وصدّقنا أنه لا آله غيره ﴿وَكَفَرْنا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ يقول: وجحدنا الآلهة التي كنا قبل وقتنا هذا نشركها في عبادتنا الله ونعبدها معه، ونتخذها آلهة، فبرئنا منها.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل، وعذابه قد حلّ، لأنهم صدّقوا حين لا ينفع التصديق مصدّقاً، إذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه، أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمَانُهُمْ لَمَّا رأَوْا بأْسَنا**﴾: لما رأوا عذاب الله في الدنيا لم ينفعهم الإيمان عند ذلك.

وقوله: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ التي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ**﴾ يقول: ترك الله تبارك وتعالى إقالتهم، وقبول التوبة منهم، ومراجعتهم الإيمان بالله، وتصديق رسلهم بعد معاينتهم بأسه، قد نزل بهم سنته التي قد مضت في خلقه، فلذلك لم يُقلهم ولم يقبل توبتهم في تلك الحال، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتي قَدْ خَلَتْ فِي عِبادِهِ**﴾ يقول: كذلك كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل إذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم عند ذلك.

وقوله: ﴿**وَخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرُونَ**﴾ يقول: وهلك عند مجيء بأس الله، فغبنت صفقته ووضع في بيعه الآخرة بالدنيا، والمغفرة بالعذاب، والإيمان بالكفر، الكافرون بربهم، الجاحدون توحيد خالقهم، المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم.

**آخر تفسير سورة حم المؤمن**

# (٤١) سورة فصلت مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿حمٓ ① تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ② كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ④﴾.

قال أبو جعفر: قد تقدم القول منا فيما مضى قبلُ في معنى «حم»، والقول في هذا الموضع كالقول في ذلك.

وقوله: ﴿**تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم**﴾ يقول تعالى ذكره: هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم نزّله على نبيه محمد ﷺ ﴿**كِتابٌ فُصّلَتْ آياتُهُ**﴾ يقول: كتاب بينت آياته كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**فُصّلَتْ آياتُهُ**﴾ قال: بُيّنت آياته.

وقوله: ﴿**قُرآناً عَرَبِيّاً**﴾ يقول تعالى ذكره: فُصلت آياته هكذا.

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب القرآن، فقال بعض نحوييّ البصرة قوله: ﴿**كِتابٌ فُصّلت**﴾ الكتاب خبر لمبتدأ أخبر أن التنزيل كتاب، ثم قال: ﴿**فُصّلَتْ آياتُهُ قُرآناً عَرَبِيّاً**﴾ شغل الفعل بالآيات حتى صارت بمنزلة الفاعل، فنصب القرآن، وقال: ﴿**بَشِيراً ونَذِيراً**﴾ على أنه صفة، وإن شئت جعلت نصبه على المدح كأنه حين ذكره أقبل في مدحته، فقال: ذكرنا قرآناً عربياً بشيراً ونذيراً، وذكرناه قرآناً عربياً، وكان فيما مضى من ذكره دليل على ما أضمر. وقال بعض نحوييّ الكوفة: نصب قرآناً على الفعل: أي فصلت آياته كذلك. قال: وقد يكون النصب فيه على القطع، لأن الكلام تامّ عند قوله «آياته». قال: ولو كان رفعاً على أنه من نعت الكتاب كان صواباً، كما قال في موضع آخر: ﴿**كِتابٌ أنْزَلْناهُ إلَيْكَ مُبارَكٌ**﴾ وقال: وكذلك قوله: ﴿**بَشِيراً وَنَذِيراً**﴾ فيه ما في ﴿**قُرآناً عَرَبِيّاً**﴾.

وقوله: ﴿**لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ يقول: فصلت آيات هذا الكتاب قرآناً عربياً لقوم يعلمون اللسان العربي، بشيراً لهم يبشرهم إن هم آمنوا به، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة،

﴿ونذيراً﴾ يقول ومنذراً من كذّب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله في عاجل الدنيا، وخلود الأبد في نار جهنم في آجل الآخرة.

وقوله: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فاستكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله، وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيراً لهم ونذيراً، وهم قوم رسول الله ﷺ ﴿فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ يقول: فهم لا يصغون له فيسمعوا إعراضاً عنه واستكباراً.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركي قريش إذ دعاهم محمد نبيّ الله إلى الإقرار بتوحيد الله وتصديق ما في هذا القرآن من أمر الله ونهيه، وسائر ما أنزل فيه ﴿قُلُوبُنا في أكِنَّةٍ﴾ يقول: في أغطية ﴿مِمَّا تَدْعُونا﴾ يا محمد ﴿إلَيهِ﴾ من توحيد الله، وتصديقك فيما جئتنا به، لا نفقه ما تقول ﴿وفي آذانِنا وَقْرٌ﴾ وهو الثقل، لا نسمع ما تدعونا إليه استثقالاً لما يدعو إليه وكراهة له. وقد مضى البيان قبل عن معاني هذه الأحرف بشواهده، وذكر ما قال أهل التأويل فيه، فكرهنا إعادة ذلك في هذا الموضع. وقد:

**حدثني** محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿قُلُوبُنا في أكِنَّةٍ﴾ قال: عليها أغطية كالجَعْبَة للنَّبْل.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أكِنَّةٍ﴾ قال: عليها أغطية ﴿وفي آذانِنا وَقْرٌ﴾ قال: صمم.

وقوله: ﴿وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ﴾ يقولون: ومن بيننا وبينك يا محمد ساتر لا نجتمع من أجله نحن وأنت، فيرى بعضنا بعضاً، وذلك الحجاب هو اختلافهم في الدين، لأن دينهم كان عبادة الأوثان، ودين محمد ﷺ عبادة الله وحده لا شريك له، فذلك هو الحجاب الذي زعموا أنه بينهم وبين نبيّ الله، وذلك هو خلاف بعضهم بعضاً في الدين.

وقوله: ﴿فاعْمَلْ إنَّنا عامِلُونَ﴾ يقول: قالوا: له ﷺ: فاعمل يا محمد بدينك وما تقول إنه الحقّ، إننا عاملون بديننا، وما نقول إنه الحقّ، ودع دعاءنا إلى ما تدعونا إليه من دينك، فإنا ندع دعاءك إلى ديننا. وأدخلت «من» في قوله ﴿وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ﴾ والمعنى: وبيننا وبينك حجاب، توكيداً للكلام.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ۝٧﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك: أيها القوم، ما أنا إلا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصورة والهيئة لست بمَلك ﴿يُوحَى إليّ﴾ يقول يوحي الله إليّ أن لا معبود لكم تصلح عبادته إلا معبود واحد ﴿فاسْتَقِيمُوا إلَيْهِ﴾ يقول: فاستقيموا إليه بالطاعة، ووجهوا إليه وجوهكم بالرغبة والعبادة دون الآلهة والأوثان ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ يقول: وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التي سلفت منكم بالتوبة من شرككم، يتب عليكم ويغفر لكم.

وقوله: ﴿وَوَيْلٌ للْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتَونَ الزَّكاةَ وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وصديد أهل النار، وما يسيل منهم للمدعين لله شريكاً العابدين الأوثان دونه الذين لا يؤتون الزكاة.

اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: معناه: الذين لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم، وتزَكّي أبدانهم، ولا يوحدونه وذلك قول يُذكر عن ابن عباس. ذكر الرواية بذلك:

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَوَيْلٌ للْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾ قال: هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله.

**حدثني** سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، قوله: ﴿وَوَيْلٌ للْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾: الذين لا يقولون لا إله إلا الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذين لا يقرّون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها، ولا يعطونها أهلها. وقد ذكرنا أيضاً قائلي ذلك قبلُ. وقد:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَوَيْلٌ للْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾ قال: لا يقرّون بها ولا يؤمنون بها. وكان يقال: إن الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها هلك وقد كان أهل الردّة بعد نبيّ الله قالوا: أما الصلاة فنصلّي، وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا قال: فقال أبو بكر: والله لا أفرّق بين شيء جمع الله بينه واللّهِ لو منعوني عِقالاً مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَوَيْلٌ للْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾ قال: لو زَكّوا وهم مشركون لم ينفعهم.

والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدّون زكاة أموالهم وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: ﴿**وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ**﴾ دليلاً على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله: ﴿**الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ**﴾ مراداً به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله لم يكن لقوله: ﴿**وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ**﴾ معنى، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، وفي اتباع الله قوله: ﴿**وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ**﴾ قوله: ﴿**الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ**﴾ ما ينبىء عن أن الزكاة في هذا الموضع معنيٌّ بها زكاة الأموال.

وقوله: ﴿**وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ**﴾ يقول: وهم بقيام الساعة، وبعث الله خلقه أحياء من قبورهم، من بعد بلائهم وفنائهم منكرون.

## القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله، وانتهوا عما نهياهم عنه، وذلك هو الصالحات من الأعمال ﴿**لَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ يقول: لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن يأجرهم عليه.

وقد اختلف في تأويل ذلك أهل التأويل، وقد بيَّناه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد:

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**لَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ قال بعضهم: غير منقوص. وقال بعضهم: غير ممنون عليهم.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ يقول: غير منقوص.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، قوله: ﴿**لَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ قال: محسوب.

وقوله: ﴿**أئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بالَّذِي خَلَقَ الأرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ وذلك يوم الأحد ويوم الاثنين وبذلك جاءت الأخبار عن رسول الله ﷺ وقالته العلماء، وقد ذكرنا كثيراً من ذلك فيما مضى قبل،

ونذكر بعض ما لم نذكره قبل إن شاء الله. ذكر بعض ما لم نذكره فيما مضى من الأخبار بذلك:

**حدثنا** هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي سعيد البقال، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: هناد: قرأت سائر الحديث على أبي بكر أن اليهود أتت النبيّ ﷺ فسألته عن خلق السموات والأرض، قال: «خَلَقَ اللَّهُ الأرْضَ يَوْمَ الأحَدِ وَالاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الجِبالَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ ومَا فِيهِنَّ مِنْ مَنافِعَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الأرْبعاءِ الشَّجَرَ والمَاءَ والمَدَائِنَ والعُمْرَانَ والخَرَابَ، فَهَذِهِ أرْبَعَةٌ،» ثُمَّ قال: ﴿**أئِنَّكُمْ لَتَكْفُرونَ بالَّذِي خَلَقَ الأرْضَ فِي يَوْمَيْنِ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ أنْداداً، ذلكَ رَبُّ العَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيها رَواسي مِنْ فَوْقِها وبَارَكَ فِيها، وَقَدَّرَ فِيها أقْوَاتَها في أرْبَعَةِ أيَّام سَوَاءً للسَّائِلِينَ لِمَنْ سألَ. قالَ: وَخَلَقَ يَوْمَ الخَمِيسِ السَّماءَ، وخَلَقَ يَوْمَ الجُمُعَةِ النُّجُومَ والشَّمْسَ والقَمَرَ وَالمَلائِكَةِ إلى ثَلاثَ ساعاتٍ بَقِيَتْ مِنْهُ فَخَلَقَ في أوَّلِ ساعَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلاثَةِ الآجالَ حِينَ يَمُوتُ مَنْ ماتَ، وفي الثَّانِيَةِ ألْقَى الآفَةَ على كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، وفي الثَّالِثَةِ آدَمَ وأسْكَنَهُ الجَنَّةَ، وأمَرَ إبْلِيسَ بالسُّجُودِ لَهُ، وأخْرَجَهُ مِنْها في آخِرِ ساعَةٍ**» قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: «ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ»، قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا ثم استراح فغضب النبيّ ﷺ غضباً شديداً، فنزل: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنا السَّمَوَاتِ والأرْضَ وَمَا بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيَّامٍ وَما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ فاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ**﴾.

**حدثنا** تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن غالب بن غلاب، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: إن الله خلق يوماً واحداً فسماه الأحد، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً فسماه الخميس قال: فخلق الأرض في يومين: الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، فذلك قول الناس: هو يوم ثقيل، وخلق مواضع الأنهار والأشجار يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحوش والهوامّ والسباع يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، ففرغ من خلق كلّ شيء يوم الجمعة.

**حدثنا** موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**خَلَقَ الأرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ في الأحد والاثنين.

وقد قيل غير ذلك وذلك ما:

**حدثني** القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن عليّ قالا: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال أخبرني إسماعيل بن أمية، عن أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع مولى أمّ سلمة، عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيها الجِبالَ يَوْمَ الأحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأرْبعاءِ، وَبَثَّ

فِيها الدَّوابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ العَصْرِ يَوْمَ الجُمُعَةِ آخِرِ خَلْق في آخِرِ ساعَةٍ مِنْ ساعاتِ الجُمُعَةِ فِيما بَينَ العَصْرِ إلى اللَّيْلِ».

وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً﴾ يقول: وتجعلون لمن خلق ذلك كذلك أنداداً، وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معاصي الله، وقد بيَّنا معنى النِّدّ بشواهده فيما مضى قبل.

وقوله: ﴿ذٰلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ يقول: الذي فعل هذا الفعل، وخلق الأرض في يومين، مالك جميع الجن والإنس، وسائر أجناس الخلق، وكلّ ما دونه مملوك له، فكيف يجوز أن يكون له ند؟ وهل يكون المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء نِدّاً لمالكه القادر عليه؟

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وجعل في الأرض التي خلق في يومين جبالاً رواسي، وهي الثوابت في الأرض من فوقها، يعني: من فوق الأرض على ظهرها.

وقوله: ﴿وَبارَكَ فِيها﴾ يقول: وبارك في الأرض فجعلها دائمة الخير لأهلها. وقد ذكر عن السديّ في ذلك ما:

**حدثنا** موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وبَارَكَ فِيها﴾ قال: أنبت شجرها.

﴿وَقَدَّرَ فِيها أقواتها﴾. اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: وقدر فيها أقوات أهلها بمعنى أرزاقهم ومعايشهم.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن ﴿وَقَدَّرَ فِيها أقْوَاتَها﴾ قال: أرزاقها.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿وَقَدَّرَ فِيها أقواتها﴾ قال: قدّر فيها أرزاق العباد، ذلك الأقوات.

**حدثنا** موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَقَدَّرَ فِيها أقْوَاتها﴾ يقول: أقواتها لأهلها.

وقال آخرون: بل معناه: وقدّر فيها ما يصلحها.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن خليد بن دعلج، عن قتادة، قوله: ﴿**وَقَدَّرَ فِيها أقْوَاتَها**﴾ قال: صلاحها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدّر فيها جبالها وأنهارها وأشجارها.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَقَدَّرَ فِيها أقْوَاتَها**﴾: خلق فيها جبالها وأنهارها وبحارها وشجرها، وساكنها من الدوابّ كلها.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**وَقَدَّرَ فِيها أقْوَاتَها**﴾ قال: جبالها ودوابها وأنهارها وبحارها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدّر فيها أقواتها من المطر.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَقَدَّرَ فِيها أقْوَاتَها**﴾ قال: من المطر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقدّر في كلّ بلدة منها ما لم يجعله في الآخر منها لمعاش بعضهم من بعض بالتجارة من بلدة إلى بلدة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** الحسين بن محمد الذارع، قال: ثنا أبو محصن، قال: ثنا حسين، عن عكرمة، في قوله: ﴿**وَقَدَّرَ فِيها أقْوَاتَها**﴾ قال: اليماني باليمن، والسابريّ بسابور.

**حدثني** محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا أبو محصن، عن حصين، قال: قال عكرمة ﴿**وَقَدَّرَ فِيها أقْوَاتَها**﴾ اليمانية باليمن، والسابرية بسابور، وأشباه هذا.

**حدثنا** أبو كُريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت حصيناً عن عكرمة في قوله: ﴿**وَقَدَّرَ فِيها أقْوَاتَها**﴾ قال: في كل أرض قوت لا يصلح في غيرها، اليماني باليمن، والسابري بسابور.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله:

﴿وَقَدَّرَ فِيها أَقْوَاتَها﴾ قال: البلد يكون فيه القوت أو الشيء لا يكون لغيره، ألا ترى أن السابريّ إنما يكون بسابور، وأن العصب إنما يكون باليمن ونحو ذلك.

**حدثني** إسماعيل بن سيف، قال: ثنا ابن عبد الواحد بن زياد، عن خَصِيف، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيها أَقْوَاتَها﴾ قال: السابريّ بسابور، والطيالسة من الريّ.

**حدثني** إسماعيل، قال: ثنا أبو النضر صاحب البصري، قال: ثنا أبو عوانة، عن مطرّف، عن الضحاك في قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيها أَقْوَاتَها﴾ قال: السابريّ من سابور، والطيالسة من الريّ والحبر من اليمن.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أخبر أنه قدّر في الأرض أقوات أهلها، وذلك ما يقوتهم من الغذاء، ويصلحهم من المعاش، ولم يخصص جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيها أَقْوَاتَها﴾ أنه قدّر فيها قوتاً دون قوت، بل عمّ الخبر عن تقديره فيها جميع الأقوات، ومما يقوت أهلها ما لا يصلحهم غيره من الغذاء، وذلك لا يكون إلا بالمطر والتصرفّ في البلاد لما خصّ به بعضاً دون بعض، ومما أخرج من الجبال من الجواهر، ومن البحر من المآكل والحليّ، ولا قول في ذلك أصحّ مما قال جلّ ثناؤه: قدّر في الأرض أقوات أهلها، لما وصفنا من العلة.

وقال جلّ ثناؤه: ﴿في أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ لما ذكرنا قبل من الخبر الذي روينا عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ أنه فرغ من خلق الأرض وجميع أسبابها ومنافعها من الأشجار والماء والمدائن والعمران والخراب في أربعة أيام، أوّلهنّ يوم الأحد، وآخرهنّ يوم الأربعاء.

**حدثني** موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: خلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين، في الثلاثاء والأربعاء.

وقال بعض نحويي البصرة: قال: خلق الأرض في يومين، ثم قال في أربعة أيام، لأنه يعني أن هذا مع الأوّل أربعة أيام، كما تقول: تزوّجت أمس امرأة، واليوم ثنتين، وإحداهما التي تزوّجتها أمس.

وقوله: ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: تأويله: سواء لمن سأل عن مبلغ الأجل الذي خلق الله فيه الأرض، وجعل فيها الرواسي من فوقها والبركة، وقدّر فيها الأقوات بأهلها، وجده كما أخبر الله أربعة أيام لا يزدن على ذلك ولا ينقصن منه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ من سأل عن ذلك وجده، كما قال الله.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ قال: من سأل فهو كما قال الله.

**حدثنا** موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِلسَّائِلِينَ﴾ يقول: من سأل فهكذا الأمر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: سواء لمن سأل ربه شيئاً مما به الحاجة إليه من الرزق، فإن الله قد قدّر له من الأقوات في الأرض، على قدر مسألة كل سائل منهم لو سأله لما نفذ من علمه فيهم قبل أن يخلقهم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ قال: قدّر ذلك على قدر مسائلهم، يعلم ذلك أنه لا يكون من مسائلهم شيء إلا شيء قد علمه قبل أن يكون.

واختلفت القراء في قراءة ذلك. فقرأته عامة قراء الأمصار غير أبي جعفر والحسن البصري: ﴿سَوَاءً﴾ بالنصب. وقرأه أبو جعفر القارىء: «سَوَاءٌ» بالرفع. وقرأ الحسن: «سَوَاءٍ» بالجر.

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار، وذلك قراءته بالنصب لإجماع الحجة من القراء عليه، ولصحة معناه. وذلك أن معنى الكلام: قدر فيها أقواتها سواء لسائليها على ما بهم إليه الحاجة، وعلى ما يصلحهم.

وقد ذُكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك: «وَقَسَّمَ فِيها أقْوَاتَها».

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب سواءً، فقال بعض نحويي البصرة: من نصبه جعله مصدراً، كأنه قال: استواء. قال: وقد قُرِىء بالجرّ وجعل اسماً للمستويات: أي في أربعة أيام تامَّة. وقال بعض نحويي الكوفة: من خفض سواء، جعلها من نعت الأيام، وإن شئت من نعت الأربعة، ومن نصبها جعلها متَّصلة بالأقوات. قال: وقد تُرفع كأنه ابتداء، كأنه قال: ذلك ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ يقول: لمن أراد علمه.

والصواب من القول في ذلك أن يكون نصبه إذا نصب حالاً من الأقوات، إذ كانت سواء قد شبهت بالأسماء النكرة، فقيل: مررت بقوم سواء، فصارت تتبع النكرات، وإذا تبعت النكرات انقطعت من المعارف فنصبت، فقيل: مررت بإخوتك سواء، وقد يجوز أن يكون إذا لم يدخلها تثنية ولا جمع أن تشبه بالمصادر. وأما إذا رُفعت، فإنما تُرفع ابتداء بضمير ذلك ونحوه، وإذا جُرّت فعلى الإتباع للأيام أو للأربعة.

وقوله: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَهَا وَللأَرْض ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أتَينا طائِعِينَ**﴾ يعني تعالى ذكره: ثم استوى إلى السماء، ثم ارتفع إلى السماء. وقد بيَّنا أقوال أهل العلم في ذلك فيما مضى قبل.

وقوله: ﴿**فَقالَ لها وَللأَرْض ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً**﴾ يقول جلّ ثناؤه: فقال الله للسماء والأرض: جيئا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات، وتشقَّقِي عن الأنهار ﴿**قالَتا أتَينا طائِعِينَ**﴾ جئنا بما أحدثت فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو هشام، قال: ثنا ابن يمان، قال: ثنا سفيان، عن ابن جريج، عن سليمان بن موسى، عن مجاهد، عن ابن عباس، ﴿**فَقالَ لها وَللأَرْض ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أتَينا طائِعِينَ**﴾ قال: قال الله للسموات: أطلعي شمسي وقمري، وأطلعي نجومي، وقال للأرض: شققي أنهارك واخرجي ثمارك، فقالتا: أعطينا طائعين.

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ابن جُرَيج، عن سليمان الأحول، عن طاوس، عن ابن عباس، في قوله ﴿**ائْتِيا**﴾: أعطيا. وفي قوله: ﴿**قالَتا أتَيْنا**﴾ قالتا: أعطينا.

وقيل: أتينا طائعين، ولم يُقل طائعتين، والسماء والأرض مؤنثتان، لأن النون والألف اللتين هما كناية أسمائهما في قوله ﴿**أتَينا**﴾ نظيره كناية أسماء المخبرين من الرجال عن أنفسهم، فأجرى قوله ﴿**طائِعِينَ**﴾ على ما جرى به الخبر عن الرجال كذلك. وقد كان بعض أهل العربية يقول: ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهنّ.

وقال آخرون منهم: قيل ذلك كذلك لأنهما لما تكلمتا أشبهتا الذكور من بني آدم.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ففرغ من خلقهن سبع سموات في يومين، وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة، كما:

**حدثني** موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: استوى إلى السماء

وهي دخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماء واحدة، ففتقها، فجعلها سبع سموات في يومين، في الخميس والجمعة. وإنما سُمّي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض.

وقوله: ﴿وأوْحَى فِي كُلِّ سَماءٍ أمْرَها﴾ يقول: وألقى في كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وأوْحَى فِي كُلِّ سَماءٍ أمْرَها﴾ قال: ما أمر الله به وأراده.

**حدثنا** موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وأوْحَى فِي كُلِّ سَماءٍ أمْرَها﴾ قال: خلق في كلّ سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد، وما لا يعلم.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وأوْحَى فِي كُلِّ سَماءٍ أمْرَها﴾: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها.

وقوله: ﴿وَزَيَّنا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً﴾ يقول تعالى ذكره: وزيَّنا السماء الدنيا إليكم أيها الناس بالكواكب وهي المصابيح، كما:

**حدثنا** موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿زَيَّنا الدُّنْيا بِمَصَابِيحَ﴾ قال: ثم زين السماء بالكواكب، فجعلها زينة ﴿وَحِفْظاً﴾ من الشياطين.

واختلف أهل العربية في وجه نصبه قوله: ﴿وَحِفْظاً﴾ فقال بعض نحويي البصرة: نصب بمعنى: وحفظناها حفظاً، كأنه قال: ونحفظها حفظاً، لأنه حين قال: ﴿زَيَّناها بِمَصابِيحَ﴾ قد أخبر أنه قد نظر في أمرها وتعهدها، فهذا يدلّ على الحفظ، كأنه قال: وحفظناها حفظاً. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: نصب ذلك على معنى: وحفظاً زيناها، لأن الواو لو سقطت لكان إنا زينا السماء الدنيا حفظاً وهذا القول الثاني أقرب عندنا للصحة من الأوّل.

وقد بيّنا العلة في نظير ذلك في غير موضع من هذا الكتاب، فأغنى ذلك عن إعادته.

وقوله: ﴿ذلكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفت لكم من خلقي السماء والأرض وما فيهما، وتزييني السماء الدنيا بزينة الكواكب، على ما بينت تقدير العزيز في نقمته من أعدائه، العليم بسرائر عباده وعلانيتهم، وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التي بيَّنتها لهم يا محمد، ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها ولم يقرّوا أن فاعل ذلك هو الله الذي لا إله غيره، فقل لهم: أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم مثل صاعقة عاد وثمود.

وقد بيَّنا فيما مضى أن معنى الصاعقة: كلّ ما أفسد الشيء وغيره عن هيئته. وقيل في هذا الموضع عنى بها وقيعة من الله وعذاب.

## ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿**صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ**﴾ قال: يقول: أنذرتكم وقيعة عاد وثمود، قال: عذاب مثل عذاب عاد وثمود.

وقوله: ﴿**إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ**﴾ يقول: فقل: أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود التي أهلكتهم، إذ جاءت عاداً وثمود الرسل من بين أيديهم فقوله «إذ» من صلة صاعقة. وعنى بقوله: ﴿**مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ**﴾ الرسل التي أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين. وعنى بقوله: ﴿**وَمِنْ خَلْفِهِمْ**﴾: من خلف الرسل الذين بعثوا إلى آبائهم رسلاً إليهم، وذلك أن الله بعث إلى عاد هوداً، فكذّبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته إلى آبائهم أيضاً، فكذّبوهم، فأهلكوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فإِنْ أَعْرَضُوا...**﴾ إلى قوله: ﴿**وَمِنْ خَلْفِهِمْ**﴾ قال: الرسل التي كانت قبل هود، والرسل الذين كانوا بعده، بعث الله قبله رسلاً، وبعث من بعده رسلاً.

وقوله: ﴿**أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ**﴾ يقول تعالى ذكره: جاءتهم الرسل بأن لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، قالوا: ﴿**لَوْ شاءَ رَبُّنا لأَنْزَلَ مَلائِكَةً**﴾ يقول جلّ ثناؤه: فقالوا لرسلهم إذ دعوهم إلى الإقرار بتوحيد الله: لو شاء ربنا أن نوحده، ولا نعبد من دونه شيئاً غيره، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسلاً بما تدعوننا أنتم إليه، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا، ولكنه رضي عبادتنا ما نعبد، فلذلك لم يرسل إلينا بالنهي عن ذلك ملائكة.

وقوله: ﴿فإنَّا بِمَا أُرسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾ يقول: قال لرسلهم: فإنا بالذي أرسلكم به ربكم إلينا جاحدون غير مصدّقين به.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿فأمَّا عادٌ﴾ قوم هود ﴿فاستَكْبَرُوا﴾ على ربهم وتجبروا ﴿فِي الأرْضِ﴾ تكبراً وعتوّاً بغير ما أذن الله لهم به ﴿وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ﴾ وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق، وشدّة البطش ﴿هُو أَشَدُّ مِنهُمْ قُوَّةً﴾ فيحذروا عقابه، ويتقوا سطوته لكفرهم به، وتكذيبهم رسله ﴿وكانُوا بآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾ يقول: وكانوا بأدلتنا وحججنا عليهم يجحدون.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (١٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: فأرسلنا على عاد ريحاً صرصراً.

واختلف أهل التأويل في معنى الصرصر، فقال بعضهم: عني بذلك أنها ريح شديدة.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ريحا صَرصَراً﴾ قال: شديدة.

**حدثني** الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿رِيحاً صَرْصَراً﴾ شديدة السَّموم عليهم.

وقال آخرون: بل عنى بها أنها باردة.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾ قال: الصرصر: الباردة.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿رِيحاً صَرْصَراً﴾ قال: باردة.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿رِيحاً صَرْصَراً﴾ قال: باردة ذات الصوت.

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿رِيحاً صَرْصَراً﴾ يقول: ريحاً فيها برد شديد.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد، وذلك أن قوله: ﴿صَرْصَراً﴾ إنما هو صوت الريح إذا هبّت بشدّة، فسُمع لها كقول القائل: صرر، ثم جعل ذلك من أجل التضعيف الذي في الراء، فقال ثم أبدلت إحدى الراءات صاداً لكثرة الراءات، كما قيل في ردّده: ردرده، وفي نهنهه: نهنهه، كما قال رؤبة:

فالْيَوْمَ قَدْ نَهْنَهَنِي تَنَهْنُهِي ... وأوّلُ حِلْمٍ لَيْسَ بالمُسَفَّهِ(١)

وكما قيل في كففه: كفكفه، كما قال النابغة:

أُكَفْكِفُ عَبْرَةً غَلَبَتْ عُداتِي ... إذَا نَهْنَهْتُها عادَتْ ذُباحا(٢)

وقد قيل: إن النهر الذي يسمى صرصراً، إنما سمي بذلك لصوت الماء الجاري فيه، وإنه «فعلل» من صرر نظير الريح الصرصر.

وقوله: ﴿في أيَّامٍ نَحِساتٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل النحسات، فقال بعضهم: عُني بها المتتابعات.

---

(١) البيتان في ديوانه (طبع ليبسج ١٦٦) وهما أل (١٩ ـ ٢٠) ونهنهني زجرني وكفني. يقول هذا بعد أن كبر وضعف. والأول: الرجوع. والحلم العقل. والمسفه: المنسوب إلى السفه. يقول: كنت أستجيب لدواعي الصبا ما دمت شاباً، أما اليوم وقد علتني كبرة، ورجع إلى ما عزب من عقلي، فقد كفني عن الطيش حلمي وعقلي، فلا أفعل ما كنت أفعل من الشباب.

(٢) نسب المؤلف البيت إلى النابغة، ولم أجده في الديوان ولا في شروحه المختلفة. ومعنى أكفكف العبرة: أردها. وقوله غلبت عداتي: أي أنهم كانوا حراصاً على أن أبكي بما يسيئون إلي، فغلبتهم عبرتي التي حبستها، ونهنهتها: كففتها ورددتها. وذباحا: ذبحا. يريد أنه حبس عبرته، وكان حبسها كالذبح من شدة الألم لأن البكاء يخفف ما يضطرم في النفس من ألم وغيظ ونحوه. والبيت عند المؤلف شاهد على أن كفكف ونهنه وصرصر ونحوها من الفعل الرباعي المضعف: أصلها: كفف ونهه وصرر، فلما اجتمع فيه ثلاثة أجرف أمثال، أبدلت إدحى الراءات من توع فاء الكلمة. وهذا مذهب لبعض النحويين الكوفيين، والله أعلم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**في أيَّامٍ نَحِساتٍ**﴾ قال: أيام متتابعات أنزل الله فيهنّ العذاب.

وقال آخرون: عني بذلك المشائيم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**أيَّامٍ نَحِساتٍ**﴾ قال: مشائيم.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**في أيَّامٍ نَحِساتٍ**﴾ أيام والله كانت مشؤومات على القوم.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: النحسات: المشؤومات النكدات.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**في أيَّامٍ نَحِساتٍ**﴾ قال: أيام مشؤومات عليهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: أيام ذات شرّ.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد قوله: ﴿**أيَّامٍ نَحِساتٍ**﴾ قال: النحس: الشرّ أرسل عليهم ريح شرّ ليس فيها من الخير شيء.

وقال آخرون: النحسات: الشداد.

**ذكر من قال ذلك:**

**حُدثت** عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول ﴿**في أيَّامٍ نَحِساتٍ**﴾ قال: شداد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بها: أيام مشائيم ذات نحوس، لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار غير نافع وأبي عمرو ﴿**في أيَّامٍ نَحِساتٍ**﴾ بكسر الحاء، وقرأه نافع وأبو عمرو: «نَحْساتٍ» بسكون الحاء. وكان أبو عمرو فيما ذكر

لنا عنه يحتج لتسكينه الحاء بقوله: ﴿يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٌ﴾ وأن الحاء فيه ساكنة.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكلّ واحدة منهما قرّاء علماء مع اتفاق معنييهما، وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها في ذلك لغتان معروفتان، يقال هذا يومٌ نَحْسٌ، ويومٌ نَحِسٌ، بكسر الحاء وسكونها قال الفرّاء: أنشدني بعض العرب:

أَبلِغْ جُذَاماً وَلَخْماً أنَّ إخْوَتَهمْ طَيّاً وَبهْرَاءَ قَوْمٌ نَصْرُهُمْ نَحِسُ(١)

وأما من السكون فقول الله ﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾ ومنه قول الراجز:

يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ وَيَوْماً شَمْساً نَجْمَيْنِ بالسَّعْدِ وَنَجْماً نَحْسا(٢)

فمن كان في لغته: «يَوْم نَحْسٍ» قال: «في أيَّام نَحْساتٍ»، ومن كان في لغته: ﴿يَوْم نَحْسٍ﴾ قال: ﴿في أيَّامٍ نَحِساتٍ﴾، وقد قال بعضهم: النحْس بسكون الحاء: هو الشؤم نفسه، وإن إضافة اليوم إلى النحس، إنما هو إضافة إلى الشؤم، وإن النحِس بكسر الحاء نعت لليوم بأنه مشؤوم، ولذلك قيل: ﴿في أيَّامٍ نَحِساتٍ﴾ لأنها أيام مشائيم.

وقوله: ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الخِزْيِ في الحَياةِ الدُّنْيا﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولعذابنا إياهم في الآخرة أخزى لهم وأشدّ إهانة وإذلالاً ﴿وهُمْ لا يُنْصَرُونَ﴾ يقول: وهم يعني عاداً لا ينصرهم من الله يوم القيامة إذا عذّبهم ناصر، فينقذهم منه، أو ينتصر لهم.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾.

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٨٩) عند قوله تعالى: ﴿في أيام نحسات﴾. قال: العوام على تثقيلها بكسر الحاء. وقد خفف بعض أهل المدينة «نحسات» (بسكون الحاء). قال وقد سمعت بعض العرب ينشد:

«أبلغ جذاماً .....

البيت» فهذا لمن ثقل. ومن خفف بناه على قوله «في يوم نحس مستمر» وفي «**اللسان**» نحس وقرأ أبو عمرو: «فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات» بسكون الحاء. قال الأزهري: هي جمع أيام نحسة ثم نحسات جمع الجمع (بسكون الحاء فيهما) وقرئت في أيام نحسات (بكسر الحاء) وهي المشئومات عليهم في الوجهين ا هـ.

(٢) البيتان من مشطور الرجز، ولم نعرف قائلهما. واستشهد المؤلف بهما على أن النحس فيه لغتان: سكون الحاء، كهذا البيت وكسرها كالشاهد الذي قبله. وعلى هاتين اللغتين جاءت قراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿في أيام نحسات﴾ وقد سبق القول عليه في الشاهد السابق.

يقول تعالى ذكره: فبيَّنا لهم سبيل الحقّ وطريق الرشد، كما:

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وأمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ﴾**: أي بيَّنا لهم.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وأمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ﴾** بيَّنا لهم سبيل الخير والشرّ.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿وأمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ﴾** بيَّنا لهم.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وأمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ﴾** قال: أعلمناهم الهدى والضلالة، ونهيناهم أن يتَّبعوا الضلالة، وأمرناهم أن يتبعوا الهدى.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿ثَمُودُ﴾** فقرأته عامة القرّاء من الأمصار غير الأعمش وعبد الله بن أبي إسحاق برفع ثمود، وترك إجرائها على أنها اسم للأمة التي تعرف بذلك. وأما الأعمش فإنه ذكر عنه أنه كان يُجزي ذلك في القرآن كله إلا في قوله: **﴿وآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾** فإنه كان لا يجريه في هذا الموضع خاصة من أجل أنه في خطّ المصحف في هذا الموضع بغير ألف، وكان يوجه ثمود إلى أنه اسم رجل بعينه معروف، أو اسم جيل معروف. وأما ابن إسحاق فإنه كان يقرؤه نصباً. وأما ثمود بغير إجراء، وذلك وإن كان له في العربية وجه معروف، فإن أفصح منه وأصحّ في الإعراب عند أهل العربية الرفع لطلب أما الأسماء وأن الأفعال لا تليها، وإنما تعمل العرب الأفعال التي بعد الأسماء فيها إذا حسن تقديمها قبلها والفعل في أما لا يحسن تقديمه قبل الاسم ألا ترى أنه لا يقال: وأما هدينا فثمود، كما يقال: **﴿وأمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ﴾**.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع وترك الإجراء أما الرفع فلما وصفت، وأما ترك الإجراء فلأنه اسم للأمة.

وقوله: **﴿فاسْتَحَبُّوا العَمَى على الهُدَى﴾** يقول: فاختاروا العمى على البيان الذي بيَّنت لهم، والهدى الذي عرفتهم، بأخذهم طريق الضلال على الهدى، يعني على البيان الذي بيَّنه لهم، من توحيد الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿فاسْتَحَبُّوا العَمَى على الهُدَى﴾** قال: اختاروا الضلالة والعمى على الهدى.

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وأمَّا ثَمُودُ فَهَدَيناهُمْ فاسْتَحَبُّوا العَمَى على الهُدَى**﴾ قال: أرسل الله إليهم الرسل بالهدى فاستحبوا العمى على الهدى.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿**فاسْتَحَبُّوا العَمَى**﴾ يقول: بيّنا لهم، فاستحبوا العمى على الهدى.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فاسْتَحَبُّوا العَمَى على الهُدَى**﴾ قال: استحبوا الضلالة على الهدى، وقرأ: ﴿**وَكذَلكَ زَيَّنا لِكُلّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ...**﴾ إلى آخر الآية، قال: فزين لثمود عملها القبيح، وقرأ: ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ حَسَناً فإنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ...**﴾ إلى آخر الآية.

وقوله: ﴿**فَأخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذابِ الهُونِ بِمَا كانُوا يكْسِبُونَ**﴾ يقول: فأهلكتهم من العذاب المذلّ المهين لهم مُهلكة أذلتهم وأخزتهم والهون: هو الهوان، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**عَذَابِ الهُونِ**﴾ قال: الهوان.

وقوله: ﴿**بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك، وخلافهم إياه، وتكذيبهم رسله.

وقوله: ﴿**ونَجَّيْنا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ يقول: ونجينا الذين آمنوا من العذاب الذي أخذهم بكفرهم بالله، الذين وحّدوا الله، وصدّقوا رسله ﴿**وَكانُوا يَتَّقُونَ**﴾ يقول: وكانوا يخافون الله أن يحلّ بهم من العقوبة على كفرهم لو كفروا ما حلّ بالذين هلكوا منهم، فآمنوا اتّقاء الله وخوف وعيده، وصدّقوا رسله، وخلعوا الآلهة والأنداد.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويوم يجمع هؤلاء المشركون أعداء الله إلى النار، إلى نار جهنم، فهم يحبس أوّلهم على آخرهم، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾ قال: يحبس أوّلهم على آخرهم.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾ قال: عليهم وزعة تردّ أولاهم على أخراهم.

وقوله: ﴿**حتى إِذَا ما جَاءُوها شَهِدَ عَلَيهِمْ سَمْعُهُمْ وأَبْصَارُهُمْ**﴾ يقول: حتى إذا ما جاؤوا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به في الدنيا إليه، ويستمعون له، وأبصارهم بما كانوا يبصرون به وينظرون إليه في الدنيا ﴿**وَجُلُودُوهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.

وقد قيل: عُني بالجلود في هذا الموضع: الفروج.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن الحكم الثقفي، رجل من آل أبي عقيل رفع الحديث، ﴿**وقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا**﴾ إنما عنى فروجهم، ولكن كنى عنها.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا حرملة، أنه سمع عبيد الله بن أبي جعفر، يقول ﴿**حتى إِذَا ما جاءُوها شَهِدَ عَلَيهِمْ سَمْعُهُمْ وأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ**﴾ قال: جلودهم: الفروج.

وهذا القول الذي ذكرناه عمن ذكرنا عنه في معنى الجلود، وإن كان معنى يحتمله التأويل، فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر، وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون: لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟ فأجابتهم جلودهم: ﴿**أَنْطَقَنا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ فنطقنا وذُكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم إذا هم أنكروا الأفعال التي كانوا فعلوها في الدنيا بما يسخط الله، وبذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ. ذكر الأخبار التي رُويت عن رسول الله ﷺ.

**حدثنا** أحمد بن حازم الغفاريّ، قال: أخبرنا عليّ بن قادم الفزاري، قال: أخبرنا شريك، عن عبيد المُكْتِب، عن الشعبيّ، عن أنس، قال: ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم حتى بدت

نواجذه، ثم قال: «ألا تَسْألُوني ممَّ ضَحِكْتُ؟» قالوا: ممّ ضحكت يا رسول الله؟ قال: «عَجِبْتُ مِنْ مُجادَلَةِ العَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ القِيامَةِ قال: يقُولُ: يا رَبّ ألَيْسَ وَعَدْتَنِي أنْ لا تَظْلِمَنِي؟ قالَ: فإنَّ لَكَ ذلكَ، قال: فإنّي لا أقْبَلُ عَليَّ شاهِداً إلاَّ مِنْ نَفْسِي، قالَ: أوَلَيْس كَفَى بِي شَهِيداً، وَبالمَلائِكَةِ الكِرَام الكاتبين؟ قالَ فَيُخْتَمُ عَلى فِيهِ، وَتَتَكَلَّمُ أرْكانُهُ بِمَا كانَ يَعْمَلُ، قالَ: فَيَقُولُ لَهُنَّ: بُعْداً لَكُنَّ وسُحْقاً، عَنْكُنَّ كُنْتُ أُجادِلُ».

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن عبيد المكتب، عن فضيل بن عمرو، عن الشعبي، عن أنس، عن النبيّ ﷺ بنحوه.

**حدثني** عباس بن أبي طالب، قال: ثنا يحيى بن أبي بكر، عن شبل، قال: سمعت أبا قزعة يحدّث عمرو بن دينار، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النبيّ ﷺ أنه قال، وأشار بيده إلى الشام، قال: «ها هُنا إلى ها هُنا تُحْشَرُونَ رُكْباناً وَمُشاةً على وُجُوهِكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ، على أفْوَاهِكُم الفِدامُ، تُوَفُّونَ سَبْعِين أُمَّةً أنْتُمْ آخِرُها وأكْرَمُها على اللّهِ، وإن أوَّلَ ما يُعْرِبُ مِنْ أحَدكُمْ فَخِذُهُ».

**حدثنا** مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: أخبرنا الجريري، عن حكيم بن معاوية، عن أبيه عن النبيّ ﷺ قال: «تَجِيئُونَ يَوْمَ القِيامَةِ على أفْوَاهِكُمْ الفِدامُ، وإنَّ أوَّلَ ما يَتَكَلَّمُ مِنَ الآدمي فَخِذُهُ وكَفُّهُ».

**حدثني** يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ «مالي أُمْسِكُ بحَجزِكُمْ مِنَ النَّارِ؟ ألا إن رَبّي داعيَّ وإنَّهُ سائلي هَلْ بَلَّغْتُ عِبادَهُ؟ وإنّي قائِلٌ: رَبّ قَدْ بَلَّغْتُهُمْ، فَيُبَلِّغ شاهِدُكُمْ غائِبَكُمْ، ثُمَّ إنَّكُمْ مُدْعُونَ مُقَدَّمَةً أفْوَاهُكُمْ بالفِدامِ، ثُمَّ إنَّ أوَّلَ ما يُبِينُ عَنْ أحَدِكَمْ لَفَخِذُهُ وكَفُّهُ».

**حدثني** محمد بن خلف، قال: ثنا الهيثم بن خارجة، عن إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زُرْعة، عن شريح بن عبيد، عن عقبة، سمع النبيّ ﷺ يقول: «إنّ أوَّلَ عَظْم تَكَلَّمَ مِنَ الإنْسانِ يَوْمَ يُخْتَمُ على الأفْوَاهِ فَخِذُهُ مِنَ الرِّجْلِ الشمال».

وقوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: والله خلقكم الخلق الأوّل ولم تكونوا شيئاً، ﴿وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: وإليه مصيركم من بعد مماتكم، ﴿وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ في الدنيا ﴿أنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿سَمْعُكُمْ وَلا أبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ﴾.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾، فقال بعضهم: معناه: وما كنتم تستَخْفُون.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿وَما كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾: أي تَسْتَخْفُون منها.

وقال آخرون: معناه: وما كنتم تتقون.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَما كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ قال: تتقون.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما كنتم تظنون.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَما كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ يقول: وما كنتم تظنون ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ﴾ حتى بلغ ﴿كَثِيراً مِمَّا﴾ كنتم[1] ﴿تَعْمَلُونَ﴾، والله إن عليك يا ابن آدم لشهوداً غير متهمة من بدنك، فراقبهم واتق الله في سرّ أمرك وعلانيتك، فإنه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسرّ عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظنّ فليفعل، ولا قوّة إلا بالله.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وما كنتم تستَخْفُون، فتتركوا ركوب محارم الله في الدنيا حذراً أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن المعروف من معاني الاستتار الاستخفاء.

فإن قال قائل: وكيف يستخفى الإنسان عن نفسه مما يأتي؟ قيل: قد بيَّنا أن معنى ذلك إنما هو الأماني، وفي تركه إتيانه إخفاؤه عن نفسه.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا﴾ كنتم[2] ﴿تَعْمَلُونَ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولكن حسبتم حين ركبتم في الدنيا ماركبتم من معاصي الله أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون من أعمالكم الخبيثة، فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم، فتتركوا ركوب ما حرّم الله عليكم.

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل نفر تدارَؤا بينهم في علم الله بما يقولونه ويتكلمون سرّاً. ذكر الخبر بذلك.

---

(١ ـ ٢) الظاهر أن لفظة «كنتم» زيدت سهواً من المؤلف في الموضعين.

**حدثني** محمد بن يحيى القطعي، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا قيس، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر الأزدي، عن عبد الله بن مسعود، قال: كنت مستتراً بأستار الكعبة، فدخل ثلاثة نفر، ثَقَفيان وقُرشيّ، أو قُرشيان وثَقَفي، كثير شحوم بطونهما، قليل فقه قلوبهما، فتكلموا بكلام لم أفهمه، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال الرجلان: إذا رفعنا أصواتنا سمع، وإذا لم نرفع لم يسمع، فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك، فنزلت هذه الآية: ﴿**وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أن يَشْهَدَ عَلَيكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أبْصَارُكُمْ...**﴾ إلى آخر الآية.

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، قال: ثني الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن وهب بن ربيعة، عن عبد الله بن مسعود، قال: إني لمستتر بأستار الكعبة، إذ دخل ثلاثة نفر، ثقفي وختناه قرشيان، قليل فقه قلوبهما، كثير شحوم بطونهما، فتحدثوا بينهم بحديث، فقال أحدهم: أترى الله يسمع ما قلنا؟، فقال الآخر: إنه يسمع إذا رفعنا، ولا يسمع إذا خفضنا. وقال الآخر: إذا كان يسمع منه شيئاً فهو يسمعه كله، قال: فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فنزلت هذه الآية: ﴿**وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أنْ يَشْهَدَ عَلَيكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أبْصَارُكُم...**﴾ حتى بلغ ﴿**وإنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ المُعْتَبِينَ**﴾.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، قال: ثني منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بنحوه.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وهذا الذي كان منكم في الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساويها، هو ظنكم الذي ظننتم بربكم في الدنيا أرداكم، يعني أهلككم. يقال منه: أردى فلاناً كذا وكذا: إذا أهلكه، ورَدِيَ هو: إذا هلك، فهو يردى ردىً ومنه قول الأعشى:

أفِي الطَّوْفِ خِفْتِ عَليَّ الرَّدَى وكَمْ مِنْ رَدٍ أهْلَهُ لَمْ يَرِمْ[١]

يعني: وكم من هالك أهله لم يرم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) هذا البيت للأعشى يخاطب ابنته. وقد سبق القول فيه مفصلاً في الجزاء (٢٣/ ٦٢) وموضع الشاهد هنا هو (الردى) بمعنى الهلاك. وهو مصدر ردى (كفرح) يردى ردى. ومنه قوله تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿**أَرْدَاكُمْ**﴾ قال: أهلككم.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: تلا الحسن: ﴿**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ**﴾ فقال: إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن بالله الظن، فأحسن العمل وأما الكافر والمنافق، فأساءا الظنّ فأساءا العمل، قال ربكم: ﴿**وَما كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ...**﴾ حتى بلغ: الخاسرين. قال معمر: وحدثني رجل: أنه يؤمر برجل إلى النار، فيلتفت فيقول: يا ربّ ما كان هذا ظني بك، قال: وما كان ظنك بي؟ قال: كان ظني أن تغفر لي ولا تعذّبني، قال: فإني عند ظنك بي.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: الظنّ ظنان، فظنّ منج، وظنّ مُرْدٍ قال: ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ**﴾ قال ﴿**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ**﴾، وهذا الظنّ المنجي ظناً يقيناً، وقال ها هنا: ﴿**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ**﴾ هذا ظنّ مُرْدٍ.

وقوله: ﴿**وَقالَ الكافِرُونَ إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**﴾ وذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول ويروي ذلك عن ربه: «عَبْدِي عِنْدَ ظَنِّهِ بِي، وأنا مَعَهُ إِذَا دَعانِي». وموضع قوله: ﴿**ذَلِكُمْ**﴾ رفع بقوله ظنكم. وإذا كان ذلك كذلك، كان قوله: ﴿**أَرْدَاكُمْ**﴾ في موضع نصب بمعنى: مردياً لكم. وقد يُحتمل أن يكون في موضع رفع بالاستئناف، بمعنى: مردٍ لكم، كما قال: تِلْكَ آياتُ الكِتابِ الحَكِيمِ هُدىً وَرَحْمَةٌ في قراءة من قرأه بالرفع. فمعنى الكلام: هذا الظنّ الذي ظننتم بربكم من أنه لا يعلم كثيراً مما تعملون هو الذي أهلككم، لأنكم من أجل هذا الظنّ اجترأتم على محارم الله فقدمتم عليها، وركبتم ما نهاكم الله عنه، فأهلككم ذلك وأرداكم ﴿**فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخاسِرِينَ**﴾ يقول: فأصبحتم اليوم من الهالكين، قد غبتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن يصبر هؤلاء الذين يحشرون إلى النار على النار، فالنار مسكن لهم ومنزل، ﴿**وإِنْ يَسْتَعْتِبُوا**﴾ يقول: وإن يسألوا العُتبى، وهي الرجعة لهم إلى الذي يحبون بتخفيف العذاب عنهم ﴿**فَمَا هُمْ مِنَ المَعْتَبِينَ**﴾ يقول: فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلى الجنة، فيخفف

عنهم ما هم فيه من العذاب، وذلك كقوله جلّ ثناؤه مخبراً عنهم: ﴿**قالُوا رَبَّنا غَلَبَتْ عَلَيْنا شِقْوَتَنا...**﴾ إلى قوله ﴿**وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ وكقولهم لخزنة جهنم: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ العَذابِ...**﴾ إلى قوله: ﴿**وَما دعاءُ الكافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلالٍ**﴾.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿**وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ**﴾ وبعثنا لهم نُظراء من الشياطين، فجعلناهم لهم قرناء قرنَّاهم بهم يزيِّنون لهم قبائح أعمالهم، فزينوا لهم ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ**﴾ قال: الشيطان.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿**وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ**﴾ قال: شياطين.

وقوله: ﴿**فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَينَ أيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ**﴾ يقول: فزين لهؤلاء الكفار قرناؤهم من الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا. فحسنوا ذلك لهم وحبَّبوه إليهم حتى آثروه على أمر الآخرة ﴿**وَما خَلْفَهُمْ**﴾ يقول: وحسَّنوا لهم أيضاً ما بعد مماتهم بأن دعوهم إلى التكذيب بالمعاد، وأن من هلك منهم، فلن يُبعث، وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدّقوهم على ذلك، وسهل عليهم فعل كلّ ما يشتهونه، وركوب كلّ ما يلتذونه من الفواحش باستحسانهم ذلك لأنفسهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**فَزَيَّنُوا لَهُمْ ما بَينَ أيْدِيهِمْ**﴾ من أمر الدنيا ﴿**وَما خَلْفَهُمْ**﴾ من أمر الآخرة.

وقوله: ﴿**وَحَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ**﴾ يقول تعالى ذكره: ووجب لهم العذاب بركوبهم ما ركبوا مما زين لهم قرناؤهم وهم من الشياطين، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَحَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ**﴾ قال: العذاب.

﴿**في أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الجِنّ والإنسِ**﴾، يقول تعالى ذكره: وحقّ على هؤلاء الذين قيضنا لهم قُرَناء من الشياطين، فزيَّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم العذاب في أمم قد مضت قبلهم من ضربائهم، حقّ عليهم من عذابنا مثل الذي حَقّ على هؤلاء بعضهم من الجنّ وبعضهم من الإنس ﴿**إنَّهُمْ كانُوا خاسِرِينَ**﴾ يقول: إن تلك الأمم الذين حقّ عليهم عذابنا من الجنّ والإنس، كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفروا**﴾ بالله ورسوله من مشركي قريش: ﴿**لا تَسْمَعُوا لِهَذا القُرآنِ وَالْغُوا فِيهِ**﴾ يقول: قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين: لا تسمعوا لقارىء هذا القرآن إذا قرأه، ولا تصغوا له، ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به، كما:

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفروا لا تَسْمَعُوا لِهَذا القُرآنِ وَالْغُوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ قال: هذا قول المشركين، قالوا: لا تتبعوا هذا القرآن والهوا عنه.

وقوله: ﴿**وَالْغَوْا فيه**﴾ يقول: الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كَيْما لا تسمعوه، ولا تفهموا ما فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**لا تَسْمَعُوا لِهَذا القُرآنِ وَالْغُوا فِيهِ**﴾ قال: المكاء والتصفير، وتخليط من القول على رسول الله ﷺ إذا قرأ، قريش تفعله.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَالْغَوْا فِيهِ**﴾ قال: بالمكاء والتصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن، قريش تفعله.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفروا لا**

تَسْمَعُوا لِهَذا القُرآنِ وَالْغَوا فِيهِ﴾: أي اجحدوا به وأنكروه وعادوه، قال: هذا قول مشركي العرب.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، قال: قال بعضهم في قوله: ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ قال: تحدثوا وصيحوا كيما لا تسمعوه.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ يقول: لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه، فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه، فتغلبون بذلك من فعلكم محمداً. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله من مشركي قريش الذين قالوا هذا القول عذاباً شديداً في الآخرة ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: ولنثيبنهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الجزاء الذي يجزى به هؤلاء الذين كفروا من مشركي قريش جزاء أعداء الله ثم ابتدأ جلّ ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء، وما هو؟ فقال: هو النار، فالنار بيان عن الجزاء، وترجمة عنه، وهي مرفوعة بالردّ عليه ثم قال: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ﴾ يعني لهؤلاء المشركين بالله في النار دار الخلد يعني دار المكث واللبث، إلى غير نهاية ولا أمد والدار التي أخبر جلّ ثناؤه أنها لهم في النار هي النار، وحسن ذلك لاختلاف اللفظين، كما يقال: لك من بلدتك دار صالحة، ومن الكوفة دار كريمة، والدار: هي الكوفة والبلدة، فيحسن ذلك لاختلاف الألفاظ، وقد ذُكر لنا أنها في قراءة ابن مسعود: «ذَلِكَ جَزَاءُ أعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ دَارُ الخُلْدِ» ففي ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل في ذلك، وذلك أنه ترجم بالدار عن النار.

وقوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كانُوا بآياتنا يَجْحَدُونَ﴾ يقول: فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء من مجازاتنا إياهم النار على فعلهم جزاء منا بجحودهم في الدنيا بآياتنا التي احتججنا بها عليهم.

### القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعد ما أدخلوا جهنم: يا ربنا أرنا اللذين أضلاَّنا من خلقك من جنهم وإنسهم. وقيل: إن الذي هو من الجنّ إبليس، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي قتل أخاه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ثابت الحداد، عن حبة العرنيّ[1]، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله: ﴿**أرِنا اللَّذَيْنِ أضَلاَّنا مِنَ الجِنّ والإنْسِ**﴾ قال: إبليس الأبالسة وابن آدم الذي قتل أخاه.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة، عن مالك بن حصين، عن أبيه، عن عليّ رضي الله عنه في قوله: ﴿**رَبَّنا أرِنا اللَّذَيْنِ أضَلاَّنا مِنَ الجِنّ والإنْسِ**﴾ قال: إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثني وهب بن جرير، قال: ثنا شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن أبي مالك وابن مالك، عن أبيه، عن عليّ رضي الله عنه ﴿**رَبَّنا أرِنا اللَّذَيْنِ أضَلاَّنا مِنَ الجِنّ والإنْسِ**﴾ قال: ابن آدم الذي قتل أخاه، وإبليس الأبالسة.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، في قوله: ﴿**رَبَّنا أرِنا اللَّذَيْنِ أضَلاَّنا مِنَ الجِنّ والإنْسِ...**﴾ الآية، فإنهما ابن آدم القاتل، وإبليس الأبالسة. فأما ابن آدم فيدعو به كلّ صاحب كبيرة دخل النار من أجل الدعوة. وأما إبليس فيدعو به كلّ صاحب شرك، يدعوانهما في النار.

**حدثنا** محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، قال: ثنا معمر، عن قتادة ﴿**رَبَّنا أرِنا اللَّذَيْنِ أضَلاَّنا مِنَ الجِنّ والإنْسِ**﴾ هو الشيطان، وابن آدم الذي قتل أخاه.

وقوله: ﴿**نَجْعَلْهُما تحتَ أقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الأسْفَلِينَ**﴾ يقول: نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، وكلّ ما سفل منها فهو أشدّ على أهله، وعذاب أهله أغلظ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشدّ العذاب في الدرك الأسفل من النار.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) كذا في «**خلاصة الخزرجي**»، حبة بن جوين العرني، بضم المهملة الأولى، أبو قدامة الكوفي، عن علي؛ وعنه سلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة. قال العجلي: ثقة؛ وقال ابن سعد: مات سنة ست وسبعين. وفي الأصل: العوفي، تحريف.

يقول تعالى ذكره: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾ وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، ﴿**ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى.

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ وقاله أهل التأويل على اختلاف منهم، في معنى قوله: ﴿**ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾. ذكر الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ.

**حدثنا** عمرو بن عليّ، قال: ثنا سالم بن قتيبة أبو قتيبة، قال: ثنا سهيل بن أبي حزم القطعي، عن ثابت البنانيّ، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ قال: «قد قالها الناس، ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام».

وقال بعضهم: معناه: ولم يشركوا به شيئاً، ولكن تموا على التوحيد.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد، عن سعيد بن عمران، قال: قد قرأت عند أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه هذه الآية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً.

**حدثنا** ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان بإسناده، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، مثله.

**قال** ثنا جرير بن عبد الحميد، وعبد الله بن إدريس، عن الشيباني، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن الأسود بن هلال، عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لأصحابه ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ قال: قالوا: ربنا الله ثم عملوا بها، قال: لقد حملتموها على غير المحمل ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ الذين لم يعدلوها بشرك ولا غيره.

**حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا: ثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا الشيباني، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن الأسود بن هلال المحاربي، قال: قال: أبو بكر: ما تقولون في هذه الآية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ قال: فقالوا: ربنا الله ثم استقاموا من ذنب، قال. فقال أبو بكر: لقد حملتم على غير المحمل، قالوا: ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره.

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ قال: أي على: لا إله إلا الله.

**قال:** ثنا حكام عن عمرو، عن منصور، عن مجاهد **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾** قال: أسلموا ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به.

**قال:** ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، قوله **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾** قال هم الذين قالوا ربنا الله لم يشركوا به حتى لقوه.

**قال:** ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن منصور، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال مثل ذلك.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾** قال: تموا على ذلك.

**حدثني** سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾** قال: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم استقاموا على طاعته.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أحمد بن منيع، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، قال: ثنا يونس بن يزيد عن الزهري، قال: تلا عمر رضي الله عنه على المنبر: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾** قال: استقاموا والله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعلب.

**حدثنا** ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾** قال استقاموا على طاعة الله. وكان الحسن إذا تلاها قال: اللهمّ فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة.

**حدثني** عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾** يقول: على أداء فرائضه.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾** قال: على عبادة الله وعلى طاعته.

وقوله: **﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾** يقول: تتهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿تتنزّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ أنْ لاَ تخافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ قال: عند الموت.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿تَتنزّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ﴾ قال: عند الموت.

وقوله: ﴿أنْ لاَ تخافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ يقول: تتنزل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا ولا تحزنوا فإن في موضع نصب إذا كان ذلك معناه.

وقد ذُكر عن عبد الله أنه كان يقرأ ذلك «تَتَنزّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أنْ لاَ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا» بمعنى: تتنزّل عليهم قائلة: لا تخافوا، ولا تحزنوا. وعنى بقوله: ﴿لا تَخافُوا﴾ ما تقدمون عليه من بعد مماتكم ﴿وَلا تَحْزَنُوا﴾ على ما تخلفونه وراءكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿أنْ لاَ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ قال لا تخافوا ما أمامكم، ولا تحزنوا على ما بعدكم.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا يحيى بن حسان، عن مسلم بن خالد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿تَتَنزّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ أنْ لاَ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ قال: لا تخافوا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم من أهل وولد، فإنا نخلفكم في ذلك كله.

وقيل: إن ذلك في الآخرة.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿تَتَنزّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ أنْ لاَ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وأبْشِرُوا بالجَنّةِ﴾ فذلك في الآخرة.

وقوله: ﴿وأبْشِرُوا بالجَنّةِ التي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ يقول: وسرّوا بأن لكم في الآخرة الجنة التي

كنتم توعدونها في الدنيا على إيمانكم بالله، واستقامتكم على طاعته، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وأَبْشِرُوا بالجَنَّةِ التي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ في الدنيا.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل ملائكته التي تتنزل على هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم: ﴿**نَحْنُ أوْلَياؤُكُمْ**﴾ أيها القوم ﴿**فِي الحَياةِ الدُّنيا**﴾ كنا نتولاكم فيها وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**نَحْنُ أوْلياؤُكُمْ فِي الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة.

وقوله: ﴿**وفِي الآخِرَةِ**﴾ يقول: وفي الآخرة أيضاً نحن أولياؤكم، كما كنا لكم في الدنيا أولياء. ﴿**وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أنْفُسُكُمْ**﴾ يقول: ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهي أنفسكم من اللذّات والشهوات. وقوله: ﴿**وَلَكُمْ فِيها ما تدَّعُونَ**﴾ يقول: ولكم في الآخرة ما تدّعون. وقوله: ﴿**نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ**﴾ يقول: أعطاكم ذلك ربكم نزلاً لكم من ربّ غفور لذنوبكم، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم ونصب نُزُلاً على المصدر من معنى قوله: ﴿**وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ**﴾ لأن في ذلك تأويل أنزلكم ربكم بما يشتهون من النعيم نُزُلاً.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن أحسن أيها الناس قولاً ممن قال ربنا الله ثم استقام على الإيمان به، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: تلا الحسن: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللَّهِ وَعمِلَ صَالِحاً وَقالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ**﴾ قال: هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحبّ الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، فهذا خليفة الله.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللَّهِ...**﴾ الآية، قال: هذا عبد صدّق قولَه عملهُ، ومولجُه مخرجُه، وسرُّه علانيته، وشاهده مغيبه، وإن المنافق عبد خالف قولَه عملُه، ومولجَه مخرجُه، وسرُّه علانيته، وشاهده مغيبه.

واختلف أهل العلم في الذي أريد بهذه الصفة من الناس، فقال بعضهم: عُنِي بها نبيّ الله ﷺ.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللَّهِ**﴾ قال: محمد ﷺ حين دعا إلى الإسلام.

**حدثني** يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللَّهِ وَعمِلَ صَالِحاً وَقالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ**﴾ قال: هذا رسول الله ﷺ.

وقال آخرون: عنى به المؤذّن.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** داود بن سليمان بن يزيد المكتب البصري، قال: ثنا عمرو بن جرير البجلي، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، في قول الله: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إلى اللَّهِ**﴾ قال: المؤذّن ﴿**وَعمِلَ صَالِحاً**﴾ قال: الصلاة ما بين الأذان إلى الإقامة.

وقوله: ﴿**وَقالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ**﴾ يقول: وقال: إنني ممن خضع لله بالطاعة، وذلّ له بالعبودة، وخشع له بالإيمان بوحدانيته.

وقوله: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تستوي حسنة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، فأحسنوا في قولهم، وإجابتهم ربهم إلى ما دعاهم إليه من طاعته، ودعوا عباد الله إلى مثل الذي أجابوا ربهم إليه، وسيئة الذين قالوا: ﴿**لا تَسْمَعُوا لِهَذا القُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ**

**﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾** فكذلك لا تستوي عند الله أحوالهم ومنازلهم، ولكنها تختلف كما وصف جلّ ثناؤه أنه خالف بينهما، وقال جلّ ثناؤه: **﴿وَلا تَسْتَوِي الحَسَنَةَ وَلا السَّيِّئَةُ﴾** فكرّر لا، والمعنى: لا تستوي الحسنة ولا السيئة، لأن كلّ ما كان غير مساوٍ شيئاً، فالشيء الذي هو له غير مساو غير مساويه، كما أن كلّ ما كان مساوياً لشيء فالآخر الذي هو له مساو، مساوٍ له، فيقال: فلان مساو فلاناً، وفلان له مساو، فكذلك فلان ليس مساوياً لفلان، ولا فلان مساوياً له، فلذلك كرّرت لا مع السيئة، ولو لم تكن مكرّرة معها كان الكلام صحيحاً. وقد كان بعض نحويي البصرة يقول: يجوز أن يقال: الثانية زائدة يريد: لا يستوي عبد الله وزيد، فزيدت لا توكيداً، كما قال: **﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ ألاَّ يَقْدِرُونَ﴾**: أي لأن يعلم، وكما قال: لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ وَلا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ. وقد كان بعضهم ينكر قوله هذا في: **﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلَ الكِتابِ﴾**، وفي قوله: **﴿لا أُقْسِمُ﴾** فيقول: لا الثانية في قوله: **﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلَ الكِتابِ﴾** أن لا يقدرون ردّت إلى موضعها، لأن النفي إنما لحق يقدرون لا العلم، كما يقال: لا أظنّ زيداً لا يقوم، بمعنى: أظنّ زيداً لا يقوم قال: وربما استوثقوا فجاؤوا به أوّلاً وآخراً، وربما اكتفوا بالأوّل من الثاني. وحُكي سماعاً من العرب: ما كأني أعرفها: أي كأني لاأعرفها. قال: وأما «لا» في قوله **﴿لا أُقْسِمُ﴾** فإنما هو جواب، والقسم بعدها مستأنف، ولا يكون حرف الجحد مبتدأ صلة.

وإنما عُنِي بقوله: **﴿وَلا تَسْتَوِي الحَسَنَةَ وَلا السَّيِّئَةُ﴾** ولا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته.

وقوله: **﴿ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك، وبعفوك عمن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، ويلقاك من قبلهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في تأويله.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ﴾** قال: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوُّهم، كأنه وليّ حميم.

وقال آخرون: معنى ذلك: ادفع بالسلام على من أساء إليك إساءته.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء **﴿ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ﴾** قال: بالسلام.

**حدثنا** محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن مجاهد ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ قال: السلام عليك إذا لقيته.

وقوله: ﴿**فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطفته إياك، وبرّه لك، وليّ لك من بني أعمامك، قريب النسب بك والحميم: هو القريب، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، ، عن قتادة ﴿**كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾: أي كأنه وليّ قريب.

## القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما يُعطَى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا لله على المكاره، والأمور الشاقة وقال: ﴿**وَما يُلَقَّاها**﴾ ولم يقل: وما يلقاه، لأن معنى الكلام: وما يلقى هذه الفعلة من دفع السيئة بالتي هي أحسن.

وقوله: ﴿**وَما يُلَقَّاها إلاَّ ذُو حَظٌّ عَظِيمٍ**﴾ يقول: وما يلقى هذه إلا ذو نصيب وجدّ له سابق في المبرات عظيم، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَما يُلَقَّاها إلاَّ ذُو حَظٌّ عَظِيمٍ**﴾: ذو جدّ.

وقيل: إن ذلك الحظّ الذي أخبر الله جلّ ثناؤه في هذه الآية أنه لهؤلاء القوم هو الجنة.

## ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَما يُلَقَّاها إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا...**﴾ الآية. والحظّ العظيم: الجنة. ذُكر لنا أن أبا بكر رضي الله عنه شتمه رجل ونبيّ الله ﷺ شاهد، فعفا عنه ساعة، ثم إن أبا بكر جاش به الغضب، فردّ عليه، فقام النبيّ ﷺ فاتبعه أبو بكر، فقال يا رسول الله شتمني الرجل، فعفوت وصفحت وأنت قاعد، فلما أخذت أنتصر قمت يا نبيّ الله، فقال نبيّ الله ﷺ: «إنَّهُ كانَ يَرُدُّ عَنْكَ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ، فَلَمَّا قَرُبْتَ تَنْتَصِرُ ذَهَبَ المَلَكُ وَجاءَ الشَّيْطانُ، فَوَالله ما كُنْتُ لأُجالِسَ الشَّيْطانَ يا أبا بَكْرٍ».

**حدثني** عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَما يُلَقَّاها إلاَّ الَّذِينَ صَبرُوا وَما يُلَقَّاها إلاَّ ذُو حَظّ عَظِيمٍ**﴾ يقول: الذين أعدّ الله لهم الجنة.

وقوله: ﴿**وَإمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ باللَّهِ...**﴾ الآية، يقول تعالى ذكره: وإما يلقين الشيطان يا محمد في نفسك وسوسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، ودعائك إلى مساءته، فاستجر بالله واعتصم من خطواته، إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك، العليم بما ألقى في نفسك من نزغاته، وحدَّثتك به نفسك ومما يذهب ذلك من قلبك، وغير ذلك من أمورك وأمور خلقه، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَإمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ**﴾ قال: وسوسة وحديث النفس ﴿**فاسْتَعِذْ باللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ**﴾.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ﴿**وَإمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ**﴾ هذا الغضب.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه، اختلاف الليل والنهار، ومعاقبة كلّ واحد منهما صاحبه، والشمس والقمر، لا الشمس تدرك القمر ﴿**وَلا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ وكُلٌ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر، فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنما يجريان به لكم بإجراء الله إياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما، لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجري دون إجراء الله إياهما وتسييرهما، أو يستطيعان لكم نفعاً أو ضرّاً، وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم، فله فاسجدوا، وإياه فاعبدوا دونهما، فإنه إن شاء طمس ضوءهما، فترككم حيارَى في ظلمة لا تهتدون سبيلاً، ولا تبصرون شيئاً. وقيل: ﴿**وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ**﴾ فجمع بالهاء والنون، لأن المراد من الكلام: واسجدوا لله الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وذلك جمع، وأنث كنايتهن، وإن كان من شأن العرب إذا جمعوا الذكر إلى الأنثى أن يخرجوا كنايتهما بلفظ كناية المذكر فيقولوا: أخواك وأختاك كلموني، ولا يقولوا: كلمني، لأن من شأنهم أن يؤنثوا أخبار الذكور من غير بني آدم في الجمع، فيقولوا: رأيت مع عمرو أثواباً فأخذتهنّ منه. وأعجبني خواتيم لزيد قبضتهنّ منه.

وقوله: ﴿**إنْ كُنْتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ يقول: إن كنتم تعبدون الله، وتذلون له بالطاعة وإن من

طاعته أن تخلصوا له العبادة، ولا تشركوا في طاعتكم إياه وعبادتكموه شيئاً سواه، فإن العبادة لا تصلح لغيره ولا تنبغي لشيء سواه.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فإن استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش، وتعظموا عن أن يسجدوا الله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، ولا يتعظمون عنه، بل يسبحون له، ويصلون ليلاً ونهاراً، ﴿**وهم لا يسأمون**﴾ يقول: وهم لا يفترون عن عبادتهم، ولا يملون الصلاة له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فإنِ اسْتَكْبَرُوا فالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ باللَّيْلِ والنَّهارِ**﴾ قال: يعني محمداً، يقول: عبادي ملائكة صافون يسبحون ولا يستكبرون.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن حجج الله أيضاً وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك يا محمد ترى الأرض دارسة غبراء، لا نبات بها ولا زرع، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَمِنْ آياتِهِ أنَّكَ تَرَى الأرْضَ خاشِعَةً**﴾: أي غبراء متهشمة.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿**وَمِنْ آياتِهِ أنَّكَ تَرَى الأرْضَ خاشِعَةً**﴾ قال: يابسة متهشمة.

﴿**فإذَا أنْزَلْنا عَلَيْها المَاءَ اهْتَزَّتْ**﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا أنزلنا من السماء غيثاً على هذه الأرض الخاشعة اهتزت بالنبات، يقول: تحرّكت به، كما:

**حدثنا** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**اهتزت**﴾ قال: بالنبات.

﴿**وَرَبَتْ**﴾ يقول: انتفخت، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَرَبَتْ**﴾ انتفخت.

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فإذَا أنزَلْنا عَلَيها المَاءَ اهْتَزَتْ وَرَبَتْ**﴾ يعرف الغيث في سحتها وربوها.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَرَبَتْ**﴾ للنبات، قال: ارتفعت قبل أن تنبت.

وقوله: ﴿**إنَّ الَّذِي أحْياها لَمُحْيِي المَوْتَى**﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات، وجعلها تهتزّ بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها، القادر أن يحيي أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قال: كما يحيي الأرض بالمطر، كذلك يحيي الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين.

يعني بذلك تأويل قوله: ﴿**إنَّ الَّذِي أحْياها لَمُحْيِي المَوْتى**﴾.

وقوله: ﴿**إنَّهُ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد على إحياء خلقه بعد مماتهم وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجز شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه.

**القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا**﴾ إن الذين يميلون عن الحقّ في حججنا وأدلتنا، ويعدلون عنها تكذيباً بها وجحوداً لها. وقد بيّنت فيما مضى معنى اللحد بشواهده المغنية عن إعادتها في هذا الموضع.

وسنذكر بعض اختلاف المختلفين في المراد به من معناه في هذا الموضع. اختلف أهل التأويل في المراد به من معنى الإلحاد في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به معارضة المشركين القرآن باللغط والصفير استهزاء به.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا**﴾ قال: المُكَاء وما ذكر معه.

وقال بعضهم: أريد به الخبر عن كذبهم في آيات الله.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا**﴾ قال: يكذّبون في آياتنا.

وقال آخرون: أريد به يعاندون.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا**﴾ قال: يشاقُّون: يعاندون.

وقال آخرون: أريد به الكفر والشرك.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا**﴾ قال: هؤلاء أهل الشرك وقال: الإلحاد: الكفر والشرك.

وقال آخرون: أريد به الخبر عن تبديلهم معاني كتاب الله.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثني** محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا**﴾ قال: هو أن يوضع الكلام على غير موضعه.

وكلّ هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك قريبات المعاني، وذلك أن اللحد والإلحاد: هو الميل، وقد يكون ميلاً عن آيات الله، وعدولاً عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مُكاء

وتَصْدِية، ويكون مفارقة لها وعناداً، ويكون تحريفاً لها وتغييراً لمعانيها.

ولا قول أولى بالصحة في ذلك مما قلنا، وأن يعم الخبر عنهم بأنهم ألحدوا في آيات الله، كما عمّ ذلك ربنا تبارك وتعالى.

وقوله: ﴿**لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا**﴾ يقول تعالى ذكره: نحن بهم عالمون لا يخفون علينا، ونحن لهم بالمرصاد إذ وردوا علينا، وذلك تهديد من الله جلّ ثناؤه لهم بقوله: سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا، ثم أخبر جلّ ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه، فقال: ﴿**أفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّار خَيْرٌ أمْ مَنْ يأْتِي آمِناً يَوْمَ القِيامَةِ**﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يُلحدون في آياتنا اليوم في الدنيا يوم القيامة عذاب النار، ثم قال الله: أفهذا الذي يلقى في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمناً من عذاب الله لإيمانه بالله جلّ جلاله؟ هذا الكافر، إنه إن آمن بآيات الله، واتبع أمر الله ونهيه، أمّنه يوم القيامة مما حذّره منه من عقابه إن ورد عليه يومئذ به كافراً.

وقوله: ﴿**اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ**﴾ وهذا أيضاً وعيد لهم من الله خرج مخرج الأمر، وكذلك كان مجاهد يقول:

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿**اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ**﴾ قال: هذا وعيد.

وقوله: ﴿**إنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: إن الله أيها الناس بأعمالكم التي تعملونها ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منها، ولا من غيرها شيء.

## القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين جحدوا هذا القرآن وكذّبوا به لما جاءهم، وعنى بالذكر القرآن، كما:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالذّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ**﴾ كفروا بالقرآن.

وقوله: ﴿**وَإنَّهُ لَكِتاب عَزِيزٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كلّ من أراد له تبديلاً، أو تحريفاً، أو تغييراً، من إنسي وجني وشيطان مارد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**﴾ يقول: أعزّه الله لأنه كلامه، وحفظه من الباطل.

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**﴾ قال: عزيز من الشيطان.

وقوله: ﴿**لا يأتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَينِ يَدَيهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم: معناه: لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد ﴿**لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ قال: النكير من بين يديه ولا من خلفه.

وقال آخرون: معنى ذلك: لا يستطيع الشيطان أن ينقص منه حقاً، ولا يزيد فيه باطلاً، قالوا: والباطل هو الشيطان.

وقوله: ﴿**مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ**﴾ من قِبَل الحقّ ﴿**وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ من قِبَل الباطل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ الباطل: إبليس لا يستطيع أن ينقص منه حقاً، ولا يزيد فيه باطلاً.

وقال آخرون: معناه: إن الباطل لا يطيق أن يزيد فيه شيئاً من الحروف ولا ينقص منه شيئاً منها.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿**لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ قال: الباطل: هو الشيطان لا يستطيع أن يزيد فيه حرفاً ولا ينقص.

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه.

وقوله: ﴿**تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير

عباده، وصرفهم فيما فيه مصالحهم، ﴿حميد﴾ يقول: محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما يقول لك هؤلاء المشركون المكذّبون ما جئتهم به من عند ربك إلا ما قد قاله من قبلهم من الأمم الذين كانوا من قبلك، يقول له: فاصبر على ما نالك من أذى منهم، كما صبر أولو العزم من الرسل، ﴿وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ﴾، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

### ذكر من قال ذلك:

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ما يُقالُ لَكَ إلاّ ما قَدْ قِيلَ للرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ يعزّي نبيه ﷺ كما تسمعون، يقول: ﴿**كَذَلكَ ما أتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلاّ قالُوا ساحِرٌ أوْ مَجْنُونٌ**﴾.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في قوله: ﴿**ما يُقالُ لَكَ إلاّ ما قَدْ قِيلَ للرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ قال: ما يقولون إلا ما قد قال المشركون للرسل من قبلك.

وقوله: ﴿**إنَّ رَبَّك لَذُو مَغْفِرَةٍ**﴾ يقول: إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين إليه من ذنوبهم بالصفح عنهم ﴿**وَذُو عِقابٍ ألِيمٍ**﴾ يقول: وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصر على كفره وذنوبه، فمات على الإصرار على ذلك قبل التوبة منه.

### القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه يا محمد أعجمياً لقال قومك من قريش: ﴿**لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ**﴾ يعني: هلا بينت أدلته وما فيه من آية، فنفقهه ونعلم ما هو وما فيه، أأعجميّ، يعني أنهم كانوا يقولون إنكاراً له: أأعجمي هذا القرآن ولسان الذي أُنزل عليه عربيّ؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية ﴿**لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أَأَعْجَمِيٌ وَعَرَبِيٌ**﴾ قال: لو كان هذا القرآن أعجمياً لقالوا: القرآن أعجميّ، ومحمد عربي.

**حدثنا** محمد بن المثنى، قال: ثني محمد بن أبي عديّ، عن داود بن أبي هند، عن جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير في هذه الآية: ﴿**لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أَأَعْجَمِيٌ وَعَرَبِيٌ**﴾ قال: الرسول عربيّ، واللسان أعجمي.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا أبو داود عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿**وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أَأَعْجَمِيٌ وَعَرَبِيٌ**﴾ قرآن أعجميّ ولسان عربيّ.

**حدثنا** ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن محمد بن أبي موسى، عن عبد الله بن مطيع بنحوه.

**حدثني** محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ**﴾ فجعل عربياً، أعجمي الكلام وعربيّ الرجل.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: ﴿**وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ**﴾ يقول: بُينت آياته، أأعجميّ وعربيّ، نحن قوم عرب مالنا وللعُجْمة.

وقد خالف هذا القول الذي ذكرناه عن هؤلاء آخرون، فقالوا: معنى ذلك ﴿**لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ**﴾ بعضها عربيّ، وبعضها عجميّ. وهذا التأويل على تأويل من قرأ ﴿**أَعْجَمِيٌ**﴾ بترك الاستفهام فيه، وجعله خبراً من الله تعالى عن قيل المشركين ذلك، يعني: هلا فصّلت آياته، منها عجميّ تعرفه العجم، ومنها عربي تفقهه العرب.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً، فأنزل الله ﴿**وقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُهُ أَعْجَمِيٌ وَعَرَبِيٌ، قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ**﴾ فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان، فيه ﴿**حِجارَةٍ مِن سِجِّيلٍ**﴾ قال: فارسية، أعربت: سنك وكَلّ.

وقرأت قرّاء الأمصار: ﴿أأعْجَمِيّ وَعَرَبِيّ﴾ على وجه الاستفهام، وذُكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك: أعجمي بهمزة واحدة على غير مذهب الاستفهام، على المعنى الذي ذكرناه عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا القراءة التي عليها قرّاء الأمصار لإجماع الحجة عليها على مذهب الاستفهام.

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وشِفاءٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهم: هو، ويعني بقوله ﴿هُوَ﴾ القرآن ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله، وصدّقوا بما جاءهم به من عند ربهم ﴿هُدىً﴾ يعني بيان للحقّ ﴿وَشِفاءٌ﴾ يعني أنه شفاء من الجهل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشفاءٌ﴾ قال: جعله الله نوراً وبركة وشفاء للمؤمنين.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشفاءٌ﴾ قال: القرآن.

وقوله: ﴿والَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيهِمْ عَمىً﴾ يقول تعالى ذكره: والذين لا يؤمنون بالله ورسوله، وما جاءهم به من عند الله في آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن، وصمم لا يستمعونه ولكنهم يعرضون عنه، ﴿وهو عليهم عمًى﴾ يقول: وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذّبين به عمًى عنه، فلا يبصرون حججه عليهم، وما فيه من مواعظه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿والَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيهِمْ عَمىً﴾ عموا وصموا عن القرآن، فلا ينتفعون به، ولا يرغبون فيه.

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿والَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ﴾ قال: صمم ﴿وَهُوَ عَلَيهِمْ عَمىً﴾ قال: عميت قلوبهم عنه.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً﴾ قال: العمى: الكفر.

وقرأت قرّاء الأمصار: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً﴾ بفتح الميم. وذُكر عن ابن عباس أنه قرأ: «وهو عليهم عَمِ» بكسر الميم على وجه النعت للقرآن.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: معنى ذلك: تشبيه من الله جلّ ثناؤه، لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن من حججه ومواعظه ببعيد، فهم سامع مع صوت من بعيد نودي، فلم يفهم ما نودي، كقول العرب للرجل القليل الفهم: إنك لَتنادَى من بعيد، وكقولهم للفَهِم: إنك لتأخذ الأمور من قريب.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن جريج، عن بعض أصحابه، عن مجاهد ﴿أُولَئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ قال: بعيد من قلوبهم.

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن ابن جريج عن مجاهد، بنحوه.

**حدثني** يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ قال: ضيَّعوا أن يقبلوا الأمر من قريب، يتوبون ويؤمنون، فيقبل منهم، فأبوا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنهم ينادون يوم القيامة من مكان بعيد منهم بأشنع أسمائهم.

**ذكر من قال ذلك:**

**حدثنا** ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن أجلح، عن الضحاك بن مزاحم ﴿أُولَئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ قال: ينادَى الرجل بأشنع اسمه.

واختلف أهل العربية في موضع تمام قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالذِّكْر لَمَّا جاءَهُمْ﴾ فقال بعضهم: تمامه: ﴿أُولَئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ وجعل قائلو هذا القول خبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالذِّكْر﴾ ﴿أُولَئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ وقال بعض نحويي البصرة: يجوز ذلك ويجوز أن يكون على الأخبار التي في القرآن يستغنى بها، كما استغنت أشياء عن الخبر إذا طال الكلام، وعرف المعنى، نحو قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ﴾ وما أشبه ذلك.

**قال:** وحدثني شيخ أهل العلم، قال: سمعت عيسى بن عمر يسأل عمرو بن عبيد ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ﴾ أين خبره؟ فقال عمرو: معناه في التفسير: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به ﴿وإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ فقال عيسى: أجدت يا أبا عثمان.

وكان بعض نحويي الكوفة يقول: إن شئت جعلت جواب **﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بالذِّكْر أُولَئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾** وإن شئت كان جوابه في قوله: **﴿وإنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ﴾**، فيكون جوابه معلوماً، فترك فيكون أعرب الوجهين وأشبهه بما جاء في القرآن.

وقال آخرون: بل ذلك مما انصرف عن الخبر عما ابتدىء به إلى الخبر عن الذي بعده من الذكر فعلى هذا القول ترك الخبر عن الذين كفروا بالذكر، وجعل الخبر عن الذكر فتمامه على هذا القول وإنه لكتاب عزيز فكان معنى الكلام عند قائل هذا القول: إن الذكر الذي كفر به هؤلاء المشركون لما جاءهم، وإنه لكتاب عزيز، وشبهه بقوله: **﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بأنْفُسِهِنَّ﴾**.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: هو مما ترك خبره اكتفاء بمعرفة السامعين بمعناه لما تطاول الكلام.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الكِتابَ﴾** يا محمد، يعني التوراة، كما آتيناك الفرقان، **﴿فاخْتُلِفَ فِيهِ﴾** يقول: فاختلف في العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود **﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾** يقول: ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم أنه أخر عذابهم إلى يوم القيامة **﴿لقضي بينهم﴾** يقول: لعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه بإهلاكه المبطلين منهم، كما:

**حدثنا** محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله: **﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾** قال: أخروا إلى يوم القيامة.

وقوله: **﴿وإنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾** يقول: وإن الفريق المبطل منهم لفي شكّ مما قالوا فيه **﴿مُريب﴾** يقول: يريبهم قولهم فيه ما قالوا، لأنهم قالوا بغير ثبت، وإنما قالوه ظنًّا.

**القول في تاويل قوله تعالى:**

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: من عمل بطاعة الله في هذه الدنيا، فأتمر لأمره، وانتهى عما نهاه عنه **﴿فَلِنَفْسِهِ﴾** يقول: فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، لأنه يجازى عليه جزاءه، فيستوجب في المعاد من الله الجنة، والنجاة من النار، **﴿وَمَنْ أساءَ فَعَلَيْها﴾** يقول: ومن عمل بمعاصي الله فيها،

فعلى نفسه جنى، لأنه أكسبها بذلك سخط الله، والعقاب الأليم ﴿وَما رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ للْعَبيدِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه، بل لا يعاقب أحداً إلا على جرمه الذي اكتسبه في الدنيا، أو على سبب استحقه به منه، والله أعلم.

---

**تمَّ الجزء الرابع والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري**

**ويليه الجزء الخامس والعشرون**

**وأوّله: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.**

# محتوى الجزء الرابع والعشرين من تفسير الطبري


| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| | **سورة الزمر** | |
| ٣١ | ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ........................ | ٥ |
| ٣٢ | فمن أظلم ممن كذب على الله .... | ٥ |
| ٣٣ | والذي جاء بالصدّق وصدق به .... | ٦ |
| ٣٤ | لهم ما يشاءون عند ربهم ........... | ٦ |
| ٣٥ | ليكفِّر الله عنهم أسوأ الذي عملوا | ٩ |
| ٣٦ | أليس الله بكافٍ$ عبده .............. | ٩ |
| ٣٧ | ومن يهد الله فما له من مُضلّ ...... | ٩ |
| ٣٨ | ولئن سألتهم من خلق السموات .. | ١١ |
| ٣٩ | قل يا قوم اعملوا على مكانتكم ... | ١٢ |
| ٤٠ | من يأتيه عذاب على مكانتكم ...... | ١٢ |
| ٤١ | إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق ........................ | ١٢ |
| ٤٢ | الله يتوفى الأنفس حين موتها ...... | ١٣ |
| ٤٣ | أم اتخذوا من دون الله شُفعاء ...... | ١٤ |
| ٤٤ | قل لله السفاعة جميعاً ............... | ١٤ |
| ٤٥ | وإذا ذُكر الله وحده اشمأزّت ...... | ١٥ |
| ٤٦ | قل اللهمّ فاطر السموات والأرض | ١٥ |
| ٤٧ | ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض ........................ | ١٦ |
| ٤٨ | وبدا لهم سيئات ما كسبوا .......... | ١٦ |
| ٤٩ | فإذا مسّ الإنسان ضرّ دعانا ........ | ١٦ |
| ٥٠ | قد قالها الذين من قبلهم ........... | ١٧ |
| ٥١ | فأصابهم سيئات ما كسبوا ........... | ١٧ |
| ٥٢ | أوَ لم يعلموا أن الله يبسط الرزق . | ١٨ |
| ٥٣ | قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ........................ | ١٨ |
| ٥٤ | وأنيبوا إلى ربكم وأسلِموا له ...... | ٢٢ |
| ٥٥ | واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم ....... | ٢٢ |
| ٥٦ | أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرّطت ........................ | ٢٣ |
| ٥٧ | أو تقول لو أن الله هداني ........... | ٢٥ |
| ٥٨ | أو تقول حين ترى العذاب ......... | ٢٥ |
| ٥٩ | بلى قد جاءتك آياتي فكذّبت بها . | ٢٧ |
| ٦٠ | وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم .. | ٢٨ |
| ٦٢ | ا لله خالق كلّ شيء .................. | ٢٨ |
| ٦٣ | له مقاليدُ السموات والأرض ....... | ٢٩ |
| ٦٤ | قل أفغير الله تأمروني أعبد ......... | ٣٠ |
| ٦٥ | ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك ........................ | ٣٠ |
| ٦٦ | بل الله فاعبد وكن من الشاكرين .. | ٣١ |
| ٦٧ | وما قدروا الله حقّ قدره ............ | ٣١ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ٦٨ | ونُفخ في الصور فصعِق ............ | ٣٥ |
| ٦٩ | وأشرقت الأرض بنور ربها ......... | ٣٥ |
| ٧٠ | ووفِّيت كل نفس ما عملت ......... | ٤١ |
| ٧١ | وسِيق الذين كفروا إلى جهنم زُمَرا ........................ | ٤١ |
| ٧٢ | قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ........................ | ٤١ |
| ٧٣ | وسِيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمَرا ........................ | ٤٢ |
| ٧٤ | وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعدَه ........................ | ٤٢ |
| ٧٥ | وترى الملائكة حافِّين من حول ... | ٤٥ |

## سورة المؤمن

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | حمٓ ........................ | ٤٧ |
| ٢ | تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ........................ | ٤٧ |
| ٣ | غافر الذنب وقابل التوب ........... | ٤٧ |
| ٤ | ما يجادل في آيات الله إلاّ الذين كفروا ........................ | ٥٠ |
| ٥ | كذبت قبلهم قوم نوح ............... | ٥١ |
| ٦ | وكذلك حقَّت كلمة ربك .......... | ٥٢ |
| ٧ | الذين يحملون العرش ومن حوله | ٥٢ |
| ٨ | ربنا وأدخلهم جنات عدن ......... | ٥٤ |
| ٩ | وقهم السيئات، ومن تق السيئات | ٥٤ |
| ١٠ | إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر ........................ | ٥٥ |
| ١١ | قالوا ربنا أمتَّنا اثنتين .............. | ٥٥ |
| ١٢ | ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده ...... | ٥٨ |
| ١٣ | هو الذي يريكم آياته، وينزّل لكم | ٥٨ |
| ١٤ | فادعوا الله مخلصين له الدين ...... | ٥٨ |
| ١٥ | رفيع الدرجات ذو العرش ......... | ٥٩ |
| ١٦ | يوم هم بارزون لا يخفى على الله | ٥٩ |
| ١٧ | اليوم تُجْزى كل نفس بما كسبت . | ٦١ |
| ١٨ | وأنذرهم يوم الآزفة .................. | ٦٢ |
| ١٩ | يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ........................ | ٦٢ |
| ٢٠ | والله يقضي بالحقّ .................. | ٦٢ |
| ٢١ | أوَلم يسيروا في الأرض ........... | ٦٥ |
| ٢٢ | ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم ... | ٦٥ |
| ٢٣ | ولقد أرسلنا موسى بآياتنا .......... | ٦٥ |
| ٢٤ | إلى فرعون وهامان وقارون ........ | ٦٦ |
| ٢٥ | فلما جاءهم بالحقّ من عندنا ...... | ٦٦ |
| ٢٦ | وقال فرعون ذروني أقتل موسى .. | ٦٧ |
| ٢٧ | وقال موسى إني عذت بربي ....... | ٦٨ |
| ٢٨ | وقال رجل مؤمن من آل فرعون .. | ٦٨ |
| ٢٩ | يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين . | ٧٠ |
| ٣٠ | وقال الذي آمن يا ثوم إني أخاف | ٧٠ |
| ٣١ | مثل دأب قوم نوح .................. | ٧٠ |
| ٣٢ | ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ........................ | ٧١ |
| ٣٣ | يوم تولون مدبرين .................. | ٧١ |
| ٣٤ | ولقد جاءكم يوسف من قبل ...... | ٧٤ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ٣٥ | الذين يجادلون في آيات الله ........ | ٧٤ |
| ٣٦ | وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً ........................ | ٧٥ |
| ٣٧ | أسباب السموات، فأطلع إلى إلٰه . | ٧٥ |
| ٣٨ | وقال الذي آمن يا قوم اتبعون ...... | ٧٨ |
| ٤٠ | من عمل سيئة فلا يُجزي إلاّ مثلها ........................ | ٧٩ |
| ٤١ | ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة .. | ٧٩ |
| ٤٢ | تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ..... | ٧٩ |
| ٤٣ | لا جرم أنما تدعونني إليه .......... | ٨٠ |
| ٤٤ | فستذكرون ما أقول لكم ............ | ٨١ |
| ٤٥ | فوقاه الله سشيئات ما مكروا ....... | ٨١ |
| ٤٦ | النار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً . | ٨٣ |
| ٤٧ | وإذ يتحاجون في النار ............. | ٨٥ |
| ٤٨ | قال الذين استكبروا إنا كل فيها ... | ٨٥ |
| ٤٩ | وقال الذين في النار لخزنة جهنم . | ٨٦ |
| ٥٠ | قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ........................ | ٨٦ |
| ٥١ | إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ....... | ٨٦ |
| ٥٢ | يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم .... | ٨٦ |
| ٥٣ | ولقد آتينا موسى الهدى ............ | ٨٨ |
| ٥٤ | هُدى وذكرى لأولى الألباب ....... | ٨٨ |
| ٥٥ | فاصبر إنّ وعد الله حقّ ............ | ٨. |
| ٥٦ | إن الذين يجادلون في ريات الله ... | ٨٩ |
| ٥٧ | لخلق السموات والأرض أكبر ..... | ٩٠ |
| ٥٨ | وما يستوى الأعمى والبصير ....... | ٩٠ |
| ٥٩ | إن الساعة آتية لا ريب فيها ........ | ٩١ |
| ٦٠ | وقال ربكم ادعوني أستجب لكم . | ٩١ |
| ٦١ | الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ........................ | ٩٢ |
| ٦٢ | ذلكم الله ربكم خالق كلّ شيء ... | ٩٣ |
| ٦٣ | كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله ........................ | ٩٣ |
| ٦٤ | الله الذي جعل لكم الأرض قراراً | ٩٣ |
| ٦٥ | هو الحيّ لا إلٰه إلاّ هو فادعوه مخلصين ........................ | ٩٣ |
| ٦٦ | قل إني نهيت أن أعبد الذي تدعون ........................ | ٩٥ |
| ٦٧ | هو الذي خلقكم من تراب ......... | ٩٥ |
| ٦٨ | هو الذي يُحيى ويُميت ............ | ٩٥ |
| ٦٩ | ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله ........................ | ٩٥ |
| ٧٠ | الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا | ٩٧ |
| ٧١ | إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل | ٩٧ |
| ٧٢ | في الحميم ثم في النار يسجرون . | ٩٧ |
| ٧٣ | ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون . | ٩٧ |
| ٧٤ | من دون الله قالوا صلوا عنا ....... | ٩٧ |
| ٧٥ | ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض ........................ | ٩٩ |
| ٧٦ | ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها | ٩٩ |
| ٧٧ | فاصبر إن وعد الله حقّ ............ | ١٠٠ |
| ٧٨ | ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ....... | ١٠٠ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ٧٩ | الله الذي جعل لكم الأنعام ........ | ١٠١ |
| ٨٠ | ولكم فيها منافع ........................ | ١٠١ |
| ٨١ | ويريكم آياته فأيّ الله تنكرون ...... | ١٠١ |
| ٨٢ | أفلم يسيروا في الأرض فينظروا ... | ١٠٢ |
| ٨٣ | فلما جاءتهم رسلهم بالبينات ...... | ١٠٢ |
| ٨٤ | فلما رأوا بأسنا قالوا ..................... | ١٠٣ |
| ٨٥ | فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ......................................... | ١٠٤ |


## سورة فصلت


| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | حمٓ .......................................... | ١٠٥ |
| ٢ | تنزيل من الرحمن الرحيم .......... | ١٠٥ |
| ٣ | كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً ...... | ١٠٥ |
| ٤ | بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم ...... | ١٠٥ |
| ٥ | وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه .......................................... | ١٠٦ |
| ٦ | قل إنما أنا بشر مثلُكم يُوحَى إليّ | ١٠٧ |
| ٧ | الذين لا يؤتون الزكاة .................. | ١٠٧ |
| ٨ | إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات | ١٠٨ |
| ٩ | قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق .... | ١٠٨ |
| ٩ | قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق .... | ١٠٨ |
| ١٠ | ثم استوى إلى الماء وهي دخان .. | ١١٠ |
| ١١ | ثم استوى إلى السماء وهي دخان | ١١٠ |
| ١٢ | فقضاهنّ سبع سموات في يومين . | ١١٤ |
| ١٣ | فإن أعرضوا فقل أنذرتكم .......... | ١١٦ |
| ١٤ | إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم . | ١١٦ |
| ١٥ | فأما عاد فاستكبروا في الأرض ... | ١١٧ |
| ١٦ | فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ...... | ١١٧ |
| ١٧ | وأما ثمودُ فهديناهم .................. | ١٢٠ |
| ١٩ | ويوم يحشر أعداء الله إلى النار ... | ١٢٢ |
| ٢٠ | حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم .. | ١٢٢ |
| ٢١ | وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا . | ١٢٣ |
| ٢٢ | وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم ......................................... | ١٢٣ |
| ٢٣ | وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم . | ١٢٦ |
| ٢٤ | فإن يصبروا فالنار مثوًى لهم ....... | ١٢٧ |
| ٢٥ | وقيضنا لهم قرناء ........................ | ١٢٨ |
| ٢٦ | وقال الذين كفروا لا تسمعوا ..... | ١٢٩ |
| ٢٧ | فلنذيقنّ الذين كفروا عذاباً .......... | ١٢٩ |
| ٢٨ | ذلك جزاء أعداء الله النار .......... | ١٣٠ |
| ٢٩ | وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا ........................................ | ١٣٠ |
| ٣٠ | إن الذين قالوا ربنا الله ................ | ١٣١ |
| ٣١ | نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا .... | ١٣٥ |
| ٣٢ | نُزُلاً من غفور رحيم .................. | ١٣٥ |
| ٣٣ | ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ......................................... | ١٣٥ |
| ٣٤ | ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ..... | ١٣٥ |
| ٣٥ | وما يلَقَّاها إلاّ الذين صبَروا ........ | ١٣٨ |
| ٣٦ | وإما ينزغنَّك من الشيطان نَزْغ ..... | ١٣٨ |
| ٣٧ | ومن آياته الليل والنهار .............. | ١٣٩ |
| ٣٨ | فإن استكبروا ........................... | ١٤٠ |

| الآية | الآية المفسرة | الصفحة |
|---|---|---|
| ٣٩ | ومن آياته أنك ترى الأرض ......... | ١٤٠ |
| ٤٠ | إن الذين يلحدون في آياتنا .......... | ١٤١ |
| ٤١ | إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم | ١٤٣ |
| ٤٢ | لا يأتيه الباطل من بين يديه ......... | ١٤٣ |
| ٤٣ | ما يقال لك إلاّ ما قد قيل للرسل | ١٤٥ |
| ٤٤ | ولو جعلناه قرآناً أعجمياً ............ | ١٤٥ |
| ٤٥ | ولقد آتينا موسى الكتاب ............ | ١٤٩ |
| ٤٦ | من عمل صالحاً فلنفسه ............ | ١٤٩ |